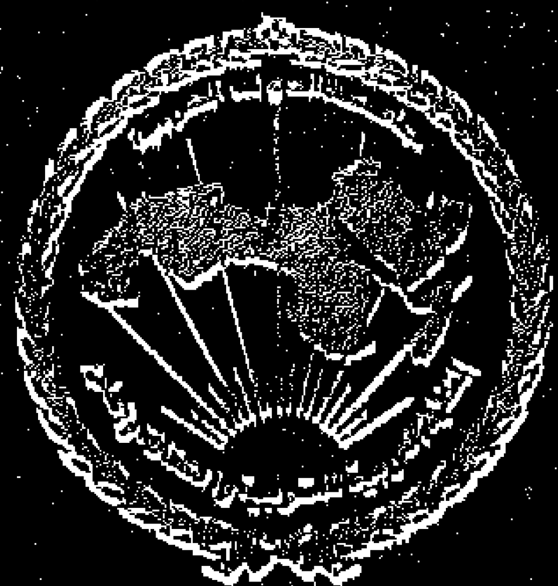


فضائل بيت المقدس

في مخطوطات عربية قديمة

دراسة تحليلية ونصوص منتقاة محققة

الدكتور محمود ابراهيم

الطبعة الثانية

منشورات معهد المخطوطات العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

فضائل بيت المقدس

في مخطوطات عربية قديمة

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ص.ب : ٢٦٨٩٧
الرمز البريدي : ١٣١٢٩ - الصفاة - الكويت

الطبعة الأولى

الكويت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م



فضائل بيت المقدس

في مخطوطات عربية قديمة

دراسة تحليلية ونصوص مختارة محققة

للدكتور محمود ابراهيم
الجامعة الأردنية

منشورات معهد المخطوطات العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء ..

إلى مدينة القدس ..،

وإلى المرابطين فيها وفي أكنافها ...

تصدير
الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر
المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

« فضائل بين المقدس في مخطوطات عربية قديمة » كتابٌ سريٌّ موضوعاً وتناولاً . فبيت المقدس ، مَسرىٰ الرسول الكريم ﷺ وأولىٰ القِبلتين ؛ ومكانه في تاريخ الإسلام والعروبة مكانٌ أثير ، فهو رمزٌ لهما ؛ مستوعب وشامل ؛ وإن الأحداث التاريخية الجليلة في المنطقة التي دارت حول المقدس ، الذي تلتقي عنده الديانات السماوية كلها ؛ بكل ما فيها من تضحيات وعطاء ؛ من امتداد ، وانحسار ، ومن تقدم ، ومن تقهقر ، تظل حية في الوجدان ؛ قائمة في الضمائر، تُلهم الجيل ، بعد الجيل ، قَداسة هذه البقعة المباركة ؛ وتُقَوّي الانتماء إليها ، والاعتزاز بها . . وقد اهتم المسلمون ببيت المقدس ؛ وكتبوا في فضائله ؛ تعبيراً عن أهميته الدينية والقومية ؛ وإبرازاً لما ينطوي عليه من قيم ودلالات .

وقد نهض الباحث المحقق الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم ؛ الأستاذ في الجامعة الأردنية ؛ بعمل علمي ؛ وقومي ؛ جليل ؛ حين جمع من إحدى عشرة مخطوطة ، عن فضائل بيت المقدس : كُتبت على امتداد خمسة قرون إسلامية ؛ من القرن الخامس حتى القرن العاشر ؛ هذا الكتاب الذي نُصّدر له في اعتزازٍ ؛ في إطار سلسلة نشر كتب التراث العربي ، الذي يعتبر أحد برامج « معهد المخْطوطات العربية » ؛ وذلك في مناسبة احتفال المنظمة الثقافي باستقبال القرن الخامس عشر الهجري .

وقد جاء هذا العمل المبتكر ، بعد دراسة مستوعبة ومستفيضة للمخطوطات المصادر الإحدىٰ عشر ؛ واختار من كل مخطوطة ، نصوصاً ، حققها ووثقها ، معتمداً على النقد والتحليل ؛ فَخلّصها بذلك من الإسرائيليات ، ومن الروايات غير العلمية تاريخياً ؛ مما هو خارج عن نطاق المعقول والمنقول . . ؛ ثم علق عليها ملتزماً بالرد التاريخي ، في مكانه ، فيما يستحق رداً أو تصحيحاً ؛ وبالتوضيح والتفسير ، فيما يستدعي ذلك . .

وقد ذَيل الكتاب ، عملاً بمنهجية التحقيق التي التزم بها ، بفهارس فَنّية متنوعة ، من شأنها أن تُعين الباحثين .

والأستاذ الدكتور محمود إبراهيم ، يقدم بهذا العمل وثيقة حية ، تجيء في وقتها ؛ أداة من أدوات المواجهة والنضال ، عن حَوزة بيت المقدس ، الذي تَعتَدي عليه كل يوم ، القوىٰ الصهيونية ، المغتصبة للأرض والحق والتاريخ ؛ في محاولة آثمة أيضاً ، لاغتصاب المستقبل كذلك ، في فلسطين العربية . . وهذه القوى الاستيطانية لا تَني تسعىٰ في عدوانها ، بكل الوسائل والطرق غير المشروعة ، لتهويد القدس ، وطمس معالمها ؛ واستلاب حقيقتها التاريخية ؛ فمن اعتداء أثيم بحرق المسجد الأقصىٰ ؛ إلى تخريب لمعالم القدس ؛ بالتنقيب ؛ وبالهدم ؛ إلى نهب كنوزها الفنية من المخطوطات . . . ومن هنا تبدو قيمة هذا الكتاب ، في هذه المرحلة من مراحل النضال العربي .

والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهي تقدم هذا الكتاب الجليل إلى الأمة العربية والإسلامية ، تأمل أن يتحقق به هدف تأليفه ونشره ، والشكر في هذا المجال مبذول للباحث المحقق ؛ على ما بذل قادراً ؛ من جهد طويل ، فإن اختيار هذه المصادر ، والوصول إلى مصادرها ؛ واستخراج النصوص المعبرة من كل مخطوطة ، ثم تحقيقها ، كلُّ ذلك عملٌ لا يُعرف قَدره إلاّ العاملون في هذا المجال ؛ والشكر ممدود إلى القائمين على إدارة « معهد المخطوطات العربية » ، على نشر هذا الكتاب ، وعلى الإشراف الفني ، على حسن إخراجه .

والله يهدي إلى الخير ، ويعين على فعله ،

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

منذ ما يزيد على عشر سنوات ، أُدخلتْ في المواد التي يدرّسها قسم اللغة العربيّة وآدابها في كليّة الآداب بالجامعة الأردنيّة مادة أطلق عليها اسم « أدب الحروب الصليبية » ، وقد قصد من هذه المادة ، أن تعالج الكتابات العربيّة القديمة التي كانت متأثرة بشكل أو بآخر ، بالحروب الصليبية التي ابتليت بها بلاد مصر والشام ، وأجزاء أخرى من بلاد المشرق الإسلامي ، مدّة قرنين من الزمان ، من أواخر القرن الخامس إلى أواخر القرن السابع الهجريّ ، ولاسيّما أن أدب هذه الفترة ، بقي لمدّة طويلة لا يلقى العناية الكافية من الدّارسين ، باعتبار أن هذه الفترة وما تلاها من فترات ، إنما تمثّل فترة خمود وركود في تاريخ الأدب العربي ، كما قال الكثيرون . وكان من الطبيعي أن يكون التركيز في هذه المادة ، على ذلك النوع من الكتابات التي تحمل الطابع الأدبيّ ، مع تعريج لابد منه على أنواع أخرى من الكتابات ، ليست بالكتابات الأدبية الخالصة ، ولكنها ذات صلة بالمادة الأدبية ، كالكتب التي كانتْ تبحث في تاريخ تلك الفترة ، والحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية فيها .

وإذْ كان لكاتب هذه السطور شرف تدريس المادة المذكورة في المراحل الأولى من سنوات تدريسها ، فقد استرعت نظره في بعض الكتب التي دونت عن تلك الفترة إشارات مقتضبة إلى كتب عن « فضائل القدس » أو فضائل غيرها من البلدان التي عرفت الاحتلال الصليبي بالفعل ، أو التي كانت مهددة بذلك الاحتلال ، وهي كتب كانت تضفي على هذه البلدان طابع قداسة يرتكز غالباً على أساس ديني من نوع أو آخر .

وبسببٍ من عـدم معرفتي الكـافية إذْ ذاك بكتب الفضـائل هـذه ، وكلها أو معـظمها مخطوطات لم أكن قد اطلعت عليها ، حسِبتُ أن أمر هذه الكتب لايعدو أن يكون ظاهرة ولّدتها ظروف عابرة ، إذْ هي كما تراءت لي حينذاك ، نوع من مقاومة الغزاة أداتُه القلم ، قُصد منه أن يواكب المقاومة التي اتخذت السيف أداة لها .

ومع ذلك ، فقد كنت تواقاً إلى أن أقف بصورة مباشرة على مادة هذا النوع من الكتب ، وانتهزت أول فرصة لاحت لي في أواسط سنوات السبعين للنظر في تحقيق بعض منها ، وذلك في إطار أعمال « لجنة التعريب والترجمة والنشر الأردنيّة » التي كنت عضواً فيها والتي آلت في عام ١٩٧٦ إلى مجمع اللغة العربية الأردني ، بعد تأسيس هذا المجمع . غير أنني عندما اطلعت على إحدى هذه المخطوطات في مكتبة الجامعة الأردنية ، لم أرتح لما احتوتْه ، إذ إنها لم تحتو شيئاً ذا أهمية خاصة ، ولم يكن فيها الكثير من الجديد الذي يغري بتحقيقها . وبقي الأمر كذلك ، إلى ثلاث سنوات خلت ، بعد أن ألّف الدكتور كامل العسلي من الجامعة الأردنية كتابه عن « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، وهو كتاب يعد دليلاً ممتازاً لمن يود أن يتعرف على عدد كبير من هذه المخطوطات : عناوينها ومؤلفيها وأماكن وجودها ، ونبذة موجزة عن كل منها . وقد أتاح هذا الكتاب لكـل راغب في التعرف على هذه المخطوطات ، ومن ثمّ الحصول على ماهو موجود منها في مكتبات العالم من أجل الدراسة والتحقيق ، أنْ يحصل على المخطوطة التي يريدها ، ويتصل اتصالاً مباشراً بمادة المخطوطة ، بدلا من أن يكتفي بوصف خارجيّ لها كتبه الآخرون .

ومع هذا التسهيل في إمكانية الحصول على المخطوطة المرادة ، كان ثمة عامل ، أو بـالأحرى عـاملان آخـران ، يحفزان عـلى الاتصال بهـذه المخطوطـات والتعرّف عـلى محتوياتها . أمّا العامل الأوّل ، فهو ما أعتبِره الواجب الملقى على عاتق كل دارس عربي نال حظاً كافياً من الثقافة المتخصصة وتتوافر لديه إمكانية البحث ، لأن يُسْهِم بقلمه في معركة القدس ، حتى تواكب جهود الباحثين والدارسين ، الجهود الأخرى التي تبذل في هذا المجال ، ولاسيّما أن المعركة التي نواجهها في هذه الفترة من تاريخنا ، هي معركة طويلة عريضة : طويلة في مداها الزمني ، وعريضة في تشعبها في مجـالات

الحياة المختلفة . ولكل راغب في الإسهام في هذه المعركة ، موقعُهُ الذي يستطيع أن ينطلق منه إذا هو أراد .

أما العامل الثاني الحافز على تتبّع مثل هذه المخطوطات ، فهو تلك الكتابات التي اتخذ لها أصحابها من اليهود ومشايعيهم سمة علميّة ، والتي أريدَ منها أن تُستَلب القدس من أصحابها الشرعيين تراثاً وتاريخاً ، مثلما استُلبت منهم حِسّاً وواقعاً ، ولو إلى حين . وما أكثر تلك الكتابات ، وما أمهر من كتبوها في اصطناع المنهج العلمي فيما يكتبون ، وهم يكتبون بلغات شتّى ، لكي يوصلوا أفكارهم إلى الآخرين في مختلف أرجاء العالم .

ولقد علمتنا الأحداث والتجارب ، أنَّ الردّ على الباطل الذي يلبس لبوسا علميّاً ، لايكون عن طريق المهاترة والمشاتمة ، ومجرّد الرفض المتشنج الذي يرتكز على الفَوَرانِ العاطفي ، حتى ولو كان هذا الفوران قائماً على الصدق والإخلاص للحقّ والحقيقة . ذلك لأن عملاً أكاديمياً هادئاً ، يرتكز على الحقائق ، وهي مُسعِفة جدّاً ، من شأنه أن يُرضيَ النزعة الأكاديمية في الباحث ، ويشكل في الوقت نفسه الرد المنشود على محاولة الاستلاب الثقافي والتراثي التي تواجهه المدينة المقدسة وما حولها .

وكان من الممكن بالطبع أن يُكتفى بدرسة مخطوطة واحدة من المخطوطات التي تتحدث عن فضائل القدس ومكانتها في الإسلام ، وذلك بتحقيق هذه المخطوطة ونشرها . إلا أنّ الحافز وراء هذه الدراسة كان أوسع من مجرد تحقيق مخطوطة من المخطوطات على أسس علمية ، إذْ قد تورد هذه المخطوطة جوانب عن مكانة القدس في الإسلام ، وتغفل جوانب أخرى ، مما يجعل الصورة المعروضة على القُرّاء غير متكاملة ، وحتى غير قريبة من التكامل الذي من شأنه أن يقدم المدينة المقدسة إسلاميّاً في الإطار العريض المنشود .

من أجل ذلك ، استعرضتُ ومؤلف كتاب « مخطوطات فضائل القدس » مجموعة العناوين التي وردت في كتابه ، وكان ذلك منذ أكثر من سنتين ، وبعد أن استثنينا ما سبق أن طبع ونشر من أصل تسع وأربعين مخطوطة احتواها الكتاب ، وبعد أن استبعدْنا بالطبع كذلك المخطوطات التي لم يُعثر عليها حتى الآن بعد في مكتبات العالم ، وإنما عُرِفَتْ

عناوينها فقط من خلال ما رصدته بعض الكتب عنها ، اخترت إحدى عشرة مخطوطة ، وهي تكوّن في الواقع القسم الأكبر من المخطوطات الموجودة في مكتبات العالم ، مما لم يُحقّقْ وُينشرْ بعد .

وبعد ذلك كان لابد من البدء في الخطوة الأولى ، وهي الحصول على هذه المخطوطات . وهنا اضطلعت مكتبة الجامعة الأردنية بدور كريم فعّال . فمن خلال جهود مديرها إذ ذاك ، الدكتور كامل العسلي ، وبتعاون مساعديه وزملائه في المكتبة ، استطعتُ الحصول على القسم الأكبر من هذه المخطوطات من أنحاء العالم المختلفة ، وعلى وجه التحديد من مكتبات برنستون في الولايات المتحدة الأميركية ، وليدن في هولندا ، وتوبنجن في ألمانيا الغربية ، وجوتا في ألمانيا الشرقية ، والقاهرة ، وإسكندرية ، وحلب والمدينة المنورة . وبعد أن انتقل الدكتور العسلي إلى موقع آخر في الجامعة الأردنية ، لقيتُ كذلك تعاونا كريما من خَلَفِهِ الدكتور هاني العمد ، وزملائه ومساعديه في المكتبة ، الذين لم يدّخروا جهدا في سبيل تيسير مهمتي ، حتى اكتملتْ لدي جميع المخطوطات المطلوبة . ولم يكن من غير المتوقّع أن أجد في هذه المخطوطات الإحدى عشرة صفحات مطموسة كليا أو جزئيا ، وعبارات محرّفة ، وكلمات لا تُقرأ إلاّ بصعوبة ، غير أن هذا كلّه من الصعوبات التي يتوقعها أيّ دارس للمخطوطات القديمة ، التي قلّ أن يكون منها ما هو خالٍ تماما من العلل ، إمّا لتقادم الزمن ، أو لتفاوت مقدرة النسّاخ ، وتباين وعيهم وأمانتهم ودقتهم في كتابة ما ينسخون .

ولقد كان في النية في البداية ، أن يُكَرّسَ أيُّما وقت لازم لتحقيق هذه المخطوطات كاملة بكل ما احتوت عليه من مواد . ولكن قراءةً لمحتوياتها اقنعتني أن هذه المحتويات اشتملت على ما هو جدير بأن يُبذل الجهد في تحقيقه ، وما هو غير جدير بذلك ، إمّا لأنه خارج عن موضوعنا لعدم علاقته بمكانة القدس في الإسلام ، وارتباطه بفترة ماقبل العهد الإسلامي ، أو لأنه يرتكز على أقوال وروايات أشبه بالأساطير والقصص الشعبية ، وكثيرا ما كان الأمران يجتمعان : السبق الزمني للعهد الإسلامي ، والخروج عن الإطار التاريخيّ المعقول والمقبول . ولذا فإن انتقاء نصوص معينة من هذه المخطوطات ، تنحصر في العهد

الإسلامي دون غيره ، وفي الإطار التاريخي ، وضمن ماهو متقبَّل معقول ، كان أمراً لابد منه . وغنيٌّ عن البيان ، أن أيًّا من هذه المخطوطات الإحدى عشرة لم يَسْبق أن حُقِّق تحقيقاً كاملاً من قبل (أي قبل الفراغ من مادة هذا الكتاب في شهر رمضان المبارك ١٤٠٤ هـ ، حزيران / يونيو ١٩٨٤) .

والمفروض أن أقدّم هنا عرضا لهذه المخطوطات للتعريف بعناوينها ومؤلفيها ، ولبيان المنهج الذي اتُّبعَ في تحقيقها ، ولكنني آثرت أن أخصّص لذلك فصلاً كاملاً من فصول هذا الكتاب ، هو الفصل الثالث من الجزء الأول ، لكي يتاح للقارىء أن يتعرّف إلى هذه المخطوطات بصورة تفصيلية ، بما في ذلك المنهج الذي اتُّبع في الاختيار والتحقيق ، وذلك قبيل الانتقال إلى القسم الثاني من الكتاب ، الذي احتوى النصوص المحققة المختارة من مجموع هذه المخطوطات . وهذا يعني أنّ التعريف في هذه المقدّمة بهذه المخطوطات ومنهج تحقيقها ، يُعتَبَر ازدواجا لا لزوم له .

وبعد أن انتهيتُ خلال وجودي في الأردن من تحقيق النصوص المختارة من هذه المخطوطات ، رأيت أن طبيعة العمل تستوجب الوقوف على أيّما جهود سابقة بُذلتْ حول مخطوطات فضائل القدس ، سواء اتخذت شكل تحقيق ونشر ، أو شكل ترجمة ، أو شكل دراسة عن هذه المخطوطات ، دون الانحصار في المخطوطات الإحدى عشرة ، التي اخترتُ نصوصاً منها للتحقيق . ولا يخفى أنّ الوقوف على ماسبق عمله في مجال ما ، هو من الأمور النافعة للباحث والقارىء ، ومما تقتضيه أصول البحث . وعلى الرغم من وجود بعضٍ من هذه الدراسات في مكتبة الجامعة الأردنية ، إلاّ أن بعضا آخر منها لم يكن موجودا فيها . ولذا فإنني أفدت من إجازة التفرغ العلمي التي حصلت عليها من الجامعة الأردنية لكي أسافر إلى جامعة برنستون للاستفادة من مكتبتها الكبيرة الحافلة بالكتب والحوليات والمخطوطات المتعلقة بالدراسات الشرقيّة . وقد وجدتُ في مكتبتها بالفعل كل ما أردت الحصول عليه من مراجع ، أو قريبا جدا من كل ما أردتُ ، مما أتاح لي فرصة الوقوف على جهود الدارسين السابقين حول كتب فضائل القدس .

ومع أنني عرضْتُ هذه الدراسات السابقة بالكثير من التفصيل في الفصل الثاني من القسم الأول في هذا الكتاب ، فلا بأس أنْ أدرج هنا بصورة إحصائية موجزة جداً أعمال من سبقوني في هذا المضمار ، لكي يتبين موضـع هذه الدراسة من أعمالهم :

أما بالنسبة إلى التحقيق والنشر ، فإن كاتب هذه السطور يرى أنه لايدخل في هذا الإطار بحق ، إذا نحن قصرنا الأمر على فضائل القدس وما حولها ، وعلى الكتب التي حُققت كاملة وفق المنهج العلمي للتحقيق ، سوى أربعة كتب هي :

١ ـ « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » لبرهان الدين بن عبدالرحمن الفزاري الملقب بابن الفركاح ، وقد حقّقه الأمريكي تشارلز ماثيوز ونُشِر في عامي ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ .

٢ ـ « مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام » ، لتاج الـدين إسحاق بن الخطيب بن أحمد التدمري ، وقد حققه المستشرق الأميركي نفسه ، تشارلز ماثيوز ، ونشره في عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٧ .

٣ ـ « فضائل القدس » لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، وقد حقق الكتاب ونشره الدكتور جبرائيل جبّور عام ١٩٧٩ .

٤ ـ « فضائل بيت المقـدس » أو « فضائـل البيت المُقَدَّس » لأبي بكـر محمد بن أحمـد الواسطي ، وقد حققه ونشره إسحاق حسون من الجامعة العبرية عام ١٩٧٩ .

أما بقية الكتب المنشورة ، فهي إمّا أنها لا تقع في الإطار المحدد لكتب « فضائل القدس » ، أو هي كتب لا تدخل في الإطار الفني المتعارف عليه لكلمة « مخطوطات » ، أو أن الذي حُقِّق منها يمثّل مجرد مقتطفات مقتطعة منها .

أما في إطار الترجمة الكاملة لكتب فضائل القدس ، فقد ترجم الأميركي ماثيوز الكتابين اللذين حققهما واللذين أوردناهما سابقـا ، ونشرت التـرجمتان عـام ١٩٤٣ . وترجم العالم الفرنسي سوفير H.Sauvaire باختصار كتاب « الأنس الجليل بتاريخ القدس

الخليل » لمجير الدين الحنبلي ، عام ١٨٧٦ .

وأما بقية الترجمات ، فهي إما ترجمة سقيمة غير مقبولة ، كترجمة الإنجليزي رينولدز Reynolds ، لكتاب « إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى » لشمس الدين السيوطي ، وهي ترجمة رفضها حتى معاصروه ، من مستشرقي الإنجليز ، وإما مجرد ترجمة لشذرات من هذه الكتب .

وفي نطاق الدراسات التي أجريتْ على كتب الفضائل ، خارج نطاق التحقيق والنشر والترجمة ، ترِد الأعمال التالية ، مرتبةً ترتيباً تاريخيا :

١ ــ قام الفرنسيّ دي غين De Guignes بتحليل نسخة المخطوطة الباريسية لكتاب « باعث النفوس لزيارة القدس المحروس » لبرهان الدين الفزاري ، وبنشر دراسة عن كتاب « إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى » ، لشمس الدين السيوطي ، وذلك في عام ١٧٩٠ .

٢ ــ وقام الدانماركي لمنغ Lemming بدراسة عن كتاب السيوطي نفسه بعد سبع وعشرين سنة من قيام دي غين بدراسته عن هذا الكتاب .

٣ ــ وقام المستشرق الألماني هامر Hammer في بداية القرن التاسع عشر بدراسة عن كتاب « الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل » ، وقدّم مقتطفات من هذا الكتاب .

٤ ــ وفي إطار الترجمة الهزيلة التي قام بها القس الإنجليزي رينولدز Reynolds لكتاب « إتحاف الأخصّا » ، أجرى رينولدز كذلك دراسة عن الكتاب المترجم .

٥ ــ ثم كتب جاي لي سترانج Guy Ie Strange الإنجليزي بحثا عام ١٨٨٧ في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية عن شمس الدين السيوطي ومخطوطة « إتحاف الأخصّا » ، كما كتب في البحث نفسه شيئا عن كتاب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » لشهاب الدين المقدسي .

وبعد ذلك بثلاث سنوات نشر هذا المستشرق الإنجليزي نفسه كتابا عن « فلسطين في ظل الحكم الإسلامي » أورد فيه معلومات عن كتب الفضائل وعن ما تصور أنه الحافز على كتابتها ، وعبّر فيه عن رأيه في صحّة الأحاديث النبويّة الموردة فيها .

٦ ــ وكتب كونراد كينغ Conrad Konig الألماني عام ١٨٩٦ رسالة دكتوراه عن كتاب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » لشهاب الدين المقدسي ، قدّمها إلى جامعة ليبزغ ، وأجرى مقارنة بين مواد هذا الكتاب ومواد « إتحاف الأخِصّا » للسيوطي .

٧ ــ وقام المستشرق الروسي مدنيكوف Mednikov الذي توفي عام ١٩٠٣ بدراسات عن كتب فضائل القدس في إطار كتاب كبير له عن تاريخ فلسطين منذ الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية واهتم بصورة خاصة بكتب ثلاثة هي : « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، وإتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى » ، و « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » .

٨ ــ ونشر تشارلز ماثيوز الأميركي عام ١٩٣٦ بحثا في مجلة الجمعية الشرقية الأميركية عن منزلة القدس عند المسلمين ، وإفراط بعض الناس في التعبير عن نظرتهم إلى قداستها ، وما أحدثه ذلك من ردّة فعل عند علماء المسلمين ، ولاسيما عند ابن تيمية ، وقد نشر مع بحثه هذا بالعربية رسالة ابن تيميّة المعنونة « قاعدة في زيارة بيت المقدس » ، وتحدث في البحث نفسه بصورة عامة عن كتب فضائل القدس والحافز على تأليفها .

وبعد ذلك بسبع سنوات ، نشر ماثيوز بحثا في مجلة « العالم الإسلامي » ، "The Moslem World" التي تصدر بالإنجليزية ، أورد فيه بعض تعليقات على كتب فضائل القدس ، ولا سيما كتابي « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » لابن الفركاح » ، و « مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام » للتدمري ، إضافة إلى تعليقات عامة عن كتب أخرى ، وعن مادة كتب الفضائل بصورة عامة .

٩ ــ وفي عام ١٩٥٠ نشر شلومو جويتين Shelomo Goitein الأميركي اليهودي في مجلة

الجمعية الشرقية الأميركية بحثا بالإنجليزية بعنوان « الخلفية التاريخية لبناء قبة الصخرة » ، تحدّث فيه بصورة غير مباشرة عن كتب الفضائل ، مع تركيز خاص على تعلّق الزهاد ورجال التصوف المسلمين بمدينة القدس .

وبعد ستة عشر عاما من نشره هذا البحث ، نشر كتابا بالإنجليزية كذلك بعنوان : « دراسات في تاريخ الإسلام ومؤسساته » ، تحدّث فيه مرة أخرى عن تعلّق الزهّاد المسلمين بالقدس وعن الحافز على بناء مسجد الصخرة ، وعن ممارسات تَعَبُّدِيّة لبعض المسلمين في مدينة القدس ، وردّة فعل العلماء المسلمين على التجاوزات التي رافقت هذه الممارسات .

١٠ ــ وفي عام ١٩٥٧ نشر المستشرق الروسي الكبير أغناطيوس كراتشكوفسكي كتابا بالروسيّة بعنوان « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ، تحدّث فيه طويلا عن كتب فضائل القدس ، مع التركيز على كتب معيّنة منها ، وسرد تفصيليّ إلى حد كبير لإسهامات العلماء الأوروبيين في الدراسات التي تتعلق بهذه الكتب . وقد تميّزت كتابات هذا المستشرق بالعمق المرتكز على اتصاله المباشر بعدد من كتب فضائل القدس مما مكّنه من الحكم على محتوياتها بإيجابيّاتها وسلبيّاتها ، واستعرض هذا المستشرق في كتابه عددا كبيرا من هذه المؤلفات ، وأجرى دراسة تحليليّة ناقدة عليها ، تناولت مختلف جوانبها . وقد ترجم كتاب كراتشكوفسكي الذي يقع في جزأين إلى العربيّة ، عاميّ ١٩٦٣ ، ١٩٦٥ .

١١ ــ وفي عام ١٩٦٠ كتب إلياهو اشتور Elihahu Ashtor من فلسطين المحتلة بحثا باللغة العبرية في مجلة تربيز Tarbiz ، وهي مجلة مختصة بالدراسات اليهودية ، وقد تركز بحثه حول أحد كتب الفضائل وهو « المستقصىٰ في فضل الزيارة بالمسجد الأقصى » تأليف نصر الدين الرومي الحلبي .

١٢ ــ ونشر فرانز روزنتال Franz Rosenthal عام ١٩٦٨ كتابا بالإنجليزية بعنوان « تاريخ علم التاريخ عند المسلمين » احتوى معلومات عامة عن التواريخ المحليّة الخاصة

بالمدن والبلدان ، وتحدّث فيه عن كتب الفضائل وطرائق مؤلفيها في كتابتها ، وأدرج مثل هذه الكتب في عداد ما أسماه « التواريخ المحلّية الدينيّة » . وقد أدرج في أواخر كتابه قائمة بأسماء بعض مؤلفي كتب الفضائل ، وعناوين كتبهم .

١٣ ــ وفي عام ١٩٦٩ نشر مئير كستر Meir J.Kister من أرض فلسطين المحتلّة بحثا باللغة الإنجليزيّة ، في مجلة Le Museon البلجيكية التي تصدر في لوفان Louvian ، جعل عنوانه الحديث النبوي الشريف حول المساجد الثلاثة التي تشدّ إليها الرحال ، وتناول فيه الأحاديث النبوية المتعلقة بالقدس ، وتحدث كذلك عن تحوّط علماء المسلمين من مغالاة بعض الناس في تقديس المدينة ، بعد أن وصل الأمر عند هؤلاء إلى حد التجاوز والإفراط والمغالاة .

ثم شارك كستر في عام ١٩٨١ مع ثلاثة آخرين من أرض فلسطين المحتلّة في حلقة دراسية عن كتب فضائل القدس ، وقد نشرتْ محتويات هذه الحلقة بالإنجليزية وأمكن الإطلاع على نسخة مطبوعة منها ، وتركزت مشاركته في هذه الحلقة كذلك على الأحاديث النبويّة المتعلّقة بفضائل القدس وعلى الفترة التي شاعت فيها هذه الأحاديث بين المسلمين . وقد عرّجَ كذلك على القصص التوراتيّة المتصلة بمدينة القدس ـ الإسرائيليات ـ وعلى الدور الذي كان لزهّاد المسلمين في تعظيم المدينة وتأكيد مكانتها في العقيدة الإسلاميّة .

١٤ ــ وفي عام ١٩٧١ نشر إيمانويل سيفان Emanuel Sivan من أرض فلسطين المحتلة بحثا باللغة الإنجليزية في مجلة الدراسات الشرقيّة الإسرائيلية بعنوان : « بدايات التأليف في فضائل القدس » تحدث فيه عن قلّة الدراسات التي أُجريت عن كتب الفضائل وضرورة بذل الجهود اللازمة لدراستها ، لا من أجل التَعرُّف على محتوياتها فحسب ، بل كذلك من أجل البحث المنهجي في نمط هذا النوع من الكتابات . وقد تحدث في بحثه عن بعضٍ من كتب الفضائل وعن مكانة القدس في الإسلام والأصول التي استقتْ منها كتب الفضائل مادتها ، وأبدى رأيه في الأسباب التي أخرت الكتابة المتخصصة .

١٥ ــ وفي حزيران (يونيو) ١٩٧٣ ، نشر الدكتور إسحاق موسى الحسيني بحثا عن فضائل بيت المقدس في « مجلة معهد البحوث والدراسات العربية » تحت عنوان « فضائل بيت المقدس » ، وقد احتوى البحث عرضا عاما للكتابات عن فضائل المدن الإسلامية مع التركيز على مدينة القدس ، وعلى مخطوطة أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطي التي تحمل عنوان « فضائل بيت المقدس » .

١٦ ــ وعندما نشر إسحاق حسون من أرض فلسطين المحتلة عام ١٩٧٩ مخطوطة أبي بكر الواسطي ، قدّم لكتابه بدراسة عن المخطوطة وبملاحظات مختلفة عن كتب فضائل القدس ، وكتب الفضائل بصورة عامة ، وأورد قائمة بأسماء مجموعة من الكتب التي ألفت قبل القرن الخامس الهجري ، واحتوت شيئا عن فضائل المدينة المقدسة .

وبعد سنتين من نشر حسّون كتاب الواسطي ، شارك في حلقة دراسيّة عُقدتْ في القدس للبحث في كتب الفضائل التي ألفت عن المدينة ، وقدّم اجتهادات خاصة به عن منشأ هذه الكتب وتطوّرها ، وركّز على دور الزهّاد المسلمين في تأكيد مكانة القدس في الإسلام ، وحاول أن يربط قداسة المدينة بظروف سياسية معينة في التاريخ الإسلامي .

١٧ ــ وفي الحلقة الدراسيّة المذكورة آنفا شارك إلياهو أشتور من أرض فلسطين المحتلة كذلك ، وكانت له انتقادات على طريقة حسّون في معالجة كتب الفضائل وكتاب الواسطي بصورة خاصة ، كما أنه لم يتقبّل فكرة تدخل الدولة في تأليف هذه الكتب . وحين قارن أشتور بين الكتابات الإسلاميّة ، والكتابات المسيحيّة عن القدس ، خرج بنتيجة مؤداها أن الكتابات الثانية ، لم تكن في الواقع ذات أثر على الأولى ، لأنّ ثمة اختلافا في المنهج .

١٨ ــ والشخص الرابع الذي اشترك في هذه الحلقة الدارسيّة عن كتب فضائل القدس ، هو جوزف دروري Joseph Drory من الأرض المحتلة ، وكانت مشاركته في الحلقة ذات صبغة عامّة بالنسبة إلى كتب الفضائل ، إذ إنّه تحدث عن القدس إبّان حكم

المماليك ، وعن تحول المدينة إلى مركز ديني وثقافي واجتماعي على مستوى العالم الإسلامي .

١٩ ــ وفي نطاق الدراسات الخاصة بكتب الفضائل ، كتب الدكتور كامل العسلي كما سبق أن أوضحنا كتابه المفيد عن كتب فضائل القدس .

هذا ولا يمكن الإدّعاء بأن هذه الدراسات تضم جميع الدراسات التي نشرت عن كتب فضائل القدس ، إذ لابد أن تكون ثمة دراسات أخرى لم يعلم بها كاتب هذه السطور ، أو لم يستطع الحصول عليها بعد معرفته بها ، مع أن هذا النوع الثاني محدود جدا .

وإذ قد كُتِبَ شيء كاف في الفصل الثاني من القسم الأول من هذا الكتاب في تقويم هذه الدراسات السابقة عن فضائل القدس ، فإن تقويما آخر لها هنا يُعَدُّ نافلةً من النوافل التي لا حاجة إليها .

وبعد هذا العرض الموجز لجهود الباحثين السابقين ودراساتهم حول فضائل القدس ، فإنني أورد فيما يلي عرضا لمحتويات هذا الكتاب .

ينقسم الكتاب إلى قسمين كبيرين : أولهما يشتمل على دراسة تحليلية لكتب الفضائل ، والثاني يشتمل على النصوص المحققة التي اختيرت من إحدى عشرة مخطوطة أُلِّفَتْ في فضائل القدس .

ويضم **القسم الأول** بعد مقدّمة الكتاب ثلاثة فصول هي :

الفصل الأول : وعنوانه : « كتب فضائل البلدان قبل القرن الخامس الهجري » ، ويدخل في هذا الفصل تمهيد يبحث في كتابات فضائل البلدان بصورة عامّة ، والأصول المبكرة المحتملة لمادتها ، والحوافز التي حفزت على تأليفها . ويدخل في هذا الفصل كذلك ، دراسة لما أسمي « كتب البواكير » ، وهي الكتب التي ألفتْ في فضائل البلدان في وقت مبكر نسبيّا ، منذ القرن الأول الهجري ، وحتى نهاية القرن الرابع الهجري .

وقد جرى في هذا الإطار عرض عناوين عشرين كتاباً ، وجميعها من الكتب التي سبقت أول كتاب متخصص عن فضائل القدس وصل إلينا ، إذ إن أول كتاب من هذاالنوع ، هو كتاب أبي بكر الواسطي الذي أُلّف في أوائل القرن الخامس الهجري . وهذه الكتب العشرون لم تكن كلها كتب فضائل بالمعنى المعروف ، وإنما هي نوع من التواريخ المحلية للبلدان ، فيها مواد مما يُعَدّ من فضائل المدن .

وبعد كتب « البواكير » في مادة الفصل الأول ، تأتي دراسة عن « تأخر الكتابة المتخصصة في فضائل القدس » . وقد تناولتْ هذه الدراسة أفكارا وآراء مختلفة لعدد من الباحثين والمؤلفين ، في تعليل ظاهرة التأخر هذه ، وطرحتْ هذه الأفكار والآراء ، كما أوردها أصحابها ، حتى ولو كانت غير مقبولة لصاحب هذه الدراسة ، ثم جرت مناقشتها واحدة واحدة ، واختُتمت المناقشة بتقديم مجموعة من اجتهادات حول أسباب تأخر التأليف المتخصص في فضائل القدس .

أما الفصل الثاني من القسم الأول من هذا الكتاب ، فهو بعنوان « مخطوطات فضائل القدس منذ القرن الخامس الهجري » ، وهو مقسوم إلى جزأين ، أولهما يحتوي تعريفاً بجميع المخطوطات المعروفة منذ ذلك القرن ، والثاني يشمل الدراسات السابقة التي دارت حول هذه المخطوطات .

وقد جرى التعريف في الجزء الأول من هذا الفصل بخمس وأربعين مخطوطة من المخطوطات التي احتُسبتْ من مخطوطات فضائل القدس ، وقسّمتْ هذه المخطوطات إلى خمسة أنواع :

أ ــ مخطوطات حققتْ ونشرتْ كاملة .
ب ــ مخطوطات حققتْ ونشرتْ جزئيّاً .
جـ ــ مخطوطات موجودة في مكتبات العالم ولكنها لم تحققْ وتنشرْ .
د ــ مخطوطات توجد أجزاء منها فقط في مكتبات العالم .
هـ ــ مخطوطات مفقودة حتى الآن .

وقد بُحِثَ في كل نوع منها على حدة ، مع تبيان ما نقل منها إلى لغة من اللغات الأجنبية .

أماالجزء الثاني من الفصل الثاني ، فإنه اشتمل على دراسة تحليلية تفصيلية للدراسات السابقة التي نشرتْ عن هذه المخطوطات ، وجرى تتبع هذه الدراسات حسب التسلسل التاريخي لنشرها في الكتب أو الدوريات العلمية ، وتخلل ذلك مناقشة لمادتها وقيمتها ، كلما احتاج الأمر إلى ذلك . وهذه الدراسات تمثل مقطعا مستعرضا للدارسين المهتمين بهذا الموضوع ، والذين ينتمون إلى أقطار مختلفة في العالم ، ويكتبون بلغات مختلفة ، وينطلقون من مرتكزات فكرية وعقائدية مختلفة . وفي نهاية هذا الجزء من الفصل الثاني ، قُدِّمَت استخلاصات ونتائج معينة تمثل اجتهادات حول العديد من القضايا التي أثارتها هذه الدراسات عن كتب فضائل القدس .

ويحمل الفصل الثالث والأخير من القسم الأول من هذا الكتاب ، عنوان : « المخطوطات المختارة للتحقيق » ، وهو يتكون أولا من عرض عام للمخطوطات الإحدى عشرة التي جرت دراستها واختيار نصوص معينة منها للتحقيق ، مع إيضاح تفصيلي للأسس التي جرى بموجبها اختيار النصوص التي حققت من المخطوطات ، ثم شرح مطول لمنهج التحقيق الذي اتُّبِع ، وما اضطلع به المحقق من ضبط وتوضيح وتصحيح وتعليق وتعريف بالشخصيات والأماكن ، إلى غير ذلك من الأمور التي يتطلبها تحقيق المخطوطات القديمة .

أما الجزء الثاني من هذا الفصل ، فإنه يتناول بالتحليل المخطوطات الإحدى عشرة التي جرت دراستها ، واختيار نصوص منها للتحقيق . وفي هذا الجزء ، جرى التعريف بكل من هذه المخطوطات بصورة مفصّلة ، اشتملت فيما اشتملت عليه على محتويات كل مخطوطة ، ومصادر مؤلفها ، مع بيان تفصيلي محدّد لما أخذه اللاحق عن السابق في مخطوطته ، ثم طريقة المؤلف في معالجة مادته ، وأيّما خصائص تميز بها في كتابته ، بما في ذلك طريقته في إيراد معلوماته ، وأسلوبه الكتابيّ في متن الكتاب وفي مقدمة الكتاب

وخاتمته ، وقد قُصِد من هذه الدراسة التفصيلية لكل مخطوطة من المخطوطات المختارة للتحقيق ، أنْ يَدْلِفَ القارىء إلى الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو مُهيّأ الذهن لما سيقرأه من النصوص المحققة فيه .

وإذْ ينتهي القسم الأول من الكتاب المشتمل على الفصول الثلاثة التي بحثت آنفا ، يأتي **القسم الثاني** منه ، وهو يحتوي بصورة أساسية ، النصوص المحققة التي انتقيت من المخطوطات الإحدى عشرة . وقد ضمّ هذا القسم أحد عشر جزءا ، بعدد المخطوطات التي انتقيت منها النصوص المحققة ، واحتوى كل جزء صور صفحات من المخطوطة المختارة ، وترجمة لمؤلف المخطوطة ، وبيانا عن نسخ المخطوطة الموجودة في مكتبات العالم المختلفة ـ وأنا مدين بالمعلومات عن نسخ المخطوطات وأماكن وجودها للدكتور كـامل العسلي الذي قام من قبل بجمع البيانات اللازمة عن هذه النسخ ـ ثم وصفاً مفصـلا لنسخة المخطوطـة التي درستُها واعتمـدتُ عليها في انتقـاء النصوص ، ثم النصـوص المحققة نفسها مع جميع ما تستلزمه هذه النصوص من تعقيب وشرح وإيضاح . وقـد ضُمّتْ إلى نصوص المتن المختارة من هذه المخطوطات أيما مقدمة أو خاتمة وجـدت في المخطوطة ، لأنها أدوات كاشفة إلى حد كبير عن شخص المؤلف وأسلوبه ، وقد تحتوي معلومات مهمة عن حياته وطريقة إيراده لمعلوماته ، وعن مصادره كذلك . ولذا فإن هذه المقدمات والخواتم قد عوملتْ معاملة النص نفسه في التحقيق والتنقيح والتدقيق . وفي جميع الحالات كانت تُثبَتُ في نهاية النصوص المختارة من المخطوطة ، صورة لآخر ورقة فيها ، من أجل أن يأخذ القارىء فكرة عن الخط الذي كتبت به ، وعن الناسخ وتاريخ النسخ ، إن كان ذلك مدونا في النهاية ، وكثيرا ما كان .

وبعد الانتهاء من آخر مخطوطة من هذه المخطوطات ، أي من آخر مواد القسم الثاني من هذا الكتاب ، تأتي خاتمة الكتاب ، وهي تمثل مجموعة الاستخلاصات التي توصّل إليها المؤلف من خلال مجموع هذه الدراسة ، وقد روعي فيها قدر الإمكان ، ألاّ تكون مجرد تلخيص لمادة الكتاب السابقة ، مع العلم أن تكرارا من نوع أو آخر ، كان ضرورة لابد منها في أجزاء هذا الكتاب ، وذلك لأن معلومات معينة يُحتاج إلى ذكرها أو

الاستشهاد بها في مواقع مختلفة منه ، إذ إنها في الواقع جزء لا يتجزأ في هيكل السياق الذي يرد فيه .

وإذْ لا يغيب عن الذهن ، أن بعضاً من قراء هذه الدراسة قد لا يرتاح لإيراد أقوال في هذا الكتاب لأشخاص معينين من الباحثين والدارسين ، نظرا لانطلاق هؤلاء من خلفيات وأهواء خاصة بهم ، ولاسيما في موضوع حساس كموضوع القدس ، الذي يمثل قضيّة محوريّة في حياتنا المعاصرة ، إلا أن إيراد أقوال لهذا النوع من الأشخاص هو ضرورة لا غنى عنها في دراسة كهذه ، وذلك لكي يدرك القارىء أن هذه الدراسة ليست بالدراسة التي يُنظَر فيها من عين واحدة لا تبصر إلا في اتجاه واحد ، بل هي دراسة يُقصَد منها النظر في جميع الاتجاهات ، وعرض جميع ما تقع عليه العينان من مناظر : ما يسر منها وما يؤذي ، ثم تمييز هذه المناظر بعضها من بعض . ويكفي أن يستذكر القارىء العربيّ ، أن الدارسين من الطرف الآخر ، يبذلون الجهود في التعرف على الكتابات العربية ، القديمة منها والحديثة ، لكي يأخذوا منها ما يشاؤون ، ويتركوا ما يشاؤون ، عن سَبْق معرفة وتخَيُّر وقصد ، ثم يتسلحون بما أخذوه دون غيره لكيْ يَطْلَعوا على القُراء في أنحاء الدنيا بآراء يُوَثِّقونها بالأسلوب الانتقائي المعروف ، الذي يأخذ أشياء ويهمل أخرى ، ويضع ما يأخذ في غير سياقه الصحيح ، وهم يعلمون أنّ الكثيرين من قُرّائهم ، لم يحيطوا بكل ما كُتب حول الموضوع ، ولذا فإنهم إذْ يلحظون التوثيقات في حواشي الكتب والبحوث المنشورة في الحوليات العلمية المتخصصة ، وهي كتب وحوليات تحمل سمة الكتابة الأكاديمية ، يُسَلِّمون بما كُتب ، باعتباره حقيقة مقرَّرة موثقة .

وإن الناظر في صراعنا الطويل مع الذين استلبوا القدس من أهلها ولو إلى حين ، لابد أن يتبينّ ، إذا هو نظر بعمق وتأمُّل في تاريخ هذا الصراع ، أننا كثيرا ماكنا نرى أننا لسنا بحاجة إلى أن نوضح قضيتنا أمام الآخرين ، لأنها قضية حق واضح لا يحتاج إلى مزيد من التوضيح . وفي المقابل ، كان الذين استلبوا القدس من أصحابها الشرعيين ، يحرِصون كل الحرص على أن يتحدثوا ويكتبوا ويستعينوا بكل وسائل الاتصال والإعلام الحديثة ، لكي يقدموا باطلهم إلى الناس في صورة الحق ، بل ولأنْ يقدّموا حقّنا نحن في

صورة الباطل ، وقد وصلوا من خلال ذلك كله إلى طمسٍ للحقائق شديد ، عند الكثيرين من الناس في مشارق الأرض ومغاربها .

والواقع أن الذي حمل صاحب هذه الدراسة على المجيء من الأردن إلى جامعة برنستون ، إنما كان بالدرجة الأولى رغبة في الوقوف على ما كتبه الآخرون عن موضوع القدس ، وذلك من أجل استخراجه وعرضه ، ثم إبداء رأيٍ فيه ، يتكىء على الحقائق الثابتة دون غيرها ، وما أكثر هذه الحقائق ، إذا نحن بحثنا عنها واستخرجناها ، ثم عرضناها على الناس عرضا أمينا واضحا .

وإني لآمل أن يكون هذا العمل المتواضع كاشفا للقُراء من بني أمتنا عن أن المدينة المقدسة ، ليست مجرّدَ مدينة تُسكَن ويُبْنى فيها ، ويُـزْرَعُ في أرضها التين والعنب والزيتون ، بل هي قاعدة ترابية لعقيدة الإسلام وتاريخه ، لا تقوم مقامها مدينة أخرى على هذه الأرض ، حتى ولو احتوت القصور الشامخات ، وأنبتت الثمار الدانيات ، ووفّرت لقاطنيها كل أشكال الرفاه والنعيم .

وإذا قُدِّرَ لهذه الدراسة أن تجد في المستقبل القريب أو البعيد ترجمة لها إلى لغة أجنبية من هذه اللغات التي يشيع استعمالها في المعمورة ، فربما حملت للقارىء الأجنبيّ صوتا من الشرق ، يأمل صاحبه في أنْ يكون صوتا واضحاً ومُوَضِّحاً .

وفي النهاية أسأل الله تعالى ، مصدرَ الحق والخير والعلم ، أن يَهْدِيَنا جميعا سواء السبيل ، وأن يُجَنِّبَنا الخطأ في القول والعمل ، وأنْ يُعلّمنا مالم نكن نعلم ، فما نحن إلا ممّن يصدق فيهم قول الله تعالى :

﴿ وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا ﴾ . ولله الحمد أولا وآخرا .

محمود إبراهيم

برنستون ، الولايات المتحدة الأميركية

في ٢١ رمضان المبارك ١٤٠٤ هـ الموافق ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٨٤ م

القسم الأول

دراسة تحليلية لكتب الفضائل

الفصل الأول

كتب فضائل البلدان قبل القرن الخامس الهجري

حول الكتابات في فضائل المدن والبلدان

تمهيـــد :

يقـول المسعـودي ، المؤرخ الشهـير ، صـاحب « مـروج الـذهب » والمؤلفـات الأخرى : « قالت الحكماء : إنّ من علامة وفاء المـرء وحسن دوام عهده ، حنينـه إلى إخوانه ، وشوقه إلى أوطانه . وإنّ من علامة الـرُّشد ، أنْ تكـون النفس إلى مولـدها مشتاقة ، وإلى مسقط رأسها توّاقة . وقال آخر : عَمَّرَ الله البلدان بحُبِّ الأوطان ، فمن علامة كرم المحتد ، الحنين إلى المولد »[1] .

هذا قول مؤرخ حكيم ، ينقله عن الحكماء . وإذا كان الحنين إلى الموطن سِمـةً عامة ، نجدها في جميـع شعوب الأرض ، فـإنها في الشرق العـربي الإسلاميّ إحـدى الظواهر الواضحة في حياة شعوبه . بل إننا نجد صورة منها حتى في حياة العرب قبل الإسلام ، قبل أن يكون للعربيّ المتنقل في طلب الماء والكلأ موطن ثابت مستقر ، يبتغي

(١) انظر كتاب « التنبيه والإشراف » لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، ط بيروت ١٩٦٥ ص ٤٢ ـ ٤٣ .

عنده الرزق الدائم الجاري ، وذلك واضح في مقدمات قصائد العرب القديمة التي اصطُلِح على تسميتها بالمقدمات الطللّيّة ، إذْ إنّ هذه المقدمات ، تمثّل فيما تمثّل حنينا إلى أماكن مألوفة ، وإنْ خلت تلك الأماكن من مقوّمات الرفاه والاجتذاب والجمال ، في المفهوم الذي يكون عادة عند الإنسان الحضريّ ، ولاسيما عندما يتميّز مسكن الحضري بميزات معيشية أو طبيعية أو جمالية ، لا تتوافر في مساكن أهل البادية وفي محاطّ رحالهم .

وبمجيء الإسلام ، اكتسب التعلق بالموطن عامل قوة جديدا ، لأن الإسلام قد هيأ لمعتنقيه مزيدا من الاستقرار في حياتهم ، ومواطن دائمة خاصة بهم ، ولأنه جلب معه فكرة الألفة المحببة في مفهومها العام : إلفة الإنسان وإلفة المكان على حد سواء ، فالمؤمن أَلِفٌ مألوفٌ في المفهوم الإسلامي . ويكفي أن يستذكر المرء حنين رسول الإسلام صلوات الله عليه ، وحنين أصحابه إلى مكة ، بعد أن اضطُروا إلى الهجرة منها إلى المدينة ، والأحاديث العاطفية المؤثرة ، التي كانت تصدر عنه وعن أصحابه حينما كانت تُذكّر مكة وهم في مُهاجَرِهم بالمدينة .

ولم تخفَ ظاهرة الارتباط بالموطن في أرض الإسلام على مؤرخين أجانب ، فضلا عن المؤرخين العرب ، ومن هؤلاء صاحب كتاب « تاريخ علم التاريخ عند المسلمين » الذي تحدث عن الارتباط الخاص بالموطن عند مختلف الشعوب التي سكنت أرض الدولة الإسلامية(٢) .

وفي إطار هذا الحديث الموجز عن الارتباط بالموطن ، وما نشأ عنه فيما بعد من كتابة أخبار وتواريخ وفضائل عن مدن وبلدان معينة ، ينبغي ألّا ينسى الدارس خصوصيّةً ترتبطُ بتاريخ الإسلام وبلاد الإسلام ، أكثر من ارتباطها بتاريخ أمم وعقائد وبلاد أخرى . هذه الخصوصية ، تتمثل في أنّ ما أصبح داخلا في ديار الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية الأولى ، قد ارتبط بأشخاص وأحداث وظروف لها أثرها الخاص في نفوس المسلمين . إذْ لابد أن نذكر في هذا الصدد أنه بعد أن دانت جزيرة العرب للإسلام ، كان

---

(٢) انظر Franz Rosenthal: "A History of Muslim Historiog raphy", E.J.Brill, P.150

الذين تولّوا فتوح البلاد خارج الجزيرة ، وتحويلها إلى أجزاء من ديار الإسلام ، نفراً لهم مكانة خاصة في نفوس المسلمين ، إذْ كانوا من أصحاب الرسول عليه السلام وممن تربطه بكثير منهم روابط صُحْبَةٍ قوية . وبذا فإن البلاد التي افتتحوها أصبح لها في نفوس اللاحقين من المسلمين ، مكانة تتواءم مع مكانة هذا النفر من رجال الإسلام الأوائل الذين قاتلوا في تلك الأماكن وانتصروا ، أو اسُتشْهِدوا ، ثم ارتبطت الأرض من بعدهم بأسمائهم وأسماء أعقابهم ، فضلا عن ارتباطها باللاحقين بهم من التابعين ومن تبعهم من الرجال الصالحين الذين استقروا في البلاد المفتوحة وسَعَوْا فيها ، إلى أن واراهم ثراها ، بعد أن أصبحوا من مواطنيها وأبنائها .

ومما يتصل بالعلاقة بين ما يُكتَب عن مدينة ما والفتوحات الإسلامية الأولى ، أنَّ الخليفة الراشديّ في المدينة ، كان يكتب أحيانا إلى قواده في البلاد المفتوحة كي يكتبوا له وصفا لمدينة ما افتُتِحَتْ جديدا ، أو لإقليم افتُتِحَ جديدا ، لكي تتكون لديه صورة عن تلك المدينة أو ذلك الإقليم(٣) ، ولاشك أن وصفا كهذا يدخل في نطاق تواريخ المدن والبلدان وخصائصها .

ولا ينبغي أن نستبعد كذلك ، ونحن في مجال اجتهادات عن أسباب كتابة التواريخ المحلية للمدن والأقاليم ، أن يكون قد تكوَّنَ في نفوس ساكني المدن والأمصار بعد أن استقروا فيها وانتسبوا إليها طويلا ، انتماء قويّ للمكان ، قد يبلغ حد العصبية له ، وقد يُذكّر بالانتماءات القديمة القوية للقبيلة ، التي كانت دائما تبلغ حدّ العصبية لها ، مما ينشأ عنه تفاخر بالمواطن شبيه بالتفاخر القديم بالقبائل والأنساب .

وليس من المستغرب بالطبع أنْ يلاحظ المتتبع لكتب التواريخ المحلية ، في إطار دراسته للتاريخ الإسلامي العام ، زيادة في هذا النوع من الكتب ، منذ القرن الرابع الهجري ، على أثر ضعف السلطة المركزية في عاصمة الخلافة ببغداد ، ونشوء أقاليم في

---

(٣) انظر في هذه المكاتبات « مروج الذهب » للمسعودي ، ط باريس ١٨٦٤ جـ٣ ص ١٢٣ . وانظر كذلك : « معجم البلدان » لياقوت ،تحقيق وستنفيلد ط طهران ١٩٦٥ ، جـ١ ص ٦٤٠ ، وجزء ٤ ص ٨ .

أرض الخلافة ، مستقلة عن دولة الخلافة في كل شيء إلا بالاسم ، مع بروز مدن ذات شأن في هذه الأقاليم ، حَدَتْ ببعضٍ من مواطنيها لأنْ يكتب لها تاريخا خاصا بها ، يُظهر من خلاله فضلها وتميّزها على مدن أخرى ، كما سنلاحظ في الصفحات التالية .

وقد يكون لرواية الحديث النبويّ وما يتعلق برواته أثر كذلك في الكتابة عن بلد ما . فقد نُقِل عن صالح بن أحمد ، صاحب كتاب « طبقات الهمذانيين » ، ما مؤدّاه أن دارسي الحديث ، ينبغي أن يستوثقوا من الأحاديث التي لها علاقة ببلدانهم ، قبل أن ينظروا في الأحاديث المرتبطة ببلدان أخرى ، وقبل أن يرتحلوا في طلب الحديث(٤) . ومثل هذا الاستيثاق يتطلب نوعا من التاريخ المحلي للبلد المعني ومن عاشوا فيه من رواة الحديث .

قد تكون العوامل المذكورة آنفا ، ولابد أن يكون غيرها كذلك ، من العوامل التي حَدَتْ بمواطني مدن معينة ، لأن يكتبوا عن مدنهم ، ويبينوا شيئا من تاريخها أو ما يحتسب من مميزاتها وفضائلها . على أنّ مدنا معينة ، كانت بحكم ما تتميز به من بين مدن الإسلام عامة ، مما يلقى قبولاً عاما عند المسلمين ، تحفِز إلى أنْ يُكتب عنها مواطنوها وغيرُ مواطنيها كذلك ، لأنّ لها مكانة خاصة في نفوس المسلمين جميعاً ، نظرا لارتباطها بعقيدتهم ، ولأنّ لها من مقوّمات القداسة المختلفة لدى المسلمين ما ليس لغيرها من المدن . وعلى رأس هذه المدن ، تقوم مدن الإسلام المقدسة الثلاث : مكّة والمدينة والقدس . ولذا فإن الكتابة عن هذه المدن اكتسبت طابعا دينيا خاصّا ، وسمة شمولية لم تكن لأيّ من المدن الإسلاميّة الأخرى التي كَتَبَ فيها كُتّابُ تاريخ محلي ، أو كُتّابُ فضائل خاصّة بها .

وحين يُضاف إلى عنصر القداسة الأصيل هذا بالنسبة إلى واحدة من هذه المدن عوامل إضافية خارجية ، ناشئة عن أحداث التاريخ الكبيرة التي مرّت بها المدينة ، وعن ظروف أخرى ذات صبغة حضارية أو اجتماعية أو أثرية ، فإن حوافز إضافية للكتابة عنها ، تنضم إلى حوافز قداستها الأصيلة ، ومكانتها الخاصّة في قلوب ساكنيها وقلوب جميع الذين يؤمنون بهذه المكانة .

---

(٤) انظر : "A History of Muslim Historiography", P.166

كتب البواكير

ألّفت كتب ، في حقبة مبكّرة نسبيًا في تاريخ التأليف الإسلاميّ ، عن مدن معيّنة ، وبعض هذه الكتب ذو طابع دينيّ ، وبعضها ذو طابع دنيوي ، وبعضها الآخر يمتزج فيه الطابعان . وكثير من هذه الكتب ، قرأنا عنه ولم نقرأه ، لأنه لم يصل إلينا ، أو لأننا لم نعثر عليه حتى الآن . وفيما يلي نماذج من هذه المؤلفات :

١ ــ يُنسَب إلى الحسن البصري المتوفّى سنة ١١٠ هـ ، « كتاب في فضائل مكة » ، وفي مكتبة رضا برامبور في الهند ، رسالة في فضل مكة المكرّمة ، يتكون من ثماني ورقات ، وهي تحمل الرقم ٣٠٦٩ ، وقد صوّرها معهد المخطوطات العربية (فيلم رقم ٣٠٣٣)[٥] .

٢ ــ « كتاب أخبار المدينة » لعمر بن شبّة النميري المتوفّى سنة ١٦٢ هـ ، وكتاب « الدرة الثمينة في أخبار المدينة » لابن النجار ، وتاريخ المدينة « لأبي محمد عبدالله المرجاني »[٦] .

٣ ــ وأورد حاجي خليفة اسم كتاب خاص بفتح بيت المقدس ، اسمه « فتوح بيت المقدس » ، لأبي حذيفة إسحاق بن بشر القرشي ، المتوفّى سنة ٢٠٦ هـ . وقد أورد الخطيب البغدادي شيئا عن هذا الكتاب مع اختلاف في تسميته عن حاجي خليفة[٧] .

٤ ــ « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » ، لأبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي . وقد اختُلِف في وفاة المؤلف ، بين سنة ٢٢٣ هـ كما يقول حاجي

---

(٥) انظر : كامل العسلي ، « مخطوطات فضائل بيت المقدس » دراسة وبيبليوغرافيا . عمان ١٩٨١ ص ٣ .

(٦) انظر : « كشف الظنون » ط مكتبة المتنبي ، بيروت ، جـ ١ ص ٣٠٢ .

(٧) انظر : « كشف الظنون » ، جـ ٢ ص ١٢٤٠ . وانظر كذلك تاريخ بغداد ، ط القاهرة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م ، جـ ٦ ، ص ٣٢٧ ، وقد أسمى الخطيب البغدادي كتابه : « كتاب الفتوح » .

خليفة[8] ، وسنة ٢٤٤ هـ ، كما يرجّح محقق الكتاب[9] . وقد قيل عن هذا الكتاب إنه أول مصنّف في موضوعه ، إلا أن محقّق الكتاب يسرد لنا قائمة في من ألفوا عن مكة المكرمة من القدماء ، وتضم هذه القائمة : محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ ـ ٢٠٧ هـ) ، وعليّ بن محمد المدائني (١٣٥ ـ ٢٢٥ هـ) ممّن تُوفوا على الأرجح قبل الأزرقي ، ثم الزبير بن بكّار (١٧٢ ـ ٢٥٦ هـ) ، وعمر بن شبّة (١٧٢ ـ ٢٦٢ هـ) ومحمد بن إسحاق الفاكهي (توفي نحو ٢٨٠ هـ) . إلا أنّه يضيف بعد ذكر هذه الأسماء ، أنّ أكثر هذه الكتب القيمة قد فُقِد ، وأنّه توجد نسخة من كتاب الفاكهي في إحدى خزائن أوروبا ، وقد طبع المستشرق الألماني وستنفيلد الزيادات التي أضافها الفاكهي إلى كتاب الأزرقي ، ضمن المجموعة التاريخية نقلا عن هذه النسخة . ثم يقول إنه علم ممن يثق بروايته ، بأنه توجد نسخة منه في نجد[10] .

وإذْ أتيح لي أنْ أطّلع على هذا الكتاب في مكتبة جامعة برنستون ، وأنْ أستعرض مادّته ، ونظرا لأهميته وموقعه الزمني في تاريخ التأليف عن مكة المكرمة ، فقد يكون من المفيد أنْ أقدّم تعريفاً موجزا به وبمؤلفه .

ولد محمد بن عبدالكريم الأزرقي في مكة المكرمة في القرن الثاني للهجرة ، وتاريخ ولادته غير معروف على وجه التحقيق ، كما أنّ وفاته لم يتفق عليها حسبما ذُكِر آنفاً . وقد أورد محقق الكتاب الروايات المختلفة لتاريخ الوفاة ، بين سنة ٢١٢ هـ ، كما قال ابن عزم التونسي في كتابه « دستور الأعلام » من مخطوطات الحرم المكي (قسم التاريخ رقم ٤٦/٢٢٥) وبين سنة ٢٢٣ كما في « كشف الظنون » وبين عقيب عام ٢٤٤ هـ ، كما يرجّح المحقق[11] .

---

(٨) انظر : « كشف الظنون » ، ط مكتبة المثنى ، بيروت ، جـ ١ ص ٣٠٢ .

(٩) انظر : « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » ، تأليف أبي الوليد ، محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي ، تحقيق رشدي الصالح ملحس ، مكة المكرمة ط ٢ ، ١٩٦٥ جـ ١ ص ١٥ .

(١٠) انظر : « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » جـ ١ ص ١٠ .

(١١) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٣ .

وفي الكتاب بحق ، مشابه من كتاب « السيرةالنبوية » لابن هشام ، وذلك لأنّ رواياته قد شارك فيها أشخاص عديدون . وينبغي التنبيه هنا إلى أن اسم والد المؤلف قد ورد عند صاحب كشف الظنون « عبدالكريم » في حين أنه « عبدالله » كما ورد على غلاف كتابه المحقّق والمنشور عام ١٩٦٥ .

وعلى عادة المؤلفين في تلك الحقبة المبكرة في التأليف ، يكاد مؤلف هذا الكتاب يقتصر على جمع مادة الكتاب وترتيبها ، روايةً عن جده أحمد بن محمد الأزرقي وغيره من أهل العلم ، وإنْ كانت روايته عن جده أكثر من روايته عن الآخرين ، مما دفع محقق الكتاب إلى أن يقول بأن المؤلف الأصلي للكتاب هو في الواقع جده(١٢) .

هذا ، وقد كان الكتاب أصلا مجموعة صغيرة ، ثم أضيفتْ إليه مواد وزيادات كثيرة حتى أصبح تاريخا ضخما ، وقد اختصره بعد أن تضخم حجمُه اثنان ، ونظمه ثالث في أرجوزة .

تتبّع المؤلف في كتابه إنشاء الكعبة ، وما ضمتْ مكةُ المكرمـة من معاهـد وآثارٍ وكتبٍ ، مجملاً لتاريخها وجغرافيتها منذ نشأتها على طريقة كتب الخطط . ونظرا لِقدَمِهِ في موضوعه ، فقد أصبح مصدراً للاحقين من المؤلفين في هذا الموضوع ، شأنه في ذلك شأن الكثير من الكتب التي سَبَقتْ في الكتابة في موضوع ما ، ثم اعتمد عليها اللاحقون من المؤلفين اعتمادا كبيرا .

وقد قسم الأزرقي كتابه إلى بحوث وفصول ، عن طريق الروايات والأسانيد ، كما هي الحال في كتب الأحاديث . وقد يكون من المفيد من أجل التوضيح أنْ أذكر مجموعة منتقاة من عناوين هذا الكتاب ، في جزأيه الأول والثاني ، ليأخذ القارىء فكرة عن طبيعة موضوعاته : ففي الجزء الأول من الكتاب وردت الأبواب والفصول التالية :

ذِكْر ما كانت الكعبة المشرفة عليه من الماء ـ بناء الملائكة الكعبة ـ هبـوط آدم إلى

(١٢) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٦ .

الأرض وبناؤه الكعبة ـ سُنّة الطواف ـ ما جاء في البيت المعمور ـ بناء ولد آدم البيت الحرام ـ أمر الكعبة بين نوح وإبراهيم عليهما السلام ـ إسكان إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه هاجر ـ بناء إبراهيم الكعبة ـ قوله عز وجل : ﴿ إنّ أولَ بيتٍ وُضِع للناس . . ﴾ ـ ولاية بني إسماعيل الكعبة بعده وإمْرَةُ جُرْهُم ـ ولاية قصيّ بن كلاب البيت الحرام ـ أولُ من نَصَب الأصنام في الكعبة ـ مبدأ حديث الفيل ـ حديث عن أنّ قرنيْ كبش إسماعيل كانا في الكعبة حين أعاد ابن الزبير بناءها ـ جبّ الكعبة ـ كسوة الكعبة في الإسلام ـ دفع النبي ﷺ المفتاح إلى عثمان بن طلحة ـ رقيّ بلال الكعبة ـ ذَرْعُ الكعبة ـ أوصاف الكعبة ـ الدعاء والصلاة عند مثعب الكعبة ـ طقوس العبادة في الطواف والحج ـ وصف الحجر الأسود . . الخ .

ومن الجزء الثاني من الكتاب ، ترد الموضوعات التالية ، من بين موضوعات أخرى كثيرة : ما جاء في الرحمة التي تنزل على أهل الطواف ـ ما جاء في المقام وفضله ـ ما جاء في إخراج جبريل زمزم لأمّ إسماعيل عليهما السلام ـ ما جاء في حفر عبدالمطلب بن هاشم زمزم ـ ذكر المسجد الحرام وفضله وفضل الصلاة فيه ـ ذكر ما كان عليه المسجد الحرام وجدرانه وذكر من وسّعه وعمارته ، إلى أن صار إلى ماهو عليه الآن ـ قياسات المسجد الحرام وأوصافه ـ قياسات مِنى والجمار ومسجد المزدلفة وحدود المشاعر ـ مساجد مكة ـ مقبرة مكة وفضائلها ـ الآبار التي بمكة قبل زمزم وبعدها ـ العيون التي أُجريتْ إلى الحرم . . وغيرها من الموضوعات . وقد أَطَلْتُ بعض الشيء في سرد موضوعات من هذا الكتاب ، لأن فيها مشابه ومقايسات مع بعض ما ورد في كتب فضائل القدس التي اختيرت للدراسة ولتحقيق نصوص منتقاة منها ، كما سوف يتضح من دراسة القسم الثاني من هذا الكتاب .

٥ ـ كتاب « أخبار المدينة » لابن زبالة ، محمد بن الحسن ، من أصحاب مالك(١٣) .

---

(١٣) انظر : « كشف الظنون » جـ ١ ص ٢٩ .

٦ ــ كتاب « أخبار المدينة » لابن شاذان الواسطي المتوفّى سنة ٢٤٦ هـ[١٤] .

٧ ــ كتاب « من نزل فلسطين من الصحابة » لموسى بن سهل بن القادم الرملي المتوفّى سنة ٢٦١ هـ[١٥] .

٨ ــ « تاريخ مصر أو فتوح مصر » ، لمحمد بن عبدالحكم ، المتوفّى سنة ٢٦٨ هـ[١٦] .

٩ ــ « تاريخ مكة » لأبي عبدالله محمد بن إسحاق المكّي الفاكهي ، المتوفّى في سنة ٢٧٢ هـ[١٧] .

١٠ ــ « فضائل بغداد وأخبارها » ، لأبي العباس أحمد بن محمد السرخسي الطبيب المتوفّى سنة ٢٨٦ هـ[١٨] .

١١ ــ « تاريخ بغداد » ، لأحمد بن أبي طاهر طيفور البغدادي ، وقد بقيت منه أجزاء كبيرة فقط وأكمله ابن المؤلف عبيدالله . وقد قصد من هذا المؤلّف أن يكون تاريخا للخلفاء العباسيين ، ولذا فإن صاحبه ركز على عاصمتهم بغداد واعتمد كثيرا على إحصائيات ثقافية واقتصادية ، وطابع الكتاب دنيوي[١٩] .

١٢ ــ « تاريخ واسط » تأليف بحشل الواسطي ، المتوفّى سنة ٢٩٢ هـ[٢٠] وقد وصف بأنه أقدم عمل من نوعه ، فهو يبحث باختصار في تاريخ المدينة القديم وأرباضها ، ثم يتناول علماء المسلمين الذين ارتبط بهم المؤلف ، عن طريق سلسلة غير منقطعة من الرواة ، ثم يقسم هؤلاء الرجال حسب « القرون » التي عاشوا فيها وليس على أساس الطبقات . فالقرن الأول كان قرن صحابة الرسول

---

(١٤) انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » : ص ٤ .

(١٥) انظر : « معجم البلدان ، ط دار صادر ، بيروت ١٩٧٧ جـ٣ ص ٧٠ ، وانظر كذلك « سيزكين » مجلد ١ ، جـ ٢ ص ٢٦١ ، وفي المعجم اختلاف طفيف عن سيزكين في تاريخ وفاة المؤلف إذ ذكر ياقوت أن وفاة الرّملي كانت سنة ٢٦٢ هـ .

(١٦) انظر : كشف الظنون جـ ١ ص ٣٠٤ .

(١٧) المصدر نفسه : ص ٣٠٦ .

(١٨) انظر : كشف الظنون « جـ ٢ ص ١٢٧٤ » .

(١٩) انظر : "A History of Muslim Historiography", PL53.

(٢٠) انظر : « كشف الظنون » جـ ١ ص ٣٠٩ وانظر كذلك « الأعلام » ط ٤ ، بيروت ١٩٧٩ .

(ﷺ) ، ممن قدموا واسط . على أن السير الشخصية لهؤلاء الرجال ، لم تحو الكثير من المعلومات ، إذْ كانت سيرة كل منهم تقتصر على ذكر اسم الراوي ، والأحاديث التي رواها ، ثم على رواة الأحاديث ، وما رووه من الأحاديث[٢١] .

والجدير بالذكر أن هذا الكتاب قد حققه ونشره كوركيس عوّاد ، وطُبع في مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٦٧ ، وقد اطلعتُ على الكتاب ، ولدى استعراضي لمواده ، وجدتُ أن مؤلفه قد أرّخ لمدينته « واسط » ، فتحدّث عن إنشاء الحجاج لها بين سنتي ٧٥ ، ٧٨ هـ ، ثم استعرض القادمين إليها من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن روى من أهلها عن مجموعة منهم ، ثم مَنْ روى منهم عن « الأجيال » المتعاقبة بعد جيل الصحابة وحتى الجيل الرابع[٢٢] . وقد استعمل المؤلف كلمة « قرن » للدلالة على الجيل كما هو واضح من التواريخ التي يعطيها للرجال الذين يتحدث عنهم ، إلى أن يصل إلى « القرن الرابع » ، ويقصد به الجيل الرابع ، لأنه هو نفسه قد تُوُفيَ سنة ٢٩٢ هـ أي في أواخر القرن الثالث الهجري . وقد وَهِمَ « روزنتال » عندما حسب كلمة « قرن » التي استعملها المؤلف موازية للمفهوم العادي للكلمة - أي لكلمة Century بالإنجليزية ، الدالّة على مئة سنة .

١٣ - ١٤ - « فضائل المدينة » و « فضائل مكة » ، تأليف المفضّل بن محمد بن إبراهيم الجَنَدي الشعبي ، وهو مؤرخ يمانيّ الأصل ، كان محدّث مكة ، وتوفي فيها سنة ٣٠٨ هـ ، ومن بين كتبه هذان الكتابان[٢٣] .

١٥ - « تاريخ الموصل » ، تأليف الشيخ أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الأزدي ، المتوفّى سنة ٣٣٤ هـ . وعلى الرغم من أن « روزنتال » يقول إنه بقيت

---

(٢١) انظر : "A History of Muslim Historiography", P.167

(٢٢) انظر : تاريخ واسط ، تأليف أسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحشل ، تحقيق كوركيس عوّاد ، ط بغداد ، ١٩٦٧ ص ٤٣ - ٤٤ ، ٤٧ - ٨٤ ، ٨٥ - ١٥٠ ، ١٥١ - ٢١٧ ، ٢١٨ - ٢٩٢ .

(٢٣) انظر « الأعلام » جـ ٨ ص ٢٠٤ .

أجزاء فقط من هذا الكتاب[٢٤] ، إلا أنّ الكتاب في الواقع قد حُقّق وطبع في القاهرة عام ١٩٦٧ ، وقد قام بتحقيقه علي حبيبة . وقد استعرضتُ هذا الكتاب ، فوجدت صاحبه يهتمّ بتاريخ الموصل ، وبكل ما يتعلق بالمدينة ، ويقدّم معلومات عن حياة سكان المدينة ، ويُعَدِّدُ ولاتها وقضاتها ، ويذكر أنسابهم ، ويوضح طريقة استيلاء الوالي على السلطة ، ويَعْرِض لما قام به من إصلاحات في المدينة ، وعلاقته بالخلافة . وهو يذكر معلومات كثيرة عن أهل الموصل الذين كان لهم شأن في سياسة المدينة ، وسياسة الدولة ويتتبّع أنسابهم ، ويذكر مَواطِنَهم الأصلية . وحين يتحدث عن علماء المسلمين ، يولي اهتماما خاصا بعلماء الموصل ، ويقدّم معلومات مفصّلة عن سِيَرِهم . وكما بيّن محقق الكتاب ، فإن الكتاب ليس تاريخا خاصا بالموصل ، ولا تاريخا عاما ، بل إنه تاريخ للمدينة في الإطار العام للتاريخ الإسلامي[٢٥] . ولذا فإن وصف روزنتال للكتاب بأنه عن علماء الحديث في المدينة ، ليس وصفا دقيقا .

ويقول محقق الكتاب ، إن المؤلف في حدود معرفته ، هو أول مؤرخ يكتب عن تاريخ الموصل ، ثم يذكر أنه جاء بعده تسعة من الذين أرّخوا لهذا البلد ، والأربعة الأولون منهم حسب الترتيب الزمني هم : أبو بكر وأبو عثمان الخالديان اللذان ألّفا « أخبار الموصل » ، وتُوفيَ الأول منهما عام ٣٧١ هـ ، والثاني عام ٣٩٠ هـ ، والشمشاطي الذي ألّف « تاريخ الموصل » ، والمتوفّى سنة ٤٤٠ هـ ، وإبراهيم الموصلي صاحب « تاريخ الموصل » كذلك والمتوفّى سنة ٥٧٧ هـ ، وابن باطيش ، مؤلف « تاريخ الموصل » أيضا ، وقد توفي سنة ٦٥٥ هـ ، وهذه الكتب الأربعة مفقودة[٢٦] . وقد دوّن كتابُ الأزدي تاريخَ الموصل من سنة ١٠١ هـ إلى سنة ٢٢٤ هـ ، وسار صاحبه في تأليفه

---

(٢٤) انظر : "A History of Muslim Historiography, P.153"

(٢٥) انظر « تاريخ الموصل » لأبي زكريا الأزدي : ط القاهرة ١٩٦٧ ، ص ١٩ .

(٢٦) انظر : تاريخ الموصل للأزدي ص ٢٠ .

على طريقة أحداث السنين المتعاقبة ، وقدم لنا معلومات مفيدة عن عدد كبير من العلماء من أهل بلده وغيرهم[٢٧] .

١٦ ــ ومن كُتّاب القرن الرابع الذين كتبوا عن قُطْر معين ، ابن يونس ، عبدالرحمن بن أحمد الصدفي المتوفّى سنة ٣٤٧ هـ[٢٨] ، واسم كتابه « تاريخ مصر » .

١٧ ـ ١٨ ـ وقد كتب الحسين بن إبراهيم بن زولاق المتوفّى سنة ٣٨٧ هـ ذيلاً على كتاب « تاريخ مصر » المذكور آنفا للصدفي ، كما ألّف هو « كتاب الخُطط » ، الذي استقصى فيه أخبار مصر . وقد ذكره ابن خَلِّكان ، ولم يذكره المقريزي[٢٩] .

١٩ ــ ومن كُتُب القرن الرابع الهجري ذات الطابع المتخصّص بإقليم معيّن ، وإنْ لم تكن تاريخا خاصا بمدينة أو قطر بالمعنى المعروف ، كتاب « الإكليل » للهمذاني المتوفّى سنة ٣٣٤ هـ ، إذْ إنه وإن كان عن اليَمَن دون غيره من البلدان ، إلا أنّه اهتم بصورة خاصة بأنساب حِمْيَر وملوكها ، وتعرضّ صاحبه ، واسمه الكامل أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذاني ، في كتابه الذي يقع في عشرة مجلدات ، للنواحي الأثريّة والجغرافية والسُكّانية في البلاد ، واشتمل على عشرة فنون ، منها حساب القِرانات وأوقاتها ، ونبذ من علم الطبيعة وأصول أحكام النجوم ، وآراء الأوائل في القِدَم والأدوار ، وتناسل الناس وتقادير أعمارهم وغير ذلك[٣٠] .

٢٠ ـ ٢١ ـ ومن كتب هذا القرن ـ الرابع ـ كذلك ذات الصبغة التاريخية التخصصية ، وإن كانت في ناحية معينة فقط من تاريخ بلد ما ، كتابا « ولاة مصر » و « قضاة مصر » لمحمد بن يوسف الكندي ، وقد يكونان أقدم تاريخ للولاة والقُضاة[٣١] .

---

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٢٥ ، ٢٧ .

(٢٨) انظر : « كشف الظنون » جـ ١ ص ٣٠٤ .

(٢٩) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٠٤ .

(٣٠) انظر : « كشف الظنون » جـ ١ ص ١٤٤ ، وانظر كذلك :
" A History of Muslim Historiography", P.158

(٣١) انظر : "A History of Muslim Historiography", P.162
وقد طبع كتاب « ولاة مصر » في بيروت ، ونشرته دار صادر .

٢٢ ـ « وصف مكة ، شرّفها الله وعظّمها ، ووصف المدينة الطيّبة ، ووصف بيت المقدس المبارك وما حوله » لمحمد بن أبي بكر التلمساني ، من أهل القرن الرابع الهجري ، والكتاب موجود في مكتبة الأسكوريال بأسبانيا ، في مجموع تحت رقم ٤٠٤ ، ويقع في ٥٩ ورقة ، وهو يحوي ثلاث رسائل ، الثانية منها في وصف مكة والمدينة والقدس في ١٩ ورقة ، ونصيب القدس منها يقع في ثلاث صفحات(٣٢) .

***

هذه الكتب التي تمثل أنماطا مما كُتب في إطار التواريخ المحلية عن المدن والأقاليم ، أو عن فضائل مدينة معيّنة أو إقليم معين ، لا تمثّل بحال من الأحوال إحصاءً استقصائياً ، وإنما هي نماذج مما أمكن العثور عليه من هذه الكتب ، أو مما ذُكر منها في كتابات المؤلفين المعنيين بالتعريف بالكتب وبمؤلفيها .

ولم يكن الوقوف عند أواخر القرن الرابع الهجري في عرض هذه النماذج من قبيل المصادفة ، إذْ إنه أُريدَ من ذلك ، االوقوف عند الفترة التي سَبَقت مباشرةً معرفتنا بكتبٍ أُلِّفتْ خصّيصاً عن فضائل القدس ، إذ أنّ مثل هذه الكتب قد عُرفت لدينا في مطلع القرن الخامس الهجري ، وما وصلنا منها بالفعل ، يعود إلى أوائل القرن المذكور .

تأخر الكتابة المتخصصة في « فضائل القدس »

ثمة أسئلة تُطرح ، عن السبب في تأخر الكتابة المتخصّصة عن « فضائل القدس » ، مع أنّ الذي يتوقّعه الدارس لموضوع الكتابة في فضائل المدن ، أن تكون القدس ، وهي ثالث مكان مقدّس في الإسلام ، من أوائل المدن التي يكتب عن فضائلها . وسأطرح فيما يلي تساؤلات وافتراضات وردت حول هذا الموضوع من عدد من

---

(٣٢) انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » للدكتور العسلي ، ص ٢٦ .

الدارسين ، ثم أقدّم بعض اجتهادات حول تأخر الكتابة في فضائل هذه المدينة بصورة تخصّصية :

١ ـ يرى كستر M.J. Kister أنه كانت قبل القرن الثاني الهجري ، اتجاهات لتأكيد قدسيّة مكة والمدينة ، والتقليل من قدسيّة القدس ، وهذه الاتجاهات كما قال ، تبدو في بعض أحاديث مبكّرة ، لم تُحْفَظ إلاّ جزئياً في كتب الحديث ، ثم يعزو إلى عائشة زوج الرسول (ﷺ) حديثا يتعلّق بزيارة مسجدَي مكة والمدينة فقط . إلا أنّ كستر نفسه يُقِرّ أن التحوط بالنسبة إلى قداسة القدس ، إنما قُصد منه ألاّ تكون محجّا للناس مثل مكة ، لأنّ بعض المسلمين كادوا يساوون بين المسجد الحرام في مكة ، والمسجد الأقصى في القدس ويستشهد على ذلك ببيت للفرزدق يقول فيه :

وبيتان بيتُ الله نحن وُلاتُهُ وبيتٌ بأعلى إيلياءَ مشرَّفُ[٣٣]

ثم يحاول أن يعزو الأحاديث المتضاربة حول قداسة القدس عند المسلمين إلى جدل حول أفضليّة إحدى المدينتين : مكة والمدينة ، ويعترف بأنّ الأحاديث التي تقلّل من أهميّة القدس ، لم تُدَوَّنْ في كتب الحديث ، وقد استعان في عدد من الأحاديث التي أوردها للتشكيك في مكانة القدس عند المسلمين ، بأحاديث نسب رواتها إلى الشيعة[٣٤] .

والجدير بالذكر أنّ هذا الكاتب ، الذي أورد ما ذكرناه في حوليّة بلجيكيّة ، هو من معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية في الجامعة العبرية بالقدس المحتلة .

وفي كتابة لاحقة حديثة له ، يقول كستر إن أحاديث فضائل القدس ، كانت معروفة وشائعة منذ بداية القرن الثاني الهجري ، إذ إنّ هذه الأحاديث وردت في تفسير

---

(٣٣) انظر : نقائض جرير والفرزدق ط ليدن ١٩٠٧ ، جـ ٢ ص ٥٧١ .

(٣٤) انظر : Le Museon, LXXXII, Louvian, 1969, M.J. Kister: "You shall only set out for three mosques": a study of an early tradition, PP 178, 182, 187, 191.

مقاتل المتوفّى سنة ١٥٠ هـ . ثم يقول إن عدد هذه الأحاديث ستون ، وهي تحتوي معظم العناصر المعروفة لدينا فيما كتب عن فضائل القدس ، وقد أورد ابن الفقيه في كتاب « البلدان » هذه الأحاديث برواية مقاتل . وهو يرى أن مادة فضائل القدس ، انبثقت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، وكُتبتْ في النصف الأول من القرن الهجري الثاني ، وأنه يمكن العثور على أحاديث الرسول (ﷺ) في فضائل القدس ، في أول مجموعات الأحاديث والتفاسير القرآنية(٣٥) .

٢ ــ ويقول إسحاق حسّون ، Isaac Hasson ، في المقدمة التي وضعها لكتاب الواسطي الذي قام بتحقيقه في الجامعة العبرية ما مؤدّاه أنّ حرمة القدس ، لم يكن عليها إجماع عند المسلمين ، إلاّ منذ مطلع القرن الثاني الهجري ، ويحاول كذلك أن يُظهِر أنه كانت ثمة اتجاهات لتعظيم حرمة مكة والمدينة ، والتقليل من حرمة القدس(٣٦) .

ثم يقول حسّون في كتابةٍ لاحقة له ، إنّ علماء المسلمين لم يتفقوا جميعا على أنّ المسجد الأقصى هو مسجد القدس ، إذْ رأى بعضهم أنه مسجد في السماء ، يقع مباشرة فوق القدس أو مكة . ويستعين في هذا الصدد بأقوال كاتب فرنسي هو ديمومبين : M.G. Demmombynes: EL-Isra, Mahomet, Paris,: 1969, P.93. ، ثم يَنسِب إلى بعض الشيعة ، عدم إضفاء أية قيمة خاصة على القدس . ويحاول بعد ذلك أن يعزو الاهتمام بالقدس وبفضائلها إلى حكّام الأمويين ، سعيا وراء مكاسب سياسية ، فيقول إنه بويع لمعاوية بالخلافة في القدس ، وإنه هو الذي أسمى القدس وبلاد الشام الأرض المقدّسة ، وإن عبدالملك بن مروان ، ببنائه الصخرة ، إنما كان يسعى وراء تحويل الحج من مكة إلى القدس . ويقول : إن الأحاديث الخاصة بفضائل القدس ، قد ازدهرت في هذه الفترة ، وإنّ هذه الأحاديث ، تستند على أقوال أهل الكتاب ، سواء ما كان منها نصّاً مرويّاً أم أسطورة ، كما أن زيارة أماكن خاصّة في القدس ، ابتدأت في هذه الفترة .

(٣٥) انظر Symposium: Muslim Literature In Praise of Jerusalem, Jerusalem, 1981, pp. 185, 186.

(٣٦) انظر : « فضائل البيت المقدّس » لأبي بكر محمد بن أحمد الواسطي ، تحقيق إسحاق حسون ، بمعهد الدراسات الآسيوية والإفريقية في الجامعة العبرية ، القدس ١٩٧٩ ، ص ١٠ .

ويقول بعد ذلك إنّ أول كتاب من كتب الفضائل خصص للقدس كان كتاب الخطيب أبي بكر الواسطي خطيب المسجد الأقصى ، وقد ظهر الكتاب عام ٤١٠ هـ ، بينما ظهرت كتب فضائل خاصة بمدن أخرى قبل هذا التاريخ . ومن هذه الكتب : « فضائل قزوين » و « عبادان » و « واسط » و « البصرة » ، و « الكوفة » و« جرجان » وغيرها ، مع أنّ أحاديث متفرقة عن فضائل القدس كانت معروفة من أيام الزُّهريّ الذي توفي سنة ١٢٤ هـ .

ويفسّر حسّون هذا التأخر في الكتابة المفردة عن فضائل القدس ، بأنه كان نتيجة للمعركة التي قال إنها كانت محتدمة بين مؤيدي قداسة المدينة ومنكريها . فبعد سقوط الأمويين ، انتقلت العاصمة من الشام إلى العراق وتضاءلت مع هذا الانتقال ، كما يقول حسّون ، أهمية القدس . ويستشهد على ذلك بأن المنصور ، عندما طلب إليه إرسال الأموال لترميم مسجد الصخرة ، أمر بأن تضرب صفائح الذهب والفضة التي على أبواب المسجد ، لينفقَ منها على الترميم . ثم يسلّم هذا الكاتب اليهودي دون تردد ، بأن تاج كسرى وقرني كبش إبراهيم ، كانت في المسجد الأقصى ، ثم نُقلتْ زمن العباسيين من القدس إلى الكعبة !

ويوافق حسون على ما قال به ، أحدُ بني قومه : سيفان Sivan ، من أنَّ كتابي الواسطي وأبي المعالي المقدسي عن فضائل القدس ، قد كُتبا بعد حملة اضطهاد قام بها الحاكم بأمر الله الفاطمي ضد المسيحيين . وقد استعان كذلك في هذا الصدد بفرضية جويتين Goitein القائلة بأن مسجد الصخرة قد بُني ليناظر مباني الكنائس المسيحية .

ثم يجنح إلى فرضيّة غريبة جداً ، مؤدّاها أنه في سنة ٤٠٧ هـ وقعت قبة الصخرة ، وأنّ خطيب المسجد ، قد جمع على أثر ذلك الأحاديث والروايات المتعلقة بفضائل القدس من أجل جمع الأموال ، بُغية إعادة بناء المسجد وترميمه ، وأنه قد تشجع على الربط بين القدس وكلٍ من مكة والمدينة ، بسبب ما وقع للركن اليماني في الكعبة من تصدُّع ، وما أصاب أحد الأسوار الخارجية لقبر الرسول (عليه السلام) من سقوط في السنة نفسها (٤٠٧ هـ) .

ويدّعي حسّون بعد ذلك ، أن معاوية هـو الذي أشـاع عن القدس أنها أرض المحشر والمنشر ، ثم يتصوّر أنّ ردّ صعصعة بن صُوحان على معاوية ، عندما قال معاوية له ولأصحابـه : « . . وقدمتم الأرض المقـدّسة ، وقـدمتم أرض المحشر والمنشـر » ، بقوله : « إن الأرض لا تقدّس ، لكنّ أهلَها يقـدّسونها . . وإن بُعْـدَ الأرض لا ينفع كافراً ، ولا يضرّ مؤمنا » ، دليلٌ على أنّ معاوية هو الذي ابتدع هذا الـوصف لأرض القدس وفلسطين .

ثم يورد من أجل التقليل من مكانة القدس عند المسلمين ، قصّة حديث أبي عبيدة قبل وفاته ، عندما طلب هذا الصحابيّ الجليل أولاً أن يدفن في الأرض المقدسة غربي « النهر ـ فلسطين ـ ثم عاد وطلب أن يُدفن حيث يموت ، لكيلا يصبح دفنُ قادة المسلمين في أرض فلسطين سُنّةَ متّبعة .

وفي سبيل بلوغ الهدف ذاته ـ التقليل من مكانة القدس في الإسلام ـ يقول حسّون إن كتب الجرح والتعديل ، وكتب الرجال ، وكتب الموضوعات من الأحاديث ، لم تتقبّل الأحاديث المتعلقة بفضائل المدن والأمصار .

وبعد ذلك يورد بصورة مطوّلة مواد من رسالة ابن تيميّة المسمّاة « قاعدة في زيارة بيت المقـدس » ليستخلص منهـا أنّـه لم تكن للقـدس تلك المكـانـة العـظيمـة عنـد المسلمين(٣٧) .

وهنا ينبغي أن يُذكر أنّ صاحب هـذه الأقوال هـو أيضا من العـاملين في معهد الدراسات الآسيويّة والأفريقية في الجامعة العبريّة بالقدس في أرض فلسطين المحتلّة .

٣ ـ أما تشارلز ماثيوز الأمريكي ، فإنه لم يحاول أن ينفي صفة القداسة عند المسلمين لمدينة القدس في أيّ وقت من الأوقات أو أن يوحي بأن الأمويين هم الذين أضفَوا عليها مكانة قداسة خاصة ، إلاّ أنه مع ذلك ذكر أن مما زاد من تقديس المسلمين

---

(٣٧) انظر : Symposium: Muslim Literature in Praise of Jerusalim, PP. 169-176.

لفلسطين ، ما فعله عبدالملك بن مروان ، وذلك عندما بنى قبة الصخرة لمنع الحجاج من الحج إلى مكة زمن ابن الزبير . ويستشهد ماثيوز بما أورده المؤرخ اليعقوبي من أن الحجاج أخذوا يطوفون بالصخرة كما كانوا يطوفون بالكعبة ، وأنّ هذه العادة بقيت طيلة حكم الأمويين ، ولو أنه يستدرك بعد ذلك فيقول إنه لم يكن بالإمكان تحويل الحج عن مكة وعن زيارة المدينة ، غير أنّ الكثيرين من المؤمنين بقوا ينجذبون نحو فلسطين لزيارة أقلّ شأناً من الحج . ثم يضيف أن تعلّق المسلمين بفلسطين قد ازداد بعد أن احتلّها الصليبيون مؤقتا ، وذلك بسبب جهاد المسلمين من أجل استعادتها ، وأن ردة الفعل الإسلامية لحملات الصليبيين ، كانت عاملا في تطور أدب الفضائل الخاص بالقدس وفلسطين(٣٨) .

٤ ــ ويتساءل ايمانيول سيفان Emanuel Sivan عن سبب تجاوز القدس في التواريخ المحلية للمدن وكتب الفضائل التي ألفت في فترة مبكرة ، ولاسيما أن القدس قد أحاطتْ بها هالة من القداسة ، منذ عهد الأمويين ، كما يقول هو ، بصفتها ثالث مدن الإسلام قداسة بعد مكة والمدينة ، وينتهي إلى القول بأن القدس لم تحتلّ في ضمير العالم الإسلامي المكانة التي يمكن أن يَخْلُصَ إليها المرء من خلال الأحاديث النبوية التي تروى في امتداحها ، والتي ترجع إلى القرن الثاني الهجري وما بعده ، ويقول إن قداسة القدس كانت شائعة فقط بين سكان القدس والمنطقة المحيطة بها مباشرة ، وإلى حد ما ، بين سكان فلسطين وبلاد الشام ، ثم يقول : إن ما يؤيد وجهة نظره هذه ، مالاحظه الرحالة الفارسيّ ناصر خسرو (من رجال القرن الخامس الهجري) ، فيما يتعلق بنوعية « الحُجّاج » الذين كانوا يأتون إلى القدس . ويزعم بعد ذلك أنّ الأوساط السنيّة في الإسلام لم تُبْدِ حماسا لتحرير المدينة من الفاطميين (على أيدي السلاجقة السنيين) ، كما لم يكن ثمة صدى لإعادة « احتلال » الفاطميين لها سنة ١٠٩٨ م ، ثم احتلال الفرنجة لها سنة ١٠٩٩ م !!

---

(٣٨) Charles Matthews: "The Moslem World"
Vol. XXXIII, No. 4, October, 1943, "Palestine: Mohammedan Holy Land PP. 245, 246.

والغريب أنّ سيفان يعود بعد ذلك ليقول إن احتلال الصليبيين للقدس أثَّرَ على كتابة كتاب الفضائل خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري ، وأنه لم يكن من قبيل المصادفة أنّ سماع قراءات الكتب المتعلقة بفضائل القدس ، قد بدأ يظهر بعد ردّة الفعل الإسلامية زمن الزنكيين . ثم يقول إنّ عماد الدين زنكي ، قام بحملة دعاية قوية بشأن القدس ، وأن استعادتها كانت تمثّل الهدف النهائي لردة الفعل الإسلامية . وقد ازدادت هذه الحملة زمن ابنه نور الدين ، مما نشأ عنه زيادة الاهتمام بكتب فضائل القدس في دوائر الحُكّام وفي الرأي العام على السواء ، ولذا فقد أُضفيتْ كتب جديدة إلى كتب القرن السادس الهجري ، وزاد في الحفز عليها حركة الجهاد ، مما تأتّى عنه ازدهار هذا النوع من الأدب في جميع أرجاء الشرق الأوسط ، وقد اضطلع هذا الأدب بدور مهم خلال قرن ونصف من بدء رواجه(٣٩) .

ويُتْرَكُ للقارىء ملاحظة التناقض فيما أورده هذا الكاتب في المجلةاليهودية المعنيّة بالدراسات الشرقية .

بل ثمة دليل آخر على التناقض في أقوال هذا الكاتب ، عندما نقارن ما قاله حول عدم استثارة الحماس لدى المسلمين بعد أن احتل الفرنج القدس ، وقوله في مكان آخر من بحثه في المجلة اليهودية في معرض حديثه عن كتاب الواسطي عن فضائل القدس ، إنّ إجازة السماع التي وُجدَتْ على مخطوطة هذا الكتاب في مكتبة أحمد باشا الجزار في عكا ـ والنسخة ترجع إلى ما قبل شهر من فتح صلاح الدين للقدس ـ تظهر أن فقهاء دمشق قد استعملوا مسجد عكا لتنمية الإحساس بقداسة القدس ولإعداد الرأي العام الإسلامي للاستعادة الوشيكة للمدينة المقدسة(٤٠) .

٥ ــ أمّا المستشرق الروسي ، أغناطيوس كراتشكوفسكي ، فإنه يلمّح إلى أنّ ما أسماه

---

(٣٩) انظر : "Israel Oriental Studics", Jan. 1971,
"The Beginnings of the Fada il al-Quds Literature", P.265

(٤٠) Israel Oriental Studies, Jan. 1971, PP. 263, 264.

الأدب الجغرافي المرتبط بفلسطين وبلاد الشام ـ وعلى رأس هذا الأدب أدب فضائل القدس طبعا ـ يرتبط ارتباطا وثيقا في جميع مراحله ، بما أسماه « حركة التحرير » ، التي ترجع إلى عهد صلاح الدين أو إلى ما قبل ذلك بقليل وتنتهي الفترة الأولى لهذه الحركة باسترداد المسلمين عكا وطرابلس في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي : أواخر القرن السابع الهجري . ثم يقول إن هذا الأدب انتعش فترة أخرى بعد أن قضى المماليك على دولة أرمينيا ، وضمّوها إلى مصر سنة ١٣٧٥ م . ثم نما الأدب الجغرافي عن فلسطين نمـوّا غير عـادي في القرنـين الرابـع عشر والخـامس عشر الميلاديين : القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، وهو ليس بجديد ، إذ إنه يرتبط بتقاليد أدبية قديمة جداً(٤١) .

٦ ــ ينقل جويتين Goitein عن جولد زيهر المستشرق المجري ، دون أن يُقِرَّهُ على ما كَتَبه ـ أن عبدالملك بن مروان قد أراد ببنائه قبة الصخرة ، أن يحوّل الحج إلى القدس ، بدلا من مكة ، زمن ثورة عبدالله بن الزبير ، وذلك اتكاءً على حديث رواه الزُّهريّ عن قدسية مكة والمدينة والقدس . وينقل كذلك ما ادّعاه هذا المستشرق المجري ، من أن الأحاديث الخاصة بقداسة القدس لم تكن إلا أسلحةً في الحرب التي كانت دائرة بين عبدالملك وعبدالله بن الزبير ، ومن أن استدارة مسجد الصخرة إنما قُصِد بها أن يكون المسجد ملائما للطواف به(٤٢) .

٧ ــ والرواية التي اعتمد عليها جولد زيهر بقصد الإيحاء أنّ الأمويين هم الذين أرادوا أن يُشيعوا في الناس قداسة القدس لأسباب سياسية ، تعتمـد على مـا أورده المؤرخ اليعقوبي ، من أبناء القرن الثالث الهجري ، وهي رواية سيتبينّ بطلانها فيما نستقبل من الصفحات اللاحقة . قال اليعقوبي : « ومنع عبدالملك أهل الشام من الحجّ ،

(٤١) انظر : « تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تأليف اغناطيوس كراتشكوفسكي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ١٩٦٥ ، جـ ٢ ص ٥٠٧ .

(٤٢) انـظر "Journal of the American Oriental Society," Vol. LXX 1950: "The Historical Background of the Erection of the Dome of the Rock", P.104.

وذلك أن عبدالله بن الزبير كان يأخذهم إذا حجّوا بـالبّيعة ، فلما رأى عبـدالملك ذلك ، منعهم من الخروج إلى مكّة ، فضج الناس وقالوا : تمنعنا من حجّ بيت الله الحرام ، وهو فرض علينا ! فقال لهم هذا ابن شهاب الزُّهريّ يحدثكم أنّ رسول الله قال : « لا تُشَدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مسـاجد : المسجـد الحرام ، ومسجـدي ، ومسجد بيت المقدس » ثم قال عبدالملك : وهو ، أي بيت المقدس ، يقوم لكم مقام المسجد الحرام ، وهذه الصخرة التي يُروى أنَّ رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء ، تقوم لكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبّة ، وعلّق عليها ستور الديباج ، وأقام لها سَدَنة ، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وأقام بذلك أيام بني أميّة » !(٤٣) .

٨ ـ جاء في الموسوعة الإسـلاميّة Encyclopaedia of Islam تحت كلمـة : Al-Kuds أنه ربماكان الرسول (ﷺ) ، يَظن أن المسجد الأقصى مكانٌ في السماء ! وفي هذابالطبع محاولة من كاتب المادة في الموسوعة ، لأنْ يشكّك في أن المسجد الأقصى المذكور في الآية الأولى من سورة « الإسراء » ، هو مكان في القدس ، وبالتالي فهو يحاول أن ينفي عن القدس سببا من أهم أسباب نظرة القداسة الإسلاميّة إليها . ثم يورد الكاتب نفسه بعد ذلك قصة منع عبدالملك بن مروان الشاميين من الحج إلى مكة خلال ثورة عبدالله بن الزبير ، وأنه أمرهم بالحج إلى القدس اتكاء على حـديث الزّهريّ الآنف الذكر ، ويضيف أن عبدالملك بنى قبة الصخرة من أجل أن يطاف حولها ، ولإضفاء سمة القداسة على المدينة ، ولكي تضاهي القدس مكّة في شرعيّة الحج إليها ، ثم أعاد الكاتب ، وهو بوهل F.Buhl قصة مبايعة الخليفة الأموي الأول معاوية في القدس(٤٤) .

---

(٤٣) انظر : تاريخ اليعقوبي ، لمؤلفه أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب ، المعروف بـابن واضح الأخباري المتوفّى بعد ٢٩٢ هـ . نشر النجف ١٣٥٨ هـ . جـ٣ ، ص٨٢٧ .

(٤٤) انظر : Encyclopaedia of I slam, 2 pt. 2, pp. 1079, 1098

وإذ يُكْتَفى بهذا الذي أوردَ من أقوال ، ومعظمها لكتاب من اليهود ، تحاول أن تفسّر بصورة مباشرة ، أو غير مباشرة ، تأخر الكتابة عن فضائل القدس في كتب مستقلّة ، فقد يكون من المفيد أن توجَزَ حجج أصحابها في العناصر التالية المكثّفة :

أ ـ إنّ مكانة القدس في الإسلام ، كانت موضع خلاف بين المسلمين الأوائل .

ب ـ إنّ ما رُوي من أحاديث عن قداسة القدس ، كانت موضع شك عند كثير من المسلمين .

جـ ـ إنّ عوامل سياسية ، داخلية وخارجية ، هي التي حفزت على إضفاء صفة القداسة على المدينة ، ومن هذه العوامل مثلا حرص بني أمية على أن يُجَنِّبُوا الناس الحجّ إلى مكة خلال ثورة عبدالله بن الزبير ، لكيلا ينحازوا إليه . ومنها الاحتلال الصليبي للقدس ، وما نشأ عنه من ردّة فعل لدى المسلمين ، وكذلك استعادة القدس على يد صلاح الدين وما تركته من استثارة شعورية في نفوس أبناء العالم الإسلامي .

د ـ وقد يضاف إلى ذلك ، ومما يرتبط به أيضا ، أنّ دولا إسلامية أو مذاهب إسلامية معيّنة ، هي التي أنزلت القدس منزلة عظيمة في الإسلام ، دون دول إسلامية أخرى ، أو مذاهب إسلامية أخرى لم تعترف للمدينة بهذه المنزلة .

أما بالنسبة إلى منزلة القداسة التي أُنزِلَتْها مدينة القدس عند المسلمين في أبكر عهود الإسلام ، فإن اتخاذ هذه المدينة قبلة للمسلمين مدة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً بعد هجرة المسلمين إلى المدينة(٤٥) ، يقوم دليلاً لا يُنقَض على مكانتها لدى المسلمين ، منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام .

---

(٤٥) انظر في ذلك : مخطوطة « فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام » للمشرّف بن المرجّى المقدسيّ ، صورة مخطوطة « توبنجن » ، ص ٩٤ .

ومما يتصل بهذه الحقبة المبكرة جداً من تاريخ الإسلام بالنسبة إلى مكانة القدس عند المسلمين ، حادث الإسراء برسول الإسلام صلوات الله عليه من مكة إلى القدس ، ثم معراجه من القدس إلى السماء ، وقد وُثِّقتْ هذه الرحلة العجيبة توثيقاً خالداً في الآية الأولى من سورة الإسراء : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** . . ﴾ الآية . فالمسجد الأقصى في القدس ، قد أُسريَ بالنبي إليه ، والأرض التي ضمت الأقصى وامتدت حوله ،، هي أرض مباركة في الإسلام بحكم نص القرآن الكريم ، منذ أن تنزّلت آية الإسراء .

أما ما ورد من أقوال سابقة ، من أن المسجد الأقصى لم يكن في القدس ، وإنّما هو مكان تصوّره الرسول في السماء ، فقول لم يأخذ به أو يتقبله أو يقله أحد من المسلمين ، منذ أن تنزلت آية الإسراء وإلى يومنا هذا ، وما فُسرت به الآية القرآنية ، وما أخذ به المسلمون منذ أن تنزلتْ في تفسيراتهم وفي نظرتهم إلى القدس ، وإلى صخرة القدس التي عُرج بالرسوم منها ، ينفيان بصورة قاطعة ، أي تصور للرسول عليه السلام أو لأتباعه ، بأن المسجد الأقصى مجرد تخيُّلٍ في السماء ، وليس على الأرض ، وفي مدينة القدس على وجه التحديد .

على أن عددا من مفسري القرآن الكريم ، لم يقتصروا على آية الإسراء الأولى فيما يتعلق بقداسة القدس ، بل ضمّوا إلى هذه الآية التي لاخلاف على دلالتها آياتٍ قرآنية أخرى ، مثل الآية ١٣ من سورة الحديد : ﴿ **فضُربَ بينهم بسور له باب . باطنُهُ فيه الرحمة ، وظاهِرُهُ من قِبَلِهِ العذاب** ﴾ ، فقالوا إن السور المقصود ، هو سور بيت المقدس الشرقي ، ومثل الآية ١٤ من سورة النازعات : ﴿ **فإذا هُمْ بالساهرة** ﴾ ، فقالوا إن المقصود « بالساهرة » البقيع الموجود جانب الطور ، شمالي سور القدس اليوم ، ومثل الآية ٣٦ من سورة النور : ﴿ **في بيوتٍ أَذِنَ اللهُ أن تُرفعَ ويُذْكَرَ فيها اسمُهُ** ﴾ ، فقالوا إن المقصود هو بيت المقدس ، وغير هذه من الآيات[٤٦] .

(٤٦) جرت الإشارة إلى هذه الآيات في عدد كثير من المراجع ، انظر مثلا كتاب « الأنس الجليل » ، ج ١ ص ٢٢٧ . وانظر معجم البلدان لياقوت ، تحقيق وسنفيلد ، نشر مكتبة الأسدي بطهران ١٩٦٥ ، المجلد =

وأمّا بالنسبة إلى الأحاديث التي تؤكد مكانة القدس في الإسلام ، فهي كثيرة جدا ، وقد ورد منها في كتب الفضائل ، موضوع هذه الدراسة ، عشرات الأحاديث ، بل هي تتعدى العشرات إلى المئات ، وإذا كان ثمّة اختلاف في الآراء حول مدى صحة هذه الأحاديث ، فلا خلاف على الإطلاق على حديثٍ مُجْمَعٍ على صحته ، وقد ورد في كتب الصحاح ، وفي كل كتب فضائل القدس ، وجرت روايته بطرق مختلفة ، منها رواية أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « لا تُشَدّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا : مسجد المدينة » وهي الرواية التي أوردها أبو المعالي المقدسي ، صاحب أولى المخطوطات التي اخترنا نصوصا منها في هذا الكتاب(٤٧) . وقد وصف ابن تيمية هذا الحديث ، بأنه ثبَتَ في الصحيحين عن النبي ﷺ ، وأنّه حديث مستفيض ، مُتَلَقّىً بالقبول ، أجمع أهل العلم على صحته وتلقّيه بالقبول وتصديقه »(٤٨) .

ولم يغب عن مؤلفي كتب الفضائل أنّ الأحاديث التي تنسب إلى الرسول ﷺ في فضل القدس ، ليست كلها على مستوى واحد من الصحة والقبول . فها هو شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد المقدسي ، صاحب كتاب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، يقول في خاتمة كتابه ، مبيّناً ما يمتاز به الكتاب عن كتب الفضائل الأخرى : « وصنف آخرون أيضا في فضائل الشام ، وهذا المصنّف بحمد الله تعالى ، مشتمل على الفصلين معا (فضائل الشام وفضائل القدس) ، قد احتوى على الآيات الواردة في القرآن العظيم في فضلها ، والأحاديث الواردة في ذلك : الصحيح ، والحسن ،

= الرابع ص ٥٩١ ، حيث ينقل ياقوت تفسير مقاتل بن سليمان لخمس آيات قرآنية ، يرى مقاتل أن الأمكنة المذكورة فيها يقصد بها بيت المقدس ، هذا وقد نشر تفسير مقاتل بن سليمان .

(٤٧) انظر : فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام ، وفضائل الشام » ، لأبي المعالي ، المشرف بن المرجّى المقدسي . صورة مخطوطة توبنجن ، ص ٨٤

(٤٨) انظر : « قاعدة في زيارة بيت المقدس » ، تصنيف أحمد بن تيمية ، نشر وتحقيق تشارلزماثيوز ، حولية :

"Journal of the American Oriental Society", LVI, 1936, under: "A Muslim Iconoclast (Ibn Taymiyya) on the "Merits of Jerusalem and Palestine", P.7.

والغـريب ، والضعيـف المحتمل ، والـواهي التأليف والموضوع ، والآثـار القويّـة والواهية ، وإنما أتيتُ بهذه الأقسام في هذا الكتاب ، لأجل بيانها لاغير ، وقـد تركت أشياء من الفضائل ، من أوائل ما يروى عن كعب الأحبار ووهب بن منبّه »(٤٩) .

وفي عبارة شهاب الدين المقدسيّ هذه ، إشارة واضحة إلى أن ما كان يروى عن كعب الأحبار ووهب بن منبّه ، كان موضـع شك كبـير عند مؤلفي كتب الفضـائل ، ومعروف أن الكثير من الأحاديث والروايات التي يطلق عليها اسم « الإسرائيليات » ، كانت تنسب إلى هذين الرجلين ، اللذين كانا يدينان باليهودية ، قبـل أن يتحولا إلى الإسلام ، وبذا فإن النقد الموجّه من الكتاب المحدثين ولاسيّما من غير المسلمين منهم ، إلى أحاديث غير صحيحة ، وروايات مشكوكٍ فيها عن القدس ، تسرّبت في كثير من الأحيان إلى المسلمين من مصادر أجنبيّة ، ومن أهل الكتاب بصورة خاصة(٥٠) ، لم يكن بالأمر الخافي على الكثيرين من مؤلفي كتب الفضائل . وها هو شهاب الدين ، أبو محمود المقدسي نفسه ، وهو صاحب واحـد من أهم كتب فضائـل القدس ، يقـول لنا مـرّة أخرى ، وهو يرفض التجاوز في تقديس المسجد الأقصى ، والوصول به إلى مافوق المنزلة المقبولة في عقيدة الإسلام : « قاتلَ اللهُ القصّاصين والوضّاعين ، كم لهم من إفكٍ على وهبٍ وكعب ، ولاشكّ في فضل هذا المسجد ، ولكنهم قد غَلَوْا »(٥١) .

وإذا كانت ملاحظات صاحب « مثير الغرام » على الأحاديث التي أوردها ، وهي ملاحظات نافذة حول مستوى صحة هذه الأحاديث وأحوال رواتها ، تعين القارىء دونما شك على التمييز بين ماهو مقبـول وما هـو غير مقبـول من الأحاديث المـوردة في كتب الفضائل ، فإن المأمول أن تكون الترجمات المختصرة التي أُورِدَتْ في حواشي هذا الكتاب

---

(٤٩) انظر كتاب : « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » صورة مخطوطة مكتبة جوتا ، الورقة ١٤٣ .

(٥٠) انظر مثلا ما يقوله اسحاق حسون عن تغلغل الأقاويل اليهودية والنصرانية في الإسلام في الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ﷺ وفي قصص الأنبياء والتاريخ : Symposium, pp. 170, 171.

(٥١) انظر صورة مخطوطة « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » عن نسخة جوتا ، الورقة ٨٩ـ ٩٠

لشخصياتٍ وردت أسماؤهـا في كتب الفضائـل ، وتدخـلُ في سلسلة رواة الأحاديث النبوية ، مما يعين القارىء على الحكم على الأحاديث الموردة في نصوص هذه الكتب ، ولاسيّما أنني كثيرا ما اعتمدت في إيراد هذه التراجم على كتب عدد من المؤلفين القدامى الذين اهتموا خاصا بأحوال رواة الحديث وتوثيقهم أو التشكيك فيهم . هذا وقد وقفتُ على عبارة للخطيب البغدادي تسترعي النظر فيما يتعلق بالأحاديث المكتوبة ، إذ ينقل عن يحيى بن معين قوله : « إذا كتبْتَ فَقَمِّشْ ، وإذا حَدَّثت فَفتِّش » ، بمعنى أن كتابة الحديث قد يكون فيها تساهل ، في حين أن روايته مشافهة للآخرين لابد فيهـا من التمحيص والتدقيق ، وقد علّل الخطيب البغدادي ذلك بأن الروايات الضعيفة تُكتَبُ للتنقير عن واضعيها وبيان حال من أخطأ فيها[٥٢] . ومما لاريب فيه أن عبارة البغدادي هذه لا تنطبق على كل من دوّنوا الحديث النبوي ، إذ إن الكثيرين منهم بذلوا جهودا مضنية للاستيثاق من الأحاديث التي يدونونها قبل أن يدوّنوها .

ومكانة القدس في الإسلام لم ترتبط منذ عهود الإسلام الأولى بفتـرة زمنية دون غيرها ، ولا بدولة إسلامية دون دولة أخرى ، ولا بمذهب إسلامي دون غيـره ، وإن كانت الأحداث التي تمر بها المدن ، شأنُها في ذلك شأن الأحداث التي تمر بها الشعوب ، قـد توقظ استثارات غير عادية في النفوس ، ولا سيّما إذا كانت هذه المدن ، لها في الأصل منزلة خاصة في نفوس الناس .

فالقدس كانت تعني لجيوش عمر بن الخطاب التي أُرسلتْ لفتح الشام أكـثر مما كانت تعنيه بلدان الشام الأخرى ، حتى قبل أن تُفتح المدينة المقدّسة بالفعل . فها هو الواقدي المتوفّى سنة ٢٠٧ هـ ، يقول لنا في حديثه عن القدس ، عندما أقبل المسلمون عليها لحصارها وقتال أهلها . « ولقد بلغني أن المسلمـين باتـوا تلك الليلة ـ السابقـة للاشتباك مع جيش الروم الموجود في القدس ـ كأنهم ينتظرون قادما يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال أهل بيت المقدس . وكلّ أمير يريد أنْ يُفتَحَ على يديه ، فيتمتّع بالصلاة

(٥٢) انظر : « تاريخ بغداد » ط. الخانجي القاهرة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م ، المجلد الأول ص ٤٣ .

فيه ، والنظر إلى آثار الأنبياء . . فلما أضاء الفجر ، أذّن ، وصلّت الناس صلاة الفجر . قال : فقرأ يزيد (بن أبي سفيان) لأصحابه : ﴿ ياقوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ، ولا ترتدّوا . . . الآية ﴾(٥٣) فيقال إن « الأمراء أجرى الله على ألسنتهم في تلك الصلاة أنْ قرأوا هذه الآية ، كأنهم على ميعاد واحد(٥٤) .

وهذه الرواية عن أحداث وقعت في السنة الخامسة عشرة للهجرة على الأرجح ، قبل أن تكون لبني أمية دولة ، وفي إبان خلافة عمر رضي الله عنه ، تُبيِّن أنّ المسلمين الأوائل كانوا يدركون أن الأرض المقدسة المذكورة في القرآن الكريم ، هي أرض القدس وفلسطين .

ويورد هذا المؤرخ نفسه ـ الواقدي ـ في صفحات لاحقة من كتابه على لسان أبي عبيدة بن الجراح ، وهو محاصر القدس ، في معرض حوار له عن طريق ترجمان مع ناطقٍ باسم الروم من القدس ، تحدّث لأبي عبيدة عن قداسة المدينة عند المسيحيين ، قوله للترجمان : « قل لهم نعم ، إنها (القدس) شريفة ، ومنها أُسْرِيَ بنبينا إلى السماء ودنا من ربه كقاب قوسين أو أدنى ، وأنها معدن الأنبياء ، وقبورهم فيها ، ونحن أحق منكم بها »(٥٥) .

أما وصف معاوية لفلسطين بأنها أرض مقدسة . وبأنها أرض المحشر والمنشر ، فقد رواه ابن الفقيه كما يلي : قال المدائني : قَدِمَ وفدٌ من العراق على معاوية ابن أبي سفيان ، فيهم صعصعة بن صوحان العبدي ، فقال معاوية : « مرحبا بكم وأهلاً . قدمتُمْ على خير خليفة ، وهو جُنّةٌ لكم ، وقدمتم الأرض المقدّسة ، وقدمتم أرض المحشر والمنشر ، وقدِمتُمَ أرضا بها قبور الأنبياء »(٥٦) .

---

(٥٣) الآية ٢١ من سورة المائدة .

(٥٤) انظر : « فتوح الشام » المنسوب لأبي عبدالله عمر الواقدي ، نشر دار الجيل (لاتاريخ) ج ١ ص ٢٣١ .

(٥٥) « فتوح الشام » للواقدي ، ح ١ ص ٢٣٤ .

(٥٦) انظر : « كتاب البلدان » تأليف أبي بكر بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه ، ط ليدن ١٩٦٧ ص ١١٥ .

وأرض المحشر والمنشر ، المقصودُ بها فلسطين ، ومدينة القدس بـالذات ، إنما عُرِفَتْ بهذه الصفة عند المسلمين الأوائل من خلال آية قرآنية في سورة الحشر ، هي : ﴿ هـو الذي أخـرج الـذين كفـروا من أهـل الكتـاب من ديـارهم لأول الحشـر . . الآية ﴾[٥٧] وقد فُهِم من الآية ، أن أول الحشر أو المحشر إنما هو في أرض فلسطين ، وفي القدس بالذات ، لأنّ الرسول عليه السلام أخرج اليهود من المدينة ، وقال لهم حين سألوه إلى أين يتوجهون كما نُقل عن ابن عبّاس : « إلى أرض المحشر ، ثم الخلق يوم القيامة : إلى بلاد الشام »[٥٨] . وقد فهم مقاتل بن سليمان هذه الآية على هذا النحو ، في معرض تفسيره لآيات من القرآن الكريم ، وربط هذه الآيـات بالقـدس ، كقولـه تعالى : ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ﴾ قال : هي بيت المقدس وكآيـة الحشر التي سبق إيرادها وقال مقاتل في تفسيرها : « ويحشُر الله عز وجل الخلائق إليها (القدس)[٥٩] .

وإذ يردّ صعصعة بن صُوحان على عبارات معاوية ، فيقـول فيها قـال : « وأمّا قولُك ، قدمتم الأرض المقدسة ، فإن الأرض لا تقدِّس أهلها ، ولكن أهلها يقدِّسونها . وأمّا قولك : قدمتم أرض المحشر والمنشر ، فإن بعد الأرض لا ينفع كافرا ، ولا يضرّ مؤمنا »[٦٠] ، فإنه لايمكن بحال من الأحـوال ، أن يفهم بأنـه رفضٌ لوصف الأرض بالقداسة ، أو لوصفها بأنها أرض المحشر والمنشر ، إذ إن من الواضح ، أنّ المقصـود بالقول إنه لا يكفي أن تكون الأرض مقدسة ، وأن تكون أرض المحشر والمنشر ، حتى ينجوَ سكانها ، إذ لابدّ للإنسان القاطن في مثل هذه الأرض أن يكون إنسانا صالحا ، وهذا بالطبع مما لا خلاف عليه عند المسلمين عامة .

---

(٥٧) سورة الحشر : الآية ٢ .

(٥٨) انظر : مخطوطة الأنس لزائر القدس » ، لعبدالله بن هشام الأنصاري ، صورة مخطوطة مكتبة الإسكندرية ، ورقة ٥٨ .

(٥٩) انظر : « كتاب البلدان » ، ط ليدن ، ١٩٦٧ ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٦٠) المصدر نفسه ص ١١٥ .

أما القول بأن الخليفة الأمويّ ، عبدالملك بن مروان ، قد أراد أن يُضفي على القدس طابع قداسة خاصة ببنائه قبّة الصخرة ، أو مسجد الصخرة ، من أجل أن يتحول الناس في حجّهم من مكة إلى القدس ، فقول مرفوض في إطار العقيدة الإسلامية ، وفي إطار النصوص الصحيحة المنقولة .

فالخليفة الأمويّ ، عندما عزم على بناء مسجد الصخرة ، لم ينطلق من فراغ بالنسبة إلى مكان البناء وقداسته المعترف بها أصلا . فهو إنّما أراد أن يقيم مسجدا وقبة فوق الصخرة التي يعتقد جميع المسلمين بأنه قد عُرج بالرسول عليه السلام منها إلى السماء ، واستشار رعيته في ذلك قبل أن يبدأ البناء(٦١) . فالبناء الذي أقامه ، اكتسب قداسته من الموقع الذي بُني عليه ، وليس العكس . والرجل الذي اعتمد عليه عبدالملك اعتمادا أساسيا في بناء مسجد الصخرة ، وهو رجاء بن حيوة ، كان من علماء المسلمين ، وكان صديقا لعمر بن عبدالعزيز ، الرجل الصالح ، ولم يكن هذا ليشارك أبدا في بناء يقصد به خديعة المسلمين وغشهم ، بأن يتحولوا إلى الحج إليه بدلا من مكة . ومن البديهيات كذلك أن عبدالملك ماكان ليفكر مجرد التفكير في إحلال صخرة القدس محل الكعبة ، وذلك لأنه ما من خَطر عليه يمكن أن يكون أشدَّ من محاولته تحويل الحج عن مكة ، وهو ركن من أركان الإسلام المفروضة والمبينة في القرآن الكريم ، ولو أنه فعل ذلك ، لوُصِم بالكفر ، وحلّ قتاله ، بل لأصبحت مجاهدته فرضا واجبا على المسلمين ، وقد تنبّه لهذه الأمور كلها كاتب غير مسلم هو جويتين كما هو واضح من المادة التي كتبها عن الخلفية التاريخية لبناء قبة الصخرة(٦٢) .

---

(٦١) انظر : « فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام » ، للمشرّف المقدسي ، صورة مخطوطة توبنجن ص ٥٨ .

(٦٢) انظر : "Journal of the American Oriental Society", Vol. Lxx 1950, p. 1050

وانظر كذلك في منزلة رجاء بن حيوة العلمية وعلاقته بالخليفة الصالح عمر بن عبدالعزيز ، مخطوطة « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، صورة عن نسخة جوتا ورقة ١٣١ ، حيث ذكر مؤلف المخطوطة أن رجاء حيوة وزر لعمر بن عبدالعزيز بعد أن أصبح عمر خليفة .

أمّا رواية منع عبدالملك الناس من الحج إلى مكة إبان ثورة ابن الزبير ، فهي رواية متهافتة منقوضة ، حتى في كتابة المؤرخ الذي كان أول من أوردها ، وهو اليعقـوبي . فرواية اليعقوبي التي سبق أن أوردناها في صفحة سابقة ، تقول إنه منع الناس من الحج إلى مكّة خشية أن يأخذهم ابن الزبير بالبيعة ، وأنه أقام بذلك أيام بني أمية[٦٣] .

ولكن اليعقوبي نفسه يقول بعد صفحتين فقط من إيراده هذه الرواية ، إنه في سنة ٦٨ هـ ، وقفت أربعة ألوية بعرفات : محمد بن الحنفيّة في أصحابه ، وابن الزبـير في أصحابه ، ونَجْدَة بن عامر الحروريّ ، ولواء بني أميّة . ثم ينقل عن المساور بن هند بن قيس قوله : وتشعّبُوا شُعَباً ، فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين[٦٤] ومعروف أن حكم ابن الزبير في مكة امتد من عام ٦٦ إلى عام ٧٣ هـ ، وهو عام مَقْتَلِهِ .

بل إن اليعقوبي يورد بعد ذلك أنّ عبدالملك نفسه قد حج سنة ٧٥ هـ ، مما يخالف روايته الأولى عن منع حكّام الأمويين الناس من الحج أيّام بني أميّة . ويقول اليعقوبي وهو يتحدّث عن حج عبدالملك في السنة المذكورة ، إنه بدأ بالمدينة ، ولما أراد الانصراف بعد الحج ، وقف على الكعبة وقال : « والله إني وددت أني لم أكن أحْدَثْتُ فيها شيئا ، وتركتُ ابن الزبير وما تقلّد »[٦٥] فهو هنا إذن يشعر بالندم لأنه أباح لقائده الحجّاج أن يضرب الكعبة بالمجانيق ، خلال اعتصام عبدالله بن الزبير بها .

ويعدد لنا اليعقوبي نفسه بعد ذلك الذين أقاموا الحج للناس من رجال الأمويين خلال السنوات من ٧٢ حتى ٨٥ هـ ، ومنهم عبدالملك نفسه ، وابنه سليمان ، وأبان بن عثمان بن عفان ، والحجّاج بن يوسف[٦٦] .

---

(٦٣) انظر : تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ص ٧ ، ٨ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ص ١٠ . وانظر كذلك في موضوع ألوية الحجاج ، تاريخ الطبري ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ ص ١٣٨ و ١٣٩ ، وانظر في موضوع حج الأمويين كذلك : الكامل لابن الأثير ، ط بيروت ١٩٧٩ج ٤ ص ٥١٥ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣

(٦٥) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ص ١٩ .

(٦٦) المصدر نفسه ص ٢٦ .

ولا نشك في أن تشيّع اليعقوبي الصريح ، هو الذي دفعه إلى محاولة تشويه سمعة الأمويين ، ولكنه لم يكن متحرّزا فيما أورده ، ولا منسجما مع نفسه في رواياته المتناقضة .

والمصدر القديم الثاني الذي يورد قصة منع الحج إلى مكة خلال الحكم الأموي ، هو ابن البطريق ، ولو أنه حصر هذا المنع بخلافتي عبدالملك والوليد ، دون غيرهما من خلفاء بني أمية(٦٧) . وإذا كان ما أوردناه في الأسطر السابقة كافيا لدحض رواية ابن البطريق هذه ، فإن ما أورده اليعقوبي نفسه ، ينفي عن الوليد ، مثل ما نَفَى عن والده أن يكون ما نسب إليه صحيحاً .

فاليعقوبي يقدم لنا في تاريخه قائمة برجال بني أمية الذين أقاموا الحج زمن الوليد(٦٨) ، ويحدثنا عن اهتمام خاص للوليد بن عبدالملك بمقدّسات الحجاز في مكة والمدينة ، مما يتناقض مع القول بأنه أراد أن يصرف الناس عن مدينتي الحجاز المقدّستين ، إلى مدينة القدس في فلسطين . فقد ذكر اليعقوبي أن الوليد كتب إلى عمر بن عبدالعزيز ، الذي كان عاملَه على المدينة ، بأن يوسّع مسجد الرسول ﷺ ، وأن يُدخِل فيه المنازل التي حوله ، ويدخل فيه حجرات أزواج النبي ، كما بعث إلى خالد بن عبدالله القسري ، واليه إذ ذاك على مكة ، بثلاثين ألف دينار ، فضُربتْ صفائح ، وجعلت على باب الكعبة ، وعلى الأساطين التي داخلها ، وعلى الأركان والميزاب ، فكان أول من ذَهَّبَ البيت في الإسلام(٦٩) .

ورواية اليعقوبي هذه ، تؤكدها رواية مؤرخ يعتبر من أقدم من أرّخوا لمكة : ذلك هو أبو الوليد محمد بن عبدالله - أو ابن عبدالكريم - بن أحمد الأزرقي . فقد ذكر الأزرقي في كتابه « أخبار مكة » أنّ الوليد بن عبدالملك ، عمّر المسجد الحرام وكان إذا عمل المساجد زخرفها ، وقال : « فنقض عملَ عبدالملك وعمِلَ عملاً مُحْكَماً ، وهو أول من نقل

(٦٧) انظر : Journal of the American Oriental Society, Vol Lxx, 1950, P. 104.
(٦٨) انظر : « تاريخ اليعقوبي » ، ج ٣ ص ٣٥ .
(٦٩) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٢٩ .

إليه أساطين الرخام ، فعمله بطاق واحد بأساطين الرخام ، وَسقَفَهُ بالسّاج المزخرف ، وجعل على رؤوس الأساطين الذهب على صفائح الشَّبَهِ ، وأَزَّرَ المسجدَ بـالرخـام من داخله ، وجعل على وجه الطيقان في أعلاها الفسيفساء ، وهو أول من عمله في المسجد الحرام ، وجعل للمسجد شرافات وكانت هذه عمارة الوليد بن عبدالملك »[٧٠] .

ومن الحجج الغريبة ، التي أوردها بعض كُتّاب اليهود ، للتدليل على أنّ قداسة القدس إنما كانت مرتبطة بعوامل سياسية زمن بني أمية ، ما أورده إسحاق حسّون من تضاؤل أهمية القدس بعد سقوط الأمويين ، وانتقال العاصمة من الشام إلى العراق ، ويستشهد على ذلك بأن الخليفة العباسي المنصور ، عندما طُلب إليه إرسال الأموال لترميم الصخرة ، أمر بأن تُضربَ صفائحُ الذهب والفضة التي على أبـواب المسجد ، ليُنفَقَ على الترميم ، وبأنّ تاج كسرى وقرنيْ كبش إبراهيم ، نقلت زمن العباسيين من المسجد الأقصى إلى الكعبة[٧١] .

أما اهتمام خلفاء العباسيين بالقدس وإنزالها المنزلة التي تستحقها في الإسلام فتقوم عليه عدّة أدلة ، تنقض رواية حسون من أساسها . فالخليفة المنصور الذي ذكره إسحاق حسون زار القدس شخصيا ولم يُكْتَب إليه كتابةً ، بعد أن كان شرقيّ المسجد وغربيّه قد وقعا ، مما يدل على اهتمام الخليفة العباسي الخاص ، بـالقدس والمسجـد الأقصى . ويحدثنا أبو المعالي ، المشرف بن المرجى المقدسي عن هٰذه الزيارة ، فيقول : « فلما قدم أبو جعفر ، وكان شرقي المسجد وغربيه قد وقعا فَرُفِعَ إليه : يا أمير المؤمنين ، قد وقع شرقي المسجد وغربيه ـ وكانت الرجفة سنة ثلاثين ومائة في شهر رمضان ـ فقالوا له : لو أمرتَ ببناء هذا المسجد وعمارته فقال : ما عندي شيء من المال ، فأمر بقلع الصفائح الذهب والفضة التي كانت على الأبواب ، فضُربَتْ دنانير ودراهم ، وأُنفق عليه »[٧٢] .

---

(٧٠) انظر : « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » ، ط مكة المكرمة ١٩٦٥ ، ج ٢ ص ٧١ ، ٧٢

(٧١) انظر : Symposium, P. 173

(٧٢) انظر : مخطوطة « فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام » ، صورة توبنجن : ٦٣ ، ٦٤ .

ومعنى ذلك أن الخليفة العباسيّ ، الذي زار القدس شخصيا بعد أن تولّى الخلافة بوقت قصير ، لم يمتنع عن الترميم ، بل أمر به ، وإلا لكان بإمكانِهِ أن يضرب صفائح الذهب والفضة التي على أبواب المسجد دنانير ودراهم ليودعها في خزانة دولته . ولنتذكرْ أن هذه الزيارة لابد أن تكون قد حصلت في أوائل حكم العباسيين ، مادام أن العباسيين قد تولوا الحكم سنة ١٣٢ هـ ، إذ إنّ المنصور كان الخليفة الثاني الذي تولّى الحكم بعد أخيه أبي العباس السفاح ، إثْر وفاة أخيه سنة ١٣٦ هـ[٧٣] . وكل هذا يظهِر أن الدولة كانت في أوائل سني حكمها ، مما قد يبرر الافتراض بأن الأموال اللازمة للبناء قد لاتكون متوافرة في خزانة الدولة في تلك الحقبة من أعوام حكمها الأولى .

ولم يكن المنصور الخليفة العباسيّ الوحيد ، الذي زار القدس ، أو اهتم بشؤونها وبشأن المسجد الأقصى على وجه الخصوص . فالخليفة المهدي ، ابن المنصور ، زار القدس كذلك ، وهناك رواية عن إسرارِهِ لمرافقِهِ في هذه الزيارة بأقوال لها دلالتها ، ولاسيما بالنسبة إلى تقديره لبيت المقدس ، والمسجد الأقصى . وخلاصة هذه الرواية أنه لما قدم المهدي الشام يريد بيت المقدس ، دخل مسجد دمشق ، ومعه أبو عبدالله الأشعري ، فقال : « يا أبا عبدالله ، سَبَقَنا بنو أمية بثلاث ، قال : وماهي يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا البيت ، يعني مسجد دمشق ، ولا أعلم على ظهر الأرض مثله ، وبنبل الموالي ، فإن لهم موالي ليس لنا مثلهم ، وبعمر بن عبدالعزيز لايكون فينا والله مثله أبدا . ثم أتى بيت المقدس ، فدخل الصخرة ، فقال : يا أبا عبدالله ، وهذه رابعة »[٧٤] .

ولما كانت الرجفة الثانية في القدس ، وقع البناء الذي بناه والده أبو جعفر ، فرفع ذلك إلى المهدي لدى زيارته القدس ، فأمر بإعادة بنائه ، فتم البناء في خلافته[٧٥] .

---

(٧٣) انظر : « البداية والنهاية » ط القاهرة ١٩٣٣ ، ج ١ ص ٥٧ .

(٧٤) انظر : مخطوطة « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، ورقة ١٣٦ .

(٧٥) انظر : مخطوطة « فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام ، وفضائل الشام » ، ص ٦٤ .

وتوالى اهتمام بني العباس بالمسجد الأقصى بعد المهدي ، مما يدل على أن منزلة القدس والأقصى لم تتضاءل بعد الحكم الأموي . فقد قام الخليفة المأمون سنة ٢١٦ هـ بإصلاحات في قبة الصخرة بإشراف أخيه أبي إسحاق ـ الخليفة المعتصم فيما بعد ـ الذي كان إذ ذاك نائبه على بلاد الشام ، وعلى يد عامله صالح بن يحيى وقد بلغت الترميمات التي أجراها الخليفة المأمون من الضخامة حدا دفع بعض أتباعه إلى أن يعزو البناء كله إلى هذا الخليفة العباسي(٧٦) .

وفي مطلع القرن الرابع الهجري ، أصلحت أمّ المقتدر العباسي جانبا من سقف الصخرة ، وأمرت بوضع أبواب للمسجد الأقصى ، وقد ذكر المقدسي البشاري ذلك في إطار وصف تفصيلي له للمسجد(٧٧) .

ولعل من أغرب ما احتج به إسحاق حسون للتدليل على انتقاص قيمة القدس والأقصى زمن العباسيين ، ما ذكره من أن العباسيين نقلوا قرني كبش إبراهيم وتاج كسرى من المسجد الأقصى إلى الكعبة . ووجهُ الغرابة في الأمر ، أن يأخذ حسون مأخذ الجدّ والتسليم ، قصة وجود قرني كبش إبراهيم ، وتاج كسرى في المسجد الأقصى ، وبقاء هذه الآثار في المسجد ، حتى نهاية الثلث الأول من القرن الثاني الهجري . ولم يتساءل هذا الباحث عن كيفية نقل قرني هذا الكبش الموغل في القدم أصلا إلى المسجد الأقصى ، وكيف ثبت القرنان لعوادي الزمان ، وتقلبات الطبيعة هذه المدة الطويلة جدا ، ثم ما وجهُ أن يوضعَ تاجُ اسُتِلبَ من ملك فارسي وثنيّ في أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال في الإسلام !!

---

(٧٦) انظر في الترميمات زمن المأمون ، معجم البلدان لياقوت « تحقيق وستنفيلد ، ج ٤ ص ٥٩٧ و A.L. Tibawi: "Jerusalem: Its Place in Islam and Arab History, Beirut, 1969, p. 10

(٧٧) انظر : « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي البشاري ، ط٢ ، ليدن ، ١٩٦٧ ص ١٦٩ ، وانظر كذلك « معجم البلدان » تحقيق وستنفيلد ط طهران ١٩٦٥ ج ٤ ص ٥٩٧ .

لقد قرأ حسون بالطبع رواية كهذه في إحدى مخطوطات فضائل القدس ، كما قرأ كاتب هذه السطور هذه الرواية أيضا ، ولكن الرواية ، شأنها شأن روايات أخرى شبيهة لها في كتب الفضائل ، لاتعدو أن تكون من قبيل الأساطير والحكايات الشعبية المتوارثة ، ولايمكن أن تؤخذ مأخذ الجد والتسليم في كتابة رصينة .

وإذا كان كتاب متأخر نسبيا من كتب الفضائل يتحدث عن وجود هذه الآثار في مسجد القدس ، فإن كتابا أقدم عهدا منه ، ويدخل في نطاق كتب التاريخ ، قد ذكر أن قرني الكبش هذين ـ ويسميهما قرني كبش إسماعيل لاكبش إبراهيم ـ قد وجدا في بناء الكعبة ، حين أعاد ابن الزبير بناءها ـ وثورة ابن الزبير كانت بين سنتي ٦٦ و٧٣ هـ ـ ثم يضيف في الصفحة نفسها التي أورد فيها خبر القرنين ، أن عبدالملك بن مروان ، وابنه الوليد ، والوليد بن يزيد ، قد أرسلا هدايا إلى الكعبة ، مما يُستبعَد معه أن يكون خلفاء الأمويين هم الذين نقلوا أوّلا القرنين الموهومين من الكعبة ـ أقدس مقدسات الإسلام ، إلى القدس ، إن كان القرنان قد وجدا بالفعل في الكعبة لدى إعادة ابن الزبير بناءها !! أما هذا الكتاب القديم ، فهو كتاب « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، لأبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي[٧٨] .

ومما ينبغي إيراده هنا ، أن بعضا من مؤلفي كتب الفضائل ، ومنهم جمال الدين أبو محمد عبدالله بن هشام الأنصاري ، صاحب مخطوطة « تحصيل الأنس لزائر القدس » ، ومن رجال القرن الثامن الهجري ، أبت عقولهم أن تتقبل الأقاويل والأساطير غير المعقولة عن القدس ، ومنها ما يرتبط بقرني كبش إسماعيل هذين . ويسخر ابن هشام في مؤلفه المذكور من هذه الأقاويل ويقول : « ومنها سكّين ملصقة بالقرب من الصخرة ، يزعمون أنها التي أراد الخليل عليه السلام ذبح ولده بها » . ثم يقول « وأخبرني من كنت أظن له عقلا أن المسجد وما يقرب منه مُسامِتٌ للعرش . . . وكأنه توهّم بخياله الفاسد ، أن العرش عبارة عن سرير كسرير بيته ، أو أكبر منه تخييلا »[٧٩] .

---

(٧٨) انظر : « أخبار مكة » للأزرقي ، ج ١ ص ٢٢٤ .

(٧٩) انظر : مخطوطة : « تحصيل الأنس لزائر القدس » ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

أما القول بأن الشيعة ، أو بعضهم ، لم يُضفوا أية قيمة خاصة على القـدس ، فيتناقض مع الواقع التاريخيّ ، على النطاق الرسمي والشعبيّ على السواء لدى الشيعة . أما على النطاق الرسمي ، فيكفي أن نذكر ما أظهره خلفاء الفاطميين من اهتمام بالمسجد الأقصى وعمـارته . فبعـد أن وقع زلـزال كبير عـام ٤٢٤ هـ ، تهدم بسببـه المسجـد الأقصى ، قام الخليفة الفاطمي ، وهو شيعي طبعا ـ بإعادة بناء المسجد سنة ٤٢٦ هـ ، ولا يزال قسم من بنائه قائما[٨٠] .

ويحدثنا ناصر خسرو ، الذي زار القدس في القرن الخامس الهجري ، عن قناديل كثيرة من فضة ، كتب عليها وزنها ، مما أمر بصنعه سلطان مصر الفاطمي ، ليُعلّق فوق الصخرة . وقد قدر هذا السائح الفارسي وزن الفضة المستعملة في القناديل بألف مَنّ . ثم يحدثنا عن شمعة هائلة في الصخرة ، يرسلها سلطان مصر الفاطمي كل سنة ، ويُكتَب عليهـا اسمه بـالذهب ، ثم يقـول إن الأمير ليث الـدولة ، أبـا منصور ، أوشتيكـين الغوري ، الذي كان حاكما للشام من قبل الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي ، أقام إيوانا في المسجد الأقصى[٨١] .

أما على الصعيد الشعبي ، وما كان يجري على ألسنة الناس ، فثمة أقوال من مثل « ينزل المهديّ ببيت المقدس ، ثم يكون خَلَفٌ من أهل بيته بعده ، وتطول مدتهم[٨٢] » ومن مثل ما راج بين الناس من قول نسبوه إلى الزُّهري : « لما قتل الحسين بن علي ، لم تُرفَعْ ببيت المقدس حصاة إلا وجد تحتها دم »[٨٣] .

أما ربط كتابي الواسطي وأبي المعالي المقدسي ، وهما أقدم كتابين في فضائل القدس

---

(٨٠) انظر : الدوري : « المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام : فلسطين ، ١٩٨٠ بحث على ورق استانسل ، ص ٢٧ .

(٨١) انظر : « سفر نامة » ، ترجمة يحيى الخشاب ، ط بيروت ١٩٧٠ ص ٦٧ ، ٦٩ .

(٨٢) انظر :« مخطوطات فضائل بيت المقدس» ، ص ١٩ نقلا عن « كتاب الملاحم والفتن لنعيم بن حماد ، ص ١٤٩ .

(٨٣) فضائل بيت المقدس » للواسطي ، تحقيق إسحاق حسون ، ص ٥٥ .

وصلا إلينا ، باضطهاد الحاكم الفاطمي للمسيحيين ، وبأضرارٍ أصابت المسجد الأقصى ومسجد الرسول عليه السلام والكعبة عام ٤٠٧ هـ ، فهو ربط تعسّفيّ ، كما يتبين مما يلي :

إن ما ترويه كتب التاريخ عن فترة حكم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، تبيّن أن تصرفات هذا الخليفة اتسمتْ بالشذوذ والجموح والإفراط ، وأنّ الضرر الذي نشأ عن هذه التصرفات ، قد عمّ قطاعات رعيته كلها ، من مسلمين وغير مسلمين ، بل إنّ الضرر قد وصل إلى أقرب الناس منه ، من خاصته ورجال قصره ، بل من أبناء أسرته ولذا فإن من الصعب على المرء أن يربط بين نوبة اضطهاد عابرة على يد الحاكم بأمر الله ، وبين تأليف كتب عن فضائل القدس ، وكأنما كانت هذه الفضائل غير قائمة عند المسلمين حتى تلك الفترة ، وتطلبت ظروف عابرة فقط ، أن يُعَرَّف الناس بها ! ثم ما الذي تُخَفِّفهُ كتب كهذه عن فضائل القدس ، من حملة الاضطهاد المنسوبة إلى الحاكم بأمر الله ، وما الذي تقدّمه من تبرير لأعمال الاضطهاد ؟ الواقع أن كتب الفضائل تحدثت ضمن ما تحدثت به عن تسامح لا مثيل له في أوائل القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، من خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ، تجاه نصارى القدس ، عند الفتح العمري ، ومثل هذه الكتب إذن من شأنها أن تعيد إلى أذهان الناس تسامح حكام الإسلام تجاه الديانات الأخرى بدلا من أن تبرّر تعصّب الخليفة الفاطمي ، حتى وإن كان نوبة طارئة عابرة ، من نوبات إنسان كان ينقصه الاعتدال والاتزان في تصرفاته . ثم إنه لم يُعرَفْ عن مؤلفي الكتابين : الواسطي وأبي المعالي المقدسي ، أنهما كانا من أتباع مذهب الفاطميين ـ الشيعي الإسماعيلي ، لكي يدفعهما ذلك إلى كتابة ما يمثل ، ولو دفاعا ضمنيا عن تصرفات الممثل الرسمي الأول لهذا المذهب . بل إن من الواضح أن كلا المؤلفين كان سُنِّياً يعُظِّم من تُعَظِّمهُ السُنّة ، كما يتضح مثلا من المكانة المتميزة التي خُصّ بها عمر بن الخطاب في نصوص كتابيهما .

وأما أن تكون أحداث ٤٠٧ هـ ، قد أدت إلى تأليف كتب في فضائل القدس من أجل جمع الأموال لترميم المسجد الأقصى فرواية غريبة ، لا تثبت للنقد والتمحيص .

وللأمانة العلمية ، نورد فيما يلي ما كتبه ابن كثير حول أحداث هذه السنة :

« في ربيع الأول من سنة ٤٠٧ هـ ، احترق مشهد الحسين بن علي بكربلاء وأروقته ، وكان سبب ذلك أن القَوَمَةَ أشعلوا شمعتين كبيرتين ، فمالتا في الليل على التازير ، ونفذت النار إلى غيره ، حتى كان ما كان . وفي هذا الشهر أيضا ، احترقت دارت القطن ببغداد ، وأماكن كثيرة بباب البصرة ، واحترق جامع سامراء . وفيها ورد الخبر بتشعيث الركن اليماني من المسجد الحرام ، وسقوط جدارٍ بين يدي قبر الرسول ﷺ بالمدينة ، وأنه سقطت القبة الكبيرة على صخرة ببيت المقدس ، وهذا من أغرب الاتفاقات وأعجبها »(٨٤) .

أما أن أضرارا قد وقعت في ثلاثة مبان مقدّسة في سنة واحدة ، فأمرٌ تثبته رواية ابن كثير ، كما رأينا . وأما الربط بين أحداث كهذه ، وبين تأليف كتب في فضائل القدس ، فهو تصيّد غريب للشواهد المأخوذة قسرا من الروايات التاريخية ، ويكفي أن نثير التساؤلات التالية حول هذا الربط التعسّفيّ :

١ ــ لِمَ يكتب عن فضائل القدس بعد هذه الأحداث من أجل جمع الأموال ، ولا يُكتبُ في الوقت نفسه عن فضائل المواقع الأخرى التي أصابتها هذه الأحداث كذلك ؟

٢ ــ لماذا لم تؤلَّف كتب عن فضائل القدس خاصّة ، بعد الرجفات التي أصابت المسجد الأقصى من قبل ، كتلك التي وقعت سنة ١٣٠ هـ مثلا ، وأُصلِحَ ما نشأ عنها من تهدّم زمن الخليفة المنصور ، أو تلك التي حدثت بعد ذلك في زمن ابنه المهدي ، أو التي تلت ذلك زمن الخليفة المأمون وأصلحت على نطاق واسع عام ٢١٦ هـ ، مما سبق أن أشير إليه في صفحات سابقة ؟

٣ ــ لماذا يعمد بعد عام ٤٠٧هـ على وجه الخصوص إلى « الاكتتاب » لإصلاح ما تهدّم من المسجد الأقصى ، في حين أننا رأينا من أحداث السنين السابقة أن الذين

---

(٨٤) كتاب « البداية والنهاية » ط دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٣٣ ، ج ١٢ ، ص ٤ .

كـانوا يتـولون عمليـات التـرميم والإصـلاح ، هم حكـام المسلمـين ، لا أبنـاء الشعب ؟! والمعروف أن بناء الأقصى أولا ، ثم ترميماته بعد ذلك ، قد أُنفقَ عليها من أموال الدولة ، وأن تكلفة البناء الأولى قد كلفت الدولة خراج مصر لمدة سبع سنين ؟(٨٥) .

٤ ــ نحن نعلم أن الواسطي ، صاحب أول كتاب خُصِّص بأكمله لفضائل القدس ، مما وصلنا من تلك الكتب ، قد قرأ كتابـه على النـاس في منزلـه في القدس ، سنـة ٤١٠ هـ(٨٦) . ولنا أن نفترض أن مؤلف الكتاب قد بدأ في تأليفه ، قبل مدة معقولة من قراءته على الناس ومن الانتهاء من تأليفه طبعا . فهل من السهل التسليم بأن الرجل قـد تناول قلمـه مباشـرة بعد سقـوط قبة الصخـرة سنة ٤٠٧ هـ ، وبـدأ بالتأليف ، ثم انتهى منه وعمم مادته على الناس من أجل أن يكتتبوا لإعادة بناء القبة ؟

هذه بعض تساؤلات فقط من التساؤلات التي يمكن أن تخطر بالذهن ، فيما يتعلق بالربط بين تشعّث الركن اليماني من المسجد الحرام ، ومقوط جدار بين يدي قبر الرسول (عليه السلام) ، وسقوط القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس ، وبين تأليف كتب في فضائل القدس لجمع الأموال ، وكأنما كان النـاس في تلك الفترة ، أو فيـما قبلها ، لم يسمعوا أبدا عن مكانة القدس في الإسلام ، منذ أن اتُّخذتْ قبلة للمسلمين ، ومنذ أن أُسريَ إليها بنبي الإسلام ، ومنذ أن كانت المدينة الوحيدة التي فُتحت على يد خليفة المسلمين الثاني شخصيا .

---

(٨٥) انظر : مخطوطة « مثير الغرام الى زيارة القدس والشام » ورقة ٤٥ حيث ذكر المؤلف أن ما أنفق على مسجد الصخرة كان قدر خراج مصر سبع سنين . وقد قدّر الدكتور عبدالعزيز الدوري خراج مصر في السنة بـ (٦٠) ألف دينار ، ومعنى ذلك أن ما أنفق على بناء المسجد بلغ (٤٢٠) ألف دينار ، وهو مبلغ ضخم إذا أخذت القيمة الشرائية للدينار في ذلك الوقت بعين الاعتبار (انظر بحث الدكتور الدوري المقدم إلى المؤتمر الدولي الثالث لبلاد الشام : « فلسطين » ، الذي عقد في عمان سنة ١٩٨٠ . ص ١٤) .

(٨٦) انظر : « فضائل البيت المقدّس » للواسطي ، تحقيق إسحاق حسون ، ص ١ .

ولكن الربط التعسفي بين الوقائع والأحداث ، بل والاستخلاصات المعكوسة من أحداث معينة لم تقتصر على ما سبق . فقد شاء بعض من حاولوا الانتقاص من منزلة القدس عند المسلمين لتبرير تأخر الكتابة في فضائلها ، أن يتخذوا من وصية أبي عبيدة قبل موته دليلا على ما ذهبوا إليه ، في حين أنه في الواقع دليل واضح على عكس ما ذهبوا إليه ! وأما قصة هذه الوصية ، فتتلخص فيما يلي ، كما أوردها أبو المعالي المقدسي في مخطوطته :

« انطلق أبو عبيدة بن الجراح يريد الصلاة في بيت المقدس ، فأدركه أجلُه بفِحْل فمات بها ، وأوصى : « أقرئوا أمير المؤمنين السلام ، وأعلموه أنه لم يبق من أمانتي شيء إلا وقد قمت به وأدّيته إليه . وقد كان بعث إلي مائة دينار ، فَرُدُّوها إليه . فقالوا : إن في قومك مسكنةً وحاجة ، فقال : رُدُّوها إليه ! وادفنوني غربيّ نهر الأردن : إلى الأرض المقدسة ، ثم ثال : ادفنوني حيث قُبِضْتُ ، فإنني أتخوّف أن يكون سُنَّة »(٨٧) .

إن أية قراءة لوصيّة هذا الصحابي الجليل ، يُقصَد بها فهم النص في إطار سياقه الطبيعي ، ستصل بالقارىء إلى أن أبا عبيدة رضي الله عنه ، كان يُنْزِل فلسطين والقدس من نفسه منزلة عظيمة ، فهو أصلا كان متوجها إلى القدس للصلاة فيها ، ثم هو قد رغب عندما أحس بدنو أجله في أن يدفن في الأرض المقدسة : في القدس ، ولكنه خشي أن يَشُقَّ على الصالحين من المسلمين من بعده ، إذا هو نُقِل من مكان موته إلى المدينة المقدسة ليُدفَنَ فيها ، فآثر أن يخفِّف على اللاحقين من أبناء دينه ، إذ تخوف من أن يكون نقل الميت من ذوي المكانة في الإسلام إلى القدس من أجل أن يدفن فيها سُنّةً تتَّبعُ من بعده ، بكل ما قد ينبني عليها من مشقات في ظروف مختلفة .

وحتى مع هذا التحوط والشفقة على المسلمين من أبي عبيدة صاحب رسول الله ﷺ ، نجد أن رجالا من المسلمين في قرون لاحقة قد نُقِلوا بعد وفاتهم إلى القدس من أجل أن يدفنوا فيها . فقد ذكر محمد بن يوسف الكنديّ في كتابه « ولاة مصر » أنّ أبا

---

(٨٧) فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام » ص ١٩١ ، ١٩٢ .

الحسن علي بن الإخشيد ، توفي سنة ٣٥٥ هـ ، فحُمِل في تابوت إلى البيت المقدّس ، ودفن مع أخيه ووالده بباب الأسباط[٨٨] . وعندما استُشهِد الأمير بدر الدين الهكّاري على أيدي الفرنج قريبا من دمشق ، نقل جثمانه إلى القدس ، ودُفِن في تربة ماملّا[٨٩] .

بل إننا نجد في قرننا هذا أن اثنين من رجال الإسلام البارزين ، قد دفنا في ساحة المسجد الأقصى ، وهما الشريف حسين ، شريف مكة ، ومحمد علي الهندي ، باعتبار ذلك نوعا من التكريم لهما بعد موتهما .

أما قول سيفان Emanuel Sivan وهو يحاول أن يَخْلُص إلى أن القدس لم تحتلّ في ضمير العالم الإسلامي المكانة التي توحي بها الأحاديث النبوية التي تروى في فضلها ، إنّ الأوساط السنية في الإسلام لم تُبْدِ حماسا لتحرير المدينة من الفاطميين ، كما لم يكن ثمة صدى لإعادة احتلال الفاطميين لها قبل الغزو الصليبي للمدينة ، ثم احتلال الصليبيين لها بعد ذلك ، فَيُرَدُّ عليه في إطارين أولهما يتعلق بتبادل المدينة في القرن الخامس الهجري بين السلاجقة السنيين في الشام ، وبين الفاطميين الشيعة في مصر ، وثانيهما يتعلق بسقوط المدينة في يد الفرنج ـ الصليبيين ـ عام ٤٩٢ هـ .

أما دخول القدس في دولة السلاجقة تارة ، وفي دولة الفاطميين تارة أخرى في القرن الخامس الهجري ، فإن الأمر لم يعد في ذلك الوقت ، أن يكون بالنسبة إلى المسلمين الذين كانوا يعيشون في عصر غير مستقِرّ سياسيا ، وفي ظل خلافة عباسية فقدت سيطرتها الحقيقية على الأقاليم ، صراعاً داخليا بين دولتين مسلمتين متنافستين ، لا ينبني عليه خروجُ مدينة مسلمة من ديار الإسلام إلى ديار الأعداء من غير المسلمين ، ولاسيما أن الأمر بين السلاجقة والفاطميين في تلك الفترة ، كان أمر تنازع على الأطراف بين دولتين ، دون أن يفْضي إلى القضاء كلية على أيّ منهما . ودليلنا على ذلك ، ردة الفعل القوية التي تبعثْ

(٨٨) كتاب « ولاة مصر » ط دار صادر ، بيروت ، ص ٣١٣ .

(٨٩) « ذيل الروضتين » ،نشر دار الجيل ، بيروت ١٩٧٤ ، ط٢ ، ص ١٠٨ .

قضاء صلاح الدين الأيوبي على دولة الفاطميين في مصر عام ٥٦٧ هـ ، وما تركته من صدى بهجة عظيمة بين الناس في الشام والعراق ، بل وفي مصر نفسها ، إذ رأوا في القضاء على دولة الفاطميين وعودة مصر إلى الخلافة العباسية السُنّيّة في بغداد ، حدثا جليلا ، كتب فيه شعر كثير ونثر كثير ، يفيضان بمشاعر السرور والفرح(٩٠) .

وأما ادّعاء سيفان بأنه لم يكن ثمة صدى لاحتلال الفرنج للمدينة المقدسة سنة ١٠٩٩ م / ٤٩٢ هـ ، فهو ادعاء ينقضه أي كتاب من كتب التاريخ والأدب التي تحدثت عن هذا الاحتلال . وسأورد فيما يلي واحدة فقط من الروايات التاريخية المتعلقة بصدى هذا الاحتلال ، وهي مجرد رواية من روايات كثيرة أخرى في كتب التاريخ الإسلامي المعروفة . يقول ابن كثير :

« وفيها (سنة ٤٩٢ هـ)، أخذت الفرنج بيت المقدس . . . وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق مستغيثين على الفرنج ، إلى الخليفة والسلطان ، منهم القاضي أبو سعيد الهَرَوي . فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع ، هالهم ذلك وتباكوا . وقد نظم أبو سعيد الهروي كلاما قُرِيء في الديوان وعلى المنابر ، فارتفع بكاء الناس ، وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليحرّضوا الملوك على الجهاد . فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء ، فساروا في الناس ، فلم يُفِدْ ذلك شيئا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . فقال في ذلك أبو المظفّر الأبيوردي :

مزجنا دمانا بالدموع السواجم ... فلم يبق منّا عرضة للمراجم
وشرّ سلاح المرء دمع يريقه ... إذا الحرب شُبّت نارها بالصوارم
فأيهاً بني الإسلام إن وراءكم ... وقائع يُلْحِقْنَ الذّرى بالمناسم
وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائم
وأخوانكم بالشام يضحى مقيلُهم ... ظهور المذاكي أو بطون القشاعم

---

(٩٠) انظر ردة الفعل للقضاء على الدولة الفاطمية في كتاب أبي شامة : « كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين : النورية والصلاحية » ، الجزء الأول ، القسم الثاني ، ط القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٤٩٦ .

تسومُهُم الروم الهوانَ وأنتمُ تجُرّون ذيلَ الخفض فعلَ المسالم

ومنها قوله :

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفةٌ تَظَلّ لها الولدانُ شيبَ القوادم
وتلك حروبٌ من يَغِبْ عن غمارها ليسلمَ يقرع بعدها سنَّ نادم
سَلَلْنَ بأيدي المشركين قواضباً ستُغْمَدُ منهم في الكُلى والجماجم
يكاد لهن المستجَنُّ بطيبةٍ[٩١] ينادي بأعلى الصوت: يا آل هاشم!
أرى أمتي لا يُشرعون إلى العدا رماحَهُمُ والدّين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الرّدى ولا يحسبون العار ضربة لازم
أيرضى صناديد الأعاريب بالأذى ويغضي على ذلٍّ كماة الأعاجم
فَلَيْتَهُمُو إذْ لم يذودوا حميّة عن الدين ضنّوا غيرةً بالمحارم
وإن زَهِدوا في الأجر إذ حَمِسَ الوغى فَهَلّا أتَوْهُ رغبةً في المغانم ؟[٩٢]

وإذا كان ذلك لم يُفِدْ كله شيئا ، فإنه لم يكن نتيجة صدى ضعيف للأحداث ، وإنما كان نتيجة أوضاع سيئة كانت قائمة في المنطقة ، تتمثل أول ما تتمثل في التمزّق السياسي ، والعداوات الصغيرة التي كانت بين متولّي الحكم في تلك الفترة العصيبة من التاريخ الإسلامي .

وخير دليل على أن احتلال القدس على أيدي الفرنج قد ترك أثرا هائلا بين المسلمين ، كانت له فيها بعد نتائجه الإيجابية ، ذلك الأدب الغزير ، ولاسيما الأدب المنظوم ، الذي جعل من القدس في ردّة الفعل الأولى عند الزنكيين ، ثم عند الأيوبيين ، مِحْورَ الاستثارة لمجاهدة الصليبيين وتخليص الأرض المحتلة منهم ، إلى أن استعيدَتْ

---

(٩١) أي الرسول ﷺ ، المدفون في طيبة ، وهي المدينة المنورة .

(٩٢) البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ٥٦ . وانظر كذلك في صدى سقوط القدس بيد الفرنج مخطوطة «المستقصى في فضائل المسجد الأقصى» ، ص ٣٤ . حيث عد احتلال الفرنجة للقدس أشد ما ابتلي به الإسلام .

القدس فعلا ، فقيل في استنقاذها على يد صلاح الدين شعر كثير ، وكتب نثر كثير(٩٣) .

بقي أن نعرج على كتيّب ابن تيمية الموسوم « قاعدة في زيارة بيت المقدس » ، لأن مادة هذا الكتيب قد اتُّخِذَ منها وسيلة للنيل من مكانة القدس عند المسلمين . ولحسن الحظ أن هذه الرسالة بين أيدينا ، إذ إن تشارلز ماثيوز الأميركي وجد هذه الرسالة في المخطوطة التي تكوّن جزءا من الرقم ٢٩٥ من مجموع ييل Yale للمخطوطات العربية فنشرها بنصها العربي ، مع تعليق عليها بالإنجليزية في مجلة :

Journal of the American Oriental Society. LVI, 1936

وصدرت مادته المتعلقة بها في المجلة المذكورة بعنوان :

"A Muslim Iconoclast (Ibn Taymiyyeh) on the "Merits" of Jerusalem and Palestine"

ولدى مراجعتي لهذه الرسالة تبيّنتُ أن كل ما هدف إليها كاتبها ، هو أن يضع قداسة المدينة في إطارها الإسلامي الصحيح ، دونما تجاوزات أو مبالغات لا تتفق مع عقيدة الإسلام وعباداته الصحيحة ، ولو أنه قسا أحيانا على الذين لا يلتزمون بالقواعد السليمة كما رآها في النظرة إلى المدينة المقدّسة ، وفيما يزاولون فيها من أعمال تعبُّديّة . ويمكن أن أوجز فحوى رسالته هذه : « قاعدة في زيارة بيت المقدس » في النقاط المكثفة التالية :

١ ـ يؤكد ابن تيمية صحة الحديث الخاص بشدّ الرحال إلى مساجد مكة والمدينة والقدس ، ويرى فيه استحبابا للسفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه ، كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف . ويضع مساجد الإسلام من حيث الفضل في درجات ثلاث : الأولى للمسجد الحرام في مكة ، والثانية لمسجد

(٩٣) انظر في ذلك مثلا : كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين ، ط القاهرة ، ١٩٥٦ ، الجزء الأول ـ القسم الأول ، ص ١٠٢ ، ١٥٤ ، ١٨٠ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ، والجزء الأول ـ القسم الثاني ط القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٦٩١ ، وكذلك كتاب « صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني » ، لمؤلف هذا الكتاب ، ص ١١٢ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥ . وانظر كذلك ردة الفعل الإسلامية لاستعادة القدس في مخطوطة « المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » لنصر الدين العلمي ص ٣٩ ، ٤٠ .

الرسول ﷺ في المدينة ، والثالثة للمسجد الأقصى في القدس .

٢ ــ يؤكد أن الرسول ﷺ ، قد صلى ليلة المعراج في بيت المقدس ركعتين ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ، ولم يُصَلِّ في مكان غيره .

٣ ــ يرى أن العبادات المشروعة في المسجد الأقصى ، هي من جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي ﷺ ، وسائر المساجد ، إلا المسجد الحرام ، الذي يُشْـرَعُ فيه الطواف بالكعبة ، واستلام الركنين اليمانين ، وتقبيل الحجر الأسود ، وليس في الأرض مكان يطاف به كما يطاف بالكعبة ، ومن اعتقد أن الطواف بغير الكعبة مشروع ، فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة إلى غير الكعبة . وبعد تحويل القبلة إلى الكعبة ، فإن من يتخذ الصخرة قبلة يصلي إليها فهو كافر مرتدّ ، يُستتاب ، وإلا قُتِل .

٤ ــ من ساق إلى القدس غنما أو بقرا ليذبحها هناك ، واعتقد أن الأضحية فيها أفضل ، ومن حلق شعره فيها في العيد ، ومن سافر إليها ليقف بها عشيّة عرفة ، معتقدا أن هذا قربة إلى الله ، فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قُتل .

٥ ــ ما يذكره « بعض الجهّال » من أن هناك أثرَ قدم النبي ﷺ أو عمامته أو غير ذلك ، كُلُّهُ كذب .

٦ ــ ليس بيت المقدس مكان يُقصد للعبادة سوى المسجد الأقصى . ولكن إذا زار قبور الموتى فليسلم عليهم ويترحم عليهم .

٧ ــ ليس ببيت المقدس مكان يسمى حرما ، ولا بتربة الخليل ، ولا بغير ذلك من البقاع . والحرم الذي أجمع المسلمون عليه باتفاق هو حرم مكة فقط .

٨ ــ زيارة ببيت المقدس مشروعة في جميع الأوقات ، ولكن لا ينبغي أن تؤتى في الأوقات التي يقصدها « الضُّلّال » ، مثل وقت عيد النحر ، ليقفوا هناك ، والسفر إليه لأجل

الوقوف به ، مع الاعتقاد أن هذا قُرْبَة ، محرّمٌ بلا ريب . وقول القائل : قدّسْ حجّتَك ، باطل لا أصل له(٩٤) .

وواضح أن ابن تيميّة ، إنما أراد أن يجعل قداسة القدس في إطار ما أقرّته عقيدة الإسلام وشريعته حتى لا تساوى بمكة في قداستها وفي الطقوس التعبّديّة التي تؤدّى فيها . ولولا ما ذهب إليه هذا الفقيه من الأحكام الصارمة جدا في حق المتجاوزين ، لكان ما قاله في القدس ، هو ما يقوله كل مسلم ، إذ إنه لم يحاول أبدا الانتقاص من قداستها عند المسلمين ، وإنما أراد فقط دفع المسلمين عن تجاوز الحدود المشروعة في النظرة إليها .

***

إذا كنّا قد خلصنا من خلال الصفحات السابقة ، إلى أن الأسباب التي أعطاها عدد من الدارسين لتأخر الكتابة المتخصصة في فضائل القدس يتعذّر قبولها ، فإن كاتباً يهوديًّا أميركياً هو الآن أستاذ في جامعة برنستون ، لم يستطع هو الآخر أن يتقبّل كثيرا من هذه الفرضيات والتصورات ، بغض النظر عن علاقتها أو عدم علاقتها بتأخر الكتابة في فضائل القدس . فهذا الكاتب ، وهو س. د. جويتين S.D. Goitein ، الذي ألف كتابا عام ١٩٦٦ بعنوان : « دراسات في التاريخ الإسلامي والمؤسسات الإسلامية ، Studies in Islamic History and Institutions نفي أن يكون عبدالملك بن مروان قد حاول ببنائه قبة الصخرة أن يحوّل الحج من الكعبة إلى القدس ، وذلك انطلاقا من كون عبدالملك إنساناً مسلما ملتزما بشريعة الإسـلام . ونفى أن يكون استعمـال عبارة « الأرض المقـدسة » للدلالة على فلسطين استعمالا أمويّا حَرّكَتْهُ دوافع سياسية ، وأورد الآية القرآنية(٩٥) التي استعملت فيها هذه العبارة للدلالة على فلسطين ، وقال إن عروة بن الزبير قد استعمل في

---

(٩٤) انظر : « قاعدة في زيارة بيت المقدس » المنشورة في المجلة الأميركية . ,Journal of the American Society LVI, 1936, pp. 7-12 .

(٩٥) الآية هي : ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾ الآية ٢١ من سورة المائدة .

وقت مبكر عبارة « الأرض المقدسة » للدلالة على فلسطين ، وأن فلسطين قد قُدست لأنها كانت أرض النبـوّات ومنزل الوحي ، وأن الرسول ﷺ قد حثّ أصحابه على السكن في بلاد الشام ، التي تحتوي مدينة القدس ، وأن تحوّلَ بلاد الشام فيما بعد إلى أرض جهاد طيلة أحقابٍ متعاقبة ضد البيزنطيين ، كان سببا آخر في إضفاء القدسية عليها باعتبارها أرض مرابطة وجهاد . ثم ذكر أن الزاهد المعروف إبراهيم بن أدهم ، قد تُوُفي وهو في حملة كانت موجهـة ضد البيـزنطيـين[٩٦] وفي نهاية دراستـه هذه عن قـدسية القـدس وفلسطين ، يخلص إلى أن الكتابات الإسلامية الأولى تحتوى قدراً كبيراً منذ القرن الأول عن قداسة فلسطين والقدس وقبة الصخرة ، وأنه لا يمكن القبول بأن هذه الأقوال كانت نتيجةً للنزاع بين الأمويين وابن الزبير ، وأنه لا أساس للقول بـأن الصخرة قـد بنيتْ لتحويل الحـج إلى القدس ، وأنـه قد آن الأوان لاختفـاء هذه الأسـطورة الشيعية من الكتب ، وأن معارضة علماء المسلمين للإفراط في تقديس القدس وفلسطين وقبة الصخرة لم تكن ذات علاقة بأشياء سياسية طارئة ، بل كانت نابعة من حوافز دينية أصيلة[٩٧] .

وقبل ستة عشر عاماً من تأليف جويتين هذا الكتاب ، كان قد نشر مقالاً في مجلة الجمعية الشرقية الأميركية بعنوان « الخلفية التاريخية لبناء قبة الصخرة » "The Historical Background of the Erection of the Dome of the Rock" أورد فيه قسما كبيرا مما ورد في كتابه اللاحق ، ووصف فيه روايتي اليعقـوبي وابن البطريق عن دوافـع عبدالملك لبنـاء قبة الصخرة ، بأنه قد قصد منهما تشويه سمعـة الأمويـين ، ثم أورد روايات عن الـزهاد والصوفيين المسلمين ، الذي أظهروا تعلقا خاصا بمدينة القدس ، وقال إن جميع الزهاد القدماء تقريبا ، على الرغم من أن معظمهم من إيران وأقطار إسلامية أخرى ، مثـل سفيان الثوري ، وإبراهيم بن أدهم ، وبايزيد البسطامي ، وبشر الحافي ، كانـوا ممن زاروا القـدس . وقد سـار الغـزالي عـلى نهج هؤلاء ، فـأتى إلى القـدس واعتكف في الصخرة ، ثم قال عن زاهد فارسيّ من ذوي التقوى والصلاح ، أسماهُ الكزروني ، إنّه

---

(٩٦) انظر : Studies in Islamic History and Institions, pp. 138, 143, 146.

(٩٧) انظر : Studies in Islamic Histiory and Institutions, pp. 147- 148.

كان لا يأكل من الخبز إلا ما عمل من قمح القدس ، لأن الطعام ، كما كان يعتقد ، لم يكن حلالا إلا هناك[98] .

***

وفيما يلي ، اجتهادات كاتب هذه السطور في تعليل التأخير في تأليف الكتب المتخصصة عن فضائل القدس :

أول ما يخطر في الذهن أن من الجائز ألّا نكون حتى الآن قد عثرنا على مؤلّفات سبقت القرن الخامس الهجري في فضائل هذه المدينة ، إمّا لأن هذه المؤلفات قد ضاعت كلية عبر القرون المتلاحقة التي أعقبت تأليفها ، أو لأن بعضا منها موجود في مكان ما ولكن لم يُعْثَر عليه بعد . وبالنسبة إلى إمكانية الضياع المطلق لهذه الكتب أو الاختفاء المؤقت لها ، فإن لدينا أمثلة تثبت أن هذه الإمكانية قائمة بالفعل في إطار ما وقفنا عليه من معلومات .

فثمة مجموعة من الكتب تعرض مؤلفوها لفلسطين والقدس ، مما أُلِّف قبل القرن الخامس الهجري ، ومما أشرنا إليه سابقا تحت عنوان « كتب البواكير » ، وصلتنا أسماؤها فقط ، من خلال المؤلفات التي رصدت عناوين تلك الكتب وأسماء مؤلفيها ، دون أن تصلنا الكتب نفسها ، لأنها ضاعت ، أو لم تُكْتَشفْ بعد . ومن هذه الكتب :

١ ــ كتاب « فتوح بيت المقدس » لإسحاق بن بشر البخاري المتوفّى سنة ٢٠٦ هـ .
٢ ــ كتاب « من نزل فلسطين من الصحابة » ، لموسى بن سهل بن القادم الرملي المتوفّى سنة ٢٦١ هـ .
٣ ــ « أخبار بيت المقدس » لأحمد بن خلف السبحي (من رجال القرن الثالث ، أو القرن الرابع) .

(٩٨) انظر : Journal of the American Oriental Socity, Vol. Lxx, 1950,, pp. 105, 107, 108.

وكان من الممكن أن نضيف كتابا رابعا بعنوان : « وصف مكة شرّفها الله وعظمها ووصف المدينة الطيبة ، ووصف بيت المقدس المبارك وما حوله » لمحمد بن أبي بكر التلمساني من أهل القرن الرابع الهجري ، لولا أنّه ذكر مؤخّراً أن هذا الكتاب قد عُثر عليه في خزانة الإسكوريال ، بأسبانيا[٩٩] . وثمة كتب أخرى غير هذه التي ذكرت ، مما أُلِّف قبل القرن الخامس الهجري .

بل إن كتبا ألفت عن فضائل القدس في القرن الخامس الهجري وما بعده ، ماتزال مفقودة إلى الآن ، وبعض من هذه الكتب كان مفقودا إلى وقت قريب ، إلى أن عُثِر عليه مؤخرا فمن بين خمسة وأربعين عنوانا رُصدت لكتب في الفضائل التي أُلِّفتْ في القرن الخامس الهجري ، وما بعده ، ما يزال أربعة عشر كتابا منها ضائعاً ، مع أنها أُلفت في فترة متأخرة نسبيا إذا قيست بالكتب التي ألفت قبل القرن المذكور[١٠٠] .

وعندما نشر تشارلز ماثيوز كتاب « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » لابن الفركاح عام ١٩٣٤ ، ذكر أن كتاب أبي المعالي ، المشرف بن المرجّى المقدسي ، وهو بعنوان « فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام ، وفضائل الشام » ، لم يكن موجودا ، وأضاف : « ويبدو أن كتاب أبي المعالي قد ضاع كلية »[١٠١] ، في حين أن الكتاب قد وجد فيما بعد وهو من بين المخطوطات التي بين أيدينا الآن .

وبالمثل ، فإن كراتشكوفسكي ، المستشرق الروسي الذي نشر كتاباً قيما في أواسط هذا القرن عن الأدب الجغرافي العربي ، كان يعتقد أن مخطوطة « الروض المغرّس في فضائل البيت المقدس » ، لعبد الوهاب بن علي بن الحسين بن أحمد الحسيني غير موجودة ، مما دفعه إلى أن يأخذ معلوماته عنها من الاقتباسات التي أوردتها كتب الفضائل اللاحقة ، في حين أن هذه المخطوطة ، هي الأخرى بين أيدينا الآن .

---

(٩٩) انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ص ٢٦ .
(١٠٠) المصدر نفسه ، ص ٥ ، حيث يذكر المؤلف أن عدد الكتب التي ضاعت كليا أو جزئيا يبلغ ستة عشر كتاباً .
(١٠١) انظر : The Journal of the Palestine Oriental Studies Vol. XIV, 1934, p. 287.

ومما قد يكون سببا في تأخر الكتابة عن فضائل القدس بشكل تخصصي ، تأخر الكتابة الخاصة بتواريخ المدن في بلاد الشام بصورة عامة ، إذا قيست بالمدن الإسلامية في أقاليم أخرى . وقد يصعب إعطاء تفسير جازم لهذه الظاهرة ، إذ إن مايمكن الاستناد إليه في وصفها لافي تفسيرها ، هو مراجعة كتب التاريخ المحلي المبكّرة في الأقاليم الإسلامية ، وربط كل كتاب بالمدينة أو الإقليم الذي ألف عنها أو عنه . والجدير بـالذكـر أن هذه الظاهرة ، قد استرعت نظر مؤلّفٍ غربي ، كتب عن تاريخ المؤلفات التاريخية الإسلامية ، ذلك هو فرانز روزنتال ، الذي ذكر أن أبكر مؤلّفات التاريخ المحلي قد ظهرت في بلاد مابين النهرين ، لافي بلاد الشام ، مما يدل كما يقول هو ، على عدم تأثّر هذه المؤلفات بالمؤلفات المسيحية ـ يقصد المؤلفات المسيحية في بلاد الشام . وقد أعطى روزنتال بعد ذلك أمثلة على المؤلفات المبكرة في التواريخ المحلية في بلاد العـراق ومصر والحجـاز ، والمتأخرة نسبيا في بلاد الشام(١٠٢) .

والتفسير الثالث المحتمل لتأخر التأليف في فضائل القدس ، يمكن أن يكون ذا علاقة بما تفردت به القدس من خصائص وأوضاع لم تكن قائمة في مدن إسلامية أخرى . فإذا كانت مكة قد قُدّستْ بالكعبة قبل الإسلام ، ثم بالكعبة وبزوغ فجر الإسلام فيها ، وبحياة الرسول صلوات الله عليه بعد الإسلام ، وإذا كانت المدينة قد قُدّسَتْ بالرسول ومسجده والحياة الإسلامية الأولى فيها ، وإذا كانت البصرة والكوفة قد خططهما العرب المسلمون في وقت مبكر بعد الفتح ، مما يجعل هذه المدن وغيرها من أمثالها ، مـرتبطة بتاريخ العرب والإسلام بصورة خاصة ، فإن مدينة القدس كان لها تاريخ أكثر تعقيدا وتشابكا من غيرها من المدن . فقد تقلّبتْ على هذه المـدينة دول وحضـارات وعقائـد مختلفة ، كما رأت عبر تاريخها السابق للفتح الإسلامي ، واللاحق لهذا الفتح ، أنماطا مختلفة من السكان والأعراق واللغات والثقافات . وحتى بعد الفتح الإسلامي للمدينة ، لم يُحظَرْ على غير المسلمين من النصارى البقاء في المدينة المقدسة ، وممارسة حياتهم الخاصة بهم فيها ، بل إنه على الرغم من أنه اشتُرِط عدم بقاء اليهود فيها عند تسلم المسلمين لها ،

---

(١٠٢) انظر : A History of Muslim Histiriography, pp. 31-39.

كما جاء في نص العهدة العمريّة[١٠٣] ، فقد تسرب هؤلاء بعد الفتح العمري للعيش في القدس بسبب من تسامح المسلمين[١٠٤] . وهذا شمس الدين المقدسي ، وهو من رجال القرن الرابع الهجري ومن أشهرْ جغرافيي العرب في تلك الفترة ، وهو كذلك ابن بيت المقدس ، يحدثنا عن وجود النصارى واليهود في المدينة في زمنه[١٠٥] .

وهذا كله يعني أنه قد اجتمع للقدس من أوضاع متشابكة خاصة بها ، مالم يجتمع لأية مدينة من مدن الإسلام ، فهي مقدّسة لثلاث ديانات ، لا لديانة واحدة . وآخر هذه في تسلسل العقائد التاريخي - الإسلام - ينزل المدينة منزلة القداسة في إطار ما يدخل في تاريخ الإسلام ، وكذلك باعتبار أن الإسلام وريث الديانتين الأخريين السابقتين له ، وأن أنبياءهما موضع إجلال وقبول لدى المسلمين ، وأنّ ما صح من ارتباط بين هؤلاء الأنبياء والمدينة له حرمة وقداسة عند المسلمين . بل إنّ المسلمين أولى من غيرهم بهؤلاء الأنبياء وبما تركوه من آثار ، باعتبار أنهم حملوا رسالة السماء التي ورثها الإسلام وأكملَها .

ولعل هذه النظرة الإسلامية الأخيرة إلى المدينة المقدسة ، تفسر اهتمام كتاب « فضائل القدس » بتاريخ المدينة القديم السابق للعهد الإسلامي ، من أجل ذلك ، فإن كتب فضائل القدس ، ربما كانت شيئا يختلف بدرجات متفاوتة عن الكتب التي ألفت عن فضائل المدن الإسلامية الأخرى ، مما يستوجب عدم مقارنتها بتلك الكتب ، في منهجها ومادتها والغاية التي كُتبتْ من أجلها .

أما التفسير الرابع المحتمل لتأخر الكتابة في فضائل المدينة على نحو تخصصي ، فهو أن كتابات متفرقة كثيرة عنها قد وردت قبل القرن الخامس الهجري ، في أنماط مختلفة من الكتب ، سواء أكانت كتب تفسير وحديث أم كتب تاريخ وجغرافية ، أم كتب أدب ، أم

---

(١٠٣) انظر العهدة العمرية في مخطوطة « مفتاح المقاصد ومصباح المراصد » نسخة معهد التراث العربي بجامعة حلب ، ٦٤ ، ٦٣ .

(١٠٤) انظر Jersalem: Its Place in Islam and Arab History, P. 12

(١٠٥) انظر ماجاء في « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ، ط ليدن ١٩٦٧ ، ص ١٦٧ .

أيّما غط آخر من الكتب . والواقع أنه قلَّ أن كُتِبَ عن مدينة إسلامية في إطار أنماط مختلفة من الكتب التي ألفت قبل القرن الخامس ، مثلما كتب عن مدينة القدس .

وهنا ينبغي أن نستذكر أن التواريخ المحلية للمدن ، إنما كانت في الأصل انبثاقا عن التاريخ العام ، وأن كتب التاريخ القديمة ، بل الكتب العربية القديمة في الموضوعات المختلفة ، كان فيها نوع من الشمول لألوان المعارف ، نشأ عنه اختلاط مادة الأدب بالتاريخ والجغرافية والعلوم الإسلامية ، وغيرها من أنماط المعارف المختلفة . ولذا ، فإنه يمكن القول بكثير من الاطمئنان ، إنه ربما كان ما كتب عن القدس قبل القرن الخامس الهجري ، وهو مادة غزيرة في أنواع مختلفة من المؤلَّفات ، سببا أساسيا في تأخر الكتابة عنها في إطار فضائلها الخاصة بها دون غيرها .

وقد يتضح هذاالأمر بصورة ملموسة من خلال إيراد أسماء مجموعة من الكتب التي ألفت في فروع مختلفة من المعرفة ، ولكنها احتوت معلومات عن القدس ، وأوْلَت الحديث عنها اهتماما خاصا . والكتب المقصودة هنا ، هي بالطبع ، تلك التي أُلِّفت قبل القرن الخامس الهجري . فمن هذه الكتب :

١ ــ فتوح الشام للواقدي : المتوفّى سنة ٢٠٧ هـ ، ولذا فإنه يعد من مؤلفي القرن الثاني الهجري .
٢ ــ تاريخ واسط ، لبحشل الواسطي ، من رجال القرن الثالث الهجري .
٣ ــ تاريخ اليعقوبي ، المتوفّى سنة ٢٨٤ هـ .
٤ ــ جغرافية اليعقوبي نفسه ، أو كتاب البلدان .
٥ ــ فتوح البلدان ، للبلاذري من رجال القرن الثالث الهجري .
٦ ــ عيون الأخبار ، لابن قتيبة المتوفّى سنة ٢٧٦ هـ .
٧ ــ مختصر كتاب البلدان ، لابن الفقيه الهمذاني ، من رجال القرن الثالث الهجري .
٩ ــ تفسير القرآن للطبري ، المتوفّى سنة ٣١٠هـ .
١٠ ــ تاريخ الطبري : تاريخ الرسل والملوك .

١١ ــ العِقد الفريد ، لابن عبد ربه (٢٤٦ ـ ٣٢٨هـ) .
١٢ ــ نظم الجوهر ، والتاريخ المجموع على التحقيق والتصديق في معرفة التواريخ ، لابن البطريق المتوفي سنة ٣٢٨ هـ .
١٣ ــ المسالك والممالك ، لابن خرداذبه ، من رجال القرن الثالث الهجري .
١٤ ــ مروج الذهب للمسعودي ، من رجال القرن الرابع (ت ٣٤٦هـ) .
١٥ ــ مسالك الممالك ، للأصطخري ، من رجال القرن الرابع (ت ٣٤٦هـ) .
١٦ ــ كتاب صورة الأرض ، لأبي القاسم ابن حوقل النصيبي ، من رجال القرن الرابع .
١٧ ــ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، للمقدسي ، من رجال القرن الرابع (ت ٣٨٠هـ) .
١٨ ــ كتاب المسالك والممالك العزيزي ، للحسن بن أحمد المهلبي ، (ت ٣٨٠ هـ) .

هذا غير كتب الحديث الكثيرة التي احتوت معلومات عن القدس وفضائلها وكتب التفسير الأخرى ، غير تفسير الطبري ، التي كتب مؤلفوها عن القدس وفضائلها في معرض تفسيرهم لآيات من القرآن الكريم . ومعروف أنّ أحاديث فضائل القدس كانت شائعة بين الناس في وقت مبكّر ، وأنها كانت متداولة بين الناس منذ القرن الأول الهجري . وقد تفاوتتْ المواد التي وردت في هذه الكتب طولاً وقِصَراً ، وتركيزاً على ناحية معينة تتعلق بالقدس دون أخرى . وفيما يلي عرض موجز لبعض ماجاء في عدد محدود من هذه الكتب عن القدس :

تحدث المقدسي البشاري في « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » عن طقس المدينة وبنائها وأهلها وطيب العيش فيها ، ونظافة أسواقها وكبر مسجدها وكثرة عنبها وجودته ، ونوّه بحذق أهلها وذكائهم ، وفضّلها على جميع بلدان الدنيا من جميع النواحي ، باستثناء مكة والمدينة يقول : « وأمّا الفضل فلأنها عرضة القيامة ، ومنها المحشر وإليها المنشر ، وإنما فضلت مكة والمدينة بالكعبة وبالنبي ﷺ ومع ذلك فقد قال عن القدس ،ـوهي بَلَدُهُ ـ إلا أن لها عيوباً عدة . يقال إن في التوراة :« بيت المقدس

طشت ذهب ملء عقارب » والفنادق ضرائب ثقال ، ووصفها بأنها أصغر من مكة وأكبر من المدينة ، ولها ثمانية أبواب حديد . ثم وصف المسجد الأقصى بعد أن أعاد العباسيون بناءه إثْرَ زلزلةٍ ضربتْه . وفي إطار وصفه الدقيق للمسجد الأقصى ، بيّنَ أبعاده وقياساته ، وقال في وصف قبة الصخرة « وعلى الجملة لم أر في الإسلام ، ولا سمعت أن في الشرك ، مثل هذه القبة »(١٠٦) .

وقد تحدّث ابن الفقيه في كتاب « البلدان » عن الآيات القرآنية التي فسرها مقاتل بأنها ذات علاقة بالقدس ، وأورد بعض أحاديث منسوبة إلى الرسول ﷺ ذات علاقة بالقدس ، ومنها : « ستهاجرون هجرة إلى مهاجر إبراهيم » يعني بيت المقدس ، و « ومن صبر على لأوائها وشدتها رجاءَ الله ، يرزقه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه ويساره ، ومن فوقه ومن تحته » . ثم وصف قبة الصخرة والمسجد ، وتحدث عن تولية الوليد بن عبدالملك أخاه سليمان جند فلسطين(١٠٧) .

أما ابن قتيبة ، فإنه ركز في كتابه « عيون الأخبار » على أخبار أهل الكتاب وقصصهم المتعلقة بالقدس . فمن ذلك ما نقل عن وهب بن منبه ، قال : أوحى الله إلى نبيٍّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له « أرمياء » ، حين ظهرت فيهم المعاصي : أنْ قُمْ بين ظهراني قومِك ، فأخبرهم أن لهم قلوباً ولا يفقهون ، وأعيُناً ولا يبصرون ، وآذانا ولا يسمعون ، وأني تذكرت صلاح آبائهم ، فعطَفَني ذلك على أبنائهم . سَلْهُم كيف وجدوا غبَّ طاعتي ، وهل سَعِدَ أحدٌ من عصاني بمعصيتي ، وهل شقي أحد ممن أطاعني بطاعتي ؟! إن الدواب تذكر أوطانها فتنزع إليها ، وإنّ هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه آباءهم والتمسوا الكرامة من غيرها ، فيا ويل إيلياء وسكانها ! كيف أذلّلُهم للقتل ، وأسلّطُ عليهم السباء ، وأعيدُ بعد لَجَب الأعراس صراخ الهام ، وبعد صهيل

---

(١٠٦) انظر : « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ط ليدن ١٩٦٧ ص ١٦٥ ، ١٧١ .

(١٠٧) انظر : « كتاب البلدان » لأبي بكر بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه ، ليدن ١٩٦٧ ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

الخيل عواء الذئاب ، وبعد شرفات القصور مساكن السباع . . ولأبدّلَنّ نساءهم بالطيب التراب . . . ولأجعلنّ أجسادهم زِبْلاً للأرض ، وعظامهم ضاحية للشمس . . الخ[١٠٨] .

وأما أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد فهو الذي أورد حديث الزهري عن أنه سمع من فلان ـ دون أن يسميه ـ « أنه لم يرفع تلك الليلة التي صبيحتها قُتِلَ علي بن أبي طالب ، والحسين بن علي ، حجر في بيت المقدس ، إلا وجد تحته دم عبيط »[١٠٩] .

ويخصص ابن عبد ربه في كتابه المذكور صفحات عن صفة مسجد بيت المقدس وما به من آثار الأنبياء ، وفضائل بيت المقدس . ومما جاء في هذه الصفحات ، مقاييس أبعاد المسجد ، وعدة مافيه من القناديل والخشب والعمد ، ووصف الصخرة والقبة ، وما احتواه المسجد من مصاحف كبيرة ، وما كان يُخَصّص له من الزيت والحصر وفتائل القناديل وزجاجها .

يقول ابن عبد ربه في بعض مما أورده عن القدس : « بيت المقدس مربط البراق الذي ركبه النبي ﷺ . . وباب « حطة » التي ذكرها الله تعالى في قوله : « وقولوا حطّة » ، وهي قول لا إله إلا الله . . . وباب محمد ﷺ ، وباب التوبة ، وباب الرحمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه : ﴿ فضرب بينهم سور له باب . باطنُهُ فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ . . . وفيها محراب مريم ابنة عمران . . ومحراب زكريا والقبّة التي عرج النبي ﷺ منها إلى السماء ، والقبة التي صلى فيها النبي ﷺ بالنبيين . . ، وينصب الصراط ببيت المقدس . . . ورفع عيسى بن مريم عليه السلام إلى السماء من بيت المقدس . . .[١١٠] .

---

(١٠٨) « عيون الأخبار » ، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ط القاهرة ١٩٢٥ ج٢ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(١٠٩) انظر : « العقد الفريد » لابن عبد ربه ، ط القاهرة ١٩٤٠ ، ج ٥ ص ١٤٩ .

(١١٠) العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

هذه مجرّد أمثلة من عدد الكتب التي عرفناها ، والتي أوردت شيئا كثيرا أو قليلا عن القدس ، وهذه بخلاف الكتب التي عرفنا أسماءها دون أن تصلنا ، فلا يبعد والحالة هذه أن يرى أن محتويات هذه الكتب عن القدس وفضائلها ، قد أغنتْ ولـو لفترة مـا عن تخصيص كتب لفضائل المدينة ، هذا إذا كانت هذه الكتب المتخصصة لم تؤلَّفْ بالفعل لأول مرة إلا في الفترة التي كُتبتْ فيها المؤلفات التي وصلت إلينا من نتاج القرن الخامس الهجري .

الفصل الثاني

مخطوطات فضائل القدس منذ القرن الخامس الهجري

التعريف بالمخطوطات : المحقّق والمترجم . الموجود والمفقود :

إن عملاً إحصائيا لمخطوطات بيت المقدس منذ القرن الخامس الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري ، مع تعريف موجز بهذه المخطوطات ، وبيان أماكن وجود ما عُثِر عليه منها ، هو مما سبق إليه الدكتور كامل العسلي في كتابه : « فضائل بيت المقدس : دراسة وببليوغرافيا » . وقد أدرج الدكتور العسلي في كتابه أسماء خمسة وأربعين مؤلَّفا ألِّفَتْ بين القرنين المذكورين إلا أنّ من الممكن اختصار هذا العدد ، بأن نخرج منه مجموعة من العناوين المدرجة .

ومن هذه العناوين كتاب « الفتح القسيّ في الفتح القدسي » لأن كاتبه ، العماد الأصفهاني ، قد قصد منه شيئا غير إيراد فضائل القدس ، إذ إن الكتاب هو في الدرجة الأولى ، وصف منمّق لفتح القدس على يد صلاح الدين الأيوبي ، بعد الانتصار الكبير الذي أحرزه صلاح الدين على الصليبيين في معركة حطين عام ٥٨٣ هـ . وما جاء فيه بعد ذلك عن فضائل القدس ، إنما كان شيئا اقتضته ظروف الفتح ونشوة النصر وطبيعة الأحداث وتعاقبها ، ولم يكن شيئا مقصودا لذاته ، وقد أوضح الدكتور العسلي ذلك حين عرض لهذا الكتاب[١] .

(١) « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ص ٤١ .

وبما يمكن إخراجه من القائمة كذلـك ، تلك الكتب التي لا ينطبق عليهـا اسم مخطوطة في المفهوم المتعارف عليه ، إذ هي كتب حديثة ، ألفت خلال هـذا القرن ، وطُبعت بعد تأليفها ، دون أن تدخل في حيّز المخطوطات القديمة التي تُحفَظ في المكتبات بخط مؤلفيها أو بخط النُسّاخ ، إلى أن تحقق وتنشر . ومن هذه :

١ ــ « روضة الأنس في فضائل الخليل والقدس » ، تأليف عارف الشريف ، إذ إنّ هذا الكتاب قد طُبع في القدس عام ١٩٤٦ ، في مطبعة اللواء التجارية .

٢ ــ كتاب « مناسك القدس الشريف » ، تأليف إبراهيم حسن الأنصاري ، وقد طبع أيضا في مطبعة اللواء التجارية في القدس عام ١٩٤٦ .

٣ ــ وإذا أردنا أن نقصر مخطوطات القدس على ما كتب بالعربية ، فإن ذلك يعطي مجالا لإخراج عنوان آخر من قائمة المخطوطات هو « فضائل قدس شريف » ، تأليف محمد يحيى أفندي ، المتوفّى عام ١٠١٠ هـ ، وهو كتاب من ثلاثة كتب ألفها هذا العالم التركي باللغة التركية . وأما الكتابان الآخران اللذان ألّفهما فهما : « فضائل مدينة منوّرة » و « فضائل مكّة مكرّمة »(٢) .

وحين صنّف كاتب هذه السطور ، قبل إخراج العناوين المذكورة آنفا من القائمة ، المخطوطات المضمنة في كتاب الدكتور العسلي عن القدس منذ القرن الخامس الهجري ، وجد أن عشرة من هذه الكتب قد طبعت ونشرت بعد أن حققت نصوصها ، وأن ثلاثة كتب منها قد حققت بصورة جزئية ، في حين أن ثمة خمسة عشر كتابا لم تحقق على الرغم من وجودها في مكتبات مختلفة ، وأنّ ثلاثة كتب منها موجـودة بصورة جـزئية ، إذ إنّ صفحاتها ناقصة ، وأما الكتب الأربعة عشر الباقية ، فإنها مفقـودة حتى الآن ، ولعل بعضاً منها على الأقلّ يُعثِر عليه في المستقبل .

---

(٢) انظر في هذه الكتب : مخطوطات فضائل بيت المقدس ص ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

أما الكتب التي حققت وطبعت ، فهي :

١ ــ «فضائل البيت المقـدس » ، أو فضائـل بيت المقدس ، لأبي بكـر محمد بن أحمـد الواسطي ، أقدم كتاب مستقل عن فضائل القدس وصل إلينا ،وقد حقق الكتاب ونشره بعنوان « فضائل البيت المقدّس » ، إسحاق حسون ، من معهد الدراسات الآسيويّة والإفريقية في الجـامعة العبـرية بـالقدس سنـة ١٩٧٩ . وقد استـطعت الحصول على نسخة من الكتاب ، وهو يقع في مئة صفحة وصفحة على الرغم من أن صفحات المخطوط الأصلي لا تزيد على ٢٦ صفحة .

٢ ــ « فضائل الشام وفضل دمشق » لأبي الحسن علي بن محمد الربعي المتوفّى بدمشق سنة ٤٤٤ هـ . وقد احتوى الكتاب مادة عن فضائل القدس ، باعتبار أن المدينة ، بل فلسطين كلها ، إنما هي جزء من بلاد الشام . وهذه النظرة الشمولية إلى بلاد الشام الكبيرة ، واضحة جدا في كتب فضائل القدس ، إذ إنّ معظمها يتحدث عن فضائل مدن أخرى غير القدس تقع في الشام . وقد حقق الكتاب ونشره صلاح الـدين المنجِّد ، وطبع الكتاب في دمشق سنة ١٩٥٠ .

٣ ــ « فضائل القدس » تأليف أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي ، المؤلف المشهور في ميادين مختلفة من العلوم ، وقد ولد سنة ٥٠٨ أو ٥١٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٩٧ هـ ، وحقق الكتاب ونشره في بيروت سنة ١٩٧٩ ، الدكتور جبرائيل جبور ، واعتمد في تحقيق الكتاب على مخطوطة في مكتبة جامعة برنستون ، وقد حصلتُ على الكتاب المحقق ، وأُتيحت لي فرصة دراسته .

٤ ــ « الفتح القسي في الفتح القدسي » لعماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني المولود سنة ٥١٩ هـ والمتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، وقد حقق الجـزء الأول من الكتاب كارلودي لاندبرج Carlo de Landberg وطُبع في ليدن سنة ١٨٨٨ م ، ثم طبع عدة مرات في القاهرة ، كانت الأولى والثانية سنتي ١٣٢١ هـ و ١٣٢٢ هـ ، وكـانت

الثالثة وهي بتحقيق محمد محمود صبيح وشرحه وتقديمه سنة ١٩٦٥[٣] .

٥ ـ « باعث النفوس إلى زيارة القدسْ المحروس » ، تأليف برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم ابن عبدالرحمن بن إبراهيم الفزاري البدري ، الملقب بابن الفركاح ، المولود سنة ٦٦٠ هـ ، والمتوفى سنة ٧٢٦ هـ . حقق الكتاب تشارلز د . ماثيوز Charles D. Matthews ، ونشره في « مجلة الدراسات الشرقية الفلسطينية » ، المجلد ١٤ عام ١٩٣٤ والمجلد ١٥ عام ١٩٣٥ واسم المجلة بالإنجليزية The Journal of the Palestine Oriental Studies, Vol. XIV, 1934 and Vol. Xv, 1935. وقامت بنشره الجمعية الشرقية الفلسطينية The Palestine Oriental Society .

وكانت قد مُنِحتْ درجة دكتوراه حول هذا الكتاب في جامعة ييل Yale الأميركية عام ١٩٣٢ بعد أن نُشِر نصه العربي باعتباره أطروحة دكتوراه عام ١٩٣٠ ـ ١٩٣١[٤] ، وكتب الناشر مقدمة بالإنجليزية للنص العربي الذي نشرته المجلة . وقد اطلعت على الكتاب المنشور في عددي المجلة المذكورة ، وأتيحت لي دراسته .

وقد ذكر ماثيوز في بحث له نشر عام ١٩٤٣ بعنوان : « فلسطين الأرض الإسلامية المقدسة Palestine: Mohammedan Holy Land الذي نشر في مجلة العالم الإسلامي : The Moslem World أنه عمل على ترجمة الكتاب المذكور إلى الإنجليزية بعنوان : The Book of Arousing Arousing Souls to Visit Jerusalem Holy Walls, وقد اطلعت على البحث في المجلة المذكورة في مكتبة جامعة برنستون ، واعتمد ماثيوز بصورة أساسية على مخطوطة للكتاب في مجموع لاندبرغ للمخطوطات العربية في جامعة ييل ، وكانت الجامعة المذكورة قد حصلت على المخطوطة عام ١٩٠٠[٥] .

---

(٣) انظر مخطوطات فضائل بيت المقدس ص ٤١ ـ ٤٢ .

(٤) انظر : The Moslem World Vol. XXXIII, No. 4, Oct. 1943, P. 243

(٥) انظر : The MOslem World, Vol. XXXIII, Oct. 1943, pp. 239-240

وقد نشرت جامعة ييل Yale عام ١٩٤٩ الترجمة الإنجليزية في سلسلة الدراسات الشرقية Yale Oriental Series, Vol. XXIV, New Haven 1949 ويقول الدكتور العسلي إن الكتاب بنصه العربي ، قد نشر كذلك منفردا في مُسْتلّ من المجلة المذكورة بمطبعة دار الأيتام السورية في القدس عام ١٩٣٥(٦) .

٦ ــ « إعلام الساجد بأحكام المساجد » تأليف محمد بن عبدالله الزركشي المولود في مصر سنة ٧٤٥ ، والمتوفى فيها سنة ٧٩٤ هـ . وقد حقق الكتاب ونشره الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي ، وطبع في القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ ، ويقع في ٤٠٨ صفحات(٧) .

ووصف كراتشكوفسكي الزركشي ، بأنه فقيه كبير ، وألمح إلى أصوله التركية حين ذكر اسمه كاملاً : محمد بن بهادور التركي المصري الزركشي ، ونسب إليه مؤلفات فقهية عديدة(٨) .

وقد حرّف لي سترانج Guy Le Strange اسم الكتاب تحريفا شديدا في بحثه الذي نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عام ١٨٨٧ تحت عنوان "Description of the Noble Sanctuary at Jerusalem in 1470 A.D." إذ سمّاه « الإسلام الساجد »(٩) .

٧ ــ « مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام » . تأليف تاج الدين إسحاق بن الخطيب برهان الدين بن أحمد بن محمد بن كامل التدمري الشافعي ، خطيب مقام الخليل ، المتوفى في مدينة الخليل سنة ٨٣٣ هـ(١٠) .

وقد نشر تشارلز ماثيوس الأميركي هذا الكتاب ، بعد أن حققه ، مثلما نشر من قبل

---

(٦) مخطوطات فضائل بيت المقدس ، ص ٦٥
(٧) المصدر نفسه ص ٧٨ .
(٨) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج٢ ص ٥١٢ .
(٩) انظر : The Journal of The Royal Asiatic Society, Vol. XIX, 1887, P. 253.
(١٠) انظر : مخطوطات فضائل بيت المقدس ص ٨٢ .

« باعث النفوس » ، في مجلة الجمعية الشرقية الفلسطينية The Journal of The Palestine Oriental Society في عدديها الصادرين عام ١٩٣٦ وعام ١٩٣٧ ، وهما العدد السادس عشر Vol. XVI, No 4 والعدد السابع عشر[١١] Vol. XVII No.1.وكما ترجم ماثيوز كتاب « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » إلى الإنجليزية ، فقد ترجم كذلك كتاب « مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام » إلى الإنجليزيـة بعنوان : "The Book of Inciting Desire to Visit Abraham the Friend of Allah"وكانت نسخته الرئيسية من المخطوطات التي اعتمد عليها في نشر الكتاب وترجمته ، هي الأخـرى من مجموع لاندبرغ للمخطوطات العربية في جامعة ييل[١٢] .

ولاشك أن كراتشكـوفسكي لم يكن حين ألف كتـابه عـلى بينة من وجـود عدة مخطوطات لهذا الكتاب في مكتبات مختلفة ، ولم يكن بالطبع حين كتب مادة كتابة يعلم أن هذا الكتاب الذي ألف سنة ٨١٤ هـ كما ذكر ذلك كراتشكوفسكي نفسه قد قدر له أن يُنشر ويترجَم . فهو يقول عنه إن مخطوطاته نادرة للغاية في أوروبا ، ولذا فإن استعمال العلماء الأوروبيين له قد اقتصر على الشذور المتفرقة التي نقلهـا عنه المؤلفـون التالـون له[١٣] .

هذا وقد ترجم لي سترانج أجزاء منهذا الكتاب في كتابه PalestineUnder the Moslems ، وترجم كذلك شيئا من مادة الكتاب نفسه ، وبخاصة قصة زيارة التدمري لقبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، في بحث له نشر في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية عام ١٨٨٧[١٤] .

٨ ـ كتاب « الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » ، تأليف عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العليمي المقدسي الحنبلي ، أبو اليُمْن ، مجير الدين ، المولود في القدس عام ٨٦٠ هـ والمتوفّى فيها بين سنتي ٩٢٧ و ٩٢٨ هـ .

---

(١١) انظر : The Moslem World: Vol. XXXIII, No. 4, Oct 1943, p. 243

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ Ibid: pp. 239, 240 .

(١٣) انظر : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج٢ ، ص ٥١٣ .

(١٤) انظر : Journal of the Royal Asiatic Society, Vol XIX, 1887, p. 252.

طبع هذا الكتاب في مصر ، منذ أكثر من قرن ، إذ إنه طبع في دار المطبعة الوهبية عام ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م ، ثم طبع في النجف بالعراق سنة ١٩٦٨ م ، ثم صوّر في عمان سنة ١٩٧٣ م ، والكتاب شائع في أيدي الناس منذ مدة طويلة ، ولدى كاتب هذه السطور نسخة منه مصورة عن الطبعة الأولى ، وواضح أن الذين طبعوا الكتاب ، لم يسيروا في تحقيقه على النهج العلمي الدقيق في التحقيق(١٥) . وقد ترجم الكتاب باختصار ، عام ١٧٨٦ ، العالم الفرنسي سوفير H.Sauvaire تحت عنوان "Histoire de Jerusalem et de Hebron"(١٦) .

٩ ــ « روضة الأنس في فضائل الخليل والقدس » ، تأليف عارف بن عبدالرحمن الشريف المولود في الخليل سنة ١٢٨٩ هـ ، والمتوفّى في القاهرة سنة ١٣٨٣ هـ وقد طبع الكتاب في القدس سنة ١٩٤٦ في مطبعة اللواء التجارية ، ولذا فإن عَدّهُ من المخطوطات ، هو من قبيل التجوز والتسمّح .

١٠ ــ « مناسك القدس الشريف » تأليف إبراهيم حسن الأنصاري ، عام ١٩٠٦ ، وقد طبع كذلك في مطبعة اللواء التجارية في القدس عام ١٩٤٦(١٧) .

أما الكتب الثلاثة التي حققت بصورة جزئية جداً ونشر ما حقق منها فهي :

١ ــ « كتاب مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، لشهاب الدين أبي محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال بن تميم بن سرور المقدسي الشافعي ، المتوفّى سنة ٧٦٥ هـ ، والجزء المحقق منه ، هو الفصل الأخير من فصوله ، وقد حققه ونشره المرحوم أحمد سامح الخالدي ، وطبع هذا الجزء من الكتاب ، في المطبعة العصرية بيافا في فلسطين عام ١٩٤٦ ، وقد حصلت على هذا الجزء المطبوع ودرستُهُ ، وثمة

---

(١٥) انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ص ١٠٥ .

(١٦) انظر : « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ، ج ٢ ، ص ٥١٦ .

(١٧) في هذين الكتابين الأخيرين ، انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

مآخذ على تحقيقه وما عليه من تعليقات ، ليس هذا هو مكان الحديث عنها . وعلى أي حال ، فإن للمرحوم الخالدي الذي اعتمد في تحقيق مادته على نسخة المكتبة الخالدية في القدس ، فضل الاهتمام المبكر بهذا النوع من المخطوطات في عالمنا العربي في وقت لم يهتم أصحابها العرب بها ، واهتم بها الآخرون من خارج العالم العربي .

هذا وقد جاء في البحث الذي نشره جاي لي سترانج Guy Le Strange في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية عام ١٨٨٧ ، أنّه نشر النص العربي لمواد انتقاها من مخطوطة « المثير » ، والجزء الأول من هذه المواد ، هي من الفصل الخامس من المخطوطة ، وتقع بين صفحتي ٢٩٧ , ٣٠٢ في المجلة ، في حين أن الجزء الثاني من هذه المواد العربية ، تقع بين صفحتي ٣٠٣ , ٣٠٥ من المجلة[١٨] . وقد ترجم هذا المستشرق البريطاني كذلك بعد ثلاث سنوات من نشره بحثه في المجلة المذكورة ، مقتطفات طويلة من « مثير الغرام » في كتابه « فلسطين تحت حكم المسلمين » Palestine Under the Moslems الذي صدر لأول مرة في بريطانيا سنة ١٨٩٠ . والجدير بالذكر أن المستشرق الروسي مدنيكوف قد اعتمد في وضع ترجماته الروسية عن هذا الكتاب ، على المقتطفات التي نشرها لي سترانج ، وذلك في الكتاب الذي ألفه عن تاريخ فلسطين ، منذ الفتح الإسلامي ، حتى الحروب الصليبية[١٩]، والذي توجد نسخة منه على الميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية ، وهي باللغة الروسية طبعاً . ويقول كراتشكوفسكي ، إن ترجمات مدنيكوف لهذه المقتطفات تقدم فكرة واضحة عن القسم الثاني من الكتاب ، بإيرادها قطعا مهمة من الفصول الخامس والسادس والسابع[٢٠] .

٢ ــ « إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة وإلى البيت العتيق » ، لمحمد بن إسحاق الخوارزمي ، شمس الدين الحنفي ، المتوفّى سنة ٨٢٧ هـ في مكة المكرمة ،

(١٨) انظر : The Journal of the Roual Asiatic Society, Vol. XIX, 1887, pp. 297-302, 303-305.

(١٩) انظر : تاريخ الأدب الجغرافي العربي : ص ٥١١ ، ٥١٢ .

(٢٠) انظر « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ج ٢ ، ص ٥١٢ .

وقد اختصر الكتاب محمد بن أحمد الزملكاني الأنصاري الشافعي في سنة ٨٣١ هـ بمدينة زبيد ، ويذكر الدكتور العسلي أن « مختصر إثارة الترغيب » مطبوع[٢١] ، ولكنني لم أطلع على هذا المختصر المطبوع ، وإنما رأيت ، كما رأى العسلي قبلي ، أن خير الدين الزركلي قد ذكر في كتابه الأعلام ، أن هذا المختصر مطبوع[٢٢] .

٣ ـ « إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى » ، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن عبدالخالق المنهاجي السيوطي المتوفى سنة ٨٨٠ هـ ، أو ما بعد هذه السنة[٢٣] . وينقل كامل العسلي عن بروكلمان أن المستشرق الدانماركي لمنغ Lemming ، طبع نبذا من الكتاب ، ولاسيما فيما يتعلق بوصف المسجد الأقصى ، مع شروح ودراسة باللغة اللاتينية ، في مدينة كوبنهاجن سنة ١٨١٧[٢٤] . وهذا في الواقع هو ما جعلني أضع هذا الكتاب في نطاق الكتب الثلاثة التي طبعت جزئيا .

ويؤيد المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ، ما نقل عن بروكلمان بهذا الشأن ، ويحدد المادة التي نشرها لمنغ Lemming بأنها الفصل العاشر من كتاب « إتحاف الأخِصّا » . والجدير بالذكر أن القس الإنجليزي جيمس رينولدز James Reynolds قد نشر في لندن عام ١٨٣٦ ترجمة انجليزية لكتاب الإتحاف هذا ، ولكنَ مستشرقا إنجليزيا آخر من مستشرقي القرن التاسع عشر ، هوجاي لي سترانج Guy Le Strange هاجم هذه الترجمة بعنف مغطّىً بمسحة تأدّب ، في بحث له نشره في مجلة الجمعية الأسيوية الملكية عام ١٨٨٧ ، واتهم المترجم بجهله الشديد باللغة العربية ، وبارتكاب أخطاء فاحشة في

---

(٢١) « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، ص ٨٢ .

(٢٢) انظر كتاب « الأعلام » ط بيروت (دار العلم للملايين) ، ١٩٧٩ جـ ٦ ص ٣٠ .

(٢٣) انظر في تاريخ وفاته : « الأعلام » ج ٦ ص ٢٣١ حيث حدد تاريخ وفاة السيوطي بعام ٨٨٠ هـ و « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ج ٢ ص ٥١٤ حيث يوحي المؤلف بأن الوفاة كانت بعد سنة ٨٨٠ هـ .

(٢٤) « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، ص ٩٨ . وقد أطلعت كذلك على المصدر الأصلي ـ كتاب بروكلمان ـ الذي نقل عنه الدكتور العسلي .

الترجمة ، حتى إن كل صفحة من صفحات ترجمته ، كانت تحتاج إلى تغيير كبير كما قال ، ثم ذكر سترانج ، وهو يعلّق على هذه الترجمة ، بأنه سوف يكتفي بترجمة عناوين الفصول السبعة عشر التي يحتويها كتاب الإتحاف ، مع ترجمة النصوص التي لها أهمية خاصة من الناحيتين الأثرية والمعمارية ، من أجل إلقاء ضوء على مواقع الأماكن المقدسة . وقد أخذ سترانج على رينولدز كذلك ، أنه نسب الكتاب إلى جلال الدين السيوطي ، مع أن جلال الدين السيوطي شخصية مرموقة ومعروفة جدا ، ومن الصعب أن يخلط بينه وبين مؤلف كتاب «الإتحاف» ، شمس الدين السيوطي(٢٥) .

وإذا كنا لا نعرف أبدا أن كتاب السيوطي هذا قد نشر كاملا في أيّ مكان ، فإننا نفاجأ حين نقرأ ما كتبه إيمانويل سيفان في مجلة الدراسات الشرقية الإسرائيلية ، إذ يقول بعد أن ذكر أن إسحاق حسون يعمل على نشر كتاب الخطيب أبي بكر الواسطي ، إنه هو يعمل على نشر كتاب « إتحاف الأخصّا »(٢٦) غير أن الأمر في حدود ما نعرف ، لم يتعد هذا القول .

وأما المخطوطات الخمس عشرة التي عثر على نسخ منها ولكنها لم تحقق وتنشر حتى الآن فهي :

١ ــ « فضائل البيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام » لأبي المعالي المشرّف بن المرجّى من إبراهيم المقدسي ، من رجال القرن الخامس الهجري .

٢ ــ « مفتاح المقاصد ، ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس » ، لعبدالرحيم بن علي ابن شيت القرشي ، المتوفى سنة ٦٢٥ هـ .

٣ ــ « فضائل بيت المقدس ، وفضائل الشام فيها » لشمس الدين محمد بن محمد بن حسين الكنجي ، المتوفى سنة ٦٨٢ هـ .

---

(٢٥) انظر : Journal of the Royal Asiatic Society, Vol. XIX, 1887, pp. 247, 248.

(٢٦) انظر : Israel Oriental Studies, 1971, p. 265.

٤ ــ «كتاب فيه فضائل بيت المقدس ، وفضائل الشام » لأبي إسحاق إبراهيم بن يحيى بن أبي الحفاظ المكناسي ، من رجال القرن السابع الهجري .

٥ ــ « فضائل الشام ، وفضائل مدنها وبيت المقدس وعسقلان وغزة والرملة ، وأريحا ونابلس وبيسان ودمشق وحمص ، وذكر الأنبياء المشهورين فيها ، وذكر الصحابة المدفونين فيها » ، لمؤلف مجهول .

٦ ــ « تحصيل الأنس لزائر القدس » ، لعبدالله بن هشام المتوفى سنة ٧٦١ هـ .

٧ ــ « تسهيل المقاصد لزوار المساجد » لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن عماد الدين بن محمد الأقفهسي بن العماد المصري الشافعي ، المتوفى سنة ٨٠٨ هـ .

٨ ــ « الروض المغرّس في فضائل البيت المقدّس » ، لتاج الدين أبي النصر عبدالوهاب بن علي بن الحسين بن أحمد الحسيني الشافعي ، المتوفّى سنة ٨٧٥ هـ .

٩ ــ المستقصى في فضل الزيارة للمسجد الأقصى » ، لنصر الدين الحلبي الرومي المتوفّى سنة ٩٤٨ هـ .

وقد توحي عبارة لإيمانويل « سيفان » ، وردت في مقالة في مجلة « الدراسات الشرقية الإسرائيلية Israel Oriental Studies أن هذا الكتاب قد نشره أشتور E.Ashtor في مجلة تربيز Tarbiz العبرية عام ١٩٦١[٢٧] . غير أنني رجعت إلى هذه المجلة في مكتبة جونز بجامعة برنستون Jones Library ، فوجدت أن العبارة مضللة وأن اشتور لم ينشر الكتاب . ففي الملخص الذي كُتب بالإنجليزية لمقالة اشتور في المجلة المذكورة ، ذكرت معلومات مختصرة عن الكتاب ، منها عنوانه الكامل : المستقصى في فضل الزيارة للمسجد الأقصى » ، واسم المؤلف الكامل : نصرالدين محمد بن خضر الحلبي القاضي

---

(٢٧) Israel Oriental Studies, 1971, p. 263.

في المدينة المنورة في أواسط القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) ، ووصف سريع جدا لمادة الكتاب[٢٨] .

أما النص العبري الذي يكوّن المقالة كاملة ، ويقع بين صفحتي ٢٠٩ و ٢١٤ من عدد المجلة[٢٩] ، فقد ذكر لي من استعنت بهم ممن يعرفون اللغة العبريّة في جامعة برنستون ، أنه مجرّد دراسة عن الكتاب باللغة العبرية .

هذا وقد كان العدد الذي نشرت فيه المقالة بالعبرية مع الملخص الإنجليزي هو العدد (٣٠) الصادر في كانون الأول ١٩٦٠ ، وليس الذي صدر عام ١٩٦١ كما ذكر سيفان .

١٠ ــ « المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » ، لنصر الدين محمد بن محمد العلمي الحنفي القدسي من رجال القرن العاشر[٣٠] .

١١ ــ « فضائل قدس شريف » لمحمد يحيى أفندي المتوفى سنة ١٠١٠ هـ ، وهو بالتركية .

١٢ ــ تاريخ بناء البيت المقدس ، لمحمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي المقدسي من علماء بيت المقدس المتوفى سنة ١١٤٧ هـ .

١٣ ــ « لطائف أنس الجليل في تحايف القدس والخليل » ، لمصطفى أسعد اللقيمي الدّمياطي المولود في دمياط سنة ١١٠٥ هـ ، والمتوفى بدمشق سنة ١١٧٣ هـ

١٤ ــ « حسن الاستقصا لما صح وثبت في المسجد الأقصى » لمحمد بن محمد التافلاتي الأزهري الخلوتي المولود في المغرب ، والمتوفى في القدس سنة ١١٩١ هـ .

---

(٢٨) انظر : TARBIZ: A quarterly for Jewish studies, Vol. XXX, December, 1960, pp. VII, VIII.

(٢٩) المصدر نفسه ص ٢٠٩ ، ٢١٤ .

(٣٠) انظر : « هدية العارفين : أسماء المؤلفين والمصنفين » ، مجلد ٢ ص ٢٤٠ .

١٥ ــ « رسالة في فضائل مكة والمدينة والقدس والخليل » ، مؤلفها مجهول[٣١] .

***

وأما الكتب الثلاثة التي توجد مخطوطاتها في بعض المكتبات بصورة جزئية ، ولم تحقق أو تنشر ، فهي :

١ ــ « الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » ، للقاسم بن علي بن الحسين بن هبة الله ، أبي محمد بن عساكر ، بهاء الدين الشافعي ، المولود سنة ٥٢٧ هـ والمتوفى سنة ٦٠٠ هـ . ولم يستيقن صاحب « مخطوطات فضائل بيت المقدس » من وجود نسخة كاملة من الكتاب ، ولكنه مستيقن من وجود قطعة صغيرة فقط من المخطوطة في مكتبة الأزهر الشريف ، وهي في عشر ورقات .

٢ ــ « فضيلة المسجد الأقصى » ، ومؤلفه مجهول ، وهو مخطوطة ناقصة ، حصلت عليها مكتبة جامعة ليدن من إندونيسيا .

٣ ــ فصل من كتاب في « صفة بيت المقدس » ، مؤلفه مجهول ، والقطعة الباقية من المخطوط ، موجودة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد[٣٢] .

بقيت المخطوطات المفقودة الأربع عشرة التي لم يُعثر حتى الآن عليها وهي :

١ ــ « كتاب في فضائل بيت المقدس » ؟ لأبي القاسم مكي بن عبدالسلام الرميلي المقدسي المحدِّث ، المولود سنة ٤٣٢ هـ ، والذي قتله الصليبيون بعد احتلالهم القدس سنة ٤٩٢ هـ ، وقد ذهب الكتاب قبل تمامه مع مؤلفه الشهيد .

---

(٣١) انظر حول أسماء هذه المخطوطات ومؤلفيها وأماكن وجودها ، ومعلومات مختصرة عنها كتاب مخطوطات فضائل بيت المقدس « لكامل العسلي ، الصفحات ٣٤ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٤ .

(٣٢) انظر في هذه المخطوطات الثلاث الناقصة كتاب « فضائل بيت المقدس » ص ٤٨ و ص ١٢٤ .

٢ ـ « فضائل بيت المقدس » ، للحسن بن هبة الله أبي العظائم ابن محفوظ بن صصري الرّبعي التغلبّي الدمشقيّ أبي المواهب المولود سنة ٥٣٧ هـ والمتوفى سنة ٥٨٦ هـ .

٣ ـ « الأنس في فضائل القدس » ، للقاضي أمين الدين أحمد بن محمد بن الحسين بن هبة الله الشافعي من رجال القرن السابع ، المولود سنة ٥٤٢ هـ ، والمتوفى سنة ٦١٠ هـ .

٤ ـ « روضة الأولياء في مسجد إيلياء » لمحمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن بن النجار ، الملقب بمحب الدين ، البغدادي الشافعي ، المولود في بغداد سنة ٥٧٨ هـ ، والمتوفى فيها سنة ٦٤٣ هـ .

٥ ـ « فضل بيت المقدس » ، لأبي سعد ، عبدالله بن الحسن بن نظام الدين بن عساكر ، المولود في دمشق سنة ٦٠٠ هـ ، والمتوفى فيها سنة ٦٤٥ هـ .

٦ ـ « سلسلة العَسْجَد في صفة الأقصى والمسجد » ، لتاج الدين أحمد بن الوزير ، أمين الدين أبي محمد ، عبدار الحنفي ، المتوفى سنة ٧٥٥ هـ .

٧ ـ « مسائل الأنس في تهذيب الوارد في فضائل القدس » ، لصلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي المولود في دمشق سنة ٦٩٤ هـ والمتوفى في القدس سنة ٧٦١ هـ .

٨ ـ « تاريخ القدس » ، لمحمد بن محمود بن إسحاق المقدسي المتوفى سنة ٧٧٦ هـ .

٩ ـ « تجريد من نزل بيت المقدس » لأبي بكر بن محب الدين (الحافظ محمد بن عبدالله) ، المولود سنة ٧١٢ أو ٧١٣ هـ ، والمتوفى سنة ٧٨٩ هـ .

١٠ ـ « فضائل بيت المقدس » ، لعز الدين ، حمزة بن أحمد بن علي الحسيني الدمشقي المولود في دمشق سنة ٨١٨ هـ ، والمتوفى في القدس سنة ٨٧٤ هـ .

١١ ـ « فضائل بيت المقدس » ، لمحمد بن علي بن طولون الصالحي الدمشقي ، المولود

سنة ٨٩٠ هـ والمتوفى في دمشق سنة ٩٥٣ هـ .

١٢ ـ « فضائل مكة والمدينة وبيت المقدس ، وشيء من تاريخها » ، لأحمد بن محمد بن سلامة أبي العباس ، شهاب الدين القليوبي ، المتوفى في مصر سنة ١٠٦٩ هـ

١٣ ـ « مناسك القدس الشريف » ليوسف ضياء الدين الدنف الأنصاري .

١٤ ـ « المرشد للزائر والدليل ، في مناسك وزيارة أماكن القدس والخليل » للحاج مصطفى الأنصاري[٣٣] .

الدراسات التي دارت حولها

في الصفحات الماضية من هذا الفصل ، حاولنا أن نعرّف من خلال تصنيفات معينة ، بالكتب التي ألفت في فضائل القدس ، مع الوقوف بصورة خاصة على ما أُجرِيَ على بعض هذه المخطوطات من أعمال التحقيق والنشر والترجمة ، وقد كانت اللغات التي ترجمت إليها بعض المخطوطات كليا أو جزئيا ، لغات أوروبية .

وفي هذه الصفحات ، نود أن نلقي ضوءا على ماقام به عدد من الدارسين والباحثين في إطار دراستهم لهذه المخطوطات ، سواء أكانت الدراسة ذات صيغة عامة ، تتناول هذه المخطوطات باعتبارها نمطا معينا من المؤلفات ، أم ذات صيغة محدّدة ، تتناول كتابا أو مجموعة كتب من كتب فضائل القدس وسنحاول التدرّج بهذه الدراسات ما أمكن تدرجاً تاريخيا ، مع تقديم عرض مختصر لما أورده الباحث في دراسته ، ثم مناقشة هذه الدراسة ، إذا كانت مادتها تستدعي المناقشة :

في سنة ١٧٩٠ قام دي غين De Guignes بتحليل المخطوطة البارِيسية لكتاب

---

(٣٣) حول هذه المخطوطات ومؤلفيها ومعلومات عن مادتها ، راجع كتاب « مخطوطات فضائل بيت المقدس لكامل العسلي ، الصفحات : ٣٩ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٣ .

« باعث النفوس لزيارة القدس المحروس » ، تأليف برهان الدين إبراهيم عبدالرحمن الفزاري ، وقدم عرضا لمحتويات الكتاب . وقد قام هذا الباحث نفسه في العام المذكور بدراسات عن كتاب « إتحاف الأخصّا في فضائل المسجد الأقصى » لشمس الدين السيوطي[٣٤] .

وفي سنة ١٨١٧ ، قام لمنغ Lemming الدانماركي بدراسات عن كتاب السيوطي نفسه ، ونقل معلومات هامة من مقدمة الكتاب[٣٥] .

وفي بداية القرن التاسع عشر ، قدم المستشرق الألماني هامر Hammer مقتطفات من كتاب « الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلي[٣٦] .

وفي سنة ١٨٦٣ ، قام القس رينولدز Reynolds بدراسة عن كتاب « الإتحاف » للسيوطي ، في إطار ترجمته غير الموفقة للكتاب[٣٧] .

وفي سنة ١٨٨٧ ، نشر لي سترانج Guy Le Strange بحثا في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، تحدث فيه عن حياة شمس الدين السيوطي صاحب « الإتحاف » ، مأخوذة من مقدمة كتابه،وأبرز الاختلافات التي وردت في مخطوطات الكتاب المختلفة بالنسبة إلى اسم المؤلف ، مابين الشيخ إبراهيم في مخطوطة المتحف البريطاني ، ومحمد السيوطي في مخطوطة أخرى ، والمنهاجي في مخطوطة باريس ، وكمال الدين محمد بن أبي شريف في « كشف الظنون » . وقد وصف سترانج محتويات الكتاب ، ووجد ، كما وجد آخرون من قبله ، أن السيوطي نقل عن « مثير الغرام » ، مثلما نقل مجير الدين الحنبلي بعد ذلك عن كتاب السيوطي . وتحدث سترانج كذلك عن كتاب « مثير الغرام » ومحتوياته ، وشكّك في صحة المعلومات المكتوبة فيه عن المسجد الأقصى ، وفي التفصيلات الخاصة

---

(٣٤) انظر : كراتشكوفسكي ، « تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج ٢ ص ٥١٠ ، ٥١٥

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٥١٥ .

(٣٦) انظر : « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ج ٢ ص ٥١٦ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٥١٥ .

بزيارة عمر بن الخطاب للقدس والتفصيلات المكتوبة عن بناء مسجد الصخرة مما لايوجد ، كما يقول هذا المستشرق البريطاني ، في كتب التاريخ العادية . ويقفز سترانج إلى تساؤل غريب حول ما إذا كان كتاب المؤرخ البزنطي جورج ثيوفانس George Theophanes من رجال القرن التاسع الميلادي قد تُرجم إلى العربية ، ملمِّحا إلى أنه قد يكون المصدر المباشر أو غير المباشر لكتاب « مثير الغرام » !! وبعد ذلك يتحدث سترانج عن بعض مصادر السيوطي ، ويتصوّر خطأً أن اسم كتاب بهاء الدين القاسم بن عساكر ، وهو من مصادر السيوطي ، هو « الأنس في فضائل القدس » في حين أن بهاء الدين بن عساكر ألف كتاب « الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى وأن كتاب « الأُنس في فضائل القدس » ، هو من تأليف ابن عمه القاضي أمين الدين أحمد بن محمد الشافعي المتوفى سنة ٦١٠ ، بعد عشر سنوات من وفاة ابن عمه بهاء الدين . وفي خطأ آخر في معرفة أسماء مخطوطات فضائل القدس ، وهو خطأ سبق أن نبّهنا إليه في الصفحات الماضية ، يظن سترانج أن اسم كتاب الزركشي هو « الإسلام الساجد » ! في حين أن مؤلَّف الزركشي هو « إعلام الساجد بأحكام المساجد » وقد ألم سترانج كذلك إلمامة سريعة بكتاب الربعي الذي لخصه ابن الفركاح ، وهو بعنوان « فضائل الشام وفضل دمشق »(٣٨) .

ولا شك أن بعضا من ملاحظات هذا المستشرق البريطاني ، لا تثبت للتمحيص ، ولا يمكن أن تكون مقبولة . ومن هذه عدم تفرقته بين كتب فضائل المدن التي تحوي بطبيعتها معلومات ذات صفة تفصيلية تتمثل فيها اهتمامات مؤلفيها الخاصة ، وبين كتب التاريخ العامة ، التي تُعنى عادة بالخطوط العريضة للأحداث ، وقد تغفِل التفصيلات ، ولاسيما ما كان منها يحمل طابعا خاصا . وأمّا تصورُه أن صاحب « مثير الغرام » قد يكون في تأليف كتابه متأثرا بكتاب المؤرخ البيزنطي ثيوفانس ، فإنه لا يعدو أن يكون وثبة خيال جامح ، وقد نستذكر هنا قولاً لفرانز روزنتال ذا علاقة بما نحن بصدده ، وهو « أن أبكر

---

(٣٨) The Journal of the Royal Asiatic Soeiety, Vol. XIX, 1887, pp.247-253.

مؤلفات التاريخ المحلي ـ وكتب الفضائل نوع من التاريخ المحلي ـ ظهرت في مابين النهرين ، لافي بلاد الشام ، مما يدل على عدم تأثر هذه المؤلفات بالمؤلفات المسيحية »[٣٩] .

وحين صدر كتاب سترانج المعنون : Palestine Under the Moslemsت في لندن عام ١٨٩٠ ، وهو الكتاب الذي أعيد طبعه في القدس تحت عنوان مختلف قليلا "The History of Jerusalem Under the Moslems" أورد هذا المستشرق معلومات غير دقيقة ذات علاقة بكتب الفضائل ، ومنها قوله إنّ أول ما ورد من تفصيلات عن اكتشاف عمر لموقع المسجد ، وما أقامه عبدالملك من خدمات للمسجد بعد بنائه ، قد جاء في كتاب « مثير الغرام[٤٠] . وهذا قول مخالف للحقيقة ، لأن هذه المعلومات موجودة في عدة مخطوطات سابقة ألفت عن « فضائل القدس » ، ومنها كتاب أبي المعالي المشرّف بن المرجّى المقدسي المعنون : « فضائل البيت المقدّس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام » ، والذي ألف في القرن الخامس الهجري ، بل إن معظم كتب فضائل القدس التي ألّفتْ قبل كتاب « مثير الغرام » وهو من كتب القرن الثامن الهجري ، قد احتوت معلومات بصورة أو بأخرى عن اكتشاف عمر لموقع المسجد ، وما أقامه عبدالملك بن مروان من خدمات لمسجد الصخرة .

ويبدو أن لي سترانج كان من ضمن عدد من الكتاب الأجانب ، الذين تصوّروا أنّ الكتابات في فضائل القدس ، إنما كانت نتاج فترة راجت فيها الرومانسيات التاريخية في البلاد التي حررها صلاح الدين ، إثْرَ طرد الصليبيين من القدس . وهو إذ يقول هذا بصراحة في كتابه ، فإنه يضيف إليه أن استعادة فلسطين زمن صلاح الدين ذكّرتْ بفتوح المسلمين للبلاد زمن عمر ، وأنه ربما كانت الأحاديث التاريخية المتوارثة عن تلك الفتوح هي الأساس التي بنيت عليها أحاديث ما كتب عن القدس بعد الفتح الصلاحي .

---

(٣٩) AHistory of Muslim Histbriography, p. 152

(٤٠) The Histiory of Jerusalem Under the Moslems, p.58

ويشكّك سترانج بعد ذلك بقيمة الأسانيد التي استعملها صاحب « مثير الغرام » في رواياته ، ويقول إن اللاحقين بصاحب هذا الكتاب قد نقلوا عنه ، ومنهم شمس الدين السيوطي ، ومجير الدين الحنبلي(٤١) .

وإذا كنا لا ننكر أن الحروب الصليبية ، وما رافقها من مشاعر طبيعية عند المسلمين خلال هذه الحروب ، وعندما أحرز المسلمون نصرا كبيرا على يد صلاح الدين باستعادة القدس ، لابد أن تكون حافزا أُضيفَ إلى حوافز أخرى في التأليف عن القدس ، وذلك أمر طبيعي ، إلا أن من الواضح أن كتب الفضائل هذه لم تكن نتاج رومانسيات تاريخية إثْرَ الانتصار الإسلامي في تلك الفترة ، بدليل ما ذكرناه من قبل من أن كُتُباً أخرى كانت قد أُلِّفتْ عن فضائل القدس قبل استعادة المدينة من الصليبيين ، وقبل بروز صلاح الدين على الساحة الإسلامية . ثم إن كتاب « مثير الغرام » قد أُلِّف سنة ٧٥٢ هـ ، أي بعد مئة وتسعة وستين عاماً من استعادة صلاح الدين للقدس ، عام ٥٨٣ هـ ، مما يجعل من نشوة النصر الإسلامي الحافز الأول على تأليف هذا الكتاب أمراً غير مقبول ، بسبب تراخي الزمن نسبيا بين استعادة المدينة المقدسة وتأليف الكتاب .

أما بالنسبة إلى دقة الأحاديث المتوارثة عن الفتوح الإسلامية ، فإن صاحب الكتاب الذي نحن بصدده ، كان متنبّها إلى أن في الروايات المحكية عن القدس ما هو صحيح مقبول ، وما هو مشكوك فيه ، وماهو غير مقبول ، مما يدل على عقلية ناقدة ممحِّصة . فهو يقول في مقدمة كتابه عن الأحاديث والآثار التي أوردها في الكتاب : « . . . إذ بَيَّنْتُ حال أحاديثه وآثاره غالبا : الصحيحة والضعيفة والموضوعة والحسان ، وليس كذلك من صنَّف في الفضائل ، بل أورد أحاديث كتابه مجملة « ودون بيان »(٤٢) . وفي خاتمة الكتاب ، يورد المؤلف عبارات تنم عن نظرة نافذة في طبيعة الأحاديث النبوية التي أوردها في الكتاب ، وطبيعة الروايات التاريخية التي نقلها ، مما يدل على أنه كان قادرا عل التمييز

---

(٤١) انظر The History of Jerusalem Under the Moslems, pp.57-59.

(٤٢) انظر صورة المخطوطة : ورقة ١ ـ ٢ .

بين الغثّ والسمين ، كما يتضح من قوله وهو يتحدث عن محتويات كتابه : « . . . والأحاديث الواردة في ذلك : الصحيح والحسن والغريب والضعيف المحتمل ، والواهي التأليف والموضوع ، والآثار القوية والواهية . وإنما أتيتُ بهذه الأقسام في هذا الكتاب لأجل بيانها لا غير ، وقد تركتُ أشياء من الفضائل من أوائل ما يُروى عن كعب الأحبار ووهب بن منبّه »[٤٣] .

وفي أواخر القرن التاسع عشر ، نقرأ عن نشاط لمستشرق ألماني يتعلق بكتب فضائل القدس . ففي سنة ١٨٩٦ ، كتب كونراد كينغ Conrad Konig رسالة دكتوراه عن كتاب « مثير الغرام » ، تقدم بها إلى جامعة ليبزغ بعنوان Der Kitab al-Mutir . وكنا نودّ لو أمكن الاطلاع على هذه الدراسة المُسْهَبَة للكتاب كما وصفها كراتشكوفسكي ، إلا أنّها لم تر النور بأكملها ، كما ذكر المستشرق الروسي[٤٤] ، الذي يخبرنا بأن كينغ قد ذكر في دراسته ، أن الهدف الأول لصاحب كتاب مثير الغرام هو الدعوة إلى زيارة القدس ، وأنّ الكتاب في ذلك ، إنما يسير على النهج نفسه الذي سارت عليه بقية المؤلفات المتعلّقة بأدب الفضائل ، إذ هو يمثل حلقة في سلسلة تطورها[٤٥] .

وقد قام كينغ كذلك بمقارنة مواد من كتاب « مثير الغرام » بنظيرتها في كتاب « إتحاف الأخِصّا في فضائل المسجد الأقصى » للسيوطي ، فوجد أن سبع عشرة صفحة من كتاب الإتحاف تتوافق توافقا حرفيّاً مع ما في « مثير الغرام » .

ومن المستشرقين الروس ، الذين قاموا بدراسات عن كتب فضائل القدس المستشرق مدنيكوف Mednikov صاحب الكتاب الضخم عن تاريخ فلسطين منذ الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية التي سبقت الإشارة إليه ، وهو من رجال القرن التاسع عشر ، إذ أنه توفي سنة ١٩٠٣ . وقد وجّه عناية خاصة ، في إطار دراسته لكتب الفضائل

---

(٤٣) خاتمة المخطوطة ورقة ١٤٣ .

(٤٤) تاريخ الأدب الجغرافي العربي جـ ٢ ص ٥١٢ .

(٤٥) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، جـ ٢ ص ٥١٢ .

هذه ، إلى ثلاثة أشخاص من مؤلفيها ، وهؤلاء هم : شهاب الدين أحمد بن محمد إبراهيم بن هلال المقدسي ، صاحب كتاب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » وشمس الدين محمد السيوطي صاحب كتاب « إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى » ومجير الدين الحنبلي صاحب كتاب « الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل »(٤٦) .

والجدير بالذكر أن مدنيكوف يفضّل لقب « جمال الدين » بدلا من شهاب الدين لمؤلف كتاب « مثير الغرام » ، وقد شارك هذا المستشرق في الجدل الكبير الذي دار حول مؤلف « إتحاف الأخِصّا » ، ومال إلى أن شمس الدين السيوطي هو مؤلف الكتاب ، وهذا ما ثبت نهائيا بالفعل في الآونة الأخيرة . وقد صحّح مدنيكوف بعناية تامة المعلومات التي استقاها مما كتبه لمنغ Lemming عن مقدمة كتاب السيوطي ، وأدّتْ أبحاث هذا المستشرق عن الكتاب المذكور إلى نتائج مثيرة ، إذ اتضح أن جميع القطع التي ترجمها هو من هذا الكتاب قد نُقلتْ حرفيا من كتاب « مثير الغرام » وقد قَدَّمت المقتطفات التي ترجمها مدنيكوف إلى الروسية من كتب فضائل القدس ، فكرة جلية عن جميع سلسلة كتب الفضائل هذه ، ممثلة في أشخاص ممثليها في رأي كراتشوفسكي ، وهم : شهاب الدين المقدسي وشمس الدين السيوطي ، ومجير الدين الحنبلي ، ولاسيما أن مدنيكوف لم يكتف بترجمة هذه المقتطفات بل علق عليها تعليقات مفيدة كذلك(٤٧) .

ومن الدارسين الذين ارتبطت أسماؤهم بكتب فضائل القدس ، المستشرق الأميركي ماثيوز . وقد سبق أن تحدّثنا عن دوره في نشر كتابين من كتب الفضائل وترجمتهما ،ونحن هنا معنيون بما هو خارج عن النشر والترجمة، إذ نبحث في الدراسات التي دارت حول هذ الكتب . وقد كتب تشارلز ماثيوز عام ١٩٣٦ بحثاً في مجلة الجمعية الشرقية الأميركية له ارتباط بالقدس وبإفراط بعض الناس في تقديسها ، وردة الفعل على ذلك عند ابن تيمية ، مما سبق أن تعرضنا له من قبل . وقد كانت تعليقاته على كتب

---

(٤٦) المصدر السابق ص ٥١١ .

(٤٧) انظر : « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ، جـ٢ ص ٥١١ ، و٥١٣ ـ ٥١٦ .

الفضائل في هذا البحث محدودة ، ولا تتعدى ما تعـودنا عليـه من تعليقات الغـربيين وملاحظاتهم حول هذه الكتب ، كما يتبين من الأسطر التالية :

تحدّث ماثيوز في إشارة واضحـة إلى كتب فضائـل القدس عن كتـابات تـاريخية وجغرافية حَفِلتْ بالأساطير الإسلامية التي أحاطت بالأماكن المقدسة في فلسطين ، وربَطَ كما ربط غيره من الغربيين ، بـين ازدياد كتب الفضـائل التي أُلِّفتْ عن القـدس وبين الحروب الصليبية وفقدان فلسطين مؤقتا والأراضي الساحلية الأخرى لبلاد الشام ، وقال إن أحاديث كثيرة في كثير من هذه الكتب قد تكررت فيها يتعلق بقيمة الصلاة والصيام والصدقات في القدس وكذلك زيارة المدينة وغير ذلك من الممارسات الدينية فيها، إلى حدّ القيام بالحج إليها ، كما قال ، مثل القيام با لحجّ إلى مكة(٤٨) .

وفي عام ١٩٤٣ ، نشر ماثيوز بحثا آخر له بعنوان Palestine, Mohammedan Holy Land في مجلة العالم الإسلامي The Moslem World .

وقد أورد في بحثه هذا بعض التعليقات على كتب فضائل القدس ، ولاسيما كتابي ابن الفركاح والتدمري اللذين نشرهما ، وترجمها إلى اللغة الإنجليزيـة . ومما جـاء في تعليقاته ، أن كلتا المخطوطتين كانت من قبيل أدلة الحجاج إلى الأماكن المقدسة وأنهما تحتويان قصصا وأساطير توراتية ، أو تَمُتّ إلى ما بعد عهد التوراة من الحوادث ، وتتحدث عن شخصيات تتصل بهذه الحوادث ، بالإضافـة إلى توضيـح فضائـل زيارة القـدس والصلاة وتقديم الصدقات فيها . ويقول عن كتاب ابن الفركاح « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » ، إنه نمط من الكتب التي تضطلع بالإرشاد الروحي للزوار المسلمين ، وأن المؤلف استفاد ، كمعظم المؤلفين العرب في الماضي ، من مؤلفات سابقة لكتابه ، وذلك على نطاق واسع جدا . ويقول عن كتاب التدمريّ : « مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام » ، إنه يركز على قبور الأنبياء في الخليل ، وإن مادته في هذا الموضوع قد نقلها المؤلفون اللاحقون حرفيا ، ويمضي في تعليقه على هذا الكتاب ،

(٤٨) انظر Journal of the American Oriental Society, LVI, 1936, p.l.

فيقول إن فلسطين قد قُدِّسَتْ منذ إبراهيم الخليل ونسله ، وبذا فإنها قدستْ عند المسلمين ، لأنهم يعتبرون ديانتهم إحياءً لدين إبراهيم الخليل . ويرى ماثيوز أن الكتابين اللذين نشرهما وترجمهما من كتب الفضائل ، فيهما من التبصّر والتشويق مالا يوجد في غيرهما من هذه الكتب . ويقول إن هذين الكتابين يحل محلهما في زمنه كتيْبات صغيرة مثل : « مرشد الزائر والدليل ، في مناسك وزيارة القدس والخليل » ، تأليف الحاج مصطفى الأنصاري ، وكتاب « مناسك القدس الشريف » ، تأليف يوسف ضياء الدين الدنف الأنصاري . ثم يقول إن المسلمين يسمون هذه الكتب « كتب الفضائل » ، وهم بذلك يسيرون على نهج الكتابات المسيحية في أوقات سابقة أو معاصرة لكتاباتهم . ويرى ماثيوز في ختام تعليقه على كتب الفضائل ، أنَّ الزوار المسيحيين والمسلمين ، وهم أبناء عصرهم كما قال ، ومُنَشَّأُون تنشئةً دينيّة ، كانوا يؤمنون بما يقال لهم عن فضائل الأماكن المقدسة في القدس وعن المعجزات المرتبطة بها . وكان قد ذكر قبل ذلك ، أن كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، قدّما أو اخترعا معلومات توراتّية تتعلق بفلسطين والمقدسات الإسلامية ، وقد استُعملتْ مادتهما كثيرا في التفسير وعند رواة الحديث والمؤرخين والجغرافيين(٤٩) .

ومع أن بعضا من ملاحظات ماثيوز سبق أن عُلِّقَ عليها أو على مثيلاتها في صفحات سابقة ، فإن بعضا آخر منها يستوجب التعليق . ومن هذه ما يتعلق بالإفراط في تقديس القدس ، وتسليم الناس المعاصرين لكتاب الفضائل بما قيل فيها من أساطير ومعجزات .

أما أن بعض الناس قد أفرطوا في تقديس المدينة ، كما يحدث للمدن المقدسة في كل زمان ومكان ، فأمر لا جدال فيه . وقد تحدّث عبدالله بن هشام الأنصاري عن الذين يبالغون في الحديث عن المسجد الأقصى ، وينسبون إليه من الأمور ماليس بصحيح ، وماهو غير معقول ، وهاجم هؤلاء بشدة(٥٠) . وفي هذا ما فيه الدلالة على وجود الإفراط الذي تحدث عنه ماثيوز ، ولكن فيه من الناحية الأخرى ما يثبت أن من مؤلفي كتب

(٤٩) The Moslem World, Vol. XXXIII, No 4, October, 1943 pp.239-242, 244-245, 246-250.

(٥٠) انظر مخطوطة « تحصيل الأنس لزائر القدس » ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

الفضائل ومن معاصريهم بالطبع ، من لم يكونوا يتقبلون هذا الإفراط ، ومن حذّروا من تقبُّل الأساطير التي تروى عن المدينة المقدسة .

ولا شك أنه قد نقلت روايات عن مظاهر هذا الإفراط في غير ما مصدر من المصادر فقد حدثنا ناصر خسرو مثلا عن أنه : « يذهب إلى القدس في موسم الحج ، من لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هذه الولايات ـ بلاد الشام ـ فيتوجه إلى الموقف ، ويضحي ضحيّة العيد كما هي العادة ، ويحضر هناك لتأدية هذه السُّنّة في بعض السنين أكثر من عشرين ألف شخص ، في أوائل ذي الحجة ، ومعهم أبناؤهم[٥١] . ويقول لنا هذا السائح الفارسي الذي زار القدس في القرن الخامس الهجري ، إنه كان في القدس لدى زيارته لها عشرون ألف رجل . والجدير بالذكر أنه وصل القدس في ٥ رمضان ٤٣٨ هـ ، وتحدث عن خلق كثيرين يحضرون إلى القدس ويقيمون فيه من أجل أن يموتوا هناك ، وذلك اعتقادا منهم بأنه سيكون ساحة القيامة والحشر[٥٢] .

وقد تحدث كاتب آخر قدم من الأندلس إلى القدس في القرن الخامس الهجري كذلك ، وهو أبو بكر الطرطوشي[٥٣] عن هذا الإفراط في النظر إلى قداسة القدس ، فقال « وقد كنت ببيت المقدس . فإذا كان يوم عرفة ، حُشِر أهل السواد وكثير من أهل البلد ، فيقفون في المسجد مستقبلين القبلة مرتفعة أصواتهم بالدعاء ، كأنه موطن عرفة[٥٤] . ويتحدث الطرطوشي نفسه عن بِدَعٍ أخرى ، فيذكر أن صلاة الرغائب صارت تقام في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان ، ابتداء بسنة ٤٤٨ هـ ،

---

(٥١) سفرنامه ، الترجمة العربية ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٥٥ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٥٣) كانت رحلة أبي بكر الطرطوشي من الأندلس إلى بلاد المشرق سنة ٤٧٦ هـ (أنظر مخطوطة « مثير الغرام » ورقة ١٣٨) .

(٥٤) انظر ما نقله عبدالعزيز الدوري حول هذا الموضوع في بحثه المقدم إلى المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ١٩٨٠ ، ص ٣٣ .

واستمرت وكأنها سُنَّة ، ثم يقول إن صلاة رجب صارت تقام في المسجد الأقصى منذ سنة ٤٨٠ هـ[٥٥] .

وقد نقل الكاتب اليهودي مئير كسطر M.J. Kister المعلومات الأخيرة نفسها عن الطرطوشي ، مضيفا إليها اسم الرجل الذي أدخل بدعة صلاة الرغائب في المسجد الأقصى واسم بلده ، فهو « أبو الحمراء » من مدينة نابلس ، ثم ينقل عن من أسماه « العبدري » ، أن زائري المسجد الأقصى في القدس ، كانوا يمارسون بدعة غريبة ، وذلك بأن يأتوا إلى مكان يدعى « سُرَّة الأرض » فيكشفوا عن سُرَرِهم ويضغطوها نحو تلك البقعة[٥٦] .

بل إن أحد أصحاب كتب الفضائل موضع هذه الدراسة ، يحدث باستهجان عن ممارسات من أسماهم الجهلاء في المسجد الأقصى : فقد ذكر عبدالله بن هشام ، صاحب مخطوطة « تحصيل الأنس لزائر القدس » ما يلي في مخطوطته : « وقد بلغني أن قوما من الجهلاء يجتمعون يوم عرفة بالمسجد ، وأن منهم من يطوف بالصخرة ، وأنهم يَنْفِرون عند غروب الشمس ، ويرجعون القهقهرى ، وكل ذلك ضلال وأضغاث أحلام »[٥٧] . وعبارة المؤلف ، وهو من رجال القرن الثامن الهجري ، تقيم الدليل في آنٍ واحدٍ على أمرين : تجاوزات بعض عامة الناس وإفراطهم في تقديس المسجد الأقصى ، ورفض رجال العلم من المسلمين لهذه التجاوزات .

وقد عرض ابن تيميّة كما أسلفنا لهذه التجاوزات والإفراطات فيما يتعلق بالقدس والمسجد الأقصى ، وحمل في رسالته « قاعدة في زيارة بيت المقدس » على من يمارسونها بل اتّهمَ المتجاوزين بالكفر ، ورأى أنهم بين خِيارَيِ التوبة أو القتل[٥٨] .

---

(٥٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٥٦) انظر : Le Museon, LXXXII, Louvian, 1969, p.194,195

(٥٧) أنظر مخطوطة : « تحصيل الأنس لزائر القدس » ، ص ٦٤ .

(٥٨) أنظر : « قاعدة في زيارة بيت المقدس » التي نشرها تشارلز ماثيوز في مجلة الجمعية الشرقية الأميركية Journal of the American Oriental Society, LVI, 1936, pp.10, 11.

والجدير بالذكر أن شهاب الدين المقدسي ، صاحب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » هاجم هو الآخر في عبارات قوية ، القُصّاص والوضاعين لغلّوهم في الحديث عن قداسة المسجد الأقصى[٥٩] .

وهذا المؤلف نفسه ، لم يَفُتْهُ أن ما قيل في القدس وبلاد الشام من أحاديث ، لم يكن كله صحيحا ، إذْ بعد أن ذكر أن الأحاديث التي أُورِدَتْ تتراوح بين الصحيح والحسن والغريب والضعيف والواهي والموضوع ، ذكر في مكان آخر من مخطوطته ، وفي المقدمة على وجه التحديد ، أن كتابه يتميز من حيث التهذيب والإتقان ، والإيضاح والتميز ، على كتب الفضائل ، كما ذكر أنه ميز بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة والحسان[٦٠] .

والأحاديث المنسوبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، لم تكن تؤخذ كلها بدرجةواحدة من التمحيص والتدقيق في كتب الفضائل ، لا جهلا وعدم قدرة على التمييز بين الصحيح وغير الصحيح منها ، بل انطلاقا من مبدأ أخذ به مؤلفو هذه الكتب ، وعبّر عنه أحدهم بوضوح حين قال في مقدمة كتابه « الروض المغرّس في فضائل البيت المقدّس » ، وهو يبرّر التساهل في التدقيق في نمط معين من الأحاديث النبوية : « فضائل الأعمال يُعْمَل فيها بالأحاديث الضعيفة » ، وقد نقل هذا القول عن النووي للتمييز بين الأحاديث المتعلقة بالأحكام والفروض ، والأحاديث التي تدعو إلى ما يُستحسَن غمله ويفضل القيام به[٦١] . أما ما ذكره ماثيوز من أن المسلمين كانوا يسيرون في كتب الفضائل على نهج الكتابات المسيحية في أوقات سابقة أو معاصرة لكتاباتهم ، فقد سبق أن عرضنا له فيما مضى من صفحات في معرض الحديث عما أورده فرانز رزونتال من رأي مخالف لهذا الرأي ، معللٍ بالتتّبع التاريخي لظهور هذه الكتب . ونزيد هنا أن كاتبا آخر هو الياهو أشتور من الأرض المحتلة قد تحدث بشيء من التفصيل عن الخلافات العديدة بين

---

(٥٩) انظر مخطوطة « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ورقة ٩٠ .

(٦٠) المخطوطة المقدمة ، ورقة ٢ .

(٦١) انظر : مخطوطة الروض المغرّس ، المقدمة : ٥ .

الكتابات المسيحية والإسلامية فيما يتعلق بالقدس ، وضرب على ذلك أمثلة من كتابات السياح المسيحيين في القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، ومن هؤلاء يعقوب الفيروني Jacob of Verona الذي كتب سنة ١٣٣٥ م ، وبرنارد فون بريدنباخ Bernard Von Breydenbach الذي زار فلسطين عام ١٤٨٠ م،وفلكس فابري مؤلف كتاب The Wanderings of Felix Fabri الذي زار فلسطين في عامي ١٤٨٠ و١٤٨٣ . ويستثني هذا الكاتب اليهودي من الكتب العربية التي كتبت عن فضائل القدس ، كتاب دليل وضع في وقت متأخر نسبيا ـ القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري ، ومؤلفه مجهول ، قال عنه إنه كتاب لإرشاد الحجاج المسلمين إلى المواضع التي ينبغي أن يزوروها في القدس ، إذ يرى فيه أثراً للكتابات المسيحية عن القدس(٦٢) . وحتى هذا الاستثناء ، لا أرى أنه قائم على دليل قاطع ، لأن وجود طابع ما لكتاب من الكتب ، لا يستلزم بالضرورة أن يكون تقليدا لكتاب آخر يحمل الطابع نفسه ، إلا إذا وجدت مشابه محدّدة ذات صبغة تفصيلية بين الكتابين .

ننتقل بعد تشارلز ماثيوز في إطار الدراسات التي دارت حول كتب الفضائل إلى جويتين Shelomom Goitein في كتابتين له ، إحداهما صدرت عام ١٩٥٠ في مجلة الجمعية الشرقية الأميركية بعنوان « الخلفية التاريخية لبناء قبة الصخرة»، والأخرى ظهرت في كتاب له بعنوان : «دراسات في تاريخ الإسلام ومؤسساته Studies in Islamic History and Institutions » صدر عام ١٩٦٦ في ليدن ، وأُعيدت طباعته في المدينة نفسها عام ١٩٦٨

لم يكتب جويتين الشيء الكثير عن كتب الفضائل في صورة دراسة مباشرة لهذه الكتب ، ولو أن الكثير مما كتبه يمكن أن يربط بمواد تضمنتها هذه الكتب ، أو بالدراسات التي انبثقت عنها . فقد ذكر في بحثه المنشور في المجلة الأميركية ، أنه توجد كتابات كثيرة جدا عن فضائل القدس ، جرى توارثها في كتب مستقلة ، أو ضمن كتب من أنماط مختلفة بَيْدَ أن صحة المادة المضمنة فيها كانت في الغالب موضع خلاف . وفيما يمكن أن يكون

---

(٦٢) انظر: Symposium: "Muslim Literature in Praise of Jerusalem": pp. 188, 189

إشارة خاصة ، إلى ما تضمنته كتب فضائل القدس هذه ولاسيما كتاب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » و « المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » لنصر الدين العلمي عن الزهاد والمتصوفة الذين ارتبطت أسماؤهم بالقدس ، يتحدث جويتين عن حماسة خاصة أبداها هؤلاء لقدسيّة القدس ، واستعرض مجموعة من أسماء المتصوفين البارزين الذين زاروا المدينة(٦٣) .

وفي كتابه الذي صدر عام ١٩٦٦ حول تاريخ الإسلام ومؤسساته ، يقول جويتين عن المتصوفة المسلمين الذين زاروا القدس أو أقاموا فيها ، إنهم لم يكونوا المبتدعين في إضفاء صفة القداسة على المدينة ، وإنما هم طوّروا ووسّعوا أشياء ابتدأت في الحقب الأولى من تاريخ الإسلام . ومن الأمثلة التي يضربها على الصلة الخاصة التي أقامها الزهاد المسلمون مع القدس ، ما نقله عن الزاهد إبراهيم بن أدهم : « هاجرتُ إلى الشام لآكل هناك طعاما حلالا »(٦٤) .

ومن الأشياء التي خلص إليها هذا الكاتب في كتابه المذكور ، مما له علاقة بما ورد في كتب الفضائل ، أو بالدراسات التي دارت حولها ، أنه لا أساس للقول بأن قبة الصخرة قد بنيت لتحويل الحج إلى القدس . ويقول إن تجمع المسلمين في القدس خلال أيام الحج ، لم يُقصد به أن يكون بديلاً عن الحج ، ولم يكن خاصا بالقدس دون غيرها ، وكل مافي الأمر ، أنه عندما انتشر المسلمون انتشارا واسعا في البلاد المفتوحة ، لم يعُدْ باستطاعتهم أن يحجّوا جميعا إلى مكة في سنة واحدة ، فعوّضوا عن ذلك بممارسات دينية تتمثل بصورة خاصة في الوقوف ، ولاسيّما في العواصم الإقليمية ، وهو ماكان يسمى « التعريف » ، نسبة إلى جبل عرفات في مكة ، الذي هو المكان الأصلي للوقوف في الحج . ثم يذكر أن هذه الممارسة التعبدية لم تبدأ في القدس، وإنما في البصرة ، ثم في الفسطاط ، ثم بعد ذلك بمدة طويلة في القدس ، وما أورده في كتابه حول هذا الموضوع ، كان قدأورده كذلك في المجلة الأميركية قبل ستة عشر عاما من ظهور هذا

(٦٣) انظر: Journal of the American Oriental Society Vol. LXX, 1950, pp. 107-108.

(٦٤) Studies in Islamec History and Institutions: Leiden, 1966 (reprinted 1968), pp. 143, 145

الكتاب[٦٥] .

ومما خلص إليه في الكتاب المذكور كذلك ، أن أهل التقوى والزهاد بصورة خاصة استغلوا قداسة القدس وفلسطين وقبة الصخرة ، على الرغم من معارضة علماء المسلمين للإفراط في تقديس هذه الأماكن ، علما بأن هذه المعارضة كما يقول ، لم تكن ذات علاقة بأشياء سياسية طارئة ، بل كانت نابعة من حوافز دينية أصيلة ، إذ كان هؤلاء العلماء يدركون طبيعة كثير من الروايات والممارسات التي كانت تُعزى إلى الرسول (ﷺ) وأصحابه[٦٦] .

وفي معرض الحديث عن دارسي كتب الفضائل المتعلقة بالقدس ، لابدّ أن نولي اهتماما خاصا بالمستشرق الروسي الكبير أغناطيوس كراتشكوفسكي ، الذي رجعنا كثيرا إلى كتابه « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ، ولاسيما ما يتعلق بدراسات المستشرقين الأوروبيين لكتب الفضائل . وكتابات كراتشكوفسكي عن كتب فضائل القدس اتخذت طابعا عاماً في حديثه عن هذه الكتب بصورة إجماليّة ، وطابعا خاصا في حديثه عن كتب معينة ، وقد حرص على أن يضيف إلى ملاحظاته الخاصة في الحالتين ، الآراء التي صدرت عن كتّاب آخرين في الموضوع . وهو فيما يكتب ، متأثر بطبيعة الحال بمعلومات معينة كانت معروفة له ، في حين أن معلومات أخرى عن كتب فضائل القدس ، عُرفت بعد أن كتب هو كتابه الذي طبع سنة ١٩٥٧ باللغة الروسية ، ولكنه ابتدأ الكتابة فيه قبل هذا التاريخ بسنين ، وسأوجز فيما يلي ما كتبه هذا العالم عن كتب فضائل القدس في إطار ما يدخل في « دراسات » عن هذه الكتب .

يرى كراتشكوفسكي أن ما أسماه الأدب الجغرافي الخاص بفلسطين وبلاد الشام ، يرتبط ارتباطا وثيقا في جميع مراحله بنمو حركة التحرير التي ترجع إلى عهد صلاح الدين ، أو إلى ما قبل ذلك بقليل ، ويرى أن الفترة الأولى لهذه الحركة تنتهي بانتهاء الوجود

---

(٦٥) See: Journal of the American Oriental Society, Vol LXX, 1950, P.105.

(٦٦) Studies in Islamec History and Institutions, pp.147, 148

الصليبي في بلاد الشام ، إلا أنها انتعشت بالنسبة إلى الأدب عن فلسطين ، ونمت نموا غير عادي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، وذلك لأن هذا النوع من الأدب يرتبط بتقاليد أدبية قديمة جدا ، كشفت عن استعداد غريب للاستمرار والتماسك ، ومن ذلك النزعة للاحتفاظ بعنوان واحد لعدد من المصنّفات . ولكنه يرى أن ما تتميز به الكتابات التي كتبت عن فلسطين من ناحية الكم ، لا تُعادِلُها ميزاتها من حيث النوع ، لأنه أدب نقلي ، مما يستوجب الاقتصار على المصنفات المبكرة ، باعتبار أنها الأساس الذي بنيت عليه هذه الكتابات . ولم يبالغ كراتشكوفسكي كثيرا عندما قال إن هذا الطابع النقلي في كتب « فضائل القدس » يغلب تماما ، حتى إننا نلتقي في القرنين الرابع عشر / والخامس عشر ، الثامن والتاسع الهجريين ، مصنفات متشابهة ، يكرر بعضها بعضا بصورة يمكن اعتبارها مسوداتٍ متعددة لمؤلف واحد[٦٧] .

ويستعرض كراتشكوفسكي بعد ذلك مجموعة من كتب فضائل القدس ، منها كتاب ابن الجوزي وكتاب بهاء الدين بن عساكر « الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » وهو الكتاب الذي أوشك كما يقول ، أن يكون المصدر الأساسي لجميع من كتبوا في « فضائل القدس » من بعده . ثم يتحدث عن كتاب « الأنس بفضائل القدس » وهو لأمين الدين أحمد بن محمد ، ابن عم بهاء الدين بن عساكر وعن تأثُّرِ أمين الدين بكتابات ابن عمه[٦٨] .

ومع هذا النقد الذي يوجهه كراتشكوفسكي إلى كتب « فضائل القدس » « فإنه يرى أن قيمتها تكمن في المادة التي تحويها ، والتي تشمل أحيانا مدى واسعا ، وتعالج إلى جانب النواحي الدينية ، مسائل مهمة بالنسبة إلى الدارسين ، ترتبط بالتاريخ والجغرافية ، وبالآثار والطبوغرافيا أحيانا . وقد لاحظ هذا المستشرق ، كما نلاحظ نحن حتى يومنا هذا ، أنه لم يَنشرْ من كتابات الفضائل الواسعة المدى حتى الآن ، إلا جزء

---

(٦٧) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، جـ٢ ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ .
(٦٨) المصدر السابق ، جـ٢ ص ٥٠٩ ، ٥١٠ .

ضئيل للغاية ، وأن ما أُخْضِع منه للدراسة ، كان أقل من ذلك بكثير ، ويقول بحق ، إن نقاطا معينة فحسب ، قد استرعت أنظار الأوروبيين ، ولكن حتى الآن لم تجر محاولة لتقديم عرض مجمل لمادة كتب الفضائل[٦٩] .

ويلاحظ كراتشكوفسكي أن من خصائص ما أسماه بالأدب الفلسطيني في الفترة الأولى التي ترجع إلى عهد سابق لعهد صلاح الدين ، أن فلسطين تدخل ضمن بلاد الشام في هذا الأدب ، ولا تُدْرَس باعتبارها وحدة مستقلة عنه ، ويضرب على ذلك أمثلة من كتب تحمل عنوانا عن بلاد الشام ، ولكنها تعالج في مادتها أمورا عن فلسطين[٧٠] .

ويذهب هذا المستشرق الروسي إلى ما ذهب إليه كثيرون من الكتاب الغربيين من ربط ما أسماه أدب الدعاية الخاص بفلسطين والشام في الفترة الأولى بمصير بيت المقدس ، وحروب صلاح الدين ، في حين أن الفترة الثانية الواقعة بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، والتي تعتبر أكثر إنتاجا في أدب الفضائل ، يمكن أيضا تحليلها على ضوء وقائع من تاريخ حركة التحرير ، إذ إنّ تحرير بلاد الشام جميعها قد خدم كثيرا قضية هذا الأدب كما قال[٧١] .

وينتقل كراتشكوفسكي بعد ذلك إلى الحديث عن كُتّاب الفضائل ، بدءاً من القرن الثامن الهجري ، فيتحدث عن برهان الدين الفزاري ، وكتابه « باعث النفوس » ، ويرى فيه نوعا من الدعاية الصريحة إلى زيارة القدس ، باعتبارها مركزا دينيا ، بالإضافة إلى مادة تاريخية تغلب عليها سمة الأسطورة ، مع أنّ الكتاب لا يخلو في رأيه من معطيات ذات قيمة جغرافية وتاريخية وأثرية . ولا يرى كراتشكوفسكي أصالةً في هذا الكتاب ، نظرا لاعتماده على آخرين ممن سبقوه ، باعتراف مؤلف الكتاب نفسه ، ولكن الكتاب مع ذلك ، أصبح مصدرا لعدد من المؤلفين اللاحقين[٧٢] .

---

(٦٩) المصدر نفسه ص ٥٠٨ .

(٧٠) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٧١) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، جـ٢ ص ٥١٠ .

(٧٢) المصدر السابق جـ٢ ، ص ٥١١ .

ويرى كراتشكوفسكي أن أكثر من يسترعون النظر من الذين تخصصوا في المسألة الفلسطينية ، كما سمى الكتابات الخاصة بقداسة القدس وفلسطين ، من منتصف القرن الرابع عشر / الثامن الهجري،إلى نهاية القرن الخامس عشر / التاسع الهجري ،هم ثلاثة : صاحب « مثير الغرام » ، وصاحب « إتحاف الأخِصّا » وصاحب « الأنس الجليل » ، ويتحدث بعد ذلك عن الأوروبيين الذين قاموا بدراسات عن هؤلاء المؤلفين الثلاثة(٧٣) .

ويستخلص كراتشكوفسكي من مضمون كتاب « مثير الغرام » ، أنّ المؤلف سار على تقاليد المؤلفات التي تجمع في مجال واحد بين فلسطين والشام ، ولا يرى في الكتاب مُصَنَّفاً تاريخياً جغرافياً بالمعنى المفهوم ، بل يرى فيه مصنَّفاً لرجل من رجال الدين ، يستهدف بالدرجة الأولى الدعوة إلى زيارة القدس . أما مصادر هذا الكتاب ، فهي ليست مصادر أولى ، بل مصادر ثانوية ، تتمثل في مصنّفات مؤلفي الفضائل السابقين ، ولاسيما ، ابن عساكر ، والمشرّف المقدسي ، والواسطي . ومع ذلك فإن « مثير الغرام » كان مصدرا اعتمد عليه اللاحقون اعتمادا كبيرا جدا ، ولا سيما شمس الدين السيوطي ومجير الدين الحنبلي(٧٤) .

ويرى كراتشكوفسكي بحق ، أن المسألة الفلسطينية كما دعاها ، لم تَعُدْ منذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري وقفا على أهل الشام وحدهم ، أو أصحاب الجغرافية والطبوغرافيا ، ويمثّل على ذلك بمؤلفين في فضائل القدس من خارج النطاق الإقليمي لبلاد الشام ، ومن هؤلاء الفقيه الكبير محمد بن بهادور التركي المصري الزركشي المتوفّى سنة ٧٩٤ ، الذي درس في القاهرة ودمشق وحلب ، وأقام في الشام ، وألّف كتاب « الساجد بأحكام المساجد » ، وهو من الذين رجع إليهم صاحب « الروض المغرّس في فضائل البيت المقدس » . وهنا يخطىء كراتشكوفسكي حين يظن أن مؤلف كتاب « الروض المغرّس » هو تاج الدين عبدالوهاب السبكي المتوفّى سنة ٧٧٦ هـ ، إذ

---

(٧٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٧٤) « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ، جـ ٢ ص ٥١٢ .

إنّ مؤلف هذا الكتاب هو تاج الدين عبدالوهاب الحسيني المتوفى سنة ٨٧٥ هـ ، كما أن كراتشكوفسكي لم يكن يعرف حين ألّفَ كتابه أن مخطوطة « الروض المغرّس » موجودة في المكتبات[٧٥] . ولذا فإنه أخذَ معلوماته عن المخطوطة من الاقتباسات التي أوردتها كتب الفضائل اللاحقة[٧٦] .

ويورد هذا المستشرق بعد ذلك معلومات عن مؤلفين آخرين من مؤلفي كتب فضائل القدس ، ومن هؤلاء شهاب الدين أحمد بن محمد الأقفهسي المصري المتوفى ، سنة ٨٠٨ هـ صاحب كتاب « تسهيل المقاصد لزوار المساجد » ، وإسحاق بن إبراهيم التدمري صاحب كتاب « مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه السلام » ، ويصف هذا الكتاب بأنه من طراز كتب الدعاية القائمة على أساس تاريخي جغرافي ، مع قدر معين من التخصص ، وهو من مصادر شمس الدين السيوطي في كتابه « الإتحاف ». ويبدو أنه لم يطلع على مخطوطة الكتاب ، لأنه يذكر أن مخطوطاته نادرة للغاية في أوروبا ، ولذا فإن استعمال العلماء الأوربيين له قد اقتصر على الشذور المتفرقة التي نقلها عنه المؤلفون التالون له[٧٧] .

وحين يتحدث عن كتابي « إتحاف الأخِصّا » و « الأنس الجليل » ، يقول إنهما أغزر مادة من غيرهما وأوسع ذكرا في الأدب الأوروبي عن فلسطين . ثم يتناول سيرة السيوطي مؤلف الأول منهما من خلال المقدمة التي وضعها لكتابه ، ويقول عن الكتاب إنه ليس مجرد تاريخ ووصف لمسجد القدس كما يوحي بذلك عنوانه ، إذ إنه يحتوي فصولا للدعاية الصرفة ، تدعو إلى زيارة فلسطين ، وإلى إنفاق الصدقات في المواضع المقدسة فيها ، كما أنّ في الكتاب أقساماً مخصصة للقصص الإسلامية المرتبطة بالمدينة كالإسراء والمعراج ،

---

(٧٥) لدى كاتب هذه السطور صورة عن مخطوطة « الروض المغرّس » ، وهي ضمن المخطوطات التي اختيرت نصوص منها وحققت في القسم الثاني من هذا الكتاب .

(٧٦) « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » جـ ٢ ص ٥١٣ .

(٧٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

وفيه روايات مسهبة عن الرسل المختلفين ومشاهير الرجال الذين أقاموا بفلسطين ، ويخص تاريخ إبراهيم الخليل بعناية كبيرة . ويقول كراتشكوفسكي إن معرفة السيوطي بالحجاز قد أعانته على اختيار مادة الموضوع المتعلق بإبراهيم الخليل ، نظرا لإقامة الخليل ببلاد العرب مع ولده إسماعيل . ويذكر هذا المستشرق الروسي أن السيوطي قد عرض تاريخ أنبياء التوراة عن طريق توضيح الأسطورة من الناحية الجغرافية ، ولذا فإنه يتحدث بالتفصيل عن الخليل وقبر موسى ومسجد دمشق ، ويتحدث عن آثار الشام ومواضعه المشهورة في الفصل الأخير من كتابه ، مما يوضح أنّ فلسطين كانت ترتبط ارتباطا دقيقا بالشام ، خلال جميع صفحات الأدب الجغرافي المتصل بالقدس وفلسطين . ويُنوِّه كراتشكوفسي بمقدمة كتاب السيوطي من وجهة نظر التأليف التاريخي ، لأن المؤلف أعطى من خلالها تحليلا عاما لمصادره ، وعرضا سريعا لكل الأدب الفلسطيني السابق له على حد تعبير هذا المستشرق ، بكل ما ينبني على ذلك من فائدة لمن يكتبون في هذا الموضوع[٧٨]

وبعد أن يتحدث عن مصادر السيوطي الرئيسية ، وعن الذين أجروا دراسات على كتابه من الأوروبيين ، ينتقل إلى كتاب « الأنس الجليل » لمجير الدين الحنبلي ، فيصفه بأنه أوسع وصف تاريخي طوبوغرافي عن القدس والخليل وبقية مدن فلسطين ، ولو أن طابع الكتاب نقلي كما ذكر . ثم ينتقل إلى وصف أقسام الكتاب ، ويرى أنه في جوهره يرتبط بالجغرافية الدينية ، ولكنه يتحدث كذلك في تاريخ الشعوب في إطار الحديث عن مشاهير رجالها ، وهو يرى أن الحنبلي قد أخذ من « مثير الغرام » بصورة خاصة ، ثم من « إتحاف الأخِصّا » بعد ذلك . ويعرض كراتشكوفسكي لمن أجروا دراسات على الكتاب من الأوروبيين ، أو قاموا بترجمة له أو لأجزاء منه ، وينهي حديثه في هذا الموضوع بالتعبير عن رأيه في هذه السلسلة من المؤلفات التي يرى أنها لا تمثل حدثا مرموقا أو جديدا من وجهة نظر التطور العام للأدب الجغرافي العربي ، ولكنها تعتبر من وجهة نظر التاريخ

---

(٧٨) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، جـ ٢ ص ٥١٤ .

الحضاري شيئاً طريفاً ، ولاسيما على ضوء ظروف الحروب الصليبية ، إذ إنها تمثل في ضخامة عددها واتساع مداها شيئا متفردا ترك طابعه الخاص على الأدب الجغرافي لهذه البلاد حتى الفتح العثماني(٧٩) .

وفي إطار مسيرة كراتشكوفسكي الزمنية مع كتب الفضائل ومؤلفيها ، يذكر لنا مؤلفا من نسل الطولونيين الذين حكموا مصر في القرن الثالث الهجري ، وهو محمد بن علي بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ ، ويصفه بأنه يكاد يكون أكثر المؤلفين من معاصريه أصالةً في ميدان الجغرافية الإقليمية ، ويقول عنه إنه من مواطني دمشق ، ومن نسل الطولونيين ، وأنه كتب رسالة في « فضائل بيت المقدس » ، فيها مقال خاص عن مقام إبراهيم الخليل(٨٠) .

وينتقل كراتشكوفسكي بعد ذلك إلى كتب أخرى في فضائل القدس ، فيورد اسم محمد يحيى أفندي المتوفى حوالي سنة ١٠١٠ هـ مؤلف كتاب « فضائل قدس شريف » بالتركية ، واسم محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي المقدسي المتوفى سنة ١١٤٨ صاحب رسالة صغيرة عنوانها « بناء البيت المقدس » ، ويرى في هذه الرسالة نموذجا من أدب الدعاية الفلسطيني الخاص بالقدس ، ويقول إن مؤلف الرسالة اعتمد اعتماداً أساسياً على كتاب « الأنس الجليل » مع زيادات ليست ذات قيمة ، وميل واضح إلى الشعر(٨١) .

وآخر من تحدث عنهم كراتشكوفسكي من مؤلفي « فضائل القدس »،مؤلف مصري اسمه مصطفى بن أحمد بن الدمياطي اللقيمي المولود بدمياط سنة ١١٠٥ هـ ، ولكنه طوّف في مكة والمدينة والقاهرة ودمشق والقدس للدراسة ، وتوفي في دمشق سنة ١١٧٣ أو ١١٧٨ هـ . وكتابه المتعلق بالقدس عنوانه : « لطائف أنس الجليل في تحايف

---

(٧٩) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، جـ ٢ ص ٥١٥ ، ٥١٦ .

(٨٠) المصدر نفسه : جـ ٢ ص ٦٨٠ .

(٨١) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٧٥٥ .

القدس والخليل » . ويقول كراتشكوفسكي إن الكتاب يقع في ثمانية أبواب ، مع مقدمة وخاتمة ، وهو يتحدث في البداية عن حدود فلسطين ومدنها الكبرى ، ثم يتحدث عن أسماء البيت المقدس وشرفه ، ويذكر أسماء ولاته ومن عاش فيه من المشاهير . وبعد ذلك يتحدث عن المدينة نفسها وآثارها ، ثم عن الخليل والمواضع الواقعة حول القدس ، وللأساطير دور مرموق في مادة كتابه . أما خاتمة كتابه فتتعلق بالشام وفضله وجماله وشرف محله ، ويسير في حديثه عن الشام على الطريقة نفسها التي وصفت بها الأماكن المقدسة في فلسطين(٨٢) .

وإذ يُقدِّر كل منصف هذا الجهد الكبير الذي بذله المستشرق الروسي في تتبع كتب الفضائل وما أُجريَ عليها من دراسات ، فإننا نورد الملاحظات التالية على دراسته ، دون أن ينتقص ذلك شيئا من القيمة الكبيرة لهذه الدراسة :

١ ـ كانت بعض المعلومات التي أوردها كراتشكوفسكي عن مؤلفي كتب الفضائل ومؤلفاتهم غير دقيقة ، وتلك في الواقع حالات نادرة ، وقد أُشير إليها في مواقعها في الصفحات السابقة .

٢ ـ إنه وإن كان ما أسماه كراتشكوفسكي حركة التحرير المرتبطة باسترداد القدس من الصليبيين حافزا دفّاعاً إضافيا للتأليف في فضائل القدس ، إلا أن ما كتب في فضائل القدس لا يمكن أن يرتبط ارتباطا مفردا في جميع مراحله بنمو حركة التحرير التي ترجع إلى عهد صلاح الدين أو إلى ما قبل ذلك بقليل ، كما يقول هو . وقد سبق أن ناقشنا هذا الموضوع في صفحات سابقة ، فلا داعي للإعادة هنا .

٣ ـ إن وصف كثيرٍ مما كتب عن القدس بأنه « أدب دعاية » ، من أجل استحثاث الناس على زيارة القدس ، فيه تركيز على جانب واحد دون جوانب أخرى ، حين نأخذ بعين الاعتبار ، الحوافز الأساسية الكامنة وراء هذا التأليف . فأيّما قراءة متمعنة

---

(٨٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٥٥ .

لكتب الفضائل ، سواء أكانت في مادة الكتب أم في مقدماتها أم في خواتمها ، تُشعِر بأن الحافز الأول على الكتابة ، كان حافزا دينياً صادقاً . كما سيتبين من قراءة مواد القسم الثاني من هذا الكتاب ، المحتوية مختارات من متون إحدى عشرة مخطوطة ، والمقدمات التي وضعت لهذه المخطوطات وكذلك خواتمها . وفكرة أدب الدعاية ، أو الكتاب « الدليل » الذي يُعرّف بمواقع معينة في قطر ما أو مدينة ما ، كما يُفهَم في زمننا هذا ، لم تكن قائمة في أذهان كتاب الفضائل بالصورة التي نفهمها الآن ، ولاسيما أنه يُشْتَمّ من تسميات كهذه للكتب رائحة التجارة والكسب المادي ، في حين أن أولئك الكتاب لم يكونوا وكلاء شركات « للدعاية والسياحة والسفر » في المفهوم المعاصر لمجتمعنا الحديث .

***

وفي عام ١٩٦٠ ، كتب إلياهو اشتور Eliyahu Ashtor مقالاً باللغة العبرية في مجلة تربيز Tarbiz ، وهي مجلة ربع سنوية مختصة بالدراسات اليهودية ، وتصدر في الأرض المحتلة باللغة العبرية ، وأهدى مقاله ذاك إلى شلومو جويتين Goitein الذي سبق لنا استعراض كتابته . وكما ذكر في صفحات سابقة ، فقد تبين أن ما كتبه اشتور لم يكن إلّا عرضاً لأحد كتب الفضائل ، وهو كتاب « المستقصى في فضل الزيارة بالمسجد الأقصى » لنصر الدين الرومي الحلبي(٨٣) .

وفي عام ١٩٧١ نشر ايمانويل سيفان Emanuel Sivan بحثا باللغة الإنجليزية في مجلة الدراسات الشرقية الإسرائيلية بعنوان « الكتابات الأولى في فضائل القدس » The Beginnings of the Fada'il al-Quds Literature ، تحدّث فيه عن عدم شيوع الكتابات الخاصة بفضائل القدس ، ووصف هذه الكتابات ، بأنها من أقل أنماط أدب العصور الوسطى شيوعا ومن أقل الكتابات المعروفة لدى الناس . وعرّفَ هذه الكتابات بأنها تعنى بالمؤلفات التي توضح الفضائل الخاصة بالبلاد والمدن والأماكن الإسلامية من النواحي الدينية والتاريخية والطبيعية ، وقال إن هذه الكتب تستحق الدراسة ، لأن من شأنها أن تقدم مادة

---

(٨٣) Tarbiz: Vol. XXX, December, 1960, pp.209-214.

غزيرة عما أسماه الوعي الوطني في أقاليم إسلامية كثيرة ، وهو الوعي المتعلق بالمقدسات الدينية والمعتقدات الشعبية والأساطير . ويرى سيفان أن الحاجة غير مقتصرة فقط على نشر كتب الفضائل ، بل وكذلك على دراسة نمطها ، لأن مثل هذه الدراسة من شأنها أن تضع أساسا لبحوث منهجية في المستقبل(٨٤) .

وحين يستعرض سيفان بعض ملامح كتابي الواسطي وأبي المعالي المقدسي ، وهما أبكر كتابين وصلا إلينا من الكتب التي خصصت لفضائل القدس ، يرى أن هذين المؤلفين قد أوضحا أربع مزايا للمدينة المقدسة ، اشتُقَّتْ جميعها من الروايات الإسلامية المتوارثة ، وهذه المزايا ، كما يقول ، هي :

١ ـ دورها الحقيقي أو الأسطوري في تاريخ الديانات التوحيدية الثلاث :
اليهودية : (بناء الهيكل على يد داوود وسليمان ، وتدميره على يد نبوخذ نصّر وتيطس ، وما روى عن علاقة المدينة بنوح ويوشع وبالأنبياء المدفونين فيها) ، ثم المسيحية : (قصة طرد السيد المسيح للتجار من الهيكل ، وقيامه بمعجزات في القدس ، ومدفن مريم العذراء في المدينة) ثم الإسلام : (أن القدس كانت القبلة الأولى للإسلام ، وما أخبر به الرسول (ﷺ) من فتحها الوشيك ، وإسراء الرسول (عليه السلام) إليها وعروجه منها إلى السماء ، والفتح العمري ، وبناء عبدالملك قبة الصخرة فيها ، ومجموعة الأنبياء والأولياء والصالحين الذين زاروا المدينة أو دفنوا فيها) .

٢ ـ دورها المقبل يوم المعاد والحساب ، وكونها مكان الملحمة ضدّ الدجّال ومكان تجمع الأجناس البشرية ، وأن فيها يُنصَب السراط .

٣ ـ فضائل مواقع مقدّسة مختلفة داخل المدينةوحولها ، مثل مسجد الصخرة والمسجد الأقصى ، وبوّابات القدس ، وقبب المعراج والسلسلة والأنبياء ومنابر داود وزكريا ومريم وعمر ، وعين سلوان ، وبئر الورقات ، وبيت لحم والخليل .

---

(٨٤) Israel Oriental Studies, 1971, p.263.

٤ ـ الروايات التي يقصد بها اجتذاب الزوار والمستوطنين إلى القدس ، ويدخل في ذلك أهمية زيارة القدس وقيمة الصلاة فيها ، والرعاية الإلهية لسكانها ، وما وعدوا به من أجرٍ دنيوي وأخرويّ ، والقيمة الخاصة للعبادات التي تمارَس فيها .

ويقول سيفان بعد ذلك ، إن مؤلفي الفضائل لم يجعلوا مدينة القدس تبذُّ مكة والمدينة في فضائلها ، وأنهم كانوا يرون أن الخليفة الحقيقي لابد أن يكون مسجدا المدينة والقدس في حوزته . ويتحدث سيفان عن الأحاديث التي أوردها الواسطي وأبو المعالي المقدسي عن استحثاث المؤمنين على أن يُهِلُّوا بالحج إلى مكة من القدس ، ويعرض لمواد أخرى أوردها هذان المؤلفان عن فضائل الشام(٨٥) .

وحين يعرض للشخصيات التي أوردها الواسطي وأبو المعالي مما لم يرد ذكره في الأحاديث النبوية ، يرى أنَّ من المحتمل أن تكون هذه الشخصيات قد أُخِذَتْ من كتاب قصص الأنبياء للثعالبي . ويلاحظ أن بعض ما أورده أبو المعالي في كتابه عن هذه الشخصيات ، مختلف عما ذكره الواسطي ، مما ينفي اعتماد أبي المعالي على الواسطي فيما رواه .

ويلاحظ سيفان أنَّ الواسطي يعطي طرقا مختلفة لرواية كل حديث نبوي ، مما يحتاج في دراسته إلى ممحّص متخصص بعلم الحديث(٨٦) . وبعد عرض لمواد أخرى من أبي المعالي المقدسي ، يقول سيفان : إن كتابة أبي المعالي المقدسي تقدم مادة في غاية الأهمية لدراسة المعتقدات والممارسات الشعبية ، وإن ما قدّمه أبو المعالي بهذا الشأن ، يتطلب دراسة دقيقة ، ثم يعبّر عن أمله في أن يقوم هو بنشرها في الوقت المناسب . وينهي سيفان تعليقاته بالحديث عن أثر احتلال الصليبيين للقدس على تأليف كتب الفضائل مما سبق أن عرضناه في موضع آخر(٨٧) .

---

(٨٥) Israel Oriental Studies, 1971, pp. 266-268

(٨٦) Ibid, pp. 268, 269

(٨٧) انظر : Ibid, p.271

وواضح من هذا الذي كتبه سيفان في بحثه في المجلة اليهودية ، أنه في الدرجة الأولى كتابة وَصْفِيّة عامّة ، متلوّة بعرض لمواد من أول كتابين وصلانا عن فضائل القدس بصورة خاصة . أمّا ما عرضه في بحثه هذا عن أسباب تأخر الكتابة في فضائل القدس ، فقد أوردناه في مكان سابق من هذا الكتاب ، وحاولنا في حينه أن نعرض له بالتحليل والتعليق .

وفي سنة ١٩٦٨ صدر كِتاب بالإنجليزية لفرانز روزنتال Franz Rosenthal بعنوان : A History of Muslim Historiography ، احتوى ضمن ما احتوى أشياء عامة عن ما أسماه التواريخ المحلية التي قسمها بين علمانية ودينية . ويدخل في النوع الثاني كتب الفضائل بالطبع ، وهو يصنّف هذه التواريخ بصورة عامة باعتبار أنها نوع تخصصي من التاريخ العام ، ويرى أن كتب التواريخ المحلية الدينية جاءت لاحقة زمنيا بكتب التواريخ المحلية العلمانية ، وأن نقطة البداية في هذه الكتابات ، كانت وصف المعالم الجغرافية والطبوغرافية للبلد المعني(٨٨) .

وفي إشارة واضحة إلى كتب فضائل القدس ، يقول روزنتال إن المؤلف كان يبدأ بمقدمة طبوغرافية ، يتلوها تعداد للرجال والنساء الذين ولدوا في البلد ، أو الذين أقاموا فيها ، أو كان لهم شكل من أشكال الاتصال بها . ويكرر روزنتال القول في مكان لاحق من كتابه بأن كتب الفضائل هي شكل من أشكال التاريخ المحلي الديني ، وأنّ هذه الكتب كانت في البداية تعالج معالم المدينة الطبيعية والجغرافية وخبر سكانها ، وكثيرا ما كان ثمة تعريج على المقابلة بين مكانين(٨٩) .

أما حديثه المحدّد عن كتب فضائل القدس ، فإنه يكاد ينحصر في ذكر بعضٍ من هذه الكتب مع ذكر أسماء مؤلفيها . ومن الكتب الذي ذكرها، كتاب مكي بن عبدالسلام الرميلي المقدسيّ الذي قتله الصليبيون عام ٤٩٢ هـ ، وكان قد شرع في تأليف

---

(٨٨) A History of Muslim Historiography, pp. 151, 152

(٨٩) المصدر نفسه : Ibid, pp. 166, 170

كتاب عن تاريخ القدس وفضائلها ، وكتاب أبي بكر الواسطي المسمى « فضائل البيت المقدّس » ، وكتاب صلاح الدين أبي سعيد ، خليل بن كيكلدى العلائي المسمى « مسائل الأنس في تهذيب الوارد في فضائل القدس » ، وكتاب عماد الدين الأصفهاني « الفتح القسي في الفتح القدسي » ، وكتاب أبي بكر بن محب الدين المولود سنة ٧١٢ أو ٧١٣ هـ والمتوفى سنة ٧٨٩ هـ . وهو لم يذكر اسم الكتاب ، واكتفى بالقول إن المؤلف كتب باختصار عن الذين أقاموا في القدس[٩٠] . أما اسم هذا الكتاب الذي لم يذكره ، فهو « تجريد من نزل ببيت المقدس » ، وقد ذكره شمس الدين محمد السخاوي في كتابه « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ »[٩١] ، ثم كتاب برهان الدين إبراهيم بن تاج الدين بن عبدالرحمن بن إبراهيم السبّاع الفزاري المعروف بابن الفركاح ، المسمى « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » ، ومؤلفه توفي سنة ٧٢٩ هـ . وذكر كذلك من هذه الكتب كتاب « روضة الأولياء في مسجد إيلياء » لابن النجاّر ، وهو محمد بن محمود بن النجار الملقب بمحب الدين البغدادي الشافعي ، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، وكتاب شمس الدين محمد بن محمد حسين الكنجي الصوفي المتوفى سنة ٦٨٢ هـ ، المسمى « فضائل بيت المقدس وفضل الصلاة فيها » ، وكتاب إسحاق بن إبراهيم التدمري المسمى « مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام » ، وكتاب أبي الحسن علي بن محمد بن شجاع الربعي الذي اختصره عبدالرحمن الفزاري وأسماه « الإعلام بفضائل الشام » ، وهو يحتوي مادة عن فضائل القدس[٩٢] .

أما مئير كستر Meir J.Kister فقد وقفنا لَهُ مِنْ قبل على كتابتين تتعلقان بفضائل القدس وكُتُبِها : الأولى منها بحثٌ نشره في مجلة Le Museon البلجيكية سنة ١٩٦٩ ، وهو بالإنجليزية ، واتخذ له عنوانا الحديث النبوي المعروف بشأن المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ، وقد وضعه كستر بالإنجلزية على هذا النحو :

. "You shall Only Set Out For Three Mosques"

(٩٠) انظر : المصدر نفسه : Ibid, p. 464

(٩١) انظر : « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » للسخاوي ط بغداد ١٩٦٣ ص ٢٥٧ .

(٩٢) انظر A History of Muslim Historiography, p. 469.

أما كتابته الثانية ، فقد كانت سنة ١٩٨١ ، وهي تكوّن جزءا من محتويات حلقة دراسية عن كتب فضائل القدس عقدت في القدس المحتلة ، وشارك فيها أربعة من باحثي اليهود المختصين في دراسات القدس ، وكان أشتور واحدا من هؤلاء الأربعة . وقد ضُمِّنَتْ مشاركات الأربعة في كتيّب صدر بالإنجليزية بعنوان :

Symposium: .Muslim Literature in Praise of Jerusalem Participants: Isaac Hasson , Meir Kister, Eliyahu Ashtor,Joseph Drory.

ليس فيما كتبه كستر في المجلة البلجيكية حديث مباشر عن كتب فضائل القدس ، ولو أنّ الحديث النبوي الشريف ، الذي اتخذه عنوانا لبحثه في هذه المجلة هو محور الأحاديث النبوية التي ذكرت في كتب الفضائل الخاصة بهذه المدينة . إلا أن في بحثه المذكور بعضا من الأمور المرتبطة بصورة وثيقة بالمواد التي تحتويها كتب الفضائل . ومن هذه قوله : إن التحوّط الذي أبداه علماء المسلمين فيما يتعلق بقداسة القدس ، إنما قُصِد منه ألا يعتبرّها بعض الناس مكانا يُحَجُّ إليه مثل مكة . ومع أنه يورد بعض الأحاديث المنسوبة إلى الرسول (ﷺ) والمشكوك في صحتها ، والتي قد توحي بالتقليل من أهمية القدس لدى فئات معينة من المسلمين ، إلا أنه يقول إن مثل هذه الأحاديث لم تدون في كتب الحديث(٩٣) .

ولو أنه حاول أن يعلّل تعليلا صحيحا ، عدم تدوين هذه الأحاديث في كتب الحديث ، لقال إنها لم تدون لأنها لم تكن مقبولة عند من دونوا الحديث النبوي .

وبعد أن يتحدث عن تجاوزات بعض الناس في ممارساتهم التعبُّدِيّة في المسجد الأقصى ، يذكر معارضة علماء المسلمين المتصلة لهذه البدع والاعتقادات مما سبق أن ذكرناه من قبل(٩٤) .

أما مشاركته في الحلقة الدراسية التي عقدت في القدس عن كتب الفضائل الخاصة

---

(٩٣) انظر : Le Muscon, LXXXII, Louvian, 1969, pp. 182, 184,193.

(٩٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ Ibid:pp. 194, 195

بهذه المدينة ، فأنها تنصب بالدرجة الأولى على الأحاديث النبوية الخاصة بفضائل القدس مما سبق أن عرضنا له . وحين يعرض القصص التوراتية الخاصة بالمدينة ، يقول إن الذين دخلوا الإسلام من اليهود كان لهم دور في إشاعة قصص توراتيه عن فضائل القدس ـ وهو ما يسميه المسلمون « الإسرائيليات » . ثم يتحدّث عن الدور الكبير الذي اضطلع به الزهاد المسلمون في الإشادة بالقدس(٩٥) .

وفي حزيران (يونيو) سنة ١٩٧٣ ، نشر الدكتور إسحاق موسى الحسيني بحثا عن فضائل بيت المقدس في مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، وقد تعرض فيها لعدد كبير من الكتب التي أُلِّفَتْ في تواريخ البلدان ، وأورد قائمة بمجموعة منها ، ثم انتقل إلى الكتب التي أُلِّفَتْ عن فضائل بيت المقدس ، وقال إن معظمها مخطوط أو مفقود . وأورد بعد ذلك ما اعتبره أسبابا أساسية لقداسة المدينة ، ونفى أن تكون عناية الأمويين بالمدينة عائدة لأسباب سياسية ، ثم خصص الصفحتين الأخيرتين من بحثه للحديث عن كتاب « فضائل البيت المقدس » للخطيب الواسطي ، وقد كان الكتاب ما يزال مخطوطاً عندما نشر الدكتور الحسيني بحثه في المجلة المذكورة ، ولذا فإنه حين تحدث عن النسخة الوحيدة للمخطوط في جامع الجزار بعكا ، ذكر أن (هيئة القدس العلمية) في القاهرة ستقوم بنشره . والواقع أن الكتاب قد نشر ، كما ذُكِر في صفحات سابقة عام ١٩٧٩ ، وقام بنشره ، إسحاق حسون كما ذكر سابقا ، وكما هو مبيّن كذلك في الأسطر اللاحقة(٩٦) .

وفي سنة ١٩٧٩ ، نشر إسحاق حسّون من الجامعة العبرية مخطوطة أبي بكر الواسطي التي تحمل عنوان : « فضائل البيت المقدّس » ، والتي أشرنا إليها في غير ما موضع من هذه الدراسة ، وقدم لكتابه الذي احتوى المخطوطة مقدمة فيهادراسة عن المخطوطة ، ومجموعة ملاحظات عامة عن كتب فضائل القدس . والجدير بالذكر أن

---

(٩٥) المصدر نفسه ص ١٨٦ Ibid: p. 186

(٩٦) انظر : مجلة معهد البحوث والدراسات العربية « العدد الرابع ، جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ / حزيران(يونيه) ١٩٧٣ م ص ٢٩٧ ـ ٣٥٤ .

إسحاق حسون هذا ، قد نال درجة الماجستير من الجامعة العبرية على نشر هذه المخطوطة وتحقيقها .

يتحدث حسون عن كتاب الواسطي باعتباره أول كتاب يصل إلينا خُصِّصَ بأكمله لفضائل القدس ، ويقول إن الواسطي قرأ كتابه في منزله في القدس سنة ٤١٠ هـ ، واتبع طرق المحدثين في إيراد الأسانيد كاملة ، ثم يتحدث بعد ذلك عن المؤلفين الذين نقلوا عن الواسطي ، ويورد أسماء ثمانية منهم . ويتبع حسون فرانز روزنتال في اعتباره كتب الفضائل نوعاً من التواريخ المحلية ، ولكنها تختلف عن هذه الكتب بقلة الأخبار التاريخية فيها ، وكثرة التفاصيل الخاصة بفضائل المدينة ، أو بمحاسنها ومحاسن أهلها . ويتبع هذا الكاتب ما ذهب إليه روزنتال من أن كتب الفضائل تطورت بعد ذلك ، وأخذت تسير على نمط واحد ، قوامه إيراد آيات وأحاديث منسوبة إلى النبي (ﷺ) ، أو بعض كبار الصحابة،ثم يقول إن علماء المسلمين حاولوا إيجاد علاقة بين المدن المفتوحة والأماكن المقدسة ، وبين الشخصيات المعروفة من القصص الإسلامية(٩٧) .

ويُدرِج حسون بعد ذلك قائمة بأسماء كتب الأدب والحديث والتفسير والجغرافية وغيرها التي صنفت قبل كتاب الواسطي ، والتي احتوت روايات كثيرة عن فضائل القدس(٩٨) .

ثم نلتقي مرة أخرى مع أقوال هذا الكاتب اليهودي ، في الحلقة الدراسية التي عقدت في القدس عام ١٩٨١ عن كتب فضائل القدس ، والتي شارك هو فيها مشاركة كبيرة . وهنا نجده يقدم مجموعة آراء حول كتب الفضائل ، بعضها مما سبق أن قدّمه هو في إطار مقدمته لكتاب الواسطي ، وبعضها مما سبقه إليه آخرون من الدارسين اليهود والغربيين ، بالإضافة إلى آراء بسطها لأول مرة في هذه الحلقة ، وهي ما سوف نلقي ضوءا خاصا عليه في السطور اللاحقة .

---

(٩٧) انظر فضائل البيت المقدس لأبي بكر الواسطي ، إسحاق حسون ، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية ، الجامعة العبرية ، القدس ١٩٧٩ ص٤١ ، ٢٥ .

(٩٨) المصدر نفسه : ص ٣٢ ـ ٣٤

يـرى حسون أن أدب الفضـائل هـو تطوّر عن أنمـاط معينة في الحيـاة العـربيـة الإسلامية ، ذكر منها قصائد التفاخر ما بين القبائل زمن الجاهلية ، حين كان الشاعر الجاهلي ينظم شعرا للافتخار بقبيلته وامتداح ديار القبيلة ، وذكر منها كذلك الروايات المحفوظة في كتب التاريخ والأدب العربي عن الخطب التي كانت تلقيها الوفود حين تفد على الملوك ، كملوك فارس مثلا ، أو على الرسول (ﷺ) ، ويضيف أن هذا النوع من الكتابات ، قـد تطور أيضـا عن اهتمام المسلمـين بحياة النبي (ﷺ) ، ثم أسهمت المنافسات بين المدن كذلك في تطور روايات الفضائل . ولكي يثبت اهتمـام المسلمين بأدب الفضائل عامة ، ولاسيما في الأمور المرتبطة بالدين ، يستشهد بكتاب اسمه « كنز العُمّال » للمتقي الهندي المتوفى سنة ٩٧٦ هـ ، يُظْهِرُ فيه أدب الفضائل الذي ازدهر في القرون الأولى من تاريخ الإسلام ، وعدَّدَ من هذه الفضائل في الكتاب المذكور سبعة أنواع هي : فضائل كل سـورة وكل آيـة من سور القـرآن الكريم وآيـاته ، وفضـائل الشهادتين ، وفضائل ذكر الله ، وفضائل الصحابة ، وفضائل الحج ، وفضائل التوبة . ثم قال إنّ إدخال الفضائل الدينية استلزم البحث في السَند والمتن ، وقد طُبِّقَ ذلك على فضائل المدن المقدسة في الإسلام : مكة والمدينة والقدس(٩٩) .

وفي معرض حديثه عن عوامل تطور الأدب الإسلامي الخاص بفضائل القدس ، يذكر حسون ضمن ما يذكر ، أن من هذه العوامل ، الزهاد ، وهم أول من اعتكفوا من المسلمين للعبادة في منطقة القدس ، ومن هؤلاء الفضيل بن عياض ، وسفيان الثوري ، وإبراهيم بن أدهم وغيرهم ، وقد أورد أبو المعـالي المقدسي أقـوال هؤلاء الزهـاد عن خصوصية القدس ، ثم أخذها عنه من بعده اللاحقون من كُتّاب الفضائل . والغريب أن حسون يرى في نسك هؤلاء الزهاد المسلمين تقليدا للنسّاك النصارى(١٠٠) . مع أن أسس الزهد في الإسلام ، كما يُستخلص من القرآن الكريم والسنة النبوية وحياة الرسول عليه

(٩٩) Symposium: pp. 168, 169

(١٠٠) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ Ibid: p. 172

السلام وحياة أصحابه ، هي أسس مختلفة جدا عن النسك المسيحي والرهبانية المسيحية ، إذ « لا رهبانية في الإسلام » .

ويتصيّد حسون الأدلة تصيّدا في إطار الأسلوب الانتقائي لما يراد الاحتجاج به دون غيره ، فيقول في معرض محاولة إثبات ما ذهب إليه من أن مكانة القدس قد تضاءلت بعد انتقال عاصمة الخلافة الإسلامية من دمشق إلى بغداد ، إنه لم تكن في القدس في تلك الفترة مدارس لتعليم العقيدة الإسلامية ، ويستشهد على قوله بكتاب « آثار البلاد » للقزويني . وفي قوله هذا تنكّر للحقيقة من عدة وجوه : فهو قد اعتمد على مقولة واحدة لمؤلف ليست له صلة قوية مع مدينة القدس ، ولم يكتب عنها في زمن قريب من الزمن الذي تحولت فيه الخلافة إلى بغداد عام ١٣٢ هـ ، إذ هو من رجال القرن السابع الهجري . وهو يتحدث عن عدم وجود مدارس لتعليم العقيدة الإسلامية في القدس خلال القرن الثاني الهجري نقلا عن صاحب « آثار البلاد » ، في حين أن العقيدة الإسلامية في تلك الفترة لم تكن تعلّم في القدس و في غير القدس من المدن الإسلامية عن طريق المدارس في المفهوم الذي آلت إليه كلمة « مدرسة » الاصطلاحية في القرن الرابع الهجري(١٠١) ، بل كانت تعلم من خلال السماع الشخصي للمتعلم من شيخه ، وفي أبهاء المساجد وصحونها ، وفي المنازل ، وفي غير هذه من الأمكنة ، قبل أن توجد المدارس ذات الصبغة التعليمية المحددة . ولو أن المسجد الأقصى كان في تلك الفترة معهدا علميا كبيرا ، كما وصفه مؤلف حديث(١٠٢) .

هذا وقد رجعتُ إلى كتاب « آثار البلاد » للقزويني الذي اتكأ عليه حسون في قوله إنه لم تكن في القدس في تلك الفترة مدارس لتعليم العقيدة الإسلامية . فوجدتُ أنّ ما نُقِل عن القزويني غير دقيق ، ولا يدخل في السياق الذي أراده حسون . ذلك أن

---

(١٠١) انظر في نشوء المدارس الاسلامية وانتشارها : Encyclopaedia of Islam, under «Origin and Spread of the Madrasa London,» 1936, VOI. III pp. 353-360.

(١٠٢) انظر في هذا الموضوع كتاب « معاهد العلم في بيت المقدس » ، كامل العسلي عمان ١٩٨١ ـ ص ٢٥ ـ ٣٣

القزويني لم يذكر شيئا عن القدس ابتداء من عنده ، بل هو اقتبس أقوال السـابقين ، والقسم الأكبر مما جاء به عبارة عن أساطير رُويتْ عن أهل الكتاب . وما يتعلق بالعلم والتعليم في القدس ، لم يورَدْ على الشاكلة التي قدّمها حسون ، إذ إن ما أورده القزويني هو نقل حرفي ، كما يذكر القزويني نفسه ، عن كتابة محمد بن أحمد البشاري المقدسي ، من رجال القرن الرابع الهجري في كتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ، وذلك في معرض حديث المقدسي عن القدس فيما تُحْمَدُ به وفيما يؤخذ عليها في الفترة التي عاش فيها هو ـ القرن الرابع الهجري ، فكان مما أخذه على المدينة أنها قليلة العلماء في تقديره هو لعدد من فيها من العلماء . ولم يقل أبداً إنه لم تكن فيها مدارس لتعليم العقيدة الإسلامية بعد انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد ! والجدير بالذكر أن القزويني هذا من رجال القرن السابع الهجري ، وأنه أُخِذ عليه أنه نقل أخبارا عن الرواة الذين كانوا يوردون الخرافات والمستحيلات دون تمحيص وكان يقبلها على علاتها ويُثْبِتُها في كتاباته(١٠٣) .

وفي أقـوالٍ لاحقة لحسـون في إطار الحلقـة الدراسيـة المذكـورة ، يتحدث عن محتويات كتاب الواسطي الذي قـام هو بتحقيقـه ونشره . وإذ يقـول حسون إن علماء الحديث كانوا يتشدّدون في الأحاديث المتعلقة بالفقه والتشريع ، ويتسامحون في الأحاديث المتعلقة بالمُسْتَحَبّات والمرغوب في عملها ، ومن هذه ما يتعلق بالفضائل ، فإنه يقول بعد ذلك إن فضائل القدس تمثل خروجا على هذا النهج ، إذ إن علماء الحديث كانوا انتقائيين في رفضهم للأحاديث ، وتناولوا كل حديث بشأنها على حدة(١٠٤) .

هذا جُزْءٌ من كلٍ من ملاحظات حسون وتعليقاته على كتب فضائل القدس ، وقد أغفلنا ما تبقّى ، لأنه سبق التعرض له من قبل منسوبا إلى حسـون ، أو إلى غيره من الكُتّاب ، إذ كان مما أورده أولئك الكُتّاب ، وكرّره هو من بعدهم .

---

(١٠٣) انظر: آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا بن محمد بن محمود القزويني ، ط دار صادر ، ١٩٦٠ ، ص ٤ ، ١٦١ .

(١٠٤) انظر : Symposium, p. 176

وفي هذه الحلقة الدراسية نفسها التي عقدت في القدس للبحث في كتب الفضائل الخاصة بالمدينة ، نلتقي مرة ثانية مع كتابات إلياهو أشتور ، الذي سبق أن بحثنا كتابةً له عن أحد كتب فضائل القدس ، نُشرتْ في مجلة عبرية عام ١٩٦٠ . وهنا نجد أن هذا الكاتب يعرب تحفظاته على طريقة زميله حسّون في معالجة موضوع كتب الفضائل ، وفي معالجة كتاب الواسطي بالذات الذي قام حسون بتحقيقه ، وذلك لأن حسّون ، كما يقول أشتور ، يعالج كتاب الواسطي وكأنه كتاب حديث ، في حين أن الكتاب في فضائل القدس ، وليس مجموعة أحاديث ، ومثل هذا الكتب تحوي مادة عن تاريخ المدينة ، ووصْفاً لمعالمها ، مما يخرجها عن نطاق كتب الأحاديث النبوية . ثم ينتقد هذا الكاتب زميلَهُ لأنّ طريقته في معالجة الموضوع ، تشبهُ طريقة المستشرقين ، إذ يقارن كتاب الواسطي بكتب أخرى عن المدن الإسلامية ، في حين أنّ ما يتعلق بالقدس يختلف كثيرا عن الكتب الأخرى ، لأنّ القدس مدينة التقت فيها حضارات وثقافات وديانات مختلفة ، مما يستدعي أن يكون لفضائلها التي كتب عنها المسلمون تحليل من نوع آخر(١٠٥) .

ويرفض أشتور قول من يدّعون أنّ الكتابات عن فضائل القدس كانت نتيجة أوامر من الدولة ، إذ لا يمكن أن تكون كل هذه الكتب الخاصة بفضائل القدس قد كتبت بوحي من السلطات العليا(١٠٦) .

ويدخل أشتور بعد ذلك في مقارنات بين الكتابات المسيحية في القرون الوسطى عن القدس ، والكتابات الإسلامية في إطار كتب الفضائل ، ويورد في هذا الصدد أسماء مجموعة من كتابات السياح المسيحيين لذي أتوا إلى القدس ، ويخلص إلى نتيجة مؤداها أنه ينبغي عدم المبالغة في تأثير الكتابات المسيحية على الكتابات الإسلامية ، وذلك بسبب تعصب كُتّاب المسيحيين في تلك الأزمنة ضد كل ماهو غير مسيحي ، ولأنهم لم يدخلوا المسجد الأقصى ، بل رآوه من بعيد فقط(١٠٧) .

---

(١٠٥) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .Ibid, p. 187

(١٠٦) انظر Symposim, p. 188

(١٠٧) انظر : المصدر نفسه، والصفحة نفسها Ibid, p. 188

ويأخذ أشتور على الكتاب المسلمين أنه كان فيهم منحى لعدم الكتابة من خلال تجاربهم الشخصيّة ، وهذا يفسر كما يقول ، انعدام السير الذاتية في الكتابات الإسلامية(١٠٨) . وحكم أشتور هنا حكم جارف ، لايمكن قبوله بمفهومه الشموليّ . فإن كان يعني أن كتاب الفضائل أخذ بعضهم عن بعض ، فهذا مالا خلاف فيه ، إذ إن تتبع هذه الكتب تتبُّعاً تاريخياً يظهر هذا الأمر بجلاء . أما إذا كان يقصد أن جميعَ كتّاب الفضائل لم تكن لهم تجارب شخصية في مشاهدة القدس ، وزيارة معالمها وتفقد هذه المعالم أو بعضها على الأقل شخصيا ، فهو لم يقرأ عددا كافيا من كتب الفضائل ، ولم يقرأ مايكفي عن سير مؤلفي هذه الكتب . ويكفي أن نستذكر أن عشرة من مؤلفي كتب الفضائل الذين نعرفهم هم من أبناء القدس وفلسطين ، دون أن نَعُدّ من هم من أبناء بلاد الشام الأخرى التي كانت فلسطين جزءا منها ، لكي نتبين أن أمثال هؤلاء المؤلفين ، الذين يعيشون في المدينة نفسها ، ولهم إلفة تامة بمعالمها ، لايمكن إلا أن تكون لهم تجارب شخصية في المدينة التي عاشوا فيها وأحبّوها . والواقع أننا نجد عددا من الملاحظات الشخصية في كتابات بعض هؤلاء الكتاب ، ومنها ما يتعلق بقياسات المسجد الأقصى ، وهو ينبيء بوضوح أنهم قد استقوا معلوماتهم عن طريق تجارب شخصية لهم(١٠٩) .

وهنا نستذكر ملاحظة صحيحة ذات علاقة بما نحن بصدده ، أوردها فرانز روزنتال ، وهو قوله إن التاريخ المحلي - ويعتبر روزنتال كتب الفضائل من قبيل التاريخ المحلّي - أفسح مجالا للميول الفردية لمن كتبوا فيه ، على غير ما كانت عليه كتابة الحوليات(١١٠) .

أما القول بأن السير الذاتية معدومة في الكتابات الإسلامية ، فإنه حكم جارف أيضا ، وقد كان من الممكن أن يقال إنه لم يكن شائعا في الكتابات الإسلامية القديمة ، أمّا

(١٠٨) انظر : المصدر نفسه ، ١٨٩ Ibid, p. 189

(١٠٩) انظر مثلا : « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » المخطوطة ، ورقة ٤٩ .

(١١٠) Ahistory of Muslim Historiograph, 150

أنه منعدم ، فهو ما يتناقض مع الواقع . ويكفي أن نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر كتاب « الاعتبار » لأسامة بن منقذ من رجال القرن السادس الهجري ومن معاصري صلاح الدين ، وهو شكل واضح من أشكال السيرة الذاتية ، وما أورده أبو شامة المقدسي عن نفسه في « ذيل الروضتين »(١١١) ، ثم ما كتبه العالم المسلم الشهير ابن خلدون من رجال القرن الثامن الهجري عن نفسه في التعريف بابن خلدون . وبين كتّاب « فضائل القدس » من عرّفَنَا عن شيء من حياته في إطار المقدمة التي وضعها لكتابه : ذلك هو شمس الدين السيوطي صاحب كتاب « إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى » ، واللغة العاطفية المؤثرة التي تحدث بها في تلك المقدمة عن لهفته لزيارة القدس وشوقه العارم إلى رؤية معالمها ، ولاسيما المسجد الأقصى ، ثم نذرُهُ بأن يكتب عن فضائل القدس إذا تحقق له ما يحلم به من زيارتها ، ووفاؤه بهذا النذر فعلا بعد أن أتيحت له زيارة القدس والصلاة في المسجد الأقصى ، وتأليفه كتابَه المذكور آنفا في القدس(١١٢) ، كل هذه تقدّم دليلا على أن من مؤلفي كتب الفضائل من رأى أن الكتابة عن القدس مرتبطة بالتعرف عليها شخصيا ، بل ومن رأى في هذه الزيارة أمنية عزيزة تتحقق ، وأن فيهم من تعمّد أن يعطينا معلومات عن شخصه ، في إطار ما نسميه السيرة الذاتية .

أما رابع من اشتركوا في الحلقة الدراسية المذكورة عن كتب فضائل القدس فهو جوزف دروري Joseph Drory ، وإن كانت مشاركته في الحلقة ذات طابع عام ، وتتعلق بصورة خاصة بمدينة القدس إبان حكم المماليك ، وهي فترة كتب فيها الكثير من كتب فضائل القدس . ويقول دروي إن القدس كان لها أهمية دينية ملحوظة زمن المماليك ، بوصفها رمزاً وثيقاً له ارتباطات إسلامية بالماضي والحاضر معا ، تهم عامة الناس والطبقة الحاكمة على السواء . ويتحدث بعد ذلك عن إنجازات كثيرة للمماليك في المدينة المقدسة تتعلق بإنشاء المدارس ، وأعمال الترميم والصيانة والإضافات للمسجد الأقصى وغيره

---

(١١١) انظر : « ذيل الروضتين » ، دار الجيل بيروت ، ١٩٧٤ ، ط ٢ ص ٣٧ وما بعدها .

(١١٢) انظر مقدمة كتاب « إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى » : ١-٤ .

من الأماكن المقدسة ، مما لاحاجة لتفصيله هنا لأنه خارج عن نطاق هذه الدراسة[١١٣] .

ثم يتحدث عن تحول القدس إلى مركز ديني على نطاق العالم الإسلامي ولاسيما بعد الحركة الصليبية ، وعن تدفّق الصوفيين والزهاد إليها من جميع أنحاء العالم الإسلامي من أجل الاعتكاف فيها ، ومن هؤلاء لاجئون من الأندلس ، وأناس قدموا من شمال إفريقية ، وسكنوا في حي خاص بهم هو حي المغاربة ، ومصريون أتوا من مصر ، ومؤمنون أتَوْا من أفغانستان وأذربيجان وجزيرة القرم ، ومن كرمان والأناضول وحصن كيفا ورأس عين والموصل وبغداد والكرك وعجلون[١١٤] .

ويكرر دروري ماسبق إليه غيره ممن كتبوا عن الزهاد والصوفيين الذين أتوا القدس ، وما أورده مؤلفو كتب الفضائل حول هذا الموضوع ، حين يقول إن الزهاد المسلمين والصوفيين قد بدأوا يتوافدون على القدس ، منذ القرون الأولى في تاريخ الإسلام ، وأن الناس في عهد المماليك ، كانوا يعتقدون أن الصوفيين الذين أتوا القدس كانوا ذويي كرامات . ويقول إن كثيرين من شيوخ الصوفية كانوا يدرسون الشريعة في القدس ، ولاسيما في المدرسة الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين. وبعضهم كان يأتي ليبقى لمدد طويلة للمجاورة ، مما حول القدس زمن المماليك إلى مركز للمسلمين من مختلف الأجناس والمواطن ، وإلى مركز إسلامي للعلم والتديّن وعمل الخير . ويذكر دروري في هذا الصدد أن الحركة التعليمية في القدس قد ازدهرت بعد استعادتها من الصليبيين ، وأن المدارس قد كثرت فيها ، وبعضها مايزال قائما حتى يومنا هذا ، وقد جاءت الهبات لإنشاء المدارس من مختلف الأشخاص والجهات ، حتى من بلاد بعيدة عن القدس ، كالأناضول وبغداد[١١٥] .

وفي نطاق الدراسات التي كتبت عن كتب فضائل القدس ، نأتي في عام ١٩٨١ إلى

---

(١١٣) Symposium: pp. 190, 198, 199

(١١٤) Ibid: pp. 201- 203.

(١١٥) انظر : Symposium, pp. 204, 205

مؤلَّفٍ وضَعَهُ أحد أبناء القدس ، هو الدكتور كامل العسلي ، تحت عنوان : « مخطوطات فضائل بيت المقدس : دراسة وببليوغرافيا » وهو الكتاب الذي جرت إليه الإشارة مرارا في هذه الدراسة . وهذا الكتاب ، يقدم مقطعا مستعرضا لكتب فضائل القدس ، ويهيىء للباحث السبيل للبحث عن المخطوطة المطلوبة في مكان وجودها ، ويحتوي مؤشرات مفيدة عن مصادر ومراجع ، يمكن أن تكون عونا للباحث حين يتناول بالدراسة والتحقيق مخطوطة من المخطوطات المدرجة أسماؤها في الكتاب .

***

هذا ولابد أن الذين قاموا بدراسات عن كتب فضائل القدس ، هم أكثر من هؤلاء الذين تعرضنا لذكرهم . غير أن قائمة الدارسين التي أوردناها ، كانت بحكم الضرورة ، مقتصرة على الكتابات التي استطعنا أن نتّصل بها وندرسها بصورة مباشرة أو غير مباشرة في حين أنه لابد أن توجد دراسات لكتاب آخرين لم نعرف عنها ولم تقع عليها أيدينا .

وفي حدود المعرفة المتواضعة لكاتب هذه السطور ، فإن كتابنا هذا الذي نخطّ سطوره ، يمثل أحدث حلقة في حلقات تحقيق نصوص من كتب فضائل القدس . وإجراء دراسة شمولية عنها ، وسنفصل القول عن كتب الفضائل التي اخترناها لتحقيق نصوص منها ، وإجراء دراسة عليها في الفصل اللاحق من هذا الكتاب .

***

ومن حق المتتبع لهذه الدراسة ، أنْ يتساءل عن الحصيلة التي يخرج بها القارىء فيما يتعلق بكتب فضائل القدس ، وذلك لأن من شاركوا في دراسة كتب الفضائل ، نشراً أو ترجمة أو تحليلاً أو تعليقاً ينتمون إلى بيئات ومعتقدات وثقافات مختلفة ، وقد تتفق آراؤهم حول ما يتعلق بهذه الكتب ، وقد لاتكون متفقة ، بل قدتكون متناقضة ، ومن حق القارىء أن ينتهي الأمر به إلى استخلاصات ونتائج معيّنة بعد هذا العرض المتشعب

للأقوال والآراء والاجتهادات . وسنحاول فيما يلي من الصفحات أن نقدم ما استخلصناه من ذلك كله ، وهو كاستخلاصات الآخرين واجتهاداتهم ، يمكن أن يلقى قبولاً من الدارسين والقارئين ، وهذا ما أرجوه ، وقد لا يلقي القبول كلاً أو جزءاً ، وهذا من طبائع الأشياء :

١ ــ لا أعتقد أن كتب فضائل القدس ، قد نالت حتى الآن قدرا كافيا من الدراسة المستوعبة المستقصية ، إذ إنه لم يتبينْ من خلال ما تقدم أن الدارسين لهذه الكتب ، قد بنوا دراستهم على صلة شخصية مع كل ما عرف من مخططات فضائل القدس أو حتى مع القسم الأكبر منها على الأقل ، وهي الطريقة الوحيدة التي تؤدي إلى فهم هذه المخطوطات ، ومن ثم الحكم عليها حكما مبنيا على الحقائق المجرّدة . وإن الاتصال بكتاب أو كتابين بشكل مباشر أو عن طريق الترجمة ، لا يمكن أبداً أن يعطي فكرة صادقة عن مجموعة الكتب التي أُلفت في هذا الموضوع ، وهي كثيرة حتى لو حصرناها في نطاق ما عثر عليه منها حتى الآن ، دون المفقود منها . ولا ننسى كذلك ، أن عددا ممن كتبوا عن كتب الفضائل ، قد كتبوا مادتهم في فترات زمنية مختلفة . وأنه في كثير من الحالات ، لم يكن بعض من هذه المخطوطات الموجودة حاليا قد عثر عليه بعد ، مما يجعل الدراسات المتعلقة بها مبتورة بالضرورة .

٢ ــ من بين ثلاثة وعشرين شخصا ممن نشروا بعضا من مخطوطات فضائل القدس ، أو ترجموها كليا أو جزئيا ، أو أعدّوا دراسات عنها تبينّا أن العرب يكونون أقل النِسَب ، إذ كان عددهم ستة أشخاص ، في حين أن السبعة عشر شخصا الآخرين كانوا من الأجانب ، ومن بين هؤلاء الأجانب نسبة عالية من الكتاب اليهود . وقد قُصِرَتْ عملية الإحصاء هذه على من نشروا أو ترجموا أو درسوا مخطوطات عن فضائل القدس ، في المفهوم المتعارف عليه لكلمة مخطوطة ، واستثنيتْ تلك الكتب التي طبعت بعد تأليفها ، دون أن تكتسب صفة المخطوطة التي تحتاج إلى تحقيق نصها قبل أن تُنشَر .

وإذْ لا ننكر على الناس أن يقرأوا تراثنا ويحققوه وينشروه ويترجموه ويُجْروا دراسة عليه ، فإننا نعتقد أن أولى الناس بدراسة التراث العربي وكشف الغطاء عن المحجوب منه ، هم أصحاب ذلك التراث لأنه تراثهم ، ولأنهم أعلم بدقائق اللغة التي كتب بها هذا التراث من غيرهم ، ولأن بعث هذا التراث فيه لهم فائدة علمية وفائدة عملية في آن واحد ، ولاسيما إذا كان يختص بقضايا لها حساسية خاصة في حياة العرب المعاصرة ، مثل قضية القدس . ثم إننا لانعدم ، كما لابد أن لوحظ في الصفحات السابقة ، أن يتعمد دارس أجنبي لسبب أو لآخر إلى أن يحرف الأمور عن مواضعها . مما يترتب عليه الضرر والأذى ، وهذا فضلا عن تحريفات غير متعمدة ، ربما كانت ناشئة عن فهم خاطىء للنص اللغوي في مادة هذه المخطوطات ، أو لما يوحي به هذا النص من ظلال ومعان جانبية .

٣ ــ قد تُحْدِثُ الآراء المختلفة التي طرحها الدارسون الأجانب بصورة خاصة ، بلبلة في نفس القاريء فيما يتعلق بقداسة القدس ، ومكانتها في الإسلام ، والذي وصل إليه كاتب هذه السطور ، من خلال قراءته للمخطوطات التي بين يديه وللمخطوطات التي نشرت من قبل ، أنّ قداسة القدس لم تكن في أية فترة من الفترات في تاريخ الإسلام ، موضع شك أو تساؤل بين المسلمين ، على اختلاف فئاتهم ودولهم واتجاهاتهم . وأيما اختلاف في وجهات النظر حول قدسية المدينة المقدسة ، إنما كان في محوره الأصلي ، يتعلق بالوقوف في النظرة إلى المدينة عند الحدود الحقيقية التي رسمها الإسلام لها ، وعدم تجاوز هذه الحدود إلى ما لا يقبله الإسلام في إطار عقيدته وشريعته وممارساته التعبدية . ولن يخفى على القاريء المتأني أنّ الذين كانوا يتجاوزون هذه الحدود في نظرتهم إلى القدس وممارساتهم التعبّديّة فيها ، إنما كانوا غالباً من العوام ، كما هي الحالة بالنسبة إلى هذه الأمور في جميع الأزمنة والأمكنة ، وأنّ علماء المسلمين بصورة عامة ، كانوا يقفون أمام هذه التجاوزات ويرفضونها ويقيمون النّكير على الذين يقومون بها .

لقد كانت ثمة أساسيات تتعلق بقداسة المدينة عند المسلمين ، لم تكن موضع

اختلاف عند أحد منهم . وهذه الأساسيات تتمثل في أن المدينة ارتبطت بأنبياء ما قبل الإسلام ، ممن توجب العقيدة لإسلامية توقيرهم والاعتراف بنبّوتهم ، وفي أن القدس كانت قبلة المسلمين في صلواتهم قبل أن يتحولوا إلى الكعبة استجابة لآية قرآنية أمروا بموجبها بالتحوّل في صلاتهم إلى الكعبة دون القدس ؛ وفي أن الرسول ﷺ قد أُسريَ به من مكة إلى القدس ، وعُرج به من القدس إلى السماء ، وهذا مُضَمّنٌ في آية من آيات القرآن لامجال للاختلاف حولها ، وفي أن أحاديث نبوية قد رويت عن قداسة القدس ، أجمع المسلمون على قبول بعضها على الأقل ؛ وفي أنّ القدس هي المدينة الوحيدة من بين مدن الفتوحات الإسلامية التي تسلمها الخليفة عمر بن الخطاب شخصيا ، وكتب لأهلها كتاب الأمان ؛ وفي أن المدينة ارتبطت بعد زيارة عمر بن الخطاب بجمع من أصحاب الرسول عليه السلام ومن التابعين ، أقاموا ودُفِنوا فيها ، أو قاموا بزيارة لها ؛ وفي أنّها ضَمّتْ بعد ذلك عددا كبيرا من رجال المسلمين المعروفين بالصلاح والتقوى ، والكثيرون منهم دفنوا في ثرى المدينة المقدسة .

٤ ـ أما بالنسبة إلى حافز الكتابة عن القدس وفضائلها لدى مؤلفي كتب الفضائل فإنه كان بصورة أساسية حافزا دينيا ، كما يتضح دونما شك من قراءة مقدمات كتب الفضائل ومادتها . أمّا أن تكون ثمة عوامل جانبية أو إضافية تحفز على الكتابة ، فهذا أمر معروف في أيما كتاب يؤلفه مؤلِّف ، ولكن ثمة فرق بين حافز أساسي دائم ، وبين حوافز جانبية أو إضافية مؤقتة ترتبط بظروف معينة وأحداث معينة ، فالكتابة عن فضائل القدس نشأت عن منزلة القدس في الإسلام ، وما يرافق ذلك من عواطف خاصة من المسلمين تجاه المدينة ، وإنْ كانت المدينة قد مرّتْ بظروف معينة ، في فترات زمنية مختلفة أجّجَتْ شعور المسلمين تجاهها وزادت من تعلقهم بها . ومن هذه الظروف ، الحروب الصليبية ، واحتلال المدينة مدة تسعين عاما كانت من أشد ما مر على المسلمين من إحساس بالبلاء والمهانة والألم . ولعل اهتمام المسلمين الآن بالقدس بصورة غير عادية ، هو صورة من صور وَضْع المدينة وما يتعلق بها في بؤرة التفكير الإسلامي ، لأنها تمثل شيئا عزيزا غاليا انتزع من أيدي

أصحابه ، وهم متلهفون أشد التلهف على استعادته . ولكن وضع المدينة في بؤرة التفكير الإسلامي بشكل غير عادي لم يُبْنَ على فراغ ، وإنما بني على مكانة خاصة للمدينة كانت قائمة من قبل . ولا يخرج عن هذا الحافز الديني القويّ الدّفاع في الكتابة عن فضائل القدس ، أن يكون الذين كتبوا عن فضائل المدينة ، أرادوا أن يركزوا أعين المسلمين عليها ، ويجتذبوهم إليها ، ويدعوهم إلى زيارتها وسدّ احتياجاتها والإسهام في تعميرها وبناء المؤسسات فيها .

٥ ــ لا مجال أبداً للقول إن الاهتمام بالقدس ، وتأكيد قداستها ، والكتابة عن فضائلها ، إنما كان شيئا محليا محصورا بالقدس وحدها ، أو بفلسطين التي تحتويها ، أو ببلاد الشام التي تكون فلسطين جزءا منها . ويكفي أن ينظر القارىء في مواطن المؤلفين الذي ألّفوا كتب الفضائل ، ليرى أنهم ينتمون إلى أقاليم إسلامية تمتدّ من أقصى بلاد الإسلام شرقا إلى أقصى هذه الديار غربا . ولعلّ الإحصائية التي أجراها الدكتور العسلي عن مواطن هؤلاء المؤلفين تؤكد هذا الذي نقوله عن عموم الإهتمام في عالم الإسلام بالمدينة وقداستها ، مع أن هذه الإحصائية تتوقف عند القرن الثاني عشر الهجري . فمؤلّفو كتب الفضائل حسب هذه الإحصائية ، كان عشرة منهم من القدس أو فلسطين ، وكان أحد عشر على الأقل من بلاد الشام الأخرى ، وكان ستة منهم من مصر ، واثنان من تركيا وواحد من فارس ، واثنان من المغرب ، واثنان من العراق ، واثنان مما وراء النهر ، وواحد من الحجاز(١١٦) . ولاشك في أنه قد كتب عن القدس وفضائلها كتاب آخرون من أقطار إسلامية مختلفة ، ولكن هذا الذي أوردناه محصور في إطار ما أمكن الوقوف عليه حتى الآن .

٦ ــ ومن الأمور التي ينتظر القارىء معرفتها فيما يتعلق بكتب الفضائل ، ما احتوته هذه الكتب من مواد . ولعل خير وسيلة لتوضيح محتويات هذه الكتب أن يدرج فيما يلي مجموعة من عناوين الموضوعات في المخطوطات التي دُرِستْ فعلا أو اسْتُقِيَتْ

---

(١١٦) مخطوطات فضائل بيت المقدس ص ٦ .

معلومات عنها ، لأن هذه العناوين تقدم الإجابة المباشرة عن التساؤل حول محتويات كتب الفضائل . وسنتجنب بالطبع تكرار عنوان من العناوين ، إذا كان هذا العنوان قد ورد في غير ما مخطوطة من المخطوطات ، وستورد العناوين دونما نسبة كل عنوان إلى المخطوطة التي ورد فيها ، لأن القصد هو إطلاع القارىء على مجمل موضوعات المخطوطات عامة :

بناء بيت المقدس ـ أسماء بيت المقدس ـ فضل بيت المقدس ـ بناء داود عليه السلام للمعبد ـ بناء سليمان عليه السلام للمعبد ـ مسرى الرسول عليه السلام إلى بيت المقدس، وصلاة المسلمين نحو بيت المقدس ثم تحولهم إلى الكعبة ـ فتح المسلمين لبيت المقدس على يد الخليفة عمر ـ شد الرحال إلى بيت المقدس ـ فضل زيارته ـ فضل الصلاة فيه ومضاعفة أجرها ـ تضاعف الحسنات والسيئات في بيت المقدس ـ فضل الصدقة فيه ـ فضل الصوم فيه ـ فضل الأذان فيه ـ فضل الصخرة ـ ذكر الماء الذي يخرج من أصل الصخرة ـ تواضع الصخرة لله عز وجل ـ ذكر السلسلة التي كانت على ظهر الصخرة ـ ما يستحب أن يُدْعَىٰ به عند دخول الصخرة وآداب دخولها ـ الصلاة عن يمين الصخرة وشمالها ـ فيما يكره من الصلاة على ظهر الصخرة ـ النهي عن حلف اليمين عند الصخرة ـ فضل البلاطة السوداء ـ قيام عزرائيل وإسرافيل على الصخرة ـ ما يُستَحبُ من الدعاء عند قبة المعراج وفي مقام النبي ﷺ ـ فيما يدعى به عند قبة السلسلة ـ باب حطّة وباب التوبة وسور المسجد ووادي جهنم وحديث الورقات ـ محراب عمر بن الخطاب ـ ذكر عين سلوان ـ دخول الكنائس التي في القدس ـ ذكر البُرك التي كانت ببيت المقدس ـ بناء عبدالملك بن مروان مسجد الصخرة ـ من دخل القدس من الأنبياء ـ من دخله من أعيان الصحابة والتابعين وغيرهم ـ في زيارة الخليل عليه السلام ـ فيما قيل في قبر موسى عليه السلام ـ فضل الشام ـ ذكر الآيات الواردة في فضل القدس والشام ـ بيان حدود الشام ـ منها دعاء الرسول ﷺ بالبركة في الشام ـ الشام أرض المحشر ـ نزول القرآن في مكة والمدينة والقدس ـ الشام مقام الطائفة المنصورة ـ ذكر السور المحيط بالمسجد الأقصى وما في داخله من المعاهد والمشاهد والمحاريب ـ ذكر ابتلاء الخليل بذبح ولده ـ ذكر المغارة التي

دُفن فيها ـ ذكر مولد اسماعيل عليه السلام ـ قصة لوط عليه السلام ـ بدء بناء الكعبة الشريفة ومن بناها ـ ذكر الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء في القدس ـ احتلال الفرنج للقدس ـ فتح صلاح الدين للقدس ـ ذكر الأولياء المدفونين حول بيت المقدس .

هذه العناوين الكثيرة ، تستوعب أو تكاد ، مادة كتب الفضائل ، إذ لم يُستَثْنَ فيها أُدرِج من عناوين ، إلا تلك المتقاربة من العناوين المقدمة أو التي تتفرّع عنها . وأيما نظرة متفحصة لهذه العناوين ، تعطي فكرة شمولية ، عن طبيعة الموضوعات التي طُرِقتْ في كتب الفضائل ، وهي موضوعات لاتمت إلى نمط واحد من أنماط المعرفة ، إذ إنها تجمع العنصر الديني ، كما في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالقدس ومسرى الرسول عليه السلام إليه ، وأنواع العبادات التي تستحب ممارستها فيه ، والأدعية التي تقال في أماكن معينة وما ينبني علي ذلك من أجر ومثوبة ؛ والعنصر التاريخي ، كما في تاريخ بناء بيت المقدس ، والفتح العمري ، واحتلال الفرنجة للقدس ثم استنقاذ المدينة على يد صلاح الدين الأيوبي من الفرنج ؛ والعنصر الطوبرغرافي المعماري الأثري ، كما في الحديث عن بناء مسجد قبة الصخرة والتفصيلات المتعلقة بهذا البناء ، والحديث عن قبابه ومحاريبه وبركه وعيونه وسوره وواديه ومعاهده ومشاهده وقبور الأنبياء من حوله ؛ والعنصر الجغرافي ، كما في الحديث عن حدود الشام وفلسطين ، والتعرض لمدنها ، والمسافات التي تفصل بين هذه المدن ؛ وعنصر السيرة ، كما في الحديث عن سير رجال الصحابة والتابعين والأولياء الذين عاشوا فيه أو ألّموا به ؛ وعنصر الأسطورة والتراث الشعبي ، كما في الأساطير المرتبطة ببناء داود وسليمان للمعبد ، وكما في الماء الذي يخرج من أصل الصخرة ، وفي قيام عزرائيل وإسرافيل على الصخرة ، وحديث الورقات التي قيل إنها من ورقات الجنة . . . الخ .

ويخلص القارىء من ذلك كله ، إلى أن هذه الكتب لايمكن أن تدخل في نمط واحد من أنماط العلوم والمعارف ، فهي ليست كتب تفسير ، وليست كتب حديث ، ولا كتب تاريخ أو آثار أو جغرافية ، ولا كتب سير أو قصص شعبية ، بل هي خليط من كل ذلك ، إذ يصح أن يقال عنها إنها كتب دينية تاريخية جغرافية آثارية طوبوغرافية ، معنيّة أحيانا

بالسير ويتخللها الأساطير والأقاصيص الشعبية ، على تفاوتٍ بالطبع في حظ كل كتاب منها من العناصر المذكورة آنفا . ولذا فإن على قارىء هذه الكتب أن يميز بين طبيعة المواد التي يقرأها ، فيفرق بين ماهو في حكم الصحيح المبنيّ على الحقائق ، وما في حكم المقبول عقلا أو نقلا ، وبين مالا يمكن قبوله عقلاً ولا نقلاً ، وقد سبق أن ذكرنا أن بعضا من مؤلفي كتب الفضائل هذه ، قد ميّزوا بين مواد كتبهم بصورة واضحة ، مما يدل على إدراكٍ منهم لطبيعة المادة التي أوردوها ، وإنما أرادوا ، كما قال أحدهم بعد أن بيّن الاختلاف في طبيعة المواد التي أوردها في كتابه : وإنما أتيتُ بهذه الأقسام في هذا الكتاب لأجل بيانها لاغير(١١٧) .

٧ ــ ومن الأشياء الأساسية ، في الحديث عن كتاب ما ، أو مجموعة من الكتب ، معرفة المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في الحصول على مادته . ولدى استعراض مادة المخطوطات الإحدى عشرة التي بين يديّ ، ومادة المخطوطات التي سبق أن حققتْ ونشرتْ ، أمكن حصر مصادر مخطوطات الفضائل الخاصة بمدينة القدس فيما يلي :

أ ــ القرآن الكريم وتفاسيره : وإذا كانت آية الإسراء الأولى المعروفة ، هي الآية التي لاجدال في أنها أُنزلت في إسراء الرسول عليه السلام من مكة إلى القدس ومعراجه من القدس إلى السماء ، فإن ثمة آيات قرآنية أخرى ، رأى بعض المفسرين أنها ترتبط بمدينة القدس . وقد سبق أن أوردنا بعضا من هذه الآيات في مكان سابق من صفحات هذا الكتاب .

ب ــ الأحاديث النبوية : وهذه تتراوح كما قال شهاب الدين المقدسي ، مؤلف أحد أوسع كتب الفضائل . بين الصحيح والحسن والغريب والضعيف المحتمل والواهي التأليف والموضوع . وقد أوردتْ أصنافٌ من هذه الأحاديث كلها في كتب الفضائل لأنها كانت شائعة ، وكان الناس يتداولونها فيما بينهم . والذين أوردوها في كتبهم من مؤلفي الفضائل ، كانوا يرون لهم مندوحة في إيرادها ،

---

(١١٧) انظر مخطوطة : « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام ، ورقة ١٤٣ .

على أساس أنها غير متعلقة بأحكام الدين والشريعة ، وإنما هي متعلقة بمندوبات ومستحَبّات ، وهم يرون أنه لا بأس من أن يعمل في ذلك بالأحاديث الضعيفة ، وقد سبق أن أوردنا بهذا الصدد عبارة عبدالوهاب الحسيني ، صاحب « الروض المغرّس » في فضائل البيت المقدس » التي أوردها في مقدمة مخطوطته .

ونضيف هنا عبارة أخرى لشمس الدين الكنجي ، صاحب مخطوطة : « فضائل بيت المقدس وفضائل الشام فيها » ، تؤدّي بصورة أكثر تفصيلا إلى المفهوم نفسه ، إذْ يقول وهو يتحدث عن عدم التشدّد في رواية الحديث إذا لم يكن من السُّنَن والفرائض ونحوها ما يلي : « هذا آخر ما جمعت من فضائل بيت المقدس ، وليست من قواعد الأحكام التي يجب فيها الإتقان والإحكام . فقد قال أئمة الحديث : كنا إذا روينا عن النبي ﷺ الحديث في الأحكام والسنن والفرائض ونحوها ، شدَّدْنا ، وإذا روينا في النوافل والرغائب والفضائل ، سامَحْنا . وهذا المجموع من هذا القبيل »[١١٨] .

غير أنه مثلما توجد آية قرآنية لا يختلف الناس جميعا في أنها ذات علاقة بالقدس ، فإن ثمة أحاديث لا مراء في أنها صدرت عن الرسول عليه السلام ، وذات علاقة بالقدس ، وعلى رأس تلك الأحاديث ، حديث شدّ الرحال إلى المساجد الثلاثة .

جـ ــ الكتب التي احتوت مادة عن القدس : وهذه أنماط شتى ، منها كتب التاريخ ، وكتب الجغرافية ، وكتب الأدب ، والكتب الموسوعية التي ظهرت في القرنين السابع والثامن الهجريين ، واحتوت نصوصا طويلة أو قصيرة عن القدس . ولا داعي هنا لتعداد هذه الكتب ، لأنه قد سبق إدراج قائمة بأسماء كتب احتوت مادة في فضائل القدس ، حتى القرن الرابع الهجري ، وكان سبب التوقف عند نهاية القرن الرابع الهجري ، أنّ كتب فضائل القدس المتخصصة ، وَصَلنا أول كتاب منها من عمل أحد رجال القرن الخامس

---

(١١٨) انظر : مخطوطة فضائل بيت المقدس وفضائل الشام فيها » للكنجي ، ص ٩٧ .

الهجري . وبعد هذا القرن ، كان أهم مصادر كتب الفضائل اللاحقة ، هي كتب الفضائل السابقة ، ولو أن هذا لايعني أن الكتب التي ألفت بعد القرن الرابع الهجري في موضوعات أخرى ، متخصصة أو موسوعية ، قد خَلَتْ من الكتابة عن القدس . ومن هذه الكتب على سبيل التمثيل لا الحصر ، كتابان لهما صبغة موسوعية ، هما « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » ، لابن فضل الله العمري ، و « نهاية الأرب في فنون الأدب » لشهاب الدين النويري والأول منهما توفي سنة ٧٤٩ هـ ، والثاني توفي سنة ٧٣٣ هـ .

د ــ روايات أهل الكتاب وأقاصيصهم : وقد أُدخِلَتْ هذه من مداخل شتى ، منها ما اتخذ شكل تفسير آيات معينة من القرآن الكريم ، ومنها ما اتخذ شكل أحاديث تُنَسب إلى الرسول عليه السلام ، ومنها ما اتخذ شكل القَصص الديني المرتبط بالتوراة وكتب اليهود والنصارى المقدسة ، ومنها ما اتخذ شكل الروايات التاريخية المرتبطة ببدء الخلق . . إلى غير ذلك من الأشكال . وقد وجدتْ هذه الروايات والأقاصيص طريقها إلى عامة الناس عن طريق القُصَّاص الذين كانوا يسعون بالدرجة الأولى إلى إرضاء أهواء مستمعيهم واستثارة عَجَبهم وإعجابهم عن طريق الأقوال المثيرة والغريبة . فلاعجب إذنْ أنْ يضجّ أحد كتاب فضائل القدس ، وهو جمال الدين أبو محمد عبدالله ابن هشام الأنصاري ، من رجال القرن الثامن الهجري من « أمور يذكرها أهل البلد ، يغرون بها العوام ورعاع الناس »(١١٩) ويعدِّد من هذه الأمور مكانا في القدس ، يزعمون أنّ به اجتماعَ أرواحِ العباد ،وهو سرداب تحت الأرض ، ودكة في المدينة زعموا أنها كانت عرش بلقيس ، وسِكّيناً ملصقة بالأرض بالقرب من الصخرة ، يزعمون أنها التي أراد الخليل عليه السلام ذبح ولده بها ، والزعم بأن عيسى عليه السلام قد أُتِيَ به أصلا من مكة إلى القدس ليكون عروجه من هناك . ويعقّب هذا المؤلف المستنير على هذه

(١١٩) انظر : « مخطوطة « تحصيل الأنس لزائر القدس » ورقة ٦٣ .

المزاعم بقوله : « وكل هذه أكاذيب وترهات ، حمل على القول بها قلّة الدين وإرادة أكل أموال الناس بالباطل »[١٢٠] .

وغالبا ما كانت ترتبط حكايات أهل الكتاب وأقاصيصهم باثنين من اليهود الذين دخلوا الإسلام ، وهما كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، فلا عجب أن يهاجم صاحب «مثير الغرام» القُصّاص الذين ينقلون حكايات غير معقولة عن هذين الرجلين ، حتى وإن تأدّب معهما ووضع اللوم على القصّاص الذين ينسبون الأقوال إليهما . وعبارته التي سبق أن عرضنا لها في موضع سابق من هذا الكتاب هي : « قاتل الله القُصّاص الوضاعين ! كم لهم من إفكٍ على وهب وكعب ، ولاشك في فضل هذا المسجد (الأقصى) ، ولكنهم غَلَوْا ثم يقول في مكان آخر من كتابه : « وقد تركْتُ أشياءَ من الفضائل من أوائل ما يروى عن كعب الأحبار ، ووهب بن منبه »[١٢١] .

ويبدو أن وهب بن منبه وكعب الأحبار ، لم يكونا الوحيدين من أهل الكتاب الذين دخلوا الإسلام ، وارتبط اسماهما بالقصص والقَصّاص . فإن شهاب الدين المقدسي ، يحدثنا في مخطوطته عن شخص ثالث من اليهود الذين دخلوا الإسلام ، وكانوا يقصون في بيت المقدس ، ذلك هو أبو ريحانة ، شمعون بن زيد بن ختانة القرظي ، الذي قال عنه شهاب الدين المقدسي ، إنه سكن القدس ، وكان يقصّ في المسجد الأقصى . إلا أنّه يذكره بخير ، إذ يقول عنه إنه كان من الفضلاء الزاهدين في الدنيا ، نزل الشام ، وروى عنه الشاميون[١٢٢] .

وقد أورد الدكتور العسلي أسماء كتب احتوت مثل هذه الأقاصيص والأساطير . ومن هذه الكتب ما أُلِّفَ في وقت مبكر نسبيا ، مثل كتاب أبي حسن علي الكسائي المتوفّى عام ١٨٩ هـ ، وعنوانه « قصص الأنبياء » ، وكتاب الثعالبي المتوفّى سنة ٤٢٨ هـ الذي

(١٢٠) المرجع السابق ، ورقة ٦٣ .

(١٢١) انظر : مخطوطة «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام» الورقة ٩٠ و ١٤٣ .

(١٢٢) انظر : المصدر نفسه ، ورقة ١٢٢ .

يحمل الاسم نفسه : « قصص الأنبياء » ، وكتاب « قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » لأحمد بن محمد بن عمر الشافعي القدسي المعروف باسم ابن زوجة أبي عذيبة ، والمتوفّى سنة ٨٥٦ هـ ، ومنظومة بعنوان « أساطير الأولين في تاريخ الأنبياء ومولد النبي الأمين » من نظم نجم الدين أبي المواهب ، محمد بن شهاب الدين أبي العباس ، أحمد السكندري المعروف بالغيطي الشافعي المتوفّى سنة ٩٨٢ هـ(١٢٣) .

هـ ــ كتب الفضائل نفسها : وهذه ظاهرة استرعت انتباه دارسي هذه الكتب من عرب وأجانب على السواء ، وقد سبق أن أُشير إليها في غير ما وضع من صفحات هذا الكتاب السابقة ، وسوف نتناول هذه الظاهرة بشيء من التفصيل في الفصل القادم ، لدى تحليل مواد المخطوطات الإحدى عشرة التي حققتْ نصوص مختارة منها ، وقد يقف الدارس لهذه المخطوطات وقفة تعجّب أحياناً ، حينما يلحظ غزارة المادة التي أخذها اللاحق عن السابق ، مما يتجاوز الشيء المعتاد في مثل هذه الحالات ، أو حين يرى أن هذا اللاحق لايذكر المصدر الذي استقى منه ، حتى ولو كان ما استقاه منه شيئا كثيرا . على أن بعضاً من مؤلفي هذه الكتب ، ذكروا في مقدمات كتبهم أو في تضاعيفها المصادر التي أخذوا عنها ، وقد يتمثل اعترافهم بما أخذوه عن غيرهم في إيراد قائمة بمصادرهم ، أو بِرَدِّ الرواية التي يروونها في موضوع ما ، إلى المصدر الذي استقوا منه . وسنرى نماذج من هذا كله في النصوص المحققة ، أو في مقدمات بعض المخطوطات وخواتمها .

٨ ــ وتختلف طرق مؤلفي كتب فضائل القدس في تقديم موادهم ، فمنهم من يتبع طريقة المحدثين في تقديم مادته ، وذلك بأن يورد أسانيد الرواية التي يقدمها للقارىء كاملة ، ومن هؤلاء على سبيل المثال ، أبو بكر الواسطي ، صاحب « فضائل البيت المقدس » ، وأبو المعالي ، المشرّف بن المرجّي المقدسي . وقد يستعمل بعضهم

---

(١٢٣) أنظر كتاب « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، ص ١٢ ، ١٣ .

مختصرات أصحاب الحديث ومصطلحاتهم مثل « ثنا » بمعنى « حدثنا » و « أنا » بمعنى « أخْبَرَنَا » . ويميّز بعضهم ، كشهاب الدين المقدسي صاحب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » بين الأحاديث التي يرويها من حيث مستوى صحتها ، ويخرّج الأحاديث أحيانا من عدة طرق . ومن مؤلفي هذه الكتب مَنْ يحذف السَّنَد ، ويكتفي بقوله « وبسنده » ، ـ أي سند صاحب الكتاب الذي نقل عنه ـ إلى فلان ، أي آخر حلقة من حلقات الرواية ، دون أن يذكر حلقات الرواية كلها ، بل قد يحذف المكرّر من المتن مما لا يتعلق بالموضوع ، من أجل الاختصار ، وهذا ما فعله مثلا عبدالوهاب الحسيني ، صاحب كتاب « الروض المغرس في فضائل البيت المقدس » . وقد نجد من بين مؤلفي هذه الكتب من لا يعتمد على الأسانيد كلية فيما يورده من أخبار ، إلا في أحوال قليلة ، وباختصار شديد ، كما هي الحال عند عبدالرحيم بن علي بن إسحاق بن شيت القرشي صاحب كتاب « مفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس » . وقد تُخْتَصَرُ الأسانيد اختصارا كما فعل المكناسي ، صاحب كتاب « فضائل بيت المقدس وفضائل الشام » الذي كان ينسب ما أَخَذَهُ إلى صاحبه .

ويكاد جميع مؤلفي كتب الفضائل يبدأون كتبهم بمقدمات مسجوعة مكتوبة بلغة متأنقة ، قد تطول أحيانا إلى درجة كبيرة ، كما هي الحال في مخطوطتي عبدالوهاب الحسيني وشمس الدين السيوطي ، وقد تقصر جدا كما هي الحال في مقدمة المكناسي لكتابه . وقد تحتوي هذه المقدمة معلومات تفصيلية عن المصادر التي استقى منها المؤلف كما هي الحال عند صاحب « الروض المغرّس في فضائل البيت المقدس » وصاحب « إتحاف الأخِصّا في فضائل المسجد الأقصى » ، كما أنها قد تحتوي عناوين الأبواب والفصول التي يحتويها الكتاب ، كما هي الحال في مقدمة كتاب « الإتحاف ، وكتاب « المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » لنصر الدين الحنفي المقدسي وكتاب « الروض المغرّس » الذي عدّد في مقدمته فصول كتابه البالغة سبعة وثلاثين فصلاً . وقد يأتي الحديث عن المؤلفين السابقين في ميدان كتب الفضائل في نهاية الكتاب ، كما هي الحال في كتاب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » .

ولم ينهج مؤلفو كتب الفضائل نهجا واحدا في تقسيم مواد كتبهم إلى أبواب وفصول ، إذْ إنّ منهم من فعل ذلك ، مثل أبي المعالي المقدسي في كتابه « فضائل البيت المقدس والخليل عليه السلام وفضائل الشام » والكُنجي في كتابه « فضائل البيت المقدس وفضائل الشام فيها » ، وصاحب « الروض المغرس » ، وصاحب « إتحاف الأخِصّا » وغيرهم ، ومنهم من لم يقسمْ مادته إلى أبواب كبيرة ، بل جعلها نُتَفاً صغيرة ، لكل منها عنوان خاص ، كما فعل المكناسي والمؤلف المجهول صاحب كتاب « فضائل الشام وفضائل مدنها وبيت المقدس . . » . بل قد لا يضع بعضهم عناوين لمادته ، مثل ما هي الحال في مخطوطة محمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري « تحصيل الأنس لزائر القدس » ، وكما فعل عبدالرّحيم بن علي القرشي في كتابه « مفتاح المقاصد ، ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس » ، إذ لم يقسم مادة الكتاب إلى أبواب وفصول ، بل جعلها في إطار موضوعات فحسب . ولم يكن مؤلفو هذه الكتب يحرصون دائما على توازن بين أبواب كتبهم وفصولها من حيث الحجم ، إذ قد تتفاوت كثيرا طولا وقصرا ، كما هي الحال في مخطوطة أبي المعالي المقدسي مثلا . ونصوص كتب الفضائل ، غالبا ما تكون متصلة السطور غير مقسمة إلى فقرات وجمل ، وبالطبع فهي غير مقسمة كذلك إلى أجزاء الجمل ، وهي خالية على العموم من علامات الوقف التي نستعملها في أيامنا هذه .

وعلى الرغم من الطابع النقلي العام لكتب الفضائل ، فإننا لانعدم أن نجد من بين مؤلفيها من يورد آراء مستقلة خاصة به لا يتفق فيها مع الآخرين كما هي الحال مثلا عند شهاد الدين المقدسي ، صاحب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » .

ومن مؤلفي هذه الكتب من يستعين بأبيات من الشعر أحيانا في أثناء مادته ، وينهج نهجا أدبيا متأنقا في سرد النص ، متبعا في ذلك نهج أحد الكتاب المشهورين ، بل ومقتبسا من مادته ، كما هي الحال عند صاحب « مفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس » .

الفصل الثالث

المخطوطات المختارة لتحقيق نصوص منها

حول هذه المخطوطات والمنهج الذي اتبع في تحقيقها
عرض عام

في موضع سابق من هذا الكتاب ، وفي الصفحات الأولى من الفصل الثاني فيه ، أظهرتْ إحصائية عن المخطوطات التي كتبت عن فضائل القدس منذ القرن الخامس الهجري أنّ عشرا من هذه المخطوطات قد حُقِّقَتْ ونشرت ، وأنّ ثلاثا منها قد حققت بصورة جزئية ، وأن خمس عشرة منها موجودة في مكتبات مختلفة في العالم ولم تحققْ من قبل ، وأن ثلاث مخطوطات موجودة بصورة جزئية فقط ، إذ إنّ ما وجد منها يشكل مجرد جزء من مجموع صفحاتها ، وأنّ أربع عشرة مخطوطة مفقودة حتى الآن ولم يُعثَر عليها . وهذا يعني أن تلك المخطوطات التي يمكن أن تحقق بسبب وجودها كاملة ، هي المخطوطات الخمس عشرة الموجودة في مكتبات العالم ، والمخطوطات الثلاث التي كان تحقيقها جزئيا ، أي أنّ ما مجموعه ثماني عشرة مخطوطة من مخطوطات فضائل القدس المعروفة والموجودة حتى الآن ، هي التي يمكن أن يجرى عليها تحقيق .

ومن هذه المخطوطات الثماني عشرة ، اخترتُ إحدى عشرة مخطوطة من أجل التحقيق ، وقد تعددت الأماكن التي حصلت منها على صور لهذه المخطوطات بمساعدة مكتبة الجامعة الأردنية ، إذ إنها موزعة بين مكتبات في أميركا وأوروبا والبلاد العربية المختلفة . وحين حصلت على الصور المطلوبة ، استعرضتها أربع مرات ، كانت الأولى

لقراءة محتوياتها بصورة عامة ، وكانت الثانية لمعرفة النصوص التي رأيت أنها جديرة بأن تحقق ، وقد أشَّرْتُ على كل نص رأيت أنه جدير بالتحقيق ، وكانت الثالثة عندما نسختُ جميع النصوص التي أشّرتُ عليها ، والرابعة عندما نسخت هذه النصوص مرة أخرى ، ولكن مع استبعاد النصوص التي كانت تكرارا لنصوص وردت في مخطوطات سابقة لها تاريخيا . ولقد حرصتُ على أن أمر بالخطوات الأربع كلها ، على ما تتطلّبُهُ من جهد ووقت ، لأنني خشيت ألا يكون التشابه في المواد ، دليل تماثل تام فيما بينها لاسيما أن الخط الذي تكتب به المخطوطات لم يكن دائما واضحا لكي يكشف من أول نظرة عن التطابق أو التماثل أو حتى عن التشابه النسبي بين النصوص .

أما اختياري لنصوص من مخطوطة ما من أجل تحقيقها ، وتركي لنصوص أخرى ، فإنه كان مبنيا على أسس معيّنة اخترتها لنفسي .

ويمكن إجمال هذه الأسس فيما يلي :

١ ــ لقد كنتُ معنيّاً منذ أن طرأت فكرة تأليف هذا الكتاب في ذهني ، بأن أكتب عن فضائل القدس في إطار التاريخ الإسلامي وحده ، أي منذ أن ارتبطت القدس بعقيدة الإسلام ، ولم يكن في ذهني أن أتناول تاريخ القدس قبل الإسلام ، وذلك لأنني قصدت إظهار النظرة الإسلامية إلى المدينة ، بعد أن جاء الإسلام إلى الناس في إطاره التاريخي ، ولم أكن معنيا بما قيل في تاريخ المدينة أو قداستها لدى أمم أخرى وأديان أخرى ، لا لأنني أتخذُ موقفا سلبيا من حضارات الآخرين وأفكارهم ، بل لأنني اخترت لنفسي نقطة ابتداء محدّدة للمدينة ، أتعرّف من خلالها على نظرة معيّنة لها ، هي نظرة المسلمين ، في إطار عقيدة الإسلام وتاريخه وتراثه وحضارته .

٢ ــ وعلى أيّ حال ، فقد وجدت أن ما كُتِب عن القدس في كتب الفضائل قبل أن يدخل الإسلام تاريخ البشرية ، لا يعدو أن يكون في معظمه أساطير وأقاصيص وحكايات متوارثة عن أهل الكتاب وغيرهم ، مما لا يتقبله منطق سليم ، ولا يُقِرّهُ تاريخ صحيح . وأيقنت أن إضافةَ غير المعقول وغير المقبولِ إلى ماهو مقبول ومعقول من

مادة هذه الكتب ، سيُنْقِصُ من قيمة النوع الثاني ، بل وربما طغى زيف غير المعقول هذا على صدق المعقول ، لورود النوعين في كتاب واحد ، مما يجعل القارىء متشكّكا في قيمة المادة المحقّقة ، على الرغم من كل ما يستلزمه تحقيقها من جهد ووقت .

٣ ـ وحتى فيما يتعلق بالفترة الإسلامية في حياة المدينة ، ضربتُ صفحا عن أيّما نصٍّ اشتممت منه سِمَةَ البُعْد عن المعقول أو سمة التلفيق الواضح البيّن ، حتى ولو كان النص مما نسب زوراً إلى الرسول ﷺ ، وأُعطِيَ شكل حديث نبوي . وقد يكون رفض النص لشخص راويه الذي عُرِف عنه عدمُ الصدق والتحري فيما ينقل ، سواء أكان ذلك عن جهالة أم عن سوء نية ، أو لطبيعة المادة المرويّة وارتباطها باتجاهات موضع شك وريبة ، أو لأن المادة لا تدخل في نطاق ما يقبله العقل البشري . ومعنى ذلك أن المادة التي استبقيت من هذه المخطوطات الإحدى عشرة ، محصورة في نطاق زمني معين ، وضمن عقيدة معينة ، وحضارة معينة ، وفي نطاق المقبول منها في معياري النقل والعقل . وقد استُبعِدَ ما خلاذلك،بالإضافة إلى ما استبعد من المواد المكررة في كتب المخطوطات ، وما كان أكثرها !

وينبغي أن أوضح هنا أنني لم أتعامل مع هذه المخطوطات باعتبار أنها كتب حديث تستوجب أن تُمحَّصَ مادتها في مقاييس علماء الحديث . وذلك لسببين : أولهما أن هذه الكتب ، كما سبق أن أوضحنا من قبل ، ليست كتب حديث ، حتى يجري تمحيصها وفقا لمعايير المحدِّثين ، إذْ إنّ الحديث النبوي يكوّن جزءا من أجزائها المتعددة فحسب . والثاني أنني لست مؤهلا لتمحيص ما ورد في هذه المخطوطات من أحاديث . إذ إنني لست من المتخصصين في هذا العلم الجليل الدقيق ، ورحم الله امرأ عرف حده فوقف عنده ! وعلى ذلك ، فإن الأحاديث المستبقاة في المادة التي حققتُها ، هي أحاديث تبدو لغير المتخصِّص في علم الحديث من أمثالي ، مما يدخل في حيز المعقول والمقبول .

٤ ـ ومن النصوص التي حُذِفَتْ ، ما اعتبرتُه مادة شائعة في الكتب المتداولة بين القراء ، وهي كتب مطبوعة منذ زمن طويل ، ولذا فإن المادة المطابقة لها المورِدة في المخطوطة ، قد لا تمثل إضافة جديدة إلى معلومات القارىء الذي ينتظر من قراءة

المواد المحققة في المخطوطات ، شيئا جديدا عليه ، أو فيه بعض جدة على الأقل ، باعتبار أن مادة المخطوطة يفتَرَض أن تكون شيئا طُوِيَ عن القرّاء بسبب عدم تحقيق المخطوطة ونشرها من قبل . على أنني قد استبقيت بالطبع نصوصا موجودة بصورة أو بأخرى في كتاب من الكتب القديمة ، إما لأنّها غير شائعة كثيراً بين الناس ، وإما لأنها تحتوي بعض العناصر الجديدة التي تضيف إلى مافي الكتب المطبوعة ، وإما لأنّ السياق يقتضي أن تبقى هذه النصوص ، من أجل تكامل الموضوع وعدم تشرذمه وتفتُّتِهِ . وقد حذفت كذلك تلك الأدعية الطويلة المتنوعة ، التي نصح بعض مؤلفي الفضائل بتلاوتها في أماكن معينة في القدس والمسجد الأقصى ، لا لطولها فحسب ، بل ولأنها لا تضيف في الواقع معلومات تذكر إلى فضائل المدينة ، كما كان يعتقد المسلمون ، إذ هي مجرد انتقاءٍ لعبارات معينة ، اجتهدَ المؤلف في جمعها وتدبيجها ، لكي تقال في أماكن لها صبغة القداسة . وأما سبب القداسة بالنسبة إلى هذه الأماكن ، فشيء خارج عن منطوق الأدعية وألفاظها .

ولم يَخْفَ عليّ بالطبع ، أن عملا انتقائيا كهذا للنصوص المحققة ، سيدفع إلى قول بعض الباحثين ، بأن هذه المخطوطات لم تُحَقَّقْ كما تتطلب أصول التحقيق في المعتاد ، إذ لا يبالي المحققون عادة بأن تكون النصوص التي يحققونها مقبولة أم غير مقبولة للقراء ، معقولة أم غير معقولة ، فهم يريدون النص كما هو لكي يحكموا على المخطوطة المحققة بكل ما احتوته من مواد ، وليس من خلال مواد منتقاة منها . وهم إذ يقولون ذلك ، فإنهم مُحِقُّون فيما قالوه من الناحية المنهجية ، ولكنني آثرت أن أتعرّض لمثل هذا النقد الصحيح ، على أن أضرّ بالقضية التي تَبَنَّيْتُها من خلال هذا التحقيق ، وهي إعطاء صورة عن نظرة المسلمين إلى هذه المدينة المقدسة ، لايشوهها ولا يذهَبُ برونقها مادة غير مقبولة ولا معقولة ، ولا يذهَبُ الغث فيها بالسمين . ولن أعدم أبدا ، لو أنني أبقيت مادة المخطوطات كلها - وقد قرأتها سطرا سطرا وحاولت استيعابها في آخر حدود الطاقة البشرية - أنْ أجد قارئا يرفض الصحيح والسليم منها لأنه اختلط بأقاويل ليست صحيحة ولا سليمة . وما أسهل أن يذهب الخطأ بالصواب في حالات كهذه . ولا أُخفي أنّ هذه

دراسة هادفة ، ولكنها في الوقت نفسه مبنيّة على الحقائق المجرّدة ، وما قُبِل أو رُفِض من نصّ أو حُجّة أو قول ، إنما رُفِض على أُسسٍ علمية ، ضمن اجتهادات مخلصة لمؤلف هذا الكتاب ، بغض النظر عن حجّة المخالف ، أو تجني المجانب للحق . ثم إن للقارىء مندوحة في أن يتقبّل هذا الانتقاء للنصوص ، لأن النصوص التي اطُّرِحَتْ في التحقيق ، جرى الحديث عنها في غير ما موضع في الصفحات السابقة من هذا الكتاب ، وسيجري الحديث عنها في صفحات لاحقة ، وبذا فإنها لم تُحْجَب كلية عن القارىء ، وإنما استثنيتْ فقط في النص المحقق ، لأن تحقيق نصّ أسطوري خرافي ، هو جهد يُبذَلُ فيها لا طائل تحته . ولابد أن القاريء قد لاحظ خلال ما مضى من صفحات هذا الكتاب ، أنه حتى ماهو مرفوض غير مقبول من الأمور المتعلقة بالقدس ، قد جرى التعرض له بطريقة أو بأخرى بصورة مجملة ، وجرت مناقشته مناقشة هادئة .

ونقد آخر قد يوجه إلى طريقة تحقيق نصوص المخطوطات الإحدى عشرة المختارة ، ذلك هو عدم استعمال نسخ مختلفة للمخطوطة الواحدة عندما توجد لها نسخ مختلفة ، حسبما تتطلب أصول التحقيق . وهذا نقد سليم أيضا . غير أنّ مما يخفّف من حدة النقد أنّ كثيرا من مواد هذه المخطوطات ، بل إن كثيرا جدا من هذه المواد ، قد ورد في معظم المخطوطات التي بين يديّ ، إن لم يكن فيها كلها تقريبا ، مما أتاح للمحقق الفرصة ، لأن يقابل بين هذه المخطوطات الإحدى عشرة نفسها ، لأنّ ماقد يكون غير واضح أو غير سليم أو محرّف أو مصحّفٍ في إحدى هذه المخطوطات ، يمكن أن يبرأ من هذه العيوب في بقية المخطوطات ، أو في بعض منها على الأقل ، وهذا ما حدث مرارا ، كما سيرى القارىء عند دراسته للنصوص المحققة في القسم الثاني من هذا الكتاب . وفضلا عن ذلك فإن بعضا من مواد المخطوطات ، يمكن أن يوجد في كتاب من الكتب القديمة المطبوعة ، مما يسهل على المحقق أن يقابل بين النصين ، ويختار الصحيح منهما ، وهذا ما حصل بالفعل أيضا لدى تحقيق النصوص المختارة . ولا ننسى كذلك أن هذا الكتاب هو تحقيق ودراسة وليس تحقيقا فحسب ، وما لم يبرز من مواد المخطوطات في النص المحقق ، جرى حديث عنه من خلال الدراسة .

ثم إنه ليس من السهل على أيّ محقق ، حتى ولو كان من مستوى فوق المستوى المتواضع لكاتب هذه السطور ، أن يحقق إحدى عشرة مخطوطة مرة واحدة مع استحضار جميع النسخ الأخرى لهذه المخطوطات من أنحاء الأرض ، من أجل المقابلة والمقارنة والترجيح والاختيار . وهنا أُقِرّ مرة أخرى ، أن لتجميع هذه النصوص المختارة من عدد كبير من المخطوطات ، هدفاً أبتغيه ، يتعلق بتيقُّظ الإنسان الذي ينتمي إلى هذه الأمة إلى مكانة القدس في عقيدة الإسلام وتاريخه . وأرى أن النصوص التي اختيرت من هذه المخطوطات ، كفيلة بأن تحقق هذا الهدف ، بطريقة علمية مقبولة ، وليس بالاستثارات العاطفية الموقوتة ، التي لا تلبث أن تنفثىء ، بعد أن تثور . فالانتماء الصحيح الدائم للإنسان لايكون إلا عن معرفة عميقة لما ينتمي إليه ، وإلا فهو نار تشتعل ثم تخمد ، كما تشتعل كومة من القش الجاف ثم لا تلبث أن تخمد ، دون أن تترك وراءها أثراً باقيا .

ومع أن تحقيق النصوص المختارة قد جرى دونما استحضار نسخ أخرى لكل مخطوطة ـ هذا إذا كانت مثل هذه النسخ موجودة أصلاً ـ فإنني آمل أن يتبين القارىء أن أيما حرص وتدقيق لازمين في نطاق الممكن والمستطاع ، قد بذلا فعلا من هذا التحقيق وأن المادة المحققة ، لا ينقصها أيّ شكل من أشكال التمحيص والتدقيق التي ترتبط بأعمال تحقيق المخطوطات في المعتاد .

وبالإضافة إلى حذف نصوص من المخطوطات ، وفق الأسس التي تحدثت عنها ، فقد حذفت كذلك أسانيد الحديث النبويّ والروايات المنقولة : التاريخية وشبه التاريخية ، إلا إذا كان لراوٍ أو غير ما راوٍ في السلسلة قيمة خاصة تستوجب استبقاءه . وحين كنت أحذِفُ الأسانيد ، كنت أستبقي الحلقة الأخيرة من السلسلة ، وأضع قبل الاسم كلمة (عن) بين قوسين ، إذا كانت الكلمة غير موجودة أصلا . وأما إذا كانت موجودة ، فلا تحصر بين قوسين . وقد استرعى نظري أن أحد مؤلفي مخطوطات الفضائل ، وهو عبدالوهاب الحسيني ، صاحب كتاب « الروض المغرس في فضائل البيت المقدس » ، لم يكتف بحذف سلسلة الأسانيد كما ذكر هو ، بل حذف معها المكرّر أحيانا . يقول المؤلف : « فاستخرتُ الله تعالى في تلخيصه بحذف السند ، فأقول : وبسنده إلى فلان ،

وربما حذفت بعض المكرر من المتن مما لا يتعلق بما نحن فيه ، طلباً لصغر حجمة . . »[1] على أنني لم أحذف الأسانيد للاختصار ، وإنما لأنني معنيّ بالنص ذاته ، لدلالته على ماكان يراه الناس في القدس خلال حياة مؤلف المخطوطة ، شريطة أن يدخل ذلك في نطاق المعقول والمقبول كما أسلفنا ، ومع هذا التسمّح الذي تحدّث عنه اثنان من مؤلفي كتب الفضائل ، سبق أن ذكرناهما ، فيما يتعلق بالأحاديث النبوية الضعيفة ، حين تتعلق بالفضائل والمستَحَبّات ، دون الفرائض والأحكام .

ولعل من المفيد الآن أن أحدّد ما قمت به خلال تحقيق النصوص المختارة من المخطوطات الإحدى عشرة ، لكي أنتقل بعد ذلك إلى عرض منفرد لكل مخطوطة منها ، تمهيدا للانتقال إلى القسم الثاني من هذا الكتاب ، وهو الذي يحتوي النصوص المحققة من كل مخطوطة ، مع إيراد مقدماتها وخواتمها وترجمةً لمؤلفها ، وتعريفا موجزا بنسخها ، ووصفا مفصلا للمخطوطة التي اعتمدت عليها ، ومع تقديم صور فوتوغرافية لصفحات معينة من كل مخطوطة من المخطوطات المختارة .

وبما أن بعضا من مؤلفي المخطوطات لم يُعْنَوا بوضع عناوين فرعية للمواد التي احتوتها مخطوطاتهم ، مما قد يجعل نصوصهم يختلط بعضها ببعض ، وبالتالي تُربِك القارىء المتتبع لها ، فقد وضعت في حالات معينة عناوين فرعية لجزئيات من نصوص المخطوطة ، وكنت أضع العنوان بين قوسين ، وأشير في الحاشية إلى أنه من وضع مؤلف هذا الكتاب .

وحين كنت أجد كلمة ساقطة في جملة أوعبارة ،وأستيقنُ من خلال مصدر آخر ، أو من خلال مقتضيات التركيب اللغوي للجملة أو العبارة ، أن كلمة معينة لابد أن تكون قد سقطت سهوا من المؤلف أو من الناسخ ، كنت أضع الكلمة في المكان الذي ينبغي أن تكون فيه ، مع حصرها بين قوسين ، والإشارة في الحاشية إلى أنها ساقطة ، وتقديم تعليل لإضافة الكلمة بالشكل الذي وضعتُها فيه .

---

(١) صورة مخطوطة « الروض المغرس » ورقة ٥ .

وحين كنت أُسقِط مادةً طويلة نسبيا ، لأنها تكرار لمادة وردت في مصدر سابق ، كنت أبيّن ذلك في المتن في ملاحظة محصورة بين معكوفتين [ ] ، وأوضحُ في الحاشية أن الكلمات المحصورة بين المعكوفتين في تبيان سبب الحذف ، هي كلمات مؤلف هذا الكتاب .

وإذا اقتضى الأمر ، لسبب أو لآخر من الأسباب التي أوضحتها في الصفحات السابقة إلى قطع النص المحقق ، وحذف جزء منه ، فإنني كنت أشير إلى الجزء المحذوف بوضع نقاط متتابعة هكذا . . .

ولدى وجود خطأ من أيّما نوع في سياق النص الذي في متن المخطوطة ، كنت أصحّح هذا الخطأ في المتن ، وأضع الكلمة أو الكلمات التي اعتقدتُ أنها الصحيحة بين علامتي تنصيص في المتن « » ، ثم أورد في الحاشية الكلمة أو الكلمات التي وردت أصلا في نص المخطوطة ، وأبيّن وجه الخطأ فيها . وقد أجريتُ التصحيح في المتن أولا من أجل ألاّ يتعثّر القارىء عندما يضطرب النص أو ينحرف ، وذلك مع المحافظة على الأمانة في النقل بإيراد الكلمات الأصلية التي كانت في المتن ، في حاشية الكتاب ، لكي يقف عليها القارىء إنْ هو أراد ذلك .

أما تصويب الأخطاء الموجودة أصلا في النص ، فقد كان يعتمد على المقارنة مع مصادر أخرى ، سواء أكانت مخطوطة أم مطبوعة ، أو على متطلبات اللغة وما يتطلبه اطراد المعنى وانتظامه .

ولما كانت طرائق القدماء قد تختلف كثيرا أو قليلا عن طرائقنا في تهجئة بعض المفردات ، فإنني كتبتُ هذه المفردات على الطريقة المعاصرة التي نتبعها في تهجئتها ، وبيّنت في الحاشية ، كيف كانت مرسومة أصلا في متن المخطوطة . وقد لاحظت على وجه الخصوص ، أن الهمزة كثيرا ما كانت تهمل كلية في نصوص المخطوطات ، وأن كلمة « ابن » ، لم تكتب في هذه المخطوطات وفقا لقاعدة مطردة .

وقد عملت على إيراد ترجمة موجزة لأسماء الأعلام التي جاءت في نصوص

المخطوطات ، إلا إذا كان صاحب الاسم أشهر من أن يعرف ، أو إذا تعذر عليّ وجود ترجمة أطمئنُّ إليها لصاحب الاسم ، وتلك حالات قليلة جدا ، إذ إنني ترجمت للقسم الأكبر من الأعلام التي وردت ، ماعدا تلك التي ورد التعريف بها في متن النصوص المحققة من المخطوطات .

وبالمثل ، فقد عرّفتُ بالأماكن والمواقع الجغرافية ، حين تكون بحاجة إلى أن يُعَرّف بها ، ولاسيما إذا كانت أماكن غير معروفة للقارىء الحديث بصورة عامة ، أو إذا كان التعريف بها يحتاج إلى أنْ تقدّم للقارىء في إطار ما كانت عليه عندما كُتبتْ هذه المخطوطات ، لا في إطار وضعها الحاضر ، لأن ثمة صلة مباشرة بين أوضاعها السابقة وما كتب عنها في هذه المخطوطات وهي على تلك الأوضاع .

وحيثما وردت آية من آيات القرآن الكريم ، كنت أحدد موقع هذه الآية ، بأن أذكر اسم السورة التي وردت فيها ورقم الآية في السورة القرآنية .

وقد تردُ في نص المخطوطة مفردة من المفردات ، أو عبارة من العبارات ، تحتاج إلى شرح وتوضيح ، إما لأن المفردة لم تَعُدْ مألوفة في زماننا هذا ، أو لأنّ العبارة في مجموعها قد لاتكون واضحة الدلالة . وقد قمت بتوضيح هذه المفردات أو العبارات في الحاشية . وحين كنت أشعر أن الكلمة أصبحت معجميّة ، بالنسبة إلى زماننا ، كنت أرجِعُ إلى المعاجم ، ولاسيما لسان العرب ، للاستيثاق من المعنى المطلوب .

ولما كانت علامات الترقيم وطرائق تقسيم النص غير مألوفة عند مؤلفي هذه الكتب ، فقد حرصتُ على أن أرقّم النص الذي حققتُهُ ، فقسّمتُهُ إلى فقرات ، وعبارات وجمل ، واستعملت علامات الترقيم الحديثة من نقطة وفاصلة وإشارات تعجب واستفهام ، إلى غير ذلك من علامات الترقيم .

وفي كثير من الحالات كان يمكن أن تلتبس على القارىء قراءة الكلمة إذا لم تُشْكَل بالطريقة الصحيحة ، ولذا فقد قمت بشكل الكلمات التي قد تلتبس على القارىء إذا بقيت دونما شكل .

وفي حالات محدودة جدا ، وجدت عبارات زائدة في النص الأصلي في المخطوطة ، لا تضيف أيّ معنى ، بل قد تسبب اضطرابا في الفهم ، وفي هذه الحالات ، كنت أحذف العبارات الزائدة ، ثم أشير إلى هذا الحذف في الحاشية ، مع إثبات نص العبارة التي حُذِفَتْ . وقد كنت اجتهد فيما ينبغي أن يكون عليه النص إذا كان مضطربا ، إذا لم أجد صورة مُرْضِيةً له في مصدر آخر ، ولكنني كنت أوضح هذا الاجتهاد في الحواشي .

وغنيٌّ عن البيان ، أنَّ أخذ النصوص على أساس انتقائي ، سينبني عليه بحكم الضرورة ، ألّا تورد نصوص المخطوطة متسلسلة متتابعة كما وردت فيها أصلا ، إذ إنّ الانتقاء يعني بالضرورة وجود قَفَزات بين صفحات المخطوطة . ولكن في جميع الأحوال ، كان اللاحق من نصوص مخطوطة ما ، يأتي دائما بعد السابق منها ، حتى ولو كانت بين اللاحق والسابق فجوات .

ولكي أسهّلَ على القارىء الرجوع إلى النص الأصلي في المخطوطات إذا هو شاء ، وضعت في أسفل كل صفحة من صفحات النصوص المحققة ، رقما يشير إلى رقم الورقة أو الصفحة في المخطوطة ، للدلالة على المكان الذي أخذ منه النص المحقق.وقد رمزت لرقم الورقة المحققة أو الصفحة في المخطوطة بالحرف «م» متلوا بأرقـام متسلسلة وفق تسلسل صفحات الكتاب المحتوية على النصوص المختارة للتحقيق .

والآن أنتقل إلى تعريف مفصل بهذه المخطوطات الإحدى عشرة ، وسيكون هذا التعريف فردّيا ، أي تعريفاً بكل مخطوطة منها على حدة ، مع مراعاة التسلسل الزمني في تأليف هذه المخطوطات ، لكي يُعْرَض السابق منها قبل اللاحق ، من أجل ملاحظة أثر السابق في اللاحق ، سواء في الإطار العام لمادة الكتاب ، أم في الإطار التفصيلي الخاص بالمادة التي يحتويها ..

حول المخطوطة الأولى

« فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام ، وفضائل الشام »

لأبي المعالي المشرّف بن المرجّى بن إبراهيم المقدسي من رجال القرن الخامس الهجري

هذه المخطوطة تأتي ثانية من حيث التسلسل الزمني بين مخطوطات فضائل بيت المقدس التي وصلت إلينا ، إذ إنه لا يسبقها زمنيا إلا مخطوطة أبي بكر الواسطي . وتقع المخطوطة في ثلاثمائة وتسع وخمسين صفحة ، وكل صفحتين منها تضمّهما ورقة واحدة . وتحتوي المخطوطة على مقدمة ومئة وخمسة عشر بابا . وقد كُتبت المقدمة بلغة مسجوعة متأنقة ، على عادة أهل العصر في كتابة مقدماتهم ، وتحدّث المؤلف في مخطوطته عن الأماكن التي اختارها الله وسماها بيوته ، ثم ذكر أنه ألف كتابه هذا استجابةً لسائل سأله أن يذكر جميع ما انتهى إليه من فضائل مسجد القدس ، وأنه جمع فيه ما اتصل بهذا المسجد من أحاديث الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين ، وما اتصل به من الآيات القرآنية ، ثم أضاف إلى ذلك شيئا عن المساجد وفضائل بلاد الشام ، لأنّ المسجد الأقصى والقدس ، إنما هما جزء من هذه البلاد.وهو يقول لنا في مقدمته إنه بوّب الكتاب تسهيلا على قارئه .

وقد تحدّث أبو المعالي ضمن أبواب مخطوطته الكثيرة عن تاريخ بناء القدس ، وعن الفتح العمري للمدينة ، وبناء الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان مسجد الصخرة ، ونصح بتلاوة أدعية معينة في أماكن مختلفة في المسجد الأقصى ، وبيّن فضل الصلاة في

المسجد الأقصى وفضل الصخرة التي بُني عليها ، وتحدث عن قصة الإسراء والمعراج ، وما لكل موقع من المواقع المقدسة في المسجد الأقصى من قداسة ، ثم أورد في مكان لاحق من كتابه أسماء من دفنوا في القدس من الأنبياء وأصحاب الرسول عليه السلام ، وتحدّث عن مكانة القدس الفريدة في آخر الزمان ، وأنّها سوف تكون معقلا من الدجال ، والمكان الذي يهاجر إليه المهديّ ، وأنّ أهلها يُعَدُّون من المرابطين ، وأن المدينة ستكون المكان الذي يُحشَرُ فيه الناس يوم القيامة . ويفصّل أبو المعالي في تبيان شعائر الزيارة للقدس ، ثم يورد أقوالا عن فضل المساجد بصورة عامة وتميُّزها على بقية الأماكن ، ويتحدث في النهاية حديثا طويلا عن فضائل بلاد الشام عامة .

وبعد قراءتي للكتاب ، اخترت من بين أبوابه للتحقيق الأبواب التالية :

باب ما بشّر به رسول الله ﷺ من فتح القدس ـ باب فتوح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس على الصلح وكتاب العهد بينه وبينهم ـ باب بناء عبدالملك بن مروان الصخرة ـ باب قول النبي عليه السلام : لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد ـ باب كم صلى النبي ﷺ والمسلمون إلى بيت المقدس وأنها كانت قبلة ـ باب ذكر ماجاء في محراب عمر رضي الله عنه ، وهو المحراب الذي عند المنبر اليوم ـ باب فضل من سكن بيت المقدس وأنّ أهلها لا يضرهم خذلان من خذلهم ـ باب ذكر من زار بيت المقدس من الأئمة والصالحين ومن كان فيها من المتعبّدين والأبدال وكم ببيت المقدس من الأنبياء مقبور ، ومن كان بها من الصحابة الذين أعْقَبُوا ـ باب ما جاء أنّ الله تعالى أقسم بمسجد بيت المقدس وذكرُ الجبال المقدسة ـ باب ما جاء أن أهل بيت المقدس مرابطون ـ باب جامع في فضائل الشام .

هذا وقد اتّبع أبو المعالي المقدسي أسلوب الإسناد في إيراد مادته ، بالطريقة المألوفة عند علماء الحديث ، حتى يصل في سلسلة رواته إلى من روى عن النبي ﷺ . والذين نقل عنهم مختلفون اختلافاً واضحا . زمناً ومنزلةً « وشُهْرة » ونباهةً ، وبعض من روى عنهم أخَذَ عن آخر حلقة فيهم قبل الرسول ﷺ . في حين أنه في معظم الأحيان كان يوردُ سلسلة الرواة كاملة . وقد يورد أبو المعالي الحديث من عدة طرق ، مع بعض اختلاف في

ألفاظ الحديث ، بسبب اختلاف الطرق التي ورد منها . وقد استعمل المؤلف بعضا من مصطلحات أصحاب الحديث ومختصراتهم ، وهو كثيراً ما يعود برواياته في الحديث إلى شدّاد بن أوس ، والوليد بن مسلم ، وعطاء الخراساني ، ومحمد بن عائذ ، ويأخذ في رواياته التاريخية كثيرا عن رجاء بن حيوة ، ويزيد بن سلام .

وباستثناء لغة المقدمة المتأنقة ، فإن لغة الكتاب هي لغة التأليف التقريريّة المُرْسَلة . وإذا كان فيها أحيانا خروج عن قواعد اللغة ، أو اضطراب في العبارة ، أو بعض من التحريفات والتصحيفات ، أو أخطاء في النقل يسبّب اضطرابا في المعنى ، فإن الأرجح أن يُرَدّ ذلك إلى الذي نسخ المخطوطة أو الذين انتسخوها عبر السنين .

والذي يقارن بين كتاب أبي بكر الواسطي الذي سبق كتاب أبي المعالي زمنيّاً . لابد أن يلحظ أن اللاحق منهما قد اتكأ كثيرا على السابق، بل لا نغالي إذا قلنا إن معظم مادة الواسطي موجودة في كتاب أبي المعالي ، مع أنّ ثمة تفاوتا كبيرا في الحجم بين الكتابين ، إذ إنّ كتاب أبي المعالي أكبر بكثير من كتاب الواسطي ، وهذا يعني أنّه زاد كثيراً على مادة الواسطي ، وبالتالي فإنّ من الظلم أن يقال إن أبا المعالي لم يكن أكثر من ناقل عن الواسطي ، فهو وإن نقل عنه ، قد زاد على المادة التي نقلها شيئا كثيرا لم يحتوه كتاب الواسطي ، وأورد تفصيلات غير موجودة في الكتاب المذكور .

وكما هي العادة في كتب فضائل القدس ، فإن اللاحقين من المؤلفين يتخذون من مؤلّفات سابقيهم مصادر لهم يأخذون منها دونما تحرج ، وهذا ما حصل لكتاب أبي المعالي ، إذْ إنّ اللاحقين قد أخذوا منه كثيرا ، وبعضهم يُقِرّ بأنه أخذ منه ، وأكثرهم يأخذون منه دون أن يُقِرّوا بذلك .

هذا ولن يخفى على القارىء حين يتصفح النصوص المختارة المحققة من هذا الكتاب الحجمَ الكبيرَ للمواد التي حذفتُها ، لسبب من الأسباب التي أوردتها سابقا في أثناء حديثي عن مبرِّرات الحذف .

حول المخطوطة الثانية

« مفتاح المقاصد ومصباح المراصد
في زيارة بيت المقدس »

لعبدالرحيم بن علي بن إسحاق بن شيت القرشي
المتوفّى في دمشق سنة ٦٢٥ هـ

تقع هذه المخطوطة في جزأين ، وعدد صفحاتها فيهما مئة وإحدى وستون صفحة مع ورقة الغلاف ، وهي تضمّ مقدمة للكتاب ، ثم موضوعاتٍ لم تقسّمْ إلى أبواب أو فصول بصورة واضحة ، وإنْ كان ثمة تقسيمات كبيرة لمادة الكتاب . ومن تقسيماته ، القسم الذي تحدث المؤلف فيه عن مكانة البيوت الثلاثة في الإسلام : الحرم المكيّ ، ومسجد الرسول عليه السلام ، والمسجد الأقصى ، والقسم الذي تحدث فيه عن فتح عمر بن الخطاب للقدس ، والقسم الذي ذكر فيه بناء عبدالملك بن مروان مسجد الصخرة ، ثم حديثه في قسم رابع عن استيلاء الفرنج على بيت المقدس . أمّا في الجزء الثاني من الكتاب ، فقد كادت المادة تقتصر تقريبا على أدعية ينصح المؤلف بها عند أماكن معينة في البلد المقدس . والأقسام التي ذكرتها ، هي الأقسام التي كنت قد اخترتُها للتحقيق أصلا ، وإن كنتُ بعد ذلك ، قد حذفت القسم المتعلّق بذكر بناء عبدالملك بن مروان مسجد الصخرة ، لأنني وجدت مادته لا تختلف عن المادة التي أوردها أبو المعالي ، مما يدل على اتكاء شبه كلي لهذا المؤلف على أبي المعالي في هذا القسم بالذات . وقد أخذتُ بالإضافة إلى ما سبق من هذا الكتاب ، مادة عن فضل السكن في بلاد الشام .

أما مقدمة كتاب مفتاح المقاصد ، فقد كُتبتْ بلغة متأنقة إلى حد بعيد ، استخدم المؤلف فيها السجع ، وملأها بأنواع البديع الذي كان يتطلبه تطلُّباً مقصودا . وواضح من هذه المقدمة أن الرجل كان ذا نزعة أدبية بلاغية ، وأنهُ كان له اهتمام خاص بالشعر والأدب ، كما يتبدّى ذلك من بعض عبارات مقدمته ، مثل : « . . . إلاّ أنّها ربما ينوء عنها طبع من ليس له في الأشعار ذَوْق ، وإن كان لكل نفس منه رَوْح ، ولكل ناظر منه روق ،

ولا يشكّ ذو لب أن تفاوت الخلق بحسب ما عندهم من المعارف ، وأنّ أعظم المعارف قدْراً ، العثور على البلاغة والفصاحة ، اللذين هما طرفا الفضيلة ، فهما حقيقتان بإنفاق العمر فيهما ، والتليد والطارف . . . »[٢] .

هذا ولم يعتمد المؤلف على الأسانيد فيما أورده من أخبار ، إلا في أحوال قليلة ، وإذْ ذاك ، كان ينقل عن أول مَنْ روى مباشرة . وفي روايته عن فتح عمر بن الخطاب للقدس ، أورد تفصيلات لم تردْ عند أبي المعالي ، مما برّرَ استبقائي لاجزاءٍ من مادته في إطار هذا الموضوع . وما استُبْقِيَ من هذه المادة ، كان مقتصراً على ماهو زائد على مادة أبي المعالي ، أو ما هو مختلف كثيرا أو قليلا عن تلك المادة .

واتكاءُ المؤلف على كتاب أبي المعالي واضح في غير ما مكان من كتابه ، إذ كادت مادة فضل السكن في بلاد الشام تُنقَل حرفّياً عن كتاب أبي المعالي ، ولذا فإنني لم أترك منها إلا جزئيّةً بسيطة ، خشية التكرار . ومن الواضح كذلك ، أنّ المؤلف اتكأ على عماد الدين الأصفهاني في قسم كبير مما احتواه كتابه عن احتلال الفرنج لبيت المقدس ، وما تبع ذلك من ردة الفعل الإسلامية ، ولاسيما زمن صلاح الدين ، ولذا فإنني حذفت تفصيلات تتعلق بالحروب التي ندعوها الحروب الصليبية ، لأن مادتها محتواة في كتاب « الفتح القسي في الفتح القدسيّ » للعماد الأصفهاني ، وفي كتب أخرى مطبوعة ، مما يجعل هذه التفصيلات خالية من الجديد .

ورغبة المؤلف في الشعر ، كما كشفت عنها العبارة التي اقتبسناها من مقدمته ، تَظْهَر في استعانته أحيانا بأبيات من الشعر في تضاعيف مادته ، ولا عجب في ذلك ، إذ كان هو نفسه من الذين ينظمون الشعر كما ذكر ابن العماد الحنبلي[٣] .

ويبدو أن من الصعب أن تخلو مخطوطة من المخطوطات القديمة من الأخطاء اللغوية والهجائية والتحريفات ، والواقع أنني وجدت من هذا كله الشيء الكثير ، ومن الصعب

(٢) انظر : صورة المخطوطة ، الورقة ١ .

(٣) انظر : شذرات الذهب ، ج ٥ ص ١١٧ .

أن أعزو كل هذه الأخطاء لمؤلف اضطلع بوظيفة صاحب ديوان الإنشاء للملك الأيوبي المعظم عيسى(٤) ، وهي وظيفة تتطلب تمكُّناً من اللغة ، وقدرة في الكتابة ، وبلاغة وأدباً . وقد اشتكى الناسخ صراحة من النسخة التي نقل عنها ، ووصفها بأنها قديمة سقيمة ، وأنه أصلح ما أمكن إصلاحه ، والباقي على هيئته كما وجده(٥) .

حول المخطوطة الثالثة

« فضائل بيت المقدس وفضائل الشام فيها »

لشمس الدين محمد بن محمد بن حسين الكنجي
الصوفي المصري المتوفى في القدس سنة ٦٨٢ هـ

تقع أوراق هذه المخطوطة في ست وثلاثين ورقة ، تحتوي كل ورقة منها صفحتين . وتضم المخطوطة في أوراقها هذه أربعين بابا ، هي : شدّ الرحال إلى المسجد الأقصى ـ في قوله ﷺ : « عليك ببيت المقدس » ـ في قوله ﷺ : أئتوه فصلّوا فيه ، يعني بيت المقدس ـ وصل مكة بالمدينة ووصل المدينة ببيت المقدس ـ في فضل من قصدها للصلاة ـ في فضل الصلاة ببيت المقدس ـ فضل الصلاة عن يمين الصخرة ـ تسبيح الملائكة في المسجد الأقصى ـ في معراج النبي من بيت المقدس ـ في تحويل القبلة ـ فضل الصخرة ـ الصلاة في بيت المقدس ـ فضل من أهلّ من المسجد الأقصى ـ فضيلة الصخرة ـ المعراج ـ خلق مكة والمدينة وبيت المقدس من زبدة واحدة ـ نفخ الصور في صخرة بيت المقدس ـ فضل البلاطة السوداء ـ الحور العِينْ ببيت المقدس ـ موضع صلاة النبي من بيت المقدس ـ سَكَن الخِضْر ببيت المقدس ـ في قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ببيت المقدس » ـ قُدْسُ فلسطين بيت المقدس ، وقُدْسُ بيت المقدس الجبل ، وقُدْسُ الجبل المسجد الأقصى ، وقُدْسُ المسجد القبة ـ طور زيتا ـ في الجبال المقدسة ـ في فضل

---

(٤) انظر في ذلك كتاب « الأعلام » ج ٤ ص ١٢١ .

(٥) انظر خاتمة المخطوطة ، ص ١٦١ .

الصخرة ليلة الرجفة ـ بني داود مسجد بيت المقدس على أساس قديم في تسمية إيليا وبيت المقدس والمسجد الأقصى ـ ويتلو ذلك حديث المؤلف عن تاريخ بناء المسجد القديم وبناء عبدالملك بن مروان .

وبسبب ما خالط مادة الكتاب من روايات ذات طابع قصصي ، يصل أحيانا إلى نمط الأساطير ، ونتيجة كذلك لما فيه من أقوال معادة ، فإنني لم آخذ منه إلا الأبـواب التالية ، مع حذف ما ينبغي أن يحذف حتى في نصوص هذه الأبواب .

تحويل القبلة ـ في بيت المقدس أنه قُدْسُ القُدس ـ في الجبال المقدسة ـ في تسمية إيليا وبيت المقدس والمسجد الأقصى . وقد وجدت أن حديثه عن بناء مسجد الصخرة ، مطابق لما ورد في مخطوطة أبي المعالي المقدسي التي سبق الحديث عنها ، ولذا فقد حذفت المادة الواقعة تحت هذا الباب .

ويعترف الكنجي في آخر مخطوطته أنه قد جمع مادته جمعا ، وأنه قد تسامح في رواية ما رواه وما جمعه ، لأنه ليس « من قواعد الأحكام التي يجب فيها الإتقان والإحكام »(٦) ويحتج بقول أئمة الحديث فيما يتعلق بالتسامح في الأحاديث الخاصة بالنوافل والرغائب والفضائل .

وقد اتبع المؤلف في كتابة مادته طريقة الإسناد التي عهدناها عند كثيرين من مؤلفي كتب الفضائل . وسلاسل إسنـادِه ليست طويلة متصلة دائـما ، وأبوابـه ليست طويلة كذلك ، بل هي قصيرة جدا ، كما يمكن أن يستخلص من حشر أربعين بـابا في ست وثلاثين صفحة . ولا أرى وجها ، من خلال مطالعتي للكتاب ، لتبرير وصف روزنتال له بأنه تاريخ كبير للقدس ، إلاّ إذا كان هو قد اطلع على كتاب آخر له يحتوي فيما يحتويه ، هذه الأوراق التي بين أيدينا ، وذلك ممكن ، لأن روزنتال يتحدث في وصفه للكتاب عن كراسة سليمة في مدح الخليل(٧) ، ولم أجد فيما بين يديّ مثل هذه الكراسة ، أما لغة

---

(٦) خاتمة المخطوطة ، ص ٩٧ في مجموع المخطوط الذي يحتوي مخطوطة الكنجي .

(٧) A History of Muslim Historiography, p. 465.

الكتاب في متنه الأصلي ، فهي نثر التأليف اليسر العادي الذي لا غريب فيه ، ومنهجه أشبه شيء بمنهج أصحاب كتب الحديث وطريقتهم في سرد مادتهم .

حول المخطوطة الرابعة

« فضائل الشام وفضائل مدنها وبيت المقدس وعسقلان وغزة والرملة وأريحا ونابلس وبيسان ودمشق وحمص وذكر الأنبياء المشهورين فيها وذكر الصحابة المدفونين فيها

لمؤلف مجهول ، من رجال القرن السابع الهجري

تقع هذه المخطوطة في ثلاث وعشرين ورقة ، مابين الورقتين ٩٧ و ١٢٠ من مجموع يضم عدة مخطوطات ، إضافة إلى افتتاحية المخطوطة القصيرة ، ويتبين من الافتتاحية أن مؤلفها قد هَدَفَ في كتابه إلى « جمع » فضائل الشام وفضائل مدنه ، وهذا ما حاول القيام به فعلا ، إذْ لانكاد نقع على نص في مادته لا يحمل الصفة النقلية ، أوينبىء عن اجتهاد مستقل له ، أو تجربة شخصية انفرد بها .

وقد أخذتُ من الكتاب موضوعات محددة ، أحصُرُها فيما يلي : فضائل السكن في الشام ـ فضائل بيت المقدس : أصلُه من القُدْس ـ فضائل عسقلان ـ فضائل فلسطين والرملة ـ فضائل دمشق ـ ما جاء في المسجد الأقصى ببيت المقدس ـ ذكر من مات بحمص ـ واطّرَحْتُ متعمِّداً بعض ما أورده المؤلف لارتيابي في صحته ، إما لطبيعة المادة الموردة ، أو بسبب الأشخاص الذين رووا هذه المادة .

وقد سار هذا المؤلف المجهول لنا حتى الآن على طريقة الأسانيد في إيراد مادته . كما في رواية الأحاديث النبوية ، ولم يكن يضع دائما عناوين لأجزاء مادته . وقد نقل كغيره من مؤلفي كتب الفضائل ، عن كتب السابقين ، ومن هؤلاء كتاب « مفتاح المقاصد ومصباح

المراصد في زيارة بيت المقدس » ، لعبدالرحيم بن علي القرشي ، ولكن ما نقله يحتوي شيئا من الاختلاف عن الكتاب المذكور . وهو يتكىء في نصوصه اتكاء تاما على إيراد آيات من القرآن الكريم حول الموضوع ، أو أحاديث نبوية ، أو روايات معزوّة إلى رجال من ذوي الإلمام بالتاريخ ، فوق معرفتهم بالأحاديث وروايتهم لها .

ولعلّ كتابه هذا من أكثر الكتب التي أولَتْ عناية خاصة بمجموعة كبيرة من مدن فلسطين والشام ، في إطار ما لهذه المدن من مكانة لدى المسلمين ، سواء أكانت هـذه المكانة مكتسبة من ارتباط المدينة بنصّ دينيّ معيّن ، أم باشخاص معينين ، أم لأنها كانت تمثل عند المسلمين في زمنه ، أو قُبَيْلَ ذلك ، موقع جهاد ورباط ، ولاسيما زمن الحروب الصليبية ، كما هي الحال في عسقلان وغزة والرملة التي ارتبطت أسماؤها بوقعات مع جيوش الفرنج الغازية ، قبل أن تخرج هذه الجيوش نهائيّاً من فلسطين وبلاد الشام كلها .

أما لغة المؤلف ، فهي لغة سرد إخبارية بسيطة ، تُذَكِّرُ في بعض أجزائها بطريقة مفسري القرآن وطريقة الإخباريين ، فضلا عن طريقة المحدثين ، في إيراد موادهم .

حول المخطوطة الخامسة

« كتاب فيه فضائل بيت المقدس وفضائل الشام

لأبي إسحاق إبراهيم بن يحيى بن أبي الحفاظ المكناسي ، من علماء المغرب ، ومن رجال القرن السابع الهجري

تقع هذه المخطوطة في إحدى وستين ورقة ، تحتوي كل ورقة منها صفحتين وهي تكوّن جزءاً من مجموعٍ احتوى عدة مخطوطات ، وتنقسم مادة المخطوطة إلى قسمين كبيرين ، أولهما فضائل بيت المقدس ، والثاني « فضائل الشام » . وفي نطاق فضائل بيت المقدس ، يجد قارىء المخطوطة مجموعة كبيرة من العناوين كما يلي : اشتقاق بيت

المقدس ـ ماجاء فيمن مات فيه ـ فضل الصلاة ببيت المقدس ـ من سكن فلسطين من الصحابة ـ ماجاء في المسجدين ـ إعْمالُ المطيّ إلى المساجد الثلاثة ـ تسبيح الملائكة في المسجد الأقصى ـ موضع صلاة النبي ﷺ من بيت المقدس ـ من أهَلَّ من بيت المقدس ـ تحويل القبلة ـ فضل الصخرة ، وذكر الماء الذي يخرج من أصلها ـ معراج الصخرة ـ ماجاء من أنَّ الصخرة تزار ولا تزور ـ رؤية النبي ﷺ الحور العين ـ ماجاء في السلسلة ـ فضل الصلاة عند موضعها ـ بناء المسجد ـ حديث ليلة الرجفة ـ حديث الورقات ـ حديث دخول ذي القرنين بيت المقدس ـ حديث بَنِي موسى وهارون ـ قبر آدم وإبراهيم وولده عليهم السلام ـ نزول المهدي القدس وعيسى بن مريم ـ ماجاء في أنّ الدجال لا يدخل بيت المقدس . وفي القسم الخاص بفضائل الشام ، يجد الدارس للمخطوطة مادة عن فضائل مدن في بلاد الشام مثل دمشق وحمص وعسقلان ونابلس وغزة ، فضلا عن الأحاديث الموردة في فضل بلاد الشام جميعها .

ونظرا لما خالط مواد هذا الكتاب من أقاصيص وروايات لا تعدو أن تكون أساطير وحكايات شعبية متوارثة ، فقد اخترتُ منه مواد محدّدةً مما يدخل في نطاق المقبول والمعقول ، وحذفت المكرر من النصوص التي احتواها الكتاب . وفيما يلي المواد المختارة منه : اشتقاق بيت المقدس ـ الترغيب في سكن بيت المقدس ـ إعْمالُ المطيّ إلى المساجد الثلاثة ـ موضع صلاة النبيّ ﷺ من بيت المقدس ـ من أهَلَّ من بيت المقدس والترغيب في ذلك ـ تحويل القبلة ـ فتح بيت المقدس :(وقد حذفت من هذا الموضوع ماهو مكرر مأخوذ من مخطوطة أبي المعالي المقدسي)ـ فضائل الشام ـ ما جاء في مسجد دمشق ـ فضل حمص وما جاء فيها ـ جامع أمر الشام .

والجدير بالذكر أنّ المؤلف لم يقسم مادته إلى أبواب كبيرة ، بل جاء بها نُتَفاً جعل لكل واحدة منها عنوانا خاصا بها ، وهو يقول إنه جمع في كتابه مواد متفرقة ، وأنه كان ينسب معظم ما أخذه من غيره إلى صاحبه ، وأنه اختصر أكثر الأسانيد التي أوردها . والمدقق في مادته يرى أن كثيرا منها قد أُخِذ عن أبي المعالي المقدسي ، وعن المؤلف المجهول للمخطوطة السابقة .

وتُعَدّ مقدمة المكناسي لكتابِهِ مقدمة قصيرة جدا ، إذا هي قيستْ بمقدمات كتب أخرى من كتب فضائل القدس ، إذ إنّ هذه المقدمة لاتزيد على ديباجة تحتوي تحميدات ، تتبعها فقرة يتحدث فيها المؤلف عن كتابه حديثا مختصراً جداً ، يقول فيه إن كتابه تضمّن فضائل بيت المقدس والشام وما ورد في ذلك من العجائب والخصائص العظام(٨) .

وقد لاحظتُ أنّ المكناسي كان إذْ يورد روايات مشابهة لروايات سابقيه من مؤلفي كتب فضائل القدس ، يضمِّن ما أورده أحيانا مادة مختلفة ، مما حدا بي إلى استبقاء هذه الروايات من أجل الاختلاف الذي ورد فيها عما لدى السابقين . ويمكن القول إنّ نُقُولَهُ تركزتْ بصورة عامة على مواد من مخطوطات أبي المعالي المقدسي والكنجي والمؤلف المجهول ، ولاسيما في النصوص المتعلقة بتحويل القبلة ، التي نقل معظمها عن أبي المعالي . وكذلك الأمر بالنسبة إلى فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب . وبعض الأحاديث التي أوردها عن فضائل الشام نُقِلتْ عن مخطوطة الكنجي ، في حين أعاد رواية كان قد أوردها المؤلف المجهول عن فضل الرباط في عسقلان .

ويبدو أنّ المكناسي كانت له اهتمامات لغوية ، ولاسيما فيما يتعلق بدلالات المفردات ، كما يتضح ذلك من تحليله للفظ القدس ، واستشهاده بثعلب اللغوي في تفسير بعض العبارات .

وفي كتاب المكناسي ، كما في جميع هذه الكتب ، نجد الاعتماد على الرواية عن الآخرين ونقل أقوالهم أمرا غالباً في النصوص التي يتضمنها الكتاب ، حتى لقد يصعب على المنقِّب عن أسلوب المؤلف في الكتابة أنْ يجد في المتن الخصائص المتميزة التي تفرده في أسلوبه عن بقية المؤلفين ، وعن الذين روى عنهم .

---

(٨) مقدمة المخطوطة : ورقة ١ .

حول المخطوطة السادسة

« تحصيل الأنس ، لزائر القدس »

لجمال الدين أبي محمد عبدالله بن هشام الأنصاري
المتوفّى سنة ٧٦١ هـ (في مصر)

تشتمل هذه المخطوطة على تسع ورقات فقط ، تحتوي كل ورقة منها على صفحتين ، وتبدأ بمقدمة قصيرة ، يبين المؤلف فيها أنّ مخطوطته هذه إنما هي أوراق لخص فيها بعض فضائل الأرض المقدسة ، ونبَّهَ فيها على أمور يَحْتاج إلى معرفتها من قصدَ زيارة المسجد ، ثم بدأ بعد ذلك بالحديث عن فضل القدس والشام ، دون أن يضع عنوانا لمادته ، واكتفى بإيراد بعض آيات وأحاديث حول الموضوع ، وتحدث باختصار عن حدود فلسطين .

ومن هذه الأوراق القليلة ، أخذتُ مواد تندرج تحت العناوين التالية : فضل القدس والشام ـ باب في أنّ بعض القرآن نزل ببيت المقدس ـ ونبذة عن استحلاف عمر بن عبدالعزيز لعمال سليمان بن عبدالملك عند الصخرة .

وقد حذفتُ ما أورده ابن هشام عن فتح بيت المقدس ، لأن مادته موجودة في مخطوطة « مفتاح المقاصد ومصباح المراصد » التي سبق الحديث عنها ، وحذفتُ ما أورده عن بناء عبدالملك لمسجد قبة الصخرة ، لأن المادة لا تضيف جديدا إلى ما سبق أن جاء به أبو المعالي المقدسي ، والقول نفسه ينطبق على ما أورده من حديث ميمونة مولاة الرسول ﷺ عن إسراج القناديل في بيت المقدس . وحذفت أيضا ما كتبه ابن هشام في حديث ابن عباس عن تحويل القبلة ، لأن المكناسي قد سبق أنْ أورد هذا الحديث في مخطوطته .

وعلى قلّة ما أُخذ عن هذا المؤلف في مخطوطته الصغيرة ، نجد له فضلا خاصا بين من كتبوا في فضائل القدس ، إذْ كان واضحا جدا في آخر فصل من محتويات كتابه ، وهو

الفصل الذي أسماه : « فصل نختم به الكتاب » ، في تسفيه آراء من يخرجون في حديثهم عن القدس والمسجد الأقصى عن الحدود المعقولة . وهو إذ يورد في هذا الفصل باستنكارٍ مجموعةً من الأمور التي يرفضها العقل ، ولا تجد لها سندا صحيحا من نقل ، لا يتردد في أن يصفها بأنها « أكاذيب وترّهات ، حمل على القول بها قلة الدين وإرادة أكل أموال الناس بالباطل»[٩]. وقد أقام هذا المؤلف النّكير ، كما سبق أن أوضحنا في مكان سابق من هذا الكتاب ، على من يجتمعون يوم عرفة بالمسجد ، فوصفهم بأنهم قوم من الجهلاء ، الذين يطوف بعضهم بالصخرة ، ويَنْفِرون عند غروب الشمس ، ويرجعون القهقرى ، ووصف عملهم هذا بأنه ضلال وأضغاث أحلام[١٠] . ولا يتقبل ابن هشام التسمية التي درجت على ألسنة بعض الناس للمسجد الأقصى ، وهي « حرم القدس » ، إذ يرى في ذلك تحريما لما أحلّ الله ، افتراءً على الله ، ويُتْبع ذلك بالتعوّذ بالله من الخذلان[١١] .

ولعل صِغَر مخطوطة ابن هشام ، كما يمكن أن يستخلص من أقواله هذه ، إنما مردُّهُ جزئياً ابتعادُه عن أنْ يورد فيما كتبه عن القدس أو بلاد الشام ، أشياء لا يتقبلها العقل ، أو ليس لها سند صحيح في النقل . وإنّ وجود مثل هذا المؤلف في القرن الثامن الهجري ، لدليل واضح على أنّ نفراً من علماء المسلمين ، وإن كانوا يشاركون كل المسلمين بالاعتراف بقداسة القدس ، كانوا يقفون في ذلك عند الحدود التي وضعها الإسلام ، دونما تجاوزات ليس فيها من فائدة للمدينة وأهلها ، بل هي تعطي متصيدي الأخطاء حجة يحتجّون بها على تباين مواقف الناس من قداسة المدينة ، وذلك إذ يعمدون إلى اختيار ما يَسنِدُ مواقفهم ويدعم آراءهم ، ويتعمدون إغفال الشواهد المبطلة لهذه المواقف والآراء .

وإذا كان من الصعب أن يتبين القارىء أسلوب المؤلف من مواد منقولة أو مسندة

---

(٩) المخطوطة ، الورقة ٦٣ من المخطوط الذي يبدأ برقم ٥٦ وينتهي برقم ٦٤ .
(١٠) المصدر نفسه : الورقة ٦٤ .
(١١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

إلى الآخرين ، فإن من السهل على قارىء مخطوطة ابن هشام ، أن يتبينّ من آخر فصل خطّه في كتابه بلغته الخاصة به ، أسلوباً سليماً لا تكلُّفَ فيه ولا تَعَمُّل ، فيه هذا النمط المباشر في معالجة المواد المطروحة ، وتقديمها في إطار عقلي يعتمد المنطق السليم ، وفيه سمة الحَسْم وحدّةُ الصدق ، ولا يختلف كثيرا عن الأسلوب المعاصر في كتابة النثر الذي يحتوي حِجاجا وردّا على أصحاب الآراء المخالفة .

حول المخطوطة السابعة

« كتاب » مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام »

للشيخ الإمام العالم العلامة ، شهاب الدين أبي محمود أحمد ابن محمد المقدسي الشافعي، المتوفّى في القدس على الأرجح ، وفي مصر على قول ، سنة ٧٦٥ هـ

تقع هذه المخطوطة في ١٤٤ ورقة ، في كل ورقة منها صفحتان ، وتحتوي قسمين كبيرين : الأول في فضائل الشام ، والثاني في فضل المسجد الأقصى ، وذلك بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة . وفي القسم الأول ، يتحدث المؤلف عن بلاد الشام ، ومنها فلسطين ، بصورة عامة ، ويتناول ذلك ما يتعلق باسم البلاد وتقسيماتها الإدارية أو السياسية ، وما ورد في فضائلها من آيات قرآنية كما نشرها بعض المفسرين ، وما رُوِيَ من أحاديث وأقوال في الموضوع نفسه ، ويتحدث المؤلف في القسم الثاني عن القدس ، ويورد فضائل المسجد الأقصى ، وما تناقله الناس عما خُصّ به من الأمور العجيبة ، ويورد قصة زيارة الخليفة عمر بن الخطاب لموقع المسجد، وكيف أمرَ بتنظيف المكان الذي كانت تغطيه القمامة عند زيارته له ، ويتحدث عن بناء عبدالملك بن مروان لمسجد قبة الصخرة . وقبل أن يصل إلى الخاتمة ، يقدم لنا فصلا طويلا يحتوي سير عدد كبير جدا من الصحابة والتابعين والرجال الصالحين والعلماء الذين كانت لهم علاقة بالقدس ، سواء أكان ذلك بالإقامة فيها أم بزيارتها ، مع ذكر الذين دفنوا في مقابر المدينة . وقبل نهاية هذا

الفصل ، يورد المؤلف نص أول خطبة أُلقيت في المسجد يوم الجمعة ، بعد أن استعاد صلاح الدين المدينة من الصليبيين عام ٥٨٣ هـ .

ومن بين الأبواب التي احتواها كتاب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، اخترت الأبواب والفصول والموضوعات التالية من القسم الأول :

١ ــ الباب الأول : في ذكر الآيات الواردة في فضل القدس والشام .
٢ ــ الفصل الثالث : في بيان حدود الشام .
٣ ــ باب دعائه عليه السلام بالبركة في الشام .
٤ ــ باب قول الصادق عليه السلام إنّ أرض المحشر الشام .
٥ ــ باب إنزال القرآن بالثلاثة البلدان .

ومن القسم الثاني المَعْنَون : « في فضل المسجد الأقصى وما يتعلق به على الخصوص من ابتداء وضعه وبنيانه ، وما كان فيه من العجائب والآثار وأول شأنه»، اخترت ما يلي :

١ ــ الباب الخامس في فتوح القدس الشريف صلحاً على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد استبقيتُ منه فقط مالم يَرِدْ في هذا الموضوع في مخطوطتي أبي المعالي المقدسي ، وعبدالرحيم بن علي بن شيث القرشي ، لأنّ قسماً كبيرا من المادة التي أوردها في هذا الموضوع ، كانت قد وردت في المخطوطتين المذكورتين السابقتين زمنا لمخطوطته .

٢ ــ احتلال الفرنج لبيت المقدس .

٣ ــ الفصل السابع في ذكر بناء عبدالملك بن مروان قبة الصخرة ، ومتى كان ذلك البنيان . وقد استبقيتُ من هذا الفصل الفقرات التي لم ترد في مخطوطة أبي المعالي المقدسي .

٤ ــ فضل البلاطة السوداء ، وما يكون في آخر الزمان على أسوار بيت المقدس من أسوار

الذهب والفضه البيضاء ، ولم أستبقِ من هذا الموضوع ، إلا تعليق المؤلف على المادة غير المعقولة فيه ، وهو تعليق سبق أن أوردناه في مكان آخر ، ينعي فيه المؤلف على القُصّاص والوضّاعين إتيانهم بأكاذيب مروية عن وهب بن منبّه ، وكعب الأحبار .

٥ ــ من ورد القدس الشريف من الأنبياء والأعيان ، ومن عرف فيه بالاستيطان ، وهو باب طويل جدا ، أحصيت عدد من ذُكِروا فيه ، فوجدت أنهم مائة بعد الرسول محمد ﷺ ، وفيهم من صحابة الرسول عليه السلام والتابعين والخلفاء والصالحين والعلماء والزهاد . وقد أورد المؤلف سِيَرهُم بإيجاز ، مما لم نجد لـه مثيلا في كتب المخطوطات السابقة التي عرفناها .

٦ ــ وقُبَيْلَ انتهاء هذا الباب ، أورد المؤلف الخطبة المشار إليها آنفا ، والتي ألقاها القاضي محيي الدين أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى علي بن عبدالعزيز ابن علي بن الحسين بن محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم بن عبدالرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان . وقد استبقيتُ هذه الخطبة على الرغم من وجودها في بعض المصادر المطبوعة ، وذلك لأنها جزء متكامل مع المادة التي أوردها المؤلف ، وتدخل في نطاق الحديث عن صلاح الدين واستعادته للمدينة المقدسة ، كما أنها ، مثلما وصفها المؤلف بحقّ ، مشتملة على بعض فضل القدس المبين[١٢] .

وقد حذفت من الأبواب التي كنت قد انتقيتها أصلا للتحقيق في هذه المخطوطة الباب المعنون « الشام خيرة الله من بلاده ، يجتبي إليها خيرته من عبادة » ، لأن مادته مما سبق أن أورده المكناسي في مخطوطته المسمّاة : « كتاب فيه فضائل بيت المقدس وفضائل الشام » ، وكذلك « باب صلاة النبي ﷺ وأصحابه الجِلّة ، وأنّ الصلاة إلى بيت المقدس كانت هي القبلة » ، لأنه مما ورد في مخطوطتي أبي المعالي المقدسي والمكناسي . وحذفت ، باب « مقام الطائفة » ، المنصورين الذين لا يزالون إلى قيام الساعة على الحق ظاهرين » ، وذلك لأن ما ورد تحت هذا الباب ، قد سبق أن أورده ابن هشام في مخطوطته « تحصيل الأنس لزائر القدس » .

(١٢) مقدمة المخطوطة ، الورقة ١ .

ويبدو اعتزاز المؤلف بكتابه منذ البداية ، إذْ هو يرى أن كتابه متميّز عن كتب « فضائل القدس ، الأخرى ، كما يتضح من عبارته : « . . . فهذا كتاب نفيس الخَطَر ، جليل القَدْر ، جامع الغُرَر ، سميّته « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، رتبته ترتيبا ، وهذّبته تهذيبا ، وأتقنته إتقانا ، وأوضحته تبيانا ، وجعلته في كتب الفضائل الفاضل كلها ، المشار إليه ، والمعوّلَ عليه ، إذ بيَّنْتُ حال أحاديثه وآثاره غالبا : الصحيحة والضعيفة ، والموضوعة والحسان ، وليس كذلك من صنّف في الفضائل ، بل أورد أحاديث كتابه مجملة دون بيان »[١٣] .

ويَعْتدُّ المؤلف مرة أخرى بكتابه فيما أورده في خاتمة الكتاب ، إذ إنه يرى أن مؤلفين قبله ألفوا في فضائل القدس ، وآخرين ألّفوا في فضائل الشام ، أمّا هو ، فقد جمع في كتابه فضائل البلدين . وكأنما أراد أن يعتذر عن بعض المواد التي اشتمل عليها كتابه ، لأنها تدخل في نطاق الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة ، أو في نطاق الآثار الواهية ، وحجّته في إبراز هذه المواد كما يقول هو : « وإنّما أتيتُ بهذه الأقسام في هذا الكتاب لأجل بيانها لاغير » أي أنه يقول لنا إنه أراد أنْ يقدّم لنا ما كان الناس يتناقله في زمنه ، حتى ولو لم يكن مما يثق هو بصحته ، غير أنه يصرّح بعد ذلك باطراحه لأشياء رويت عن كعب الأحبار ووهب بن منبه « وقد تركت أشياء من الفضائل من أوائل ما يروى عن كعب الأحبار ، ووهب بن منبه . . »[١٤] .

والواقع أنني وجدتُ في عبارته الأخيرة هذه ، شدّاً لعزيمتي في اطّراح ما روى عن كعب الأحبار ووهب بن منبه ، واطراح مواد أخرى تصل في مستوى صدقها إلى روايات كعب ووهب !

وإذا كانت العبارات السابقة ، تنبىء عن استقلالية في تفكير المؤلف ، فإن ثمة مظاهر أخرى لهذه الاستقلالية ، تتضح مثلا في أنه بعد أن روى ما قاله أبو المعالي المقدسي

---

(١٣) المخطوطة : الورقة ١٤٣ .

(١٤) المخطوطة : الورقة ١٤٣ .

عن أطوال المسجد الأقصى ، أردف يقول : « . . كذا قاله أبو المعالي المشرف في كتابه ، ولكنني رأيت قديما بالحائط الشمالي فوق الباب الذي يلي الدّوادارية من داخل السور ، بلاطه فيها طول المسجد وعرضه ، وذلك مخالف لما ذكرناه » ثم يتحدّث عن الكتابة التي على البلاطة بشأن نوع الذراع الذي قيست به أبعاد المسجد فيقول : « . . قلت : وَوُصِفَ فيها الذراع ، ولكن لم اتحقق من ذلك »[١٥] .

وما من شك في أن المؤلف كان سبّاقا كذلك في أنْ حَشَدَ في كتابه هذا الرقم العالي من الشخصيات التي ترجم لها ، إذْ لم يكن هذا هو دأب من ألّفوا قبله من مصنفي كتب الفضائل . وقد كان تعريفه بهذه الشخصيات يطول أو يقصر ، وقد يكون من الصعب علينا قبل كتابه هذا ، أن نجد في مصدر واحد من كتب فضائل القدس هذا الحشد الكبير من الشخصيات المختلفة ، مترجَماً لها على الشاكلة التي وردت عند المؤلف .

أمّا أنّه قد نقل عن الآخرين ، فذلك شيء واضح من المواد التي حذفناها ، لأنها وُجِدَتْ في مخطوطات مؤلفين سابقِين له ، ومن إشاراته في تضاعيف كتابه إلى المصدر الذي أخذ عنه ، ثم من حديثه بصراحة بعد ذلك في خاتمة مخطوطته عن المصنفين الذين سبقوه ، وهو يذكر منهم المشّرف بن المرجى المقدسي ، والخطيب أبا بكر الواسطي خطيب المسجد الأقصى ، وبهاء الدين بن عساكر ، وابن شيث ، وأبا الفرج بن الجوزي وابن حفاظ المكناسي ، وبرهان الدين الفزاري ، ويدعو لهم بعد أن يورد أسماءهم بأن يتغمدهم الله تعالى بالرضوان ، وهؤلاء ، كما ذكر هو ، من الذين صنّفوا كتبا في فضائل القدس الشريف ، في حين يقول هو : « وصنف آخرون أيضا في فضائل الشام » .

هذا ، وقد اعتمد المؤلف في إيراد رواياته طريق الإسناد المعروف ، إلا أنه بيّنَ أنواع الحديث التي رواها بين صحيح وحسن وغريب ، وضعيف وواه وموضوع ، وقد يُخَرِّجُ الحديث النبويّ أحياناً من عدة طرق ، لا من طريق واحد ، ويركز على منزلة الصحابة والتابعين في رواية الحديث .

---

(١٥) المخطوطة : ورقة ٤٩ .

ولعل مِنْ أمتع ما ورد في كتاب « مثير الغرام » في إطار الترجمة لهذا العدد الكبير من الشخصيات ، ذلك الحوار الطويل المؤثر الذي أورده المؤلف ، بين الخليفة الأمويّ سليمان بن عبدالملك ، والرجل التقي أبي حاتم سَلَمة بن دينار ، في المدينة المنورة . فالحوار على طوله ، ممتعٌ جدا في فحواه وفي أسلوب روايته ولغته ، وفي تصوير صراحة أهل التقوى والصلاح في مخاطبة الحكام ، وسعة صدر بعضٍ من الحكام في الاستماع إلى القول الصريح ، بل والنقد المباشر لهم من أفراد رعيتهم .

ولم يختلف مؤلف الكتاب عن معظم زملائه مؤلفي كتب الفضائل ، في الأسلوب الذي اختاره لمقدمته ، إذ هو كالمعتاد أسلوب زخرفي مسجوع ، التُمِسَتْ فيه أنواع البديع والزخرف اللفظي ، في حين كانت لغة فصول الكتاب هي لغة التأليف التي اعتدنا عليها : لغة تقريرية ، يستهدف صاحبها إيصال المعنى المراد إلى قرائه بيُسْر ودونما عَنَتٍ . وقد رأيته يُعنى بالتحليل اللغويّ لبعض المفرادت ، ويحاول ردها إلى أصولها في لغات أخرى ، كقوله : « والشام بالسريانية : الطِّيب ، سُمِّيَتْ بذلك لطيبها وخصبها ، وذُكِرَ غير ذلك . ثم يستعين بالنحّاس اللغوي للمقابلة بين معاني بعض الكلمات والعبارات ، كعبارة « باركنا حوله » ، التي وردت في الآية الأولى من سورة الإسراء[١٦] .

ومما لا ريب فيه أن هذا الكتاب هو من أهم كتب الفضائل التي تناولت القدس وفلسطين وبلاد الشام ، وقد أخذ عنه اللاحقون بغزارة كما بينا في صفحات سابقة . واهتمّ به الكثيرون من الكُتّاب الاوروبيين ، وقد أوردنا من قبل شيئا عن الذين نشروا شذرات منه ، أو ترجموا بعضاً من نصوصه ، أو كتبوا شيئا عنه ، فلا داعي للإعادة ، اللهم إلا أنْ نذكر أنّ المرحوم أحمد سامح الخالدي قد نشر الفصل الأخير منه سنة ١٩٤٦ ، وبأنني اطلعتُ على هذا الفصل المنشور ، ولاحظتُ أنّ في تحقيقه بعض ثغرات .

---

(١٦) انظر المخطوطة : ورقة ٢ ، ٣ .

حول المخطوطة الثامنة

« تسهيل المقاصد لزوّار المساجد »

لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن عماد الدين ابن محمد الأقفهسي بن العماد المصري الشافعي المتوفّى في مصر سنة ٨٠٨ هـ

تحتوي المخطوطة ستا وأربعين ورقة ، في كل ورقة منها عدا ورقة الغلاف صفحتان ، وقد كتب مؤلفها مقدمة متأنقة لها على جاري عادة مؤلفي هذه الكتب . ولدى قراءتي للمقدمة ، تبينت من خلال ما أورده بعد التحميدات التي زادت على ربع المقدمة ، أن المؤلف يركز على آداب زيارة المساجد ، وما يتعلق بها من الأحكام ، ويورد سلسلة متداخلةً من الاشتراطات التي لابد أن تتوافر في العابد الصادق . ويتدرّج بها على النحو التالي : « فليس كل عابد يحسن العبادة ، ولا كل زائر يحسن الزيارة ، والناس هلكى إلا العلماء ، والعلماء هلكى إلا العاملون ، والعاملون هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون هلكى إلا الصادقون[١٧] ، إذ الإخلاص يدخله العجب بخلاف الصدق »[١٨] . ومجمل ما أورده في مقدمته بعد ذلك ، يدل على أنه يقصد أن يتحدث فيما يُستحب في المسجد في المفهوم العام ، وليس بالنسبة إلى مسجد معين . وحين تابعت قراءتي للمخطوطة ، وجدت نهج المؤلف ثابتا لم يتغير في حديثه العام عن المساجد ، سواء ما تعلّق بإنشائها ، أو بما يُستحَبّ من الجلوس فيها ، أو ما يتلى فيها من أدعية وأذكار ، أو آداب الدخول فيها ، كما يستدل على ذلك ، حتى قبل قراءة النصوص تفصيلا ، من العناوين التالية التي وردت في مخطوطته .

الباب الأول : فيما يستحب لمن قَصَدَ المسجد أن يُخلِص النية لقصد العبادة ويعظم المسجد بالزيارة وإحيائه بالذكر والتلاوة ليُكتب من عُمّار المسجد .

---

(١٧) المخطوطة ١ ـ ٢ .

(١٨) هكذا في المخطوطة ، وحق المستثنى في هذه الحالة النصب لا الرفع .

فصل : يُستحب إنشاء المساجد وعمارتها واتخاذها في البلاد والمحال .

فصل : يُستحب الجلوس في المسجد لأغراض .

فصل : بعدّة الأدعية والأذكار الواردة عقيب الصلاة . . الخ ، وغير ذلك مما هو في الأُطُر العامة للمساجد ، من غير تخصيص للمسجد الأقصى دون غيره .

وإذْ وجدتُ أن مادة المخطوطة لا تُحتَسَب بحقّ من كتب فضائل القدس ، على الرغم من أن الدكتور العسلي قد وضعها ضمن قوائم المخطوطات الخاصة بفضائل هذه المدينة ، فقد اكتفيتُ بإيراد عناوين بعض من أبوابها وفصولها ، دون أن أنقل وأحقق ما ورد تحت هذه العناوين من نصوص .

حول المخطوطة التاسعة

« الروض المغرّس في فضائل البيت المقدس »

لتاج الدين أبي النصر ، عبدالوهاب بن علي بن الحسين ابن أحمد الحسيني الشافعي المتوفّى بمكة سنة ٨٧٥ هـ

تقع مخطوطة « الروض المغرّس في فضائل البيت المقدس » في مئة وأربع وسبعين ورقة ، تحتوي كل ورقة منها صفحتين باستثناء ثلاث ورقات منها : الأُولَيَيْن والأخيرة . وتضم هذه المخطوطة سبعة وثلاثين فصلا ، بالإضافة إلى مقدمتها وخاتمتها .

وفيما يلي عناوين الفصول التي احتواها الكتاب :

الأول : في أسمائه (المسجد)

الثاني : متى وُضِع

الثالث : في بناء داود عليه السلام إياه

الرابع : في بناء سليمان عليه السلام إياه

الخامس : في فضل بيت المقدس
السادس : في شدّ الرحال إليه
السابع : في فضل زيارته
الثامن : في فضل الصلاة ومضاعفتها في بيت المقدس .
التاسع : في تضاعف الحسنات والسيئات .
العاشر : في فضل الصدقة به
الحادي عشر : في فضل الصوم به
الثاني عشر : في فضل الأذان به
الثالث عشر : في فضل الصخرة
الرابع عشر : في ذكر الماء الذي يخرج من أصل الصخرة .
الخامس عشر : في تواضع الصخرة لله عز وجل
السادس عشر : في ذكر السلسلة التي كانت على ظهر الصخرة .
السابع عشر : ما يستحب أن يدعى به عند دخول الصخرة وفي آداب دخولها .
الثامن عشر : في الصلاة عن يمين الصخرة وشمالها
التاسع عشر : فيما يكره من الصلاة على ظهر الصخرة
العشرون : في النهي عن اليمين عند الصخرة
الحادي والعشرون : في فضل البلاطة السوداء
الثاني والعشرون : في قيام عزرائيل واسرافيل على الصخرة .
الثالث والعشرون : ما يستحب من الدعاء عند قبة المعراج وفي مقام النبي ﷺ .
الرابع والعشرون : فيما يدعى به عند قبة السلسلة .
الخامس والعشرون : في باب حطة وباب التوبة وسور المسجد ووادي جهنم وحديث الورقات ومحراب عمر بن الخطاب .
السادس والعشرون : في ذكر عين سلوان
السابع والعشرون : في النهي عن دخول الكنائس
الثامن والعشرون : في ذكر البرك التي كانت ببيت المقدس

التاسع والعشرون : في فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس
الثلاثون : في ذكر بناء عبدالملك بن مروان الصخرة
الحادي والثلاثون : في جامع لفضائل بيت المقدس
الثاني والثلاثون : في ذكر من دخله من الأنبياء عليهم السلام
الثالث والثلاثون : فيمن دخله من أعيان الصحابة والتابعين وغيرهم
الرابع والثلاثون : في فروع تخص المسجد الأقصى وخاتمة فيما لا يخصه
الخامس والثلاثون : في زيارة الخليل ﷺ
السادس والثلاثون : فيما قيل في قبر سيدنا موسى ﷺ
السابع والثلاثون : في فضل الشام .

ولا شك في أن القارىء سيتوقع بعد سرد هذا العدد الكبير من الفصول المحتواة في المخطوطة ، ومن عدد ورقات المخطوطة ، أنّ قَدْراً كبيراً من نصوصها قد أُثبِتَ وحُقِّق في القسم الثاني من هذا الكتاب . أما الواقع ، فهو خلاف ذلك ، لأن ما استبقي من نصوص الكتاب ، لم يحتل إلا صفحات محدودة جدا بالقياس إلى حجم المخطوطة ، وذلك لأن القسم الأكبر من مخطوطة عبدالوهاب الحسيني ، إنما كان إعادةً حرفيةً أو شبه حرفية لنصوص وردت في مخطوطات سابقة لمخطوطته زمنيا كما سيتبين من الأسطر اللاحقة . وقد استبقيت من نصوص المخطوطة الفصل الأول في أسماء المسجد ، لأن فيه مادة جديدة لم يُسَبقْ إليها المؤلف في المخطوطات التي أُلِّفَتْ قبل مخطوطته ، في نطاق ما اطلعت عليه من مخطوطات ، وحذفت الفصل الخامس المعنون في فضل بيت المقدس ، لأن ما ورد تحت هذا الفصل سبق أن أورده أبو المعالي المشرّف بن المرجّى المقدسي .

وتركتُ الفصل العاشر بعنوان « في فضل الصدقة ببيت المقدس » ، لأن مادة هذا الفصل قد سبق أن أوردها صاحب مخطوطة « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » .

وحذفت الفصل الثلاثين بعنوان : « في ذكر بناء عبدالملك بن مروان قبة الصخرة » ، لأن مادة هذا الفصل موجودة في مخطوطة أبي المعالي المقدسي .

وحذفت الفصل الثالث والثلاثين بعنوان : « في ذِكْرِ من دخل بيت المقدس من أعيان الصحابة والتابعين » لأن مادته وردت في مخطوطة « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » .

وحذفت الفصل الخامس والثلاثين بعنوان : « في زيارة الخليل ﷺ (الفائدة) الرابعة في إقطاع النبي ﷺ تميم الداري » ، لأن مادته وردت في مخطوطة أبي المعالي المقدسي .

وحذفت الفائدتين الأولى والثانية من الفصل السابع والثلاثين ، لأنّ مادتهما وردتا في كتاب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، في حين استبقيت الفائدة الثالثة بعنوان « فيما ورد في الشام » ، وخصوصا فلسطين والقدس ودمشق وغيرهما » لأن مادتها غير معادة ، كما استبقيت الفائدة الرابعة بعنوان « في فضل مواضع مخصوصة بدمشق » ، وذلك بصورة جزئيّة ، لأنَّ فيما استُبقِيَ مادة فيها جِدّة .

وهذا الذي ذكر من المحذوفات ، مقتصر فقط على مواد كانت قد اختيرت وكتبت في قراءتي الثالثة لهذه المخطوطات ، قبل أن أعيد كتابة النصوص المختارة في شكلها الأخير بعد حذف المكرر منها . ومعنى ذلك أنّ فصولا أخرى قد حذفت أصلا لأسباب أُخرى ، كأَنْ تكون مادتها داخلة في نطاق القصص والأساطير غير المعقولة ، أو لأنها تعالج فترة سابقة للإسلام التاريخي ، أو لأنها تمثل أدْعِيَةً مطوّلة .

والواقع أن عبدالوهاب الحسيني ، مؤلف هذه المخطوطة ، لم يحاول منذ البداية أن يخفي أنه التمس مادته من مؤلفين سبقوه في هذا المضمار ، إذ إنه يذكر في المقدمة أنه استخار الله تعالى في « جمع » ما تيسّر من أحكام تتعلق بالمسجد الأقصى وما حوله من سائر القدس ، ثم يذكر لنا تفصيلا الكتب التي رجع إليها لجمع كتابه كما يلي ، وفقا لما رتّبها هو :

١ ـ « فضائل القدس » للشيخ الإمام جمال الدين ، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، وقد وصفه بأنه جزء لطيف .

٢ ــ « الجامع المستقصىٰ في فضائل المسجد الأقصى » ، للامام الحافظ بهاء الدين أبي محمد القاسم ابن الإمام الحافظ شيخ الإسلام ، أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر ، والمجلّد الأوسط من الكتاب مقروء على مؤلفه ، وكذلك الجزء الخامس عشر منه .

٣ ــ كتاب « الأُنس في فضائل القدس » لابن عم الحافظ بهاء الدين المذكور . وهو القاضي أمين الدين أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي . وجزء من الكتاب مقروء على مؤلفه .

٤ ــ « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » للشيخ برهان الدين الفزاري ، الذي اتكأ صاحبه فيه اتكاء قويا على كتاب « الجامع المستقصى » لابن عساكر . وكتاب أبي المعالي المشرّف بن المرجى المقدسي .

٥ ــ كتاب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » للشيخ الإمام العالم ، شهاب الدين أبي محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال بن تميم بن سرور القدسي .

٦ ــ « إعلام الساجد بأحكام المساجد » ، للشيخ بدر الدين الزركشي .

٧ ــ « تسهيل المقاصد لزوار المساجد » للشيخ شهاب الدين أحمد بن عماد الاقفهسي الشافعي بخطه .

٨ ــ « فضائل الشام ودمشق» ، للشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن شجاع الربعي المالكي ، الذي اختصره الشيخ برهان الدين الفزاري بحذف الأسانيد وحذف ما قام غيره مقامه .

٩ ــ « مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه السلام » ، لإسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن كامل التدمري الشافعي الخطيب ، والإمام يومئذ بمقام الخليل عليه السلام ، المؤلف سنة ٨١٤ هـ .

١٠ ــ كتاب « الترغيب والترهيب » ، للشيخ الإمام الحافظ زكي الدين المنذري .

١١ ــ « مسائل الأنس في تهذيب الـوارد في فضائل القدس » ، وغير ذلك ، كما قال عبدالوهاب الحسيني نفسه .

وهكذا نجد في مقدمة هذا الكتاب قائمة بمصادره ، بلغت من التفصيل مالا نكاد نجده أبدا في كتب أخرى ، إذ ليس كل من استمدَّ مادته من مصادر أخرى ، أطْلَعَنا بهذا التفصيل على أسماء مصادره وأسماء مؤلفيها ، بل إنّ الحسيني أعطى بعض معلومات ذات صبغة تفصيلية في مقدمته عن المؤلفين الذين أخذ عنهم وعن كتابه . وإذْ يشيد مؤلف مخطوطة « الروض المغرّس » بصورة خاصة بالقاسم بن عساكر صاحب « المستقصى » ، فإنه يذكر أنه لخّص ما أخذه عنه بحذف السند ، إذ اكتفى بأن يشير إلى ابن عساكر بهذه العبارة : « وبسنده إلى فلان » ، ثم بحذف المكرر من المتن ، مما يتعلق بالموضـوع ، وذلك طلبا لصغر حجمه ، كما يقول ، ثم يـزيد عليـه ما تيسّـر من الكتب المذكـورة وغيرها ، ومن الكلام على متن المرويّ أو سنده أو رُتبه[١٩] . وكما سبق أن ذكرنا من قبل ، فإن مؤلف الكتاب كان يتساهل في التدقيق في الأحاديث الخاصة بـالفضائـل ، اعتمادا على قول للنووي يبيح العمل بالأحاديث الضعيفة ، إذا كانت متعلقة بفضائل الأعمال .

ويظهر أن سمة التسامح عند مؤلف الكتاب كانت سمة عامة ، إذ إنه عندما يشير إلى رسالة ابن تيمية في تشديد النكير على من يسمِّي المسجد الأقصى حرما ، حتى إنه يحل قتل القائل ، يصف قول ابن تيمية بأنه « إفراط عظيم »[٢٠] .

ولسنا نشك في أنّ كتابا استعان صاحبه في تأليفه بكل المصادر التي تركها ، لابد أنْ ترك أثرا كبيرا في اللاحقين من مؤلفي الفضائل ، كما يبدو جليا من اقتبـاسات شمس الدين السيوطي ومجير الدين الحنبلي منه .

ويبدو أن مؤلفي العصور التي دونت فيها مادة كتب فضائل القدس ، كانوا يرون

---

(١٩) المقدمة : ورقة ٥ .

(٢٠) المخطوطة : ورقة ١٠ .

أن لغة المقدمات التي يضيفونها لكتبهم ، ينبغي أن تكون من هذا اللون الذي نسميه « النثر الفني » ثم هم يفرقون بعد ذلك بصورة واضحة بين أسلوبهم الكتابي في هذه المقدمات ، وبين أسلوبهم في كتابة متن الكتاب بعد ذلك . إلا أنّ عبدالوهاب الحسيني ، مؤلف الروض المغرس ، لم يثابر في مقدمته على هذا الأسلوب الفني المتأنق ، إذ لم تَتَعَدَّ المادة الفنية المسجوعة المزخرفة جزءا من مادة المقدمة ، انتقل بعدها إلى ما نسميه « النثر المرسل » . ومن الواضح أنه فعل ذلك لسببين : الأول ، لأن المقدمة طويلة جدا ، ولذا فإن السير في جميع مادتها بأسلوب السجع والزخرفة ، سيكون فيه إرهاق للكاتب ، وربما للقارىء كذلك ؛ والثاني أنّ الجزء الأكبر من هذه المقدمة ، إنما أُريد به ايصال معلومات مباشرة إلى القارىء ، إذ إنه إخبار عن المصادر التي اقتبس المؤلف منها مادته ، ثم حديث عن محتويات كتابه ، بدليل أنه يعود في الفقرة الأخيرة من المقدمة ، بعد أن ينهي الحديث عن مصادره ومادة كتابه ، إلى الأسلوب الفني المسجوع المتأنق ، وكأنّ هذه اللغة الزخرفية ، إنما كان يدّخرها للتعبير عن النواحي الوجدانية ذات الطابع الشخصي ، إذ إنّ أول مقدمة الكتاب هذا تحميدات وتعبير عن الإيمان بالله وبرسوله ، وآخرها أدعية وتوجّه إلى الله ، واستمداد للعون والتوفيق منه . وما ينطبق على مقدمة الكتاب ، ينطبق تماما على خاتمته كذلك ، التي تغلب عليها السمة الوجدانية العاطفية .

ويبدو أن الحافز على كتابة هذا الكتاب ، زيارة قام بها المؤلف للمسجد الأقصى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة هجرية ، استغرقت أربعة أشهر أو أقل من ذلك بقليل ، رغب خلالها ، بعد أن رأى المواقع المقدسة في المدينة في أن يطلع على فضائل القدس وعن أحكام تعبّدِيةٍ تتعلق بها « كمضاعفة قاصد الصلاة من أعمال البرِّ بها ، وهل ذلك خاص بالمسجد ، أو مطرد فيما حوله من سائر بيت المقدس ، وغير ذلك»(٢١) ، وحين لم يُجَبْ عن تساؤلاته ، جمع مادته من مختلف المصادر ، وألّف كتابه الذي نحن بصدده .

---

(٢١) انظر المخطوطة ، المقدمة / ٢ ، ٣ .

حول المخطوطة العاشرة

« إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى »

لشمس الدين ، أبي عبدالله محمد بن شهاب الدين
أحمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي السيوطي
المتوفّى في مصر سنة ٨٨٠ هـ ، أو بعدها

تضم مخطوطة السيوطي مئة وستين ورقة ، في كل ورقة صفحتان ، وتحتوي سبعة عشر بابا ، بالإضافة إلى مقدمة طويلة جدا وخاتمة . وفيما يلي عناوين الأبواب السبعة عشر ، كما أوردها هو :

الباب الأول :

في أسماء المسجد الأقصى وفضائله ، وفضائل زيارته ، وما ورد في ذلك على العموم والتخصيص .

الباب الثاني :

في مبدأ وضعه ، وبناء داود إيّاه ، وبناء سليمان له على الصورة التي كانت من عجائب الدنيا ، وذكر دعائه الذي دعا به بعد إتمامه لمن دخله ، ومكان الدعاء .

الباب الثالث :

في فضل الصخرة الشريفة ، والأوصاف التي كانت بها زمن سليمان عليه السلام ، وارتفاع القبة المبنية عليها ، وذكر أنّها من الجنة ، وأنها تُحَوّل يوم القيامة مرجانةً بيضاء ، وما في معنى ذلك .

الباب الرابع :

في فضل الصلاة ببيت المقدس ومضاعفتها فيه ، وهل المضاعفة في الصلاة تعم الفَرْض والنَّفْل ، أم لا ، وهل المضاعفة تشمل الحسنات والسيئات ، وفضل الصدقة والصوم والأذان فيه والإهلال بالحج والعمرة فيه ، وفضل إسراجه ، وأنه يقوم مقام زيارته عند العجز عن قصده .

الباب الخامس :

في ذكر الماء الذي يخرج من أصل الصخرة ، وأنها على نهر من أنهار الجنة ، وأنها انقطعت في وسط المسجد من جهة ، لا يُمْسِكها إلا الذي يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وفي آداب دخولها وما يستحب أن يدعى به عندها ، ومن أين يدخلها إذا أراد الدخول إليها ، وما يكره من الصلاة على ظهرها ، وذكر السلسلة التي كانت عندها وسبب رفعها ، وذكر البلاطة السوداء التي على باب الجنة ، واستحباب الصلاة عليها ، والدعاء بالدعاء المعيّن .

الباب السادس :

في ذكر الإسراء بالنبي ﷺ إلى البيت المقدس ، ومعراجه إلى السماء منه ، وذكر فضل الصلوات الخمس ، وذكر فضل قبة المعراج والدعاء عندها ، وفي مقام النبي ﷺ ، وفضل قبته ، وصلاته ﷺ بالأنبياء والملائكة ليلة أسرِيَ به عندها ، واستحباب القُبَّتَيْنْ الشريفتين فيهما ، والاجتهاد في الدعاء عندهما واستحباب الوقوف في موضوع العروج به ، وفي مقامه ﷺ ، والدعاء بالدعاء المعين .

الباب السابع :

في ذكر السور المحيط بالمسجد الأقصى وما في داخله من المعاهد والمشاهد

والمحاريب المقصودة بالزيارة والصلاة فيها ، كمحراب داود ، ومحراب زكريا ومحراب مريم عليهم السلام ، ومحراب عمر بن الخطاب ، ومحراب معاوية رضي الله عنهما ، وما يشرع إليه من الأبواب وعدتها ، وذكر الصخور اللاتي في آخر باب المسجد ، وذكر ذرعه طولا وعرضا ، وحديث الورقات ، وذكر وادي جهنم الذي هو خارج السور من جهة الشرق ، وما جاء فيه ، ومسكن الخِضْر وإلياس عليهما السلام من ذلك المحل .

الباب الثامن :

في ذكر عين سلوان ، والعين التي كانت عندها ، والبئر المنسوبة إلى سيدنا أيوب عليه السلام ، وذكر البُرَك والعجائب التي كانت ببيت المقدس ، وما كان به عند قتل علي بن أبي طالب وولده الحسين ، رضي الله عنهما ، ومن قال إنه كالأَجَمة ، ورغَّبَ في أهلِهِ ، وذكر طلسم الحيّات ، وذكر طورزيتا والساهرة والجبال المقدسة ، وذكر جبل قاسيون بخصوصه وما جاء فيه .

الباب التاسع :

في ذكر فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس ، وما فعله فيه من كشف التراب والزبل عند الصخرة الشريفة ، وذكر بناء عبدالملك بن مروان وما صنعه ، وذكر الدرة اليتيمة التي كانت في وسط الصخرة ، وقرني كبش إبراهيم عليه السلام ، وتاج كسرى وتحويلها منها إلى الكعبة الشريفة حين صارت الخلافة لبني هاشم ، وذكر تغلّب الفرنج على بيت المقدس ، وأخذه بعد الفتح العمري ، وذكر مدة مقامه في أيديهم ، وذكر فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب رحمه الله له واستنقاذه من أيديهم ، وإزالة آثارهم منه ، وإعادة المسجد إلى ما كان عليه ، واستمراره على ذلك حتى الآن ، وإلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى .

الباب العاشر :

في ذكر من دخله من الأنبياء عليهم السلام وأعيان الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وغيرهم ، ومن تُوفيَ منهم ودفن فيه ، وإجماع الطوائف كلها على تعظيم بيت المقدس ، ما خلا السامرة .

الباب الحادي عشر :

في فضل سيدنا الخليل عليه السلام ، وفضل زيارته وذكر مولده وقصته عند إلقائه في النار ، وذكر ضيافته وكرمه ، وذكر معنى الخُلْد ، واختصاصه ، وذكر ختانه وتسروله وشفقته ورأفته بهذه الأمة ، وأخلاقه الكريمة ، وسُنَنه المرضيّة التي لم تكن لأحد قبله ، وأنها صارت شرائع وآدابا لمن بعده ، وذكر عمره وقصته عند موته ، وكسوته يوم القيامة .

الباب الثاني عشر :

في ذكر ابتلائه ﷺ بذبح ولده ، ومن هو الذبيح ، وعمر إسحاق عليه السلام ، وكم كان عمر أبيه وأمه حين ولد ، وكرامة سارة والخلاف المذكور في نبوّتها ونبوّة غيرها من النساء ، وقصة يعقوب عليه السلام وعمره ، وشيء من قصة يوسف عليه السلام ، وصفته ومده سنه عند فراقه لأبيه يعقوب ومدة غيبته عنه ، ومدفنه وذكْرُكَمْ كان بينه وبين موسى عليه السلام .

الباب الثالث عشر :

في ذكر المغارة التي دفن فيها الخليل عليه السلام هو وأبناؤه الأكرمون ، وذكر شرائها من مالك ذلك الموضع ، وأول من دفن في تلك المغارة ، وذكر علامات القبول التي بها أو ما استدل به على صحتها ، وكم لبناء الحيّز الذي بناه سليمان ، وذكر آداب زيارة القبور المشار إليها ، وبيان موضع قبر يوسف عليه السلام ، وتسمية داخل الحيّز

مسجدا ، وجواز دخوله ، وثبوت أحكام المساجد له وتسميته حرما ، وإقطاع تميم الداري الذي أَقْطَعَهُ النبي ﷺ له ، ومن وَفَدَ عليه معه من الداريين ونسخة ما كتب لهم من ذلك .

الباب الرابع عشر :

في ذكر مولد إسماعيل عليه السلام ، ونقله إلى مكة المشرفة ، وركوب سيدنا الخليل عليه السلام البراق لزيارته وزيارة أمه هاجر وموتها ودفنها ، وعمر إسماعيل ومدفنه ، وكم بين وفاته ومولد نبينا محمد ﷺ .

الباب الخامس عشر :

في قصة لوط عليه السلام ، وموضع قبره ، وذكر المغارة الغربيّة التي تحت المسجد العتيق تجاهه ، وذكر مسجد اليقين والمغارة التي في شرقيه .

الباب السادس عشر :

فيما قيل في قبر سيدنا موسى عليه السلام وعمره ، وفائدة سؤاله الدنّو من الأرض المقدسة رميةً بحجر ، وصلاته في قبره ، ورأفته بهذه الأمة وشفقته عليهم ، وذكر شيء من بعض معجزاته ، وذكر السبب في تسميته موسى وما في مفرده .

الباب السابع عشر :

في فضل الشام وما ورد في ذلك من الآثار والأخبار ، وسبب تسميتها بالشام ، وذكر حدودها ، وما ورد من حث النبي ﷺ على سُكْناها وما تكفّلَ الله به لأهلها ، وأنها عقرُ دار المؤمنين ، وعمودُ الإسلام بها ، وأن الشام صفوة الله من بلاده ، يُسكِنُها من شاء من عباده ، ودعاء النبي ﷺ لها بالبركة ، وذكر مابها من المعاهد والمشاهد المقصودة

بالزيارة المعروفة بإجابة الدعوات ، والتنبيه عليها ، وما معنى ذلك مجملا ومفصلا .

هذا بالإضافة إلى زيادات قال المؤلف إنه أضافها مما انتقاه وانتخبه ووقف عليه من كتب المتقدمين والمتأخرين في الفضائل ، محذوفة الأسانيد[٢٢] .

ولقد كان بالإمكان عدم إيراد هذه العناوين مفصلة ، ولكن القصد من إيرادها بهذا التفصيل هنا أن يكون للقارىء منذ البداية إلمام بمجموع ما ورد في هذا الكتاب من مواد ، من خلال العناوين التفصيلية المعطاة ، وذلك لأن النصوص التي اختيرت من المخطوطة لا تحتوي إلا القليل جدا مما ورد في عدد كبير من الأبواب المذكورة بسبب الطبيعة الأسطورية لكثير من المواد وبسبب تشابه هذه المواد مع مواد سبق إيرادها في مخطوطات سابقة ، فضلا عن وجود مواد كثيرة منها تتعلق بفترة ماقبل الإسلام .

ولابد أن القارىء قد لاحظ ، أنه على الرغم من انحصار الأبواب عددا في سبعة عشر بابا ، إلا أن ما يدخل في كل باب من الموضوعات ، يجعل هذه الأبواب السبعة عشر مستوفية لأيّما مادة وردت في المخطوطات السابقة ، حتى ولو كان عدد الأبواب في بعضٍ من تلك المخطوطات قد بلغ سبعة وثلاثين أو حتى أربعين بابا ، وذلك لأن هذه الأبواب الكثيرة لم تكن واسعة ، فيما اشتملت عليه ، سعة أبواب هذه المخطوطة .

ولا بد أنْ لاحظ القارىء كذلك من خلال العناوين المحتواة في الأبواب، الطابع القصصي والأسطوري الذي تتسم به عناوين كثيرة ، وتغلغل ما نسميه بالإسرائيليات تغلغلا واضحا فيها . وقد تعمدت إيراد ذلك كله ، كيلا تُحْجَب الصورة الكلية لمحتويات مخطوطات الفضائل عن القدس .

لا عجب إذن ، أن يسقط من مادة السيوطي خلال عملية التحقيق ، الكثير الكثير كما يتضح ممّا يلي : -

١ ــ أسقطت الباب الأول المعنون « في أسماء المسجد الأقصى وفضائله ، وفضائل زيارته

---

(٢٢) انظر المخطوطة : ورقة ٦ .

وما ورد في ذلك على العموم والتخصيص ، والأفراد والإشراك » ، لأن ما ورد تحت هذا الباب قد سبق أن جاء في مخطوطة المكناسي ومخطوطة عبدالوهاب الحسيني السابقتين .

٢ ـ استبقيت جزءا صغيرا جدا من الباب التاسع الذي يحمل عنوانا طويلا يبدأ بـ : « في ذكر فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس . . . » وينتهي بذكر « فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله واستنقاذه من أيدي الفرنج وإزالة آثارهم منه وإعادة المسجد الأقصى والصخرة الشريفة إلى ما كانا عليه ، واستمرارهما على ذلك حتى الآن وإلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى ، وذلك لأن مادته وردت في مخطوطات أبي المعالي المقدسي وعبدالرحيم بن علي بن شيث القرشي ، وشهاب الدين المقدسي .

٣ ـ حذفت مادة الباب العاشر « في ذكر من دخل بيت المقدس من الأنبياء والأعيان . . » لأن مادة هذا الباب قد وردت في مخطوطة « مثير الغرام » لشهاب الدين المقدسي .

٤ ـ حذفت كذلك مادة الفصل السابع عشر في « فضل الشام » ، لأنها سبق أن وردت في مخطوطتي « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » و« الروض المغرس في فضائل البيت المقدس » .

وهذا بالطبع ، غير المواد التي لم تؤخذ من هذه المخطوطة ، لأسباب غير أسباب التكرار وورودها في مخطوطات سابقة ، وبوسع القارىء بعد ذلك أن يتصور إلى أيّ مدى اعتمد بعض اللاحقين من مؤلفي كتب الفضائل على السابقين ، وكم من هؤلاء كان متحرّزاً فيما أورده في مخطوطته من حيث طبيعة المادة الموردة ومدى تقبل العقل البشري لها ، وكم منهم كان يأخذ من أيما مصدر كان ، إما لأنّه كان سهل التصديق لما يسمع أو يقرأ ، وإما لأنه أراد أن يقدم لقارئيه ما يقال ويروى ويتناقله الناس عن القدس ، تاركا مسؤولية خروجه عن الصواب وعن تقبل العقل على عاتق ناقليه : الأوائل منهم والأواخر !

وقد يعوّض بعض الشيء ، عن خيبة الأمل التي يشعر بها الـدارس لمواد هـذه المخطوطة ، بسبب ما داخل مادتها من مواد لا تثبت للتمحيص العلمي . وبسبب اعتماد صاحبها اعتمادا كليا تقريبا على سابقيه ، ما يجده في مقدمة المؤلف الطويلة جدا لمخطوطته من معلومات ، وما تشفّ عنه من مشاعر المؤلف الجيّاشة نحو المدينة المقدسة .

ففي إطار هذه المقـدمة المتـأنقة الموردة كاملة في القسم الثـاني من كتابنـا هذا ، والتي تفنّن في اختيار ألفاظها والمواءمة بين جملها ، يحدثنا السيوطي بصورة منمّقة عن فترة مهمة من حياته ، قد لا نجد مادتها في أي مصدر آخر . فهو يتحدث بطريقة وجدانية حارة عن ذهابه الى بيت الله الحرام للحج ومجاورته في مكة ، وزيارته لقبر الرسول عليه السلام في المدينة ، ثم رجوعه إلى مكة ثانية ، ثم توجهـه بعد تسـع سنين من المجـاورة إلى القاهرة ، مع حنين دائم متصل إلى القدس . وحين أتيحت له في النهاية فرصة زيارة المدينة المقدسة ، رأى في ذلك تحقيقا لأمنية من أعز أمانيه ، وكان قد نَذَر أنه إذا أتيحتْ له زيارة القدس ، فسوف يؤلف كتابا في فضائل المدينة يجمع فيه « بين الطريف والتالد ، ويقضي بـه الأرب من خدمـة هذا البيت الـذي هو في شـدّ الـرحـال أحـد الثـلاثـة المساجد[٢٣] ، ولم يجد السيوطي في النثر معبّراً كافياً عن فرحته حـين وصل أخيـرا إلى الهدف المنشود في زيارة القدس ، فالتجأ إلى الشعر يعبّر في ستة أبيات منه ، عن فرحته ببلوغ ما تمنى[٢٤] .

ويعدّد السيوطي بعد ذلك الكتب التي طالعها عن فضائل القدس قبل أن يؤلف كتـابه ، فيـذكر كتـاب « مثير الغـرام إلى زيارة القـدس والشـام » ، لشهـاب الـدين المقدسي » ، ويذكر عبدالوهاب الحسيني صاحب « الروض المغرس في فضائـل البيت المقدس » الذي نال من السيوطي ثناء لا حدود له . فهو « الشيخ الإمام العلاّمة ، الحبر البحر الفهامة ، سيّد الأشراف ، واسطة عقد المتمين بالنسْب المنيف إلى عبد مناف ،

---

(٢٣) مقدمة المخطوطة : ٢ ، ٣ .

(٢٤) المصدر نفسه : ٣ .

شيخ الإسلام علّامة العلماء الأعلام ، تاج الدين ، جمّل الله الوجود بوجوده ، وأنار في أفق العلياء كواكب سعوده »[٢٥] ، إلى غير ذلك من قلائد المديح التي قلّده إياها والتي استغرقت من مقدمته سطورا كثيرة ، مما يدل على مدى اتكائه عليه فيما كتب . وهذا التركيز الشديد على شخصية صاحب « الروض المغرّس » ، دفع السيوطي لأنْ يذكر بالتفصيل مصادر « الروض » ، كما أوردها عبدالوهاب الحسيني في مقدمة كتابه ، وهو كثيرا ما يشير إلى الحسيني بكلمة « السيد » ، لأنه من نسل آل البيت ويعترف السيوطي في عبارات لالبس فيها ، بأنّ كتاب « الروض » هو مصدره الأول ، إذ هو كما يقول : « أصل كبير ، لا يُحتاج معه إلى زيادة نظر في شتى من كتب الفضائل وهو ـ عبدالوهاب الحسيني ـ عمدة في الحديث ، حجة في النقل فيما عزمت عليه من إتمام هذا التأليف الذي قصدته ، وترتيبه على النحو الذي أرَدْتُه[٢٦] .

ويعدّد السيوطي بعد ذلك أبواب كتابه ، ثم يذكر في النهاية أنه أضاف إلى ما ورد في تلك الأبواب : « الأحسن فالأحسن » ، من الكتب الأخرى[٢٧] . ولا ريب في أن السيوطي قد رأى ، كما رأى غيره من مؤلفي كتب الفضائل ، أن كتابه هذا في فضائل القدس ، هو عمل يُتَقَرَّب به إلى الله ، كما تدل على ذلك عبارات أوردها في خاتمة الكتاب : « . . . جعله الله خالصا لوجهه الكريم ، موصلا إلى ما لديه من الزلفى والنعيم المقيم ، ونسأله بفضل رحمته إيانا أن يشركنا فيما قسم لأوليائه المؤمنين ، وعباده الصالحين من صالح العمل . . . »[٢٨] ثم يُتبع ذلك دعوات وابتهالات حارة طويلة مؤثّرة .

ولم يشذّ السيوطي عن معظم مؤلفي كتب الفضائل في جعل مادته نصا يكاد يكون متصلا في جميع الكتاب دون أن يقسم إلى فقرات تشير إلى انتهاء فكرة وابتداء أخرى ، أو

---

(٢٥) مقدمة المخطوطة : ٣ .
(٢٦) المخطوطة : ٤ .
(٢٧) المخطوطة : ٦ .
(٢٨) الخاتمة : ١٥٩ .

الانتقال من جزئيّة إلى جزئيّة أخرى . وقد نظلم السيوطي إذا نحن حمّلناه مسؤوليات التحريفات والأخطاء الهجائية التي في مخطوطته ، إذ إن النسخة التي بين أيدينا كتبت بعد مئة وثلاث سنوات من تأليف المخطوطة،ولعل مافيها من أخطاء كتابية ، إنما يعود للناسخ ، وليس للمؤلف ، فقد سطّرتْ يد المؤلف صفحاتها عام ٨٧٥ هـ ، وانتهى الناسخ من كتابة النسخة التي بين أيدينا عام ٩٧٨ هـ .

هذا وقد سبق الحديث عن مقتطفات طبعت من هذا الكتاب ، وترجمة غير موفقة له ، ومقارنات بين مادته ومادة « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، تَبَيّنَ منها أخْذُ السيوطي من هذا الكتاب الأخير بشكل كبير ، وقد قام بنشر هذه المقتطفات وإجراء المقارنات ، وترجمة بعض المواد ، نفر من الباحثين والمستشرقين الأوروبيين ، مما فُصِّلَ في مكان آخر في هذا الكتاب ، ولا حاجة لإعادة القول فيه هنا .

ولا يتردد قارىء مخطوطة السيوطي في أن يصف المؤلف بأنه قد اضطلع بدور المُجَمِّع لمواد الآخرين ممن سبقوه ، فهو نفسه قد اعترف بذلك في مقدمته ، بل إن عبارة أوردها في الباب التاسع من مخطوطته لتنمُّ بوضوح عن هذا النهج التجميعي عنده : « أعلم أن فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قد ورد في كتب الفضائل المعتَمد عليها من طرق عديدة ، بروايات مختلفة ، وقد أحببتُ أنْ أجمع بين طرقها وإيراد كل طريق بلفظه . . . »[٢٩] وبالطبع ، قد لا نفاجأ بهذه النزعة التجميعية عند شمس الدين السيوطي ، إذا نحن استذكرنا العصر الذي عاش فيه ، وميل كثير من معاصريه إلى تجميع المعارف السابقة في كتاب واحد ، حتى ولو لم تكن تلك المعارف من جنس واحد .

وإذا حكمنا على أسلوب السيوطي من خلال كلامه الخاص به ، الذي يظهر في مقدمة الكتاب وخاتمته ، فإننا نجد فيه كاتباً متمكنا من فنه الكتابيّ في المفهوم الذي كان سائدا في عصره ، والذي كان يعتمد انتقاء الألفاظ ، مع الحرص على وجود علائق معينة فيما بينها ، سواء أكان ذلك بتشابهها في أشكالها ورسمها مع اختلاف معانيها ، أم بتقابلها

(٢٩) المخطوطة : ١٥٩ ، ١٦٠ .

وتناقضها في معانيها ، أم في تواؤم جَرْسها الموسيقي ، مع الإلحاح على تقديم المعنى الواحد بصياغات مختلفة ، وإيراده في صور شتى ، وغلبة النزعة العاطفية الوجدانية على النص حين تكون له صبغة شخصية ، ومع تطعيم المادة المكتوبة بشيء مقتبس ، سواء أكان آية من قرآن ، أم حديثاً نبويا ، أم بيتا أو أبياتا من الشعر .

حول المخطوطة الحادية عشرة

« المستقصى في فضائل المسجد الأقصى »

لنصر الدين محمد بن محمد العلمي الحنفي المقدسي المتوفى على الأرجح بعد سنة ٩٦٩ هـ

تضم مخطوطة هذا الكتاب ستا وأربعين ورقة ، في كل ورقة منها صفحتان ، وتحتوي مقدمة وعشرة فصول وخاتمة قصيرة . وفيما يلي ما اشتملت عليه المخطوطة من فصول :

الفصل الأول :

في بدء الكعبة الشريفة ومن بناها .

الفصل الثاني :

في ذكر بناء المسجد الأقصى الشريف المقدس ، الذي هو على التقوى مؤسس .

الفصل الثالث :

في ذكر بناء الصخرة الشريفة وفضلها والأماكن المعينة للزيارة .

الفصل الرابع :

في ذكر قبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقبور أولاده وأزواجه ، وذكر يوسف عليه السلام .

الفصل الخامس :

في ذكر سيدنا موسى عليه السلام وموضع قبره .

الفصل السادس :

في ذكر الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء .

الفصل السابع :

في ذكر فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس .

الفصل الثامن :

في فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس وما حوله .

الفصل التاسع :

في ذكر فضائل بيت المقدس .

الفصل العاشر :

في ذكر الأولياء المدفونين حول بيت المقدس .

وقد أسقطْتُ من فصول الكتاب ومواده ، كما فعلت في المخطوطات الأخرى ، ماكان له سمة الأقصوصة والأسطورة ، وما كان مكررا عن مخطوطات سابقة . ومن هذا النوع الأخير مثلا ، ما ورد تحت الفصل الثالث بعنوان : « في ذكر بناء الصخرة الشريفة وفضلها » ، إذ إنّ المادة الموردة فيه ، لاتكاد تختلف عن المادة التي أوردها أبو المعالي المشرّف بن المرجى المقدسي ، كما أسقطت القسم الأكبر من النصوص التي وردت في إطار الفتح العمري للمدينة ، لأنه ورد في مخطوطة أبي المعالي المذكورة ، وكذلك في مخطوطة « مفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس » ، لعبدالرحيم بن علي القرشي . واطَّرَحْتُ القسم الأكبر من المادة المتعلقة بفتح صلاح الدين لبيت المقدس وما جاوره ، وهي من مواد الفصل الثامن ، لأنها موجودة في كتب التاريخ المطبوعة ، وفي

كتاب « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » لبهاء الدين بن شداد ، وكتاب « الفتح القسي في الفتح القدسي » ، للعماد الأصفهاني ، وكتاب « الروضتين » لأبي شامة المقدسي ، وكتاب « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلي ، وغيرها من الكتب المطبوعة . واستبقيت فقط في هذا الإطار ما يحتوي تفصيلات مفيدة عن فتح القدس وما تلا ذلك . وفيما يلي مجمل لما استبقيته من هذه المخطوطة من نصوص قمت بتحقيقها .

١ ــ جزء مما ورد تحت عنوان : « ذكر فتح سيدنا عمر رضي الله عنه بيت المقدس ، وما حدث من النصارى بعد فتح سيدنا عمر رضي الله عنه » .

٢ ــ ذكر استيلاء الفرنج على بيت المقدس ، بعد الفتح العمري .

٣ ــ في إطار الفصل الثامن المعنون : « في ذكر فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس وما جاوره ، استبقيت ما تحت العناوين التالية :

أ ــ « فتح بيت المقدس الذي هو على النصارى موئس » .

ب ــ ذكر يوم الفتح .

٤ ــ الفصل التاسع « في فضائل المسجد الأقصى وبيت المقدس الشريف » .

٥ ــ الفصل العاشر : « في ذكر عظماء الأولياء المدفونين حول بيت المقدس ، رضي الله عنهم ، ونفعنا بهم » .

وتحت هذا الفصل ، يقدم لنا المؤلف باختصار سير أربعة عشر من رجال التصوف ، أو أولياء الله كما أسماهم هو ، ممن دفنوا في القدس أو حولها .

ويصف نصر الدين العلمي كتابه هذا بأنه مختصر لطيف ، لخّصه على عجل فيما يتعلق بالأماكن والزيارات بالمسجد الأقصى وما حوله ، وأنه ألف الكتاب برسم الوزير العثماني علي باشا الذي يضفي عليه فيضا من الألقاب ويكيل له الثناء كيلاً[٣٠] .

ويقر المؤلف في نهاية خاتمة كتابه ، بأنه إنما اجتهد في تحرير ما نقله من أخبار القدس

---

(٣٠) مقدمة المخطوطة ، ورقة ١ .

وأخبار الخليل إبراهيم والنبي موسى ، وأنه تتبع التراجم والأوراق قدر استطاعته ، فلم يظفر بغير ما نقله(٣١) .

والمتتبع لمادة هذه المخطوطة ، يجد أن قسما كبيرا منها قد غلبت عليه السمة التاريخية ، وأن المؤلف قد اتكأ على المصادر التاريخية في أخذ الكثير من مادته ، ولاسيّما ما تعلّق منها بالفتوح الإسلامية الأولى والحروب الصليبية . وربما كان توسع المؤلف في رواية الأحداث الكبار في تاريخ الإسلام زمن الفتوح الأولى وزمن الحروب الصليبية ، قد أدّى به بصورة تلقائية إلى أن يعود إلى كتب التاريخ ليأخذ منها . ولو لم يُحذفْ من المادة التاريخية جزء كبير في عملية انتقاء النصوص من أجل تحقيقها ، لتحوّل قدر كبير من الكتاب إلى مادة تاريخية ، لاتختلف في طبيعتها عن مادة كتب التاريخ المعتادة ، إلا في بعض لَمسات تفصيلية ، ربما أغفَلها المؤرخون أحيانا ، لاكتفائهم بتقديم الخطوط العريضة للأحداث في مؤلفاتهم .

وقد حرص المؤلف على أن يبرز الأدوار التي اضطلع بها ملوك بني أيوب ، وسلاطين المماليك والعثمانيين في تعمير المسجد الأقصى ، وإقامة المؤسسات العلمية في القدس ، ومدّ قنوات الماء إلى المدينة وإلى المسجد ، وبناء الأسوار وأعمال التجديد والتذهيب والترخيم والزخرفة في قباب المسجد وبناياته الأخرى ، وكذلك في مسجد الخليل .

وقد صدَقَ المؤلف عن نفسه حين وصف كتابه بأنه « مختصر لطيف » ، إذ إن نزعة التلخيص واضحة في مادته المجمعة من مصادر شتى ، وفي عبارات له أوردها خلال حديثه عن فضائل المسجد الأقصى وبيت المقدس ، وذلك حين قال مثلا بعد أن أورد بعض الأحاديث النبوية والآيات القرآنية المتعلقة بهذه الفضائل ، « ولو شرعنا نتكلم عن ما ورد من الأحاديث والتفاسير في فضائل بيت المقدس ، لضاق عنه هذا المقام ، ولكن زبدةُ ما ذكر ، نقلناه وحرّرناه»(٣٢) .

---

(٣١) المخطوطة ٤٦ .

(٣٢) المخطوطة : ٤٣ .

وواضح من التعبيرات التي استعملها المؤلف في الحديث عن عظماء الأولياء المدفونين في القدس ، أنه ينزع نزعة صوفية بيّنه ، إذ إنها من التعبيرات والمصطلحات المألوفة عند رجال التصوف . ومن هذه التعبيرات : « سيدي وليّ الله تعالى ، قطب الأقطاب، فخر العباد، شيخ السادة الزهاد»، و«الشيخ الإمام العالم الكبير، ذو الكرامات الظاهرة، والأحوال الخارقة»، و«هذا الشيخ من الأولياء العظام، وظهر له كرامات في بلاد المغرب ، ومصر والشام ، وقُصِد بالنذر من كل قطر » ، و « سيدي ولي الله تعالى ، القطب الغوث . . . المشهور بالولاية » ، و « سيدي ولي الله تعالى ، الدال عليه ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، قطب زمانه صاحب الكرامات الظا هرة ، والأحوال الخارقة »[٣٣] . وهذا الذي أوردناه مجرّد نماذج ، إذْ لا يخلو اسم من الأسماء التي أوردها من أن تسبقه عبارات تكريم وتوقير من هذا النوع المعروف المتداول بين المتصوّفة .

وليست هذه العبارات وحدها هي التي تنم عن نزعة المؤلف التصوّفيّة ، وغلبة التوجه الروحي عليه ، إذ إن بعض ما يرويه عن هؤلاء الأولياء الذين ترجم لهم يحمل الدلالة ذاتها ، لأنه ينسب إلى بعضهم كرامات من النوع الذي يتحدث به رجال التصوف ويختصون به . ومن ذلك حديثه عن الشيخ بدر الدين محمد بن يوسف الذي « زارته الوحوش والسباع ، وترددت إلى زيارته وزيارة أولاده المدفونين بضريح شرفات ، ومرّغت وجوهها عند ضريحه »[٣٤] . وحديثه عن الشيخ شمس الدين محمد بن بدر الثوري الملقب الكبريت الأحمر الذي كان من كراماته « أنه كان يخدمه الثور ، ويكتب ورقة يعلقها في قرنه في الزنبيل ، فيذهب إلى المدينة إلى دكان رجل كان يتعاطى مصالح الشيخ ، فيشتري ما كتب الشيخ ، ويعلق الزنبيل في قرنه ، ويجيء إلى حضرة الشيخ بالحاجة »[٣٥] . وحديثه عن الشيخ محمد المعروف بأكّال الحيات وغيرها الذي يقول

---

(٣٣) المخطوطة : ٤٣ ، ٤٤ .
(٣٤) المخطوطة : ٤٥ .
(٣٥) المخطوطة : ٤٥ .

عنه ، إنه « كان من كبار الأولياء العارفين ، وممن تنقلب له الأعيان ، فكان يأكل الحيات . . . وظهرت له كرامات ، ومكاشفات ، وحكي عنه أنه كان يرى على جبل عرفات مع الحاج ، ويصبح يصلي عيد الأضحى في القدس الشريف[٣٦] . وهذا الذي أوردناه بعض من كل ، وقد أبقينا في النص المحقق على بعضه من أجل الالتزام بأمانة النقل ، وللدلالة على معتقدات المؤلف ونفر من معاصريه ، في حين تركنا بعضه على أساس دلالة بعض الشيء على كله . على أنه يُحمَد للمؤلف على أيّ حال ، أنْ ترجم لهؤلاء الأشخاص ، وعرّف بمواقع قبورهم في المدينة المقدسة وما حولها ، ولاسيما أنهم ينتمون إلى بقاعٍ تمتد من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه ، وفي هذا ما فيه من الدلالة الواضحة على قدسيّة المدينة عند عموم المسلمين في أقطارهم المختلفة ، وليس عند سكان المدينة أو أهل فلسطين وبلاد الشام وحدهم كما ظن بعض الظانين ممن نقلنا أقوالهم في مكان سابق من هذا الكتاب .

ولا أدري هل نُحمّل المؤلف مسؤولية عدد كبير من الأخطاء التي وردت في مخطوطته في شكل أخطاء لغوية وهجائية كثيرة ، وفي شكل تحريفات وكلمات غير واضحة الدلالة ، أم نجد له مندوحة ، بأن نضع مسؤولية ذلك كله على الناسخ الذي كتب النسخة التي بين أيدينا عام ١٢٤٢ هـ ، في حين أن المخطوطة قد أُلِّفَتْ أو بالأحرى قد فرغ من تأليفها عام ٩٤٨ هـ[٣٧] . أي أنَّ بين الفراغ من التأليف وكتابة النسخة التي بين أيدينا قرابة ثلاثمائة سنة . ومما يرجّح مسؤولية الناسخ عن هذه الأخطاء ، أن بيتي الشعر اللذين أوردهما باللغة الفارسية ،في نهاية النسخة ، لم تكن لغتهما سليمة ، برأي ثلاثة أساتذة من الذين يتقنون الفارسية على الرغم من بعد الداربين هؤلاء الأساتذة ، إذ إنّ أحدهم من جامعة اليرموك في الأردن ، والثاني من جامعة عليكرة في الهند ، والثالث من جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية . وقد سنحت لي فرصة الاجتماع بكل

---

(٣٦) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٣٧) انظر : « إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لإسماعيل باشا البغدادي ، منشورات دار المثنى ببغداد ، المجلد ٢ ص ٤٧٨ .

منهم على حدة ، فأبدوا جميعا شكهم في سلامة اللغة التي كتب بها هذان البيتان في نهاية مخطوطة « المستقصى في فضائل المسجد الأقصى »[٣٨] والجدير بالذكر أن هذا الناسخ ، واسمه الحاج داود البلخي ، قد استعمل الخط الفارسي في كتابته للمخطوطة .

بقي أن نذكر أن مؤلف هذا الكتاب يورد مادته بصورة مباشرة ، دون أن ينسب ما يـورده إلى راو أو إلى سلسلة من الرواة أو حتى إلى كتـاب من الكتب ، أو مصدر من المصادر ، وكأنه تخفّفَ من مؤونة هذا كله بمجرد حديثه في مقدمته عن أنه إنما يورد مختصرا لطيفا لخّصَه عَجِلا ، فلا عليه بعد ذلك ، في سبيل الاختصار والتلخيص ، أن لا يشير إلى راوٍ أو مصدر .

وهو مثل زملائه في هذا المضمار ، يسرد الحقائق سردا في إطار نصوص كتابه ، ولكنه يتأنق ، ويتعمل ويزخرف ، عندما يخرج الأمر عن نص الكتاب الأصلي ، أو يتسم بسمة شخصية ، كما هي الحال مثلا في مقدمته المسجوعة المصنّعة ، أو حتى عندما يخرج عن إطار النص الذي يسرده إلى تقدير شخصي منه لأحد الحكام ، كما فعل عندما ورد اسم السلطان سليمان العثماني ابن السلطان سليم ، في مجموعة الحكام المسلمين الذين قاموا بأعمال تعميرٍ وبناءٍ في بيت المقدس ، إذ ما يكاد يذكر اسمه ، حتى ينتقل من السرد العادي إلى المديح والدعاء في نثر فنّي ، غير النثر المرسل الذي كان يستعمله في متن كتابه فهو يقول إذ ذكر اسم هذا السلطان : « اللهم تمّمْ بدولته البسيطة ، وأحسِنْ عن الدين الحنيفي جزاءه ، واشكر عن الملّة المحمدية عزمه ومضاءه . اللهم أبْقِ للإسلام مهجتَه ، وانشر في المشارق والمغارب دعوتَه ، اللهم ذلّلْ به معاطس الكفار ، وأرْغِمْ به أنـوف الأرفاض والفُجّار ، وثبّتْ سرايا جنوده في سائر الأقطار . اللهم ارْزُقْـهُ المُلْك الأبديَّ الذي لا ينفد في دار المتقين ، وأوْجِبْ دعاءه في قولك : « رب أوْزِعني أنْ أشكرَ نعمتك التي أنعمْتَ عليَّ وعلى والديّ ، وأدْخِلْني برحمتِك في عبادك الصالحين »[٣٩] .

---

(٣٨) الأساتذة الثلاثة هم : الدكتور يوسف بكار من جامعة اليرموك ، والدكتور مختار الدين أحمد من جامعة علي كره الإسلامية في الهند ، والدكتور روي متحدة من جامعة برنستون .

(٣٩) المخطوطة : ٤١ .

القسم الثاني

النصوص المحققة

المخطوطة الأولى

فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام
وفضائل الشام

تأليف

الشيخ العلامة المشرف بن المرجى بن إبراهيم المقدسي

● صورة الورقة الأولى من المخطوطة

● صورة الورقة الثانية من المخطوطة (ص ٢ ، ٣)

المؤلــف

هو الشيخ الإمام أبو المعالي المشرّف بن المرّجى بن إبراهيم المقدسي . قال عنه مجير الدين الحنبلي إنه كان من علماء بيت المقدس ، وإن له كتاب « فضائل البيت المقدّس والصخرة وما اتصل بذلك من أخبار وآثار فضائل الشام » ، ووصف الكتاب بأنه مفيد ، وأنه قد رواه بالأسانيد عنه ، أبو القاسم مكّي الرميلي ، ثم يذكر الحنبلي أنه لم يطلع لأبي المعالي على ترجمة وتاريخ وفاة ، ولكنه كان في عصر أبي القاسم المذكور(١) .

أما أبو القاسم هذا ، فهو مكّي بن عبدالسلام بن الحسين بن القاسم الأنصاري الرميلي الشافعي ، ولد سنة ٤٣٢ هـ ، وكانت الفتاوىٰ تأتي إليه من مصر والشام وغيرهما ، وكان من الجوالين في الآفاق ، كما يصفه صاحب الأنس الجليل ، كثير التعب والنصب والسهر ، وكان ورعا ، سمع بالقدس وبلاد كثيرة ، وشرع في تاريخ بيت المقدس وفضائله ، وجمع فيه أشياء كثيرة . ولما أخذ الأفرنج بيت المقدس سنة اثنتين وتسعين وأربعمئة ، أخذوه أسيرا ، وبعثوه إلى البلاد ينادى في فكاكه بألف دينار ، لما علموا أنه من علماء المسلمين ، فلم يستفكّه أحد ، فرموه بالحجارة على باب أنطاكية ، حتى قتلوه . ويورد المؤلف نفسه ، رواية ثانية عن مكان قتل هذا العالم ، مفادها أن الإفرنج قتلوه في بيت المقدس ، في اليوم الثاني عشر من شعبان ، سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة(٢) .

أما السّمعاني ، فإنه يصف الرميلي بأنه كان حافظا مكثرا ، رحل إلى مصر والشام

---

(١) مجير الدين الحنبلي ، « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » توزيع دار الجيل ، بيروت ١٩٧٣ ، ج ١ ص ٢٩٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٩ .

والعراق والبصرة ، ورجع إلى بيت المقدس ، وسكنها ، إلى أن قُتِل شهيدا متقدّما محارباً غير فارّ ، وقت استيلاء الفرنج على بيت المقدس . وينقُل حكايةً عن من رآه ، أنّه حمل على الفرنج حتى يخرجهم من المسجد ، وقَتَل منهم ثم قُتِل شهيداً(٣) .

وعلى ذلك ، فإنه لامجال للأخذ بتاريخ الوفاة الذي ذكره صاحب « معجم المؤلفين » للمشرف المقدسي ، صاحب هذه المخطوطة ، لأنه حدّد هذا التاريخ بـ ٨٣٨ هـ(٤) ، وهذا وهم من صاحب المعجم ، إذْ إنّ كل الدلائل المتوافرة لدينا تبين أنّ الرجل عاش في القرن الخامس الهجري .

وقد توصّل أغناطيوس كراتشكوفسكي إلى النتيجة نفسها فيما يتعلق بالفترة التي عاش فيها صاحب هذه المخطوطة ، حين قال عنه ، إنه « مؤلف نال الصّيت فيما بعد ، ومن الممكن إرجاع الفترة التي عاش فيها إلى القرن الخامس الهجري ، لأنّ ياقوت يذكر أنه كان معاصرا لمكيّ الذي قُتِل عند إستيلاء الصليبيين على بيت المقدس » ، وحين يذكر كذلك أنّ القاسم بن عساكر ، صاحب كتاب « الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » كان كتاب المرجي من مراجعه(٥) . ومعروفٌ أنّ القاسم بن عساكر ، توفي سنة ٦٠٠ هـ .

نسخ المخطوطة

توجد نسخة من هذه المخطوطة في مكتبة جامعة توبنجن في ألمانيا الغربية ، وفي مكتبة الجامعة الأردنية صورة عن هذه النسخة . وتوجد كذلك نسخة مصوّرة عن هذه المخطوطة في دار الكتب المصرية ، ونسخة أخرى نقلت عن نسخة مصورة عن مخطوطة

---

(٣) انظر « الأنساب » للسمعاني ط بيروت ١٩٨٠ ج ٦ ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤) انظر « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة ط بيروت ، ج ١٢ ص ٢٣٥ .

(٥) انظر : « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » لإغناطيوس كراتشكوفسكي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ١٩٦٥ ج٢ ص ٥٠٨ .

الجامعة الألمانية المذكورة ، ومن هـذه النسخة صـورة موجـودة الآن في مكتبة الجـامعة الأردنية .

وذُكِر أنه توجد نسخة من المخطوطة بمعهد ديني في مدينة هارتفورد الأميـركية ، ونسخة ثالثة من المخطوطة في دار الكتب المصرية ، وقسم من المخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس ، وفيلم عنها في معهد المخطوطات العربية ، بالإضافة إلى نسخة كانت موجودة في مكتبة البديري في القدس[٦] .

ولا نعرف عن أيما نَشْرٍ لمادة هذه المخطوطة ، على الرغم من أن مستشرقا يهودياً هو إيمانيول سيفان من أرض فلسطين المحتلة قد ذكر في عام ١٩٧١ أنه كـان يعمل عـلى نشرها[٧] .

وصف المخطوطة التي اعتمدت عليها

صورة المخطوطة التي بين يديّ ، تقع مـع صفحة الغـلاف في ٣٥٩ صفحة . وباستثناء صفحة الغلاف المفـردة ، فإن كـل صفحتين من المخـطوطة تقعـان في ورقة واحدة . وعدد السـطور في الصفحة الـواحدة (٢١) سـطرا وطول الصفحـة ٢٥ سم وعرضها (١٠) سنتمرات .

ونسخة توبنجن[٨] التي أخذت عنها هذه الصورة ، كتبها علي بن محمد بن مالك ، وانتهى من النسخ عام ٨٠٦ هـ ، ثم كتبها على نفقة دار الكتب المصرية عن النسخة

---

(٦) حول التفصيلات المتعلقة بنسخ هذه المخطوطة وأماكن وجودها ، انظر « مخطوطات فضائل بيت المقدس : دراسة وببليوغرافيا » للدكتور كامل العسلي ص ٣٧ ـ ٣٩ .

(٧) انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، ص ٣٩ .

(٨) يصف كراتشكوفسكي مخطوطة توبنجن Tubingen بأنها مخطوطة فريدة (انظر : تاريخ الأدب الجغرافي العربي « تأليف أغناطيوس كراتشكوفسكي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ١٩٦٥ ، ج٢ ص ٥٠٩) والمخطوطة تجيء تحت رقم ٢٧ في فهرس مخطوطات جامعة توبنجن . (انظر « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، ص ٣٨) .

المحفوظة بها ، والموضوعة تحت رقم ٣١٩٤ تاريخ ، حسن رشيد ، وانتهى من الكتابة يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ١٣٥١ هـ ، الموافق ٢١ حزيران (يونيو ١٩٣٢ م) . وخط هذا الناسخ الأخير واضح ، مع أن في المخطوطة أحيانا خلطا في النسخ يسبب اضطرابا في المعنى ، كما أن فيها أخطاءً نسْخية ، وعددا من التحريفات والكلمات الساقطة . والواقع أن التحريفات والتصحيفات وأخطاء النقل كثيرة في المخطوطة . وقد يورد الناسخ كلمات وعبارات وأحرفاً زائدة لامكان لها في النص ، تُحدِث اضطرابا في العبارات يضطرب معه المعنى . وفي المخطوطة خروج أحيانا عن قواعد اللغة ، يرجَّح أنها من أخطاء الناسخ .

تبدأ المخطوطة بالعبارات التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام أبو المعالي المشرّف بن المرجّى بن إبراهيم المقدسي ، رحمه الله : الحمد لله الذي خلق الأرض ، واختار منها مواضع رفعها ، وأماكن شرَّفها فسماها « بيوته »[٩] الكرام ومشاعره العظام ، وجعلها معقلا لأولي النهي ، ومعدنا لأئمة الهدى . . .[١٠] .

وتنتهي بالعبارات التالية :

انتهى كتاب فضائل بيت المقدس والخليل ، للعلامة أبي المعالي المشرّف بن المرجّى ابن إبراهيم المقدسي ، بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه حسن رشيد على نفقة دار الكتب المصرية من النسخة المحفوظة بها ، الموضوعة تحت رقم (٣١٩٤) تاريخ . وكان الفراغ منه موافقا يوم الثلاثاء ، سابع عشر

(٩) في الأصل نبوته : وهو تصحيف .
(١٠) انظر ص ٢ من مصورة المخطوطة .

صفر سنة ١٣٥١ ألف وثلاثمائة وإحدى وخمسين هجرية / ٢١ يونيو سنة ١٩٣٢ م ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[١١] .

المختار من المخطوطة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام ، أبو المعالي ، المشرّف بن المرجّى بن إبراهيم المقدسي رحمه الله ، الحمد لله الذي خلق الأرض واختار منها مواضع رَفَعَها ، وأماكنَ شرّفَها ، فسمّاها « بيوتَه »[١٢] الكرام ، ومشاعرَه العظام وجعلها معقلاً لأولي النّهىٰ ، ومعدنا لأئمّة الهَدى ، و « أخبَرنا بطهارتها »[١٣] ، ونبهنا على زيارتها ، وأَذِن أن تُرفَعَ ويُذكرَ فيها اسمُه « يسبّح له فيها بالغدو والآصال ، رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوبُ والأبصار »[١٤] وفاوتَ بينها في التقبيل ، وأبانَ ذلك لنا مفصّلاً في التنزيل ، فجعل منها بيتا أُسِّسَ على التقوى ، قبلةً عظيمةً لِمَن اهتدى ، ومسجداً فَضَّلهُ بالنبيّ المصطفى ، (ومسجداً قَدَرَهُ)[١٥] قَدْراً عظيماً بليلة الإسراء ، فقال عزّ مِن قائل : « سبحانَ الذي[١٦] أسرى بعبدِه ليلاً من المسجدِ الحرام إلى المسجد الأقصى »[١٧] . وحَظَرَ رسولُ الله ﷺ على الخلقِ أن

---

(١١) انظر الورقة الأخيرة من مصورة المخطوطة : ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(١٢) في الاصل : « نبوته » وهو تصحيف .

(١٣) في الأصل : « وأمر بطارها » وهو تحريف من الناسخ ، ولا معنى له ، ولا يتفق مع فاصلة السجع اللاحقة .

(١٤) الايتان ٣٦ ، ٣٧ من سورة النور .

(١٥) الكلمتان ساقطتان ، ويقتضيهما تمام المعنى والسياق .

(١٦) في الأصل : « من » وهو خطأ فادح من الناسخ ، لأن الكلمة جزء من آية قرآنية تتردد كثيرا على الألسن .

(١٧) الآية ١ من سورة « الإسراء »

يفضِّلوا شيئاً من الأماكن عليها ، ونهى أن تُشدَّ الرحالُ إلاّ إليها كذلك ، « ليضاعفَ الحسنات »[١٨] ، ويمحو السيئات ، فله الحمدُ على ما أسبغَ علينا من نِعَمِهِ ، ونسألُه المزيدَ من فضلِهِ وكرمِهِ ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لاشريك له . شهادةً مبرأةً من النفاق ، ومُدَّخرةً ليوم التلاق ، ونشهد أن محمّداً عبدُه ورسولُه «عبدٌ»[١٩] ارتضاه ، ونبيٌّ اجتباه ، وأرسله بالهُدى ودين الحقِّ ، ليظهره على الدين كله ، ولو كرهَ المشركون .

ثم إنّ سائلاً سألني أن أذكر جميع ما انتهى إليّ (من)[٢٠] فضائل المسجد المقدس ، الذي عظمُه الله تعالى وشرَّفهُ ، وجعلهُ مَحْشراً ومَنْشَراً ، وقبلة جميع الأنبياء ومعقلا لأهل الصفوة من الأولياء ، وما خصَّهُ الله تعالى به من المآثر الكريمة ، والفضائلِ العظيمة ، فأجبتُه إلى ما سأل ، وذكرتُ من ذلك ما اتصل به من أحاديث الرسول ﷺ وأصحابِهِ رضي الله عنهم أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان ، وما اسْتُخْرِجَ (من)[٢١] الآيات المنزلة ، وأتْبَعْتُهُ طرفا من المساجد وفضائل الشام . لأن هذا المسجد يدخل تحت عموم ذلك . وجعلته مبوّباً ليسهُلَ على الطالب ، ويخفّفَ على الراغب ، معتمداً على الله تعالى في العون والتمهيد ، طالبا منه التسهيل والتسديد ، فهو الموفّقُ للصواب ، وعليه الاتكال ، ولاحولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم (م١) .

باب
ما بشّر به رسول الله ﷺ من فتح القدس

. . . (عن) شدّاد بن أوس[٢٢] ، أنه كان عند رسول الله ﷺ وهو يجودُ بنفسه ،

(١٨) في الأصل « التضاعف الجنات » ، وهو تحريف .

(١٩) في الأصل : « عبدا » وهو خطأ .

(٢٠) ساقطة ، ويقتضيها السياق .

(٢١) ساقطة ، ويقتضيها السياق .

(٢٢) شداد بن أوس : صحابي سيرد التعريف به في متن هذا الكتاب .

(م١) : ٢،٣ .

فقامَ وَقَعَدَ ، ثم قام وقعد ، فقال له : « مالَكَ يا شدّاد ؟ قال : « ضاقتْ بي الدنيا » . قال : « ليسَ عليك ، إن الشام يُفْتَح ، ويُفْتَح بيتُ المقدس ، وتكونُ أنت وولدُك أئِمّةً فيه » . . .

باب فتوح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس على الصلح ، وكتاب العهد بينه وبينهم

. . . (عن) شيخ من آل شداد بن أوس الأنصاري ، سمع أباه يحدّثُ عن جدِّهِ شداد ، أنهم لما فرغوا من قتال اليرموك ، سار جماعة من المسلمين إلى ناحية فلسطين والأردن . وأنه كان فيمَنْ سار . قال : فحاصْرنا مدينة بيت المقدس ، فتعذّرَ علينا فتحُها حتى قدم علينا عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه في أربعة آلاف راكب ، فنزل على جبل بيت المقدس الشرقي ، يعني طور زيتا[٢٣] ، ونحن على حصارِها محيطونَ بها . فانحدرَ علينا من أصحاب عمرَ قومٌ يقاتلون بنشاط ، وأحدث لنا مجيئهم وقدوم عمرَ جِدّاً ونشاطاً رجونا (معه)[٢٤] الفتح . فقاتلناهم مَلِيّاً ، إذْ أشرف علينا منهم مشرف ، فسأل الأمانَ حتى يكلمنا ، ففعلنا . فقال : ما هذا العسكرُ الذي نزل بها ؟ « فقلنا[٢٥] ، هذا عمرُ أمير المؤمنين . فأرسل إلينا عمرُ يأمرنا بالكفّ عن القتال وقال : « إنّ رسول الله ﷺ أخْبَرَني أنّي أفتحها بلا قتال» . إذْ أشرفَ علينا رسولٌ بطريقِها يسألُ الأمان لرسوله ، يبلغ رسالته إلى عمر ، ففعلنا ، فأتاه بالترحيب وقال : إنّا سنعطي بحضورك مالم يكنْ يُعطى لأحدٍ دونَك ، و سأله[٢٦] أن يقبل منه[٢٧] الصلحَ والجزية ،

---

(٢٣) في الأصل طور « سيناء » وهو تحريف والصواب ما أثبتناه ، كما في مخطوطة « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ورقة ٣٥) ، وهو جبل الطور ، شرقي القدس .

(٢٤) « معه » : كلمة ساقطة ويقتضيها السياق .

(٢٥) « فقلنا » : في الأصل « فقال » ، وما أوردناه هو ما يقتضيه السياق واللغة .

(٢٦) و « سأله » : في الأصل « ونسأله » والصواب ما أثبتناه كما في « مثير الغرام » المخطوطة (ورقة ٣٦) .

(٢٧) في الأصل : « منا » والصواب ما أثبتناه حسبما جاء في مخطوطة « مثير الغرام » ، (ورقة ٣٦) .

ويعطيَهُ الأمان على دمائِهم وأموالهم وكنائِسيهم ، فأنعَمَ له عمر . فسأل الرسولُ الأمان لصاحبه (م ٢) ليتولّى مصالحته ومكاتبته ، فأنعَم له . فخرج ، وخرج إليه بطَريقُها في جماعة ، فصالحهم ، وأشهَدَنا على ذلك . قال الوليد[٢٨] : فحدثني شيخ من الجند ، عن عطاء الخراساني[٢٩] ، أن المسلمين لما نزلوا على بيت المقدس ، قال لهم رؤساؤُهُم : إنّا قد أجمعْنا على مصالحتكم ، وقد عرَفْتُم منزلة بيت المقدس ، وأنه المسجد الذي أُسْرِي بنبيكم إليه ، ونحن نحبُّ أن يفتَحَها ملكُكُمْ ، وكان الخليفةَ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه . فبعث المسلمون إليه وفداً ، وبعث الروم وفدا مع المسلمين[٣٠] ، حتى أتَوْا المدينة ، فجعلوا يسألون عن أمير المؤمنين : « فقال »[٣١] الوفد لتَرْجُمانِهم : عمّن يسألون ؟ قال : عن أمير المؤمنين ! فاشتدّ عليهم ، وقالوا : هذا الذي غلبَ فارس والروم ، وأخذَ كنوزَ كسرى وقيصر ، وليس له مكان يُعْرَف ؟! بهذا غلب الأمم !! فوجدوه وقد ألقى نفسه حين أصابه الحرُّ نائماً ، فازدادوا تعجبا !

فلما قرأ كتاب أبي عبيدة ، أقبل حتى نزل بيتَ المقدس ، وفيها « اثنا » عشر[٣٢] ألفاً من الروم ، وخمسون ألفا من أهل الأرض . فصالحهم على أن يُسَيِّروا الروم من

---

(٢٨) الوليد : هو أبو العباس ، الوليد بن مسلم ، الأمويّ بالولاء ، الدمشقي ، ولد سنة ١١١ هـ في دمشق ، وروى عن الأوزاعي وابن جريج وغيرهما . وكان مؤرخا مرموق المكانة ومحدثا ، وكان يلقب بعالم الشام . ألّفَ حوالي سبعين كتابا ، منها كتاب « المغازي » وكتاب « السنن » وتوفي سنة ١٩٥ هـ قافلا من الحج (انظر سيزكين « تاريخ التراث العربي » مجلد ١ جزء (٢) ص ٩٨ ، وانظر كذلك طبقات ابن سعد ط دار صادر ، بيروت ج ٧ ص ٤٧٠ - ٤٧١) .

(٢٩) عطاء الخراساني : هو عطاء ابن أبي مسلم ، ميسرة الخراساني ، ولد سنة ٥٠ هـ ، وعاش في دمشق وكان مفسرا محدّثا ولم يسمع إلا من صحابي واحد ، هو أنس بن مالك ، وتوفي سنة ١٣٥ هـ ، ومن كتبه « الناسخ والمنسوخ » . وقال فيه ابن العماد الحنبلي إنه نزيل بيت المقدس ، وينقل عن الذين كانوا يغزون معه أنه كان يحيى الليل صلاة . (انظر شذرات الذهب ، طبعة بيروت ١٩٧٩ جزء ١ ص ١٩٢ و « سيزكين » مجلد ١ جزء ١ ص ٧٨) .

(٣٠) في الأصل : « المسلمون » ، وهو خطأ لغة .

(٣١) في الأصل : « قال » ، والسياق يقتضي الوصل بالفاء .

(٣٢) في الأصل : « اثني » ، وهو خطأ لغة .

(م ٢) : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

أَجَلِهِمْ[٣٣] ، فمن قُدِر عليه بعد ثلاث ، فقد برئتْ منه الذمة ، وأمّنَ من بها من أهل الأرض ، وضربَ عليهم الجزية : القوي خمسة دنانير ، وعلى الذي يليه أربعة دنانير ، وعلى الذي يليه ثلاثة دنانير ، وليس على كل فانٍ كبيرٍ شيءٌ ، ولا على طفلٍ صغير . ثم أتى محرابَ داود ، نبيِّ الله عليه السلام ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، فصلّى فيه ، وقرأ سورة « ص » .

وفي غير روايةِ محمد بن عائذ[٣٤] ، أنَّ أبا عبيدةَ بن الجراح بعث إلى أهل إيليا الرسل وقال : اخْرُجوا إليّ أكتبْ لكم الأمان على أنفسكم و« نفي »[٣٥] لكم كما وفينا لغيرِكم ، فتثاقَلُوا وأبَوْا . وكتب أبو عبيدة إليهم : (م٣)

« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي عبيدة بن الجراح ، إلى بطارقةِ إيلِيا وسكّانها : سلامٌ على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله . أما بعدُ ، فإنا ندعوكم إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله ، وأن محمّداً عبده ورسوله ، وأنّ الساعةَ آتيةٌ لا ريب فيها ، وأنّ الله يبعثُ مَنْ في القبور . فإذا شهدْتُم بذلك ، حَرُمَتْ علينا دماءَكم وأموالكم وكنتم لنا إخواننا في ديننا . وإن أبيْتُم ، سرتُ إليكم بقوم هم للموتِ أشدُّ حبّاً منكم لشرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، ثم لا أرجعُ عنكم إن شاء الله ، حتى أقتلَ مقاتليكم ، وأسبيَ ذراريَكم » .

قال : وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللهُ عنه ، حين أظهَرَهُ الله على أهل اليرموك ، وخرج يطلبهم :

---

(٣٣) من أجلهم : اي بعد انقضاء المدة التي تعطى لهم للخروج من المدينة .

(٣٤) محمد بن عائذ : هو أبو عبدالله محمد بن عائذ بن احمد القرشي الدمشقي ، ولد سنة ١٥٠ هـ ، وروى عن الوليد بن مسلم وغيره . ومن رواته أبو داود وأبو زرعة وغيرهما . كان كاتبا ومؤرخا ومحدثا ثقة . توفي سنة ٢٣٣ أو ٢٣٤ هـ في دمشق (انظر شذرات الذهب » ج ٢ ص ٧٨ ، و« سيزكين » مجلد ١ جزء ٢ ص ١١٤ . و« الأعلام » ط٣ ج ٧ ص ٤٨) .

(٣٥) في الأصل : « وثقالكم » وهي تحريف ، ولا يتسق مع السياق وما يتطلبه المعنى .

(م٣) ٤٢ ، ٤٣ .

- « بسم الله الرحمن الرحيم . لعبدِ الله عمرَ بنِ الخطاب أمير المؤمنين ، من أبي عبيدةَ بنِ الجراح : سلام عليك . إني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو . أمّا بعد ، فالحمدُ لله الذي أهلك المشركين ، ونصر المسلمين . وقديما ما تولّى الله أمرَهُم وأظهر فَلْجَهُم(٣٦) ، وأعزّ دعوتهم ، فتباركَ الله ربُ العالمين . أُخِبرُ أميرَ المؤمنين أكرمه الله ، أنا لقينا الروم ، وهم جموع لم يلق العرب مثلَها ، فأتونا وهم يرون (أنْ)(٣٧) لا غالب لهم من الناس أحد . فقاتلوا المسلمين قتالا شديداً ما قوتِلَ المسلمون مثلَه في مواطنَ قط . ورزق اللهُ المؤمنين الصبر ، وأنزلَ عليهم النصر ، فَقَتَلَهُم اللهُ تعالى في كل قرية وشِعْب ، ووادٍ وجبل وسهل . وغنّمَ الله تعالى المسلمين عسكرهم وما كان فيه من أموالهم ومتاعهم . ثم إنّي تبعْتُهم بالمسلمين حتى بلغتُ أقصى بلاد الشام . وقد بعثت إلى أهل الشام عمالي ، وقد بعثت إلى أهل إيليا أدعوهم إلى الإسلام . فإن قَبِلوا ، وإلا فَلْيؤدّوا الجزيةَ إلينا عن يدٍ وهم صاغرون ، فإن أَبَوْا ، سرت إليهم حتى أنزل بهم ، ثم لا أزايلهم حتى يفتح الله على المسلمين إن شاء الله تعالى . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فكتب عمر رضي الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله عمرَ أمير المؤمنين ، إلى أبي عبيدة بن الجراح : سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فقد أتاني كتابك ، وفهمت ما ذكرتُ فيه من إهلاك الله المشركين ، ونصر المؤمنين ، فها صُنْعُ الله لأوليائه وأهل طاعته . فالحمدُ لله على حُسْن صنيعه إلينا . . .(٣٨) اعلموا أنكم لم تَظْهَروا على عدوكم بعدد ولا قوة ، ولا عدة . ولا حول ولا قوة إلا بالله ولكنه (م ٤)

---

(٣٦) فلجهم : أي نجاحهم وفوزهم .

(٣٧) أن « ساقطة : ، ويقتضيها السياق .

(٣٨) يلي كلمة « إلينا » عبارة مضطربة مختلّة مبنى ومعنى ، ولعل ذلك من تحريفات الناسخ ، وهي كما جاءت في الأصل : « فسهم الله تعالى ذلك شكرتم » ، ولا معنى لها .

(م ٤) : ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .

بعونه ونصره ومَنِّهِ وفضله . فلله الطَّوْلُ والمنُّ والفضل العظيم . فتبارك الله أحسنُ الخالقين ، والحمدُ لله رب العالمين ، والسلام عليك » .

ثم إنّ أبا عبيدة انتظر أهل إيليا ، فأَبَوْا « أن يأتوه وأن يصالحوه »(٣٩) ، فأقبل إليهم حتى نزل بهم فحاصرهم حصارا شديدا ، وضيّق عليهم . فخرجوا إليه ذات يوم ، فقاتلوا المسلمين ساعة . ثم إن المسلمين شدُّوا عليهم من كل جانب ، فقاتلوهم ساعة ، ثم انهزموا فدخلوا حصنهم . وكان الذي وليَ قتالَهم خالد ويزيد بن أبي سفيان : كل منهم من جانب . فبلغ ذلك سعيدَ بنَ زيد(٤٠) ، وهو على دمشق ، فكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من سعيد بن « زيد »(٤١) ، إلى أبي عبيدة بن الجراح : سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإني لَعَمْري ما كنت « لأوثِرَك »(٤٢) ، وأصحابك « بالجهاد »(٤٣) في سبيل الله ، على نفسي وعلى ما يقرّبُني من ربّي . فإذا أتاك كتابي هذا ، فابعثْ إلى عملك من هو أرغبُ فيه مني ، فليعملْ على ذلك ما بدا لك ، فإني قادم غليك وشيكاً إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك » .

فلما وصل كتابه إلى أبي عبيدة قال : أشهدُ لَيفعلَنّها ! فقال ليزيد بن أبي سفيان : « اكفني دمشق » . فوجّههُ ، فسار يزيد إليها ، فَوليَها .

---

(٣٩) في الأصل : فأبَوْا « إلا يأتوه ولا يصالحوه » ، والسياق واللغة يقتضيان ما أثبتناه .

(٤٠) سعيد بن زيد : سيرد التعريف به في متن هذا الكتاب .

(٤١) في الأصل : سعيد بن « سعيد » وهو خطأ واضح من الناسخ .

(٤٢) في الأصل : « لا نزل » ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه كما يقتضي السياق ، وكما في مخطوطة مثير الغرام » (الورقة ٣٧) .

(٤٣) في الأصل : « الجهاد » ، والصواب ما أثبتناه حسبما تقتضي قواعد اللغة ، وكما جاء في مخطوطة « مثير الغرام » (الورقة ٣٧) .

قال : وحصر أبو عبيدةَ أهل إيليا ، ورأوا أنه غير مقلع عنهم ، فظنوا أنه لا طاقة لهم بحربه ، « فقالوا »[٤٤] : نحن نصالحك . قال : فإني أقبل منكم الصلح . قالوا : فأرسلْ إلى خليفتكم عمر رضي الله عنه ، فيكون هو الذي يعطينا هذا العهد ، وهو يصالحنا ويكتب لنا الأمان . ففعل ذلك أبو عبيدة ، وهمّ بالكتاب ، وكان أبو عبيدة قد بعث معاذا على الأردنّ ، وكان معاذ لا يفارق أبا عبيدة لرغبته في الجهاد في سبيل الله . وكان أبو عبيدة لا يكاد يقطع رأيا دون معاذ . فأرسل إلى معاذ ، فلما قَدِم عليه ، أخبَرهُ بما سأله القوم ، فقال له معاذ : تكتب إلى أمير المؤمنين ، وتسأله القدوم عليك ، فلعله أن يقدم عليك ، ويأبى هؤلاء الصلح ، فيكون مسيره غناء وفضلا[٤٥] . فلا تكتبْ إليه حتى يوثّقَ لك هؤلاء ، « وتستحلِفَهُم »[٤٦] بأَيْمانهم المغلّظة ، لئن أنت سألتَ أمير المؤمنين عمر القدومُ عليهم (م ٥) ، وكتبت إليه بذلك فقدمَ عليهم فأعطاهم الأمان وكتب لهم كتابا على الصلح ، ليقَبلُنَّ ذلك و « ليصالِحُنّ »[٤٧] عليه . فأخذ أبو عبيدة عليهم الأيمان مغلظة ، فحلفوا بأيمانهم لئن قدم عمرُ أمير المؤمنين رضي الله عنه عليهم ونزل بهم وأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ، وكتب على ذلك كتابا ، ليقبَلُنَّ ذلك ، و «لَيؤدُنّ»[٤٨] الجزيةَ ، وليدخلن فيما دخل فيه أهل الكتاب . فلما فعلوا ذلك ، كتب أبو عبيدة إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، من أبي عبيدة بن الجراح : سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ! فإنا أقمنا على إيليا ، وظنوا أن في المطاولةِ لهم فرجاً ، فلم يزدْهم الله تعالى بها إلاّ ضيقا ونقصا

(٤٤) في الأصل : « قالوا » ، والسياق يقتضي الوصل بحرف الفاء .

(٤٥) غناء وفضلا : أي أمر زائدا لا لزوم له ولا ضرورة .

(٤٦) في الأصل : « تستحللهم » ، وهو تحريف من الناسخ ، والصواب ما أثبتناه كما جاء في « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ورقة ٣٧) .

(٤٧) في الأصل : « ويصالحوا » ، والصواب ما أثبتناه ، حسبما تقتضي قواعد اللغة .

(٤٨) في الأصل : « وليؤدين » ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه تمشيا مع قواعد اللغة .

(م ٥) : ٤٥ ، ٤٦ .

وهزلا وذلا . فلما رأوا ذلك . سألوا أن نعطيهم ما كانوا ممتنعين منه قبل ذلك وله كارهين . وإنهم سألونا الصلح ، على أن يقدُمَ أمير المؤمنين ، فيكون هو المؤتمنَ لهم ، والكاتبَ لهم كتابَهُم . وإنما خشينا أن يقدم أمير المؤمنين ويرجعون ، فيكون مسيرك أصلحك الله ، غَناء وفضلا . فأخذْنا عليهم المواثيق المغلظة بأيْمانهم لئن أنت قدمت عليهم فأمّنتَهُم على أنفسهم وأموالهم ، ليقبلُنَّ ذلك ، وليؤدُنَّ الجزية ، وليدخُلُنَّ فيما دخل (فيه)[٥٠] أهل الذمة . ففعلوا ، وأخذنا عليهم الأيمان بذلك . فإن رأيتَ يا أميرَ المؤمنين أن تقدُمَ علينا ، فافعلْ ، فإن في مسيرك أجراً وفضلاً وصلاحاً وعافية للمسلمين ، أنارَ اللهُ شكرك ، ويسّرَ أمرك ، والسلام » .

فلما أتى عمرَ الكتابُ ، جمع رؤوس المسلمين إليه ، وقرأه عليهم واستشارهم . فقال عثمان رضي الله عنه : « أصلح الله أمير المؤمنين ! إن الله تعالى قد أذلّهم وحَصَرهُم وضيق عليهم ، وأراهم ما صنع بجموعهم وملوكهم ، وقتل ضاربهم ، وفتح على المسلمين بلادهم ، فهم كل يوم يزدادون نقصا وضيقا وذعرا . فإن أقَمْتَ ولم تسر إليهم علموا أنك « بأمرهم »[٥١] مستخِفّ ، ولشأنهم محتقر ، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى ينزلوا على الحُكْم ، ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وإلا حاصرهم المسلمون وضيّقوا عليهم حتى يعطوا بأيديهم » .

فقال عمر رضي الله عنه : ماذا ترون ؟ هل عند أحد منكم غير هذا الرأي؟(م٦)فقال عليّ : ياأمير المؤمنين، عندي غيرُ هذا! قال: ماهو؟ قال: إنهم سألوكَ المنزلَة التي لهم فيها الذل والصَّغار ، وهي على المسلم فتح ، ولهم غمّ وهَمّ . وليس بينك وبين ذلك إلى أن تقدُم عليهم ، فلك في القدوم عليهم (الأجر)[٥٢] في

(٤٩) الكلمة ساقطة في الأصل وهي مما يقتضيه السياق ، وقد أثبتها صاحب « مثير الغرام » انظر المخطوطة ، (ورقة ٣٨) .

(٥٠) الكلمة ساقطة في الأصل ، وهي مثبتة في « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ، ورقة ٣٨) .

(٥١) في الأصل : « بأمرك » وهو تحريف يشوه المعنى ، والصواب ما أثبتناه ، وهو مطابق لما في « مثير الغرام » ، (المخطوطة : ورقة ٣٨) .

(٥٢) الكلمة ساقطة في الأصل ، وهي مثبتة في « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ورقة ٣٨) .

(م ٦) : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

كل ظمأ ومَخْمَصَة ، وفي قَطْع كل واد وكل فجّ وكل شِعْب وكل نفقة ، حتى تقدم عليهم . فإذا قدمت ، كان في قدومك الأمنُ والعافيةُ والصلحُ والفتحُ . ولست آمن لو أنهم يئسوا من قدومك عليهم ومن قبولك الصلح ، أن يتمسكوا بحصنهم ، فلعلهم أن يأتيهم من عدونا منهم مَدَدٌ ، « فيدخلَ »(٥٣) معهم في حصنهم ، فيدخل على المسلمين من حربهم بلاء ومشقة ، ويطول بهم الحصار ، فيصيب المسلمين من الجوع والجهد نحو ما يصيبهم . ولعل المسلمين يدنون من حصنهم ، فيرمونهم بالنشاب ، ويقذفونهم بالحجارة ، فإن قتلوا أحدا من المسلمين ، تمنيتُم لو أنكم افتديتُم قتل رجل من المسلمين بمسيركم إلى مقطع التراب ، وكان المسلمُ بذلك من إخوانه أهلا . .(٥٤) .

فقال عمر رضي الله عنه : قد أحسن عثمان في مكيدة العدو ، وقد أحسن علي في النظر لأهل الإسلام . ثم قال : سيروا على اسم الله تعالى ، فإني معكم « سائر »(٥٥) وخرج معه أشراف الناس وبيوتات العرب والمهاجرين والأنصار . وخرج عمر ، ومعه العباس بن عبدالمطلب . وخرج أبو عبيدة بالناس أجمعين للقاء أمير المؤمنين لِمَا بلغهم من قدومه . وأتَوْا عمر ، ببرذونٍ ليركبه ، فأقبل عمرُ على جمل له وعليه رحلُهُ ، وصُفةٌ(٥٦) من جلد كبش حَوْليّ(٥٧) . فانتهى إلى مخاضة ، فأقبلوا ببرذونه ، فقال للمسلمين : مكانكم ! ثم نزل عمرُ عن بعيره ، وأخذ بزمام جمله ،

---

(٥٣) في الأصل : « فيدخلون » ، وهو مخالف لقواعد اللغة ، والصواب ما أثبتناه ، وهو ما ورد في مثير الغرام (انظر المخطوطة ورقة ٣٨) .

(٥٤) في الأصل ، توجد كلمة « بهم » بعد « أهلا » ، وهي زائدة ولا مكان لها في العبارة ، ولم يوردها صاحب « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ، ورقة ٣٨) .

(٥٥) في الأصل : « وسائر » ، ولا لزوم للواو هنا .

(٥٦) صُفَّةُ الرّحْل والسرج : التي تضم العرقوتين والبِداذَيْن من أعلاهما وأسفلهما . والعرقوتان من الرحل والقتب : خشبتان تضمان ما بين الوسط والمؤخرة . والبِداد : بِطانة تحشى وتجعل تحت القتب وقاية للبعير (لسان العرب) .

(٥٧) الحولى : كل ذي حافر أتى عليه حول . (لسان العرب) .

وزمامُه من ليف ، ثم دخل الماء بين يدَيْ جملِه ، حتى جاز الماء إلى أصحاب أبي عبيدة ، وإذا معهم برذونٌ يَجْنِبونَهُ(٥٨) ، فقالوا : اركب هذا البِرْذَوْنَ يا أميرَ المؤمنين ، فإنه أجملُ وأهونُ عليك في ركوبك ، ولا نحب أن يراك أهل الذمّة في مثل هذه الهيأة التي نراك فيها ، واستقبلوه بثياب بيض . فنزل عمر عن جمله وركب البرذون ، وترك الثياب . فلما هَمْلَجَ(٥٩) به « البرذون »(٦٠) ، نزل عنه وقال : خذوا هذا عني (م ٧) ! فإن في هذا شيطانا ، وأخاف أن يُغَيِّر عليّ قلبي ! فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو لبست هذه الثيابَ لكان أجملَ وأعزّ ! ، فقال : لا تَعتَزّوا بغير ماأعَزّكُمُ اللهُ به فَتَذِلّوا ! ثم مضى الناس معه ، حتى أتوا إيليا . فنزل بها وقال لهم : والله لا أدع الهيأةَ التي فارقتُ عليها صاحبي(٦١) ، ولا أتزيّنُ للناس بما أخاف أن يشينَني عند ربي ، ولا أريدُ أن يعظُم أمري عند الناس ويصغُرَ عند الله !

فلما نزل عمرُ بإيليا ، واطمأنَّ الناس ، بعث أبو عبيدة إلى أهل إيليا ، أن أنزلوا إلى أمير المؤمنين ، واستوْثقوا لأنفسكم . فنزل إليه ابنُ الجُعَيد(٦٢) في ناس من عظمائهم ، فكتب لهم عمر الأمان والصلح . فلما فَضُّوا كتابهم وأمِنوا ، دخل الناس

---

(٥٨) يجنبونه : يقودونه (لسان العرب) .

(٥٩) هملج : سار بسرعة وبخترة (لسان العرب)

(٦٠) في الأصل : « الجمل » وهو مخالف لما يقتضيه السياق ، ولابد أن يكون خطأً من الناسخ . (انظر مثير الغرام المخطوطة ورقة ٣٩) .

(٦١) يقصد الخليفة الأول ، أبا بكر ، رضي الله عنه .

(٦٢) ابن الجعيد : ورد هذا الاسم في كتاب « فتوح الشام » للواقدي مختلفاً قليلاً . إذ هو « أبو الجعيد » عند الواقدي ، وقد قال عنه أنه كان أهلا من رؤساء أهل حمص ، وقد اتخذ لنفسه بلدة تسمى « الزرّاعة » انتقل من حمص إليها ، وعندما اعتدى الروم عليه وعلى أهله قبيل معركة اليرموك ، التجأ إلى العرب المسلمين في اليرموك . وتعاون معهم في مقاومة الروم وكاد للروم مكيدة ، ثم انتقل إلى بيت المقدس ، وحذّر الروم من الغدر بالمسلمين في المدينة المقدسة وهم مشتغلون بصلاتهم . (فتوح الشام ، لأبي عبدالله بن عمر الواقدي ، نشر دار الجيل ، بيروت ، ص ٢٢١ ، ٢٤٢).وقد ذكره الأزدي في كتابه « تاريخ فتوح الشام » وقال إنه « ابن الجعيد » الذي صالح أبا عبيدة على سواد الأردنّ ، والذي نزل إلى الخليفة عمر في ناس من عظماء بيت المقدس ، فكتب لهم عمر كتاب الأمان والصلح . (تاريخ فتوح الشام « لمحمد بن عبدالله الأزدي ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١١٢ ، ٢٥٤) .

(م٧) : ٤٨ ، ٤٩ .

بعضهم في بعض . وأقام عمر أياماً ، ثم قال لأبي عبيدة : لم يبق أميرٌ من أمراء الأجناد إلّا استزارني ، غيرك ! فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ، إني أخاف أن استزيرك فتعصُرَ عينك(٦٣) في بيتي! قال: فاستزرْني . قال: فزرْني! فأتاه عمرُ في بيته، فإذا ليس في بيته شيءٌ إلّا لِبَدُ فَرَسِه ، وإذْا هو فِراشُهُ وسَرْجُهُ ، وإذا هو وِسادُهُ ! وإذا كِسَرٌ يابسةٌ في كوّة بيته ، فوضعها على الأرض بين يديه ، وأتاه بملحٍ جريش ، وكوزِ خزف فيه ماء . فلما نظر عمر إلى ذلك، بكى ثم الْتَزَمَهُ(٦٤)و(٦٥) قال : أنت أخي ! وما من أحدٍ من أصحابي إلّا وقد نال من الدّنيا ونالت منه غيرك . فقال له أبو عبيدة : ألم أخبرك أنك ستعْصِرُ عينيك ؟!

قال : ثم إن عمر قام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي عليه السلام ثم قال : « يا أهل الإسلام ، إن الله قد صدقكم الوعد ، ونصركم على الأعداء و « قواكم »(٦٦) في البلاد ، ومكّنَ لكم في الأرض ، فلا يكوننَّ جزاؤه ، منكم إلا الشكر ، وإياكم والعمل بالمعاصي ، وإنَّ العمل بالمعاصي كفر ، وَقَلَّ ما كفرَ قومٌ أنْعَمَ الله عليهم ثم لم يَنْـزِعوا إلى التوبة ، إلا سُلِبوا عزهم ، و « ساد »(٦٧) عليهم عدُوهم . ثم « تولّى »(٦٨) ، وحضرت الصلاة ، ثم قال : يا بلال ! ألا تؤذن لنا رحمك الله ؟ قال بلال : « والله يا أمير المؤمنين ، ما أردتُ أن أؤذّنَ لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ ، ولكنْ أطيعك إذا أمرتَني في هذه الصلاة وحدها» . فلما أذّن بلال ، وسمعتْ أصحابُه صوته ، ذكروا نبيهم (م ٨) ﷺ ، فبكوا بكاءً شديداً . ولم

---

(٦٣) أي تبكي .

(٦٤) التزمه : عانقه .

(٦٥) « و » ساقطة في الأصل ويقتضيها السياق .

(٦٦) في الأصل : « وقويكم » ، ولا معنى لها على هذا الشكل ، ولعل كتابتها على هذا النحو كانت مقبولة في زمن سابق .

(٦٧) في الأصل : « وسد » وهو تحريف أو خطأ في الرسم .

(٦٨) في الأصل : « تول » ، وهو خطأ في الرسم أو في اللغة .

(م ٨) : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .

يُذْكَرْ من المسلمين يومئذ أطولُ من بكاءِ أبي عبيدة ومعاذ بن جبل ، حتى قال لهما عمر رضي الله عنهم : حَسْبُكما رحمكما الله ! فلما قضى صلاتَه ، انصرف أمير المؤمنين راجعاً إلى المدينة .

باب بناء عبد الملك بن مروان الصخرة

. . . عن رجاء بن حيوة(٦٩) ، ويزيد بن سلام مولى عبدالملك بن مروان من أهل بيت المقدس ، وَوَلَدهُ بها ، أنّ عبدالملك ، « حين همّ »(٧٠) ببناء صخرة بيت المقدس والمسجد ، قدمَ من دمشق إلى بيت المقدس ، وكتب الكتب في جميع عمله إلى جميع الأمصار ، أنّ عبدالملك قد أراد أن يبني قبّةً على صخرة بيت المقدس تُكِنّ(٧١) المسلمين من الحرّ والبرد ، والمسجدَ ، فكره أنْ يعمل ذلك دون رأي رعيته . « فلتكتْب »(٧٢) . الرعية إليه برأيهم وما هُمْ عليه . فوردت الكتب عليه : يرى أمير المؤمنين رأيه موفّقاً رشيدا ، « نسأل »(٧٣) الله تعالى أن يُتِمّ له ما تولى من بناء صخرته ومسجده ، ويُجريَ ذلك على يديه ، ويجعله مكرمةً له ولمن مضى من سلفه .

فجمع الصُنّاع من جميع عمله كله ، وأمرهم أن يصفوا صفة القبة وسمتها من قبل أنْ يبنيَها ، فَكُرِّسَتْ له صخرة في المسجد ، وأمر ببناء بيت المال في شرقي الصخرة ، وهو الذي فوق حرف الصخرة . « فأُشْحِن »(٧٤) بالأموال ، ووكل على ذلك

---

(٦٩) رجاء بن حيوة : سيرد التعريف به في متن هذا الكتاب .

(٧٠) في الأصل : « خيرهم » وهو تحريف لا معنى له . والصواب ما أثبتناه كما في « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ورقة ٤٥) .

(٧١) الكن : ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمساكن . (لسان العرب ، مادة « كنن »)

(٧٢) في الأصل : « ولتكتب » ، والصواب ما أثبتناه كما يقتضي السياق ، وكما في (مثير الغرام) . (انظر المخطوطة ورقة ٤٨) .

(٧٣) في الأصل : « اسأل » ، والصواب ما أثبتناه كما تقتضي اللغة ، وكما في « مثير الغرام » (أنظر المخطوطة ورقة ٤٨) .

(٧٤) في الأصل : « فاسحق » ، وهو تحريف ، كما هو واضح في مخطوطة « مثير الغرام » (المخطوطة ورقة ٤٥) .

رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام : على النفقة عليها والقيام بأمرها ، « وأمرهما »(٧٥) أن « يفرغا »(٧٦) عليها المال إفراغاً ، دون أن « ينفقا »(٧٧) « إنفاقاً » فأخذوا في البناء والعمارة حتى أُحكِم وفُرِغ من البناء ، ولم يبق لمتكلم فيه كلام « وكتبا »(٧٨) إليه بدمشق : « قد أتمّ الله ما أمر به أميرُ المؤمنين من بناء صخرته والمسجد الأقصى ، ولم يبْقَ لمتكلم فيه كلام (م ٩) ، وقد « تبقّى »(٧٩) ممّا أمر به أمير المؤمنين من النفقة ، بعد أن فُرِغ من البناء وأُحكِم ، مائةُ ألف دينار ، فيصرفها أمير المؤمنين في أحبِّ الأشياء إليه .

فكتب إليهما : « قد أَمَر بها أمير المؤمنين جائزةً لكما ، « لما »(٨٠) وليتُما من عمارة ذلك البيت الشريف المبارك » .

« فكتب »(٨١) إليه : « نحن أولى أن نزيد من حليّ نسائنا فضلاً عن أموالنا ، فاصرفها في أحب الأشياء إليك » .

« فكتب »(٨٢) إليهما: « تُسْبَكُ وتُفْرَغُ على القبّة ، ففعلا ذلك . فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب . وهي لها « جِلالٌ » من(٨٣) لبود ، وجلالٌ من أَدُم من فوقه ، فإذا كان الشتاء ، أُلْبِسَتْهُ « لِيَكُفَّها »(٨٤) من الأمطار والرياح والثلوج . وكان

(٧٥) في الأصل : « وأمرهم » وهو مخالف لقواعد اللغة .

(٧٦) في الأصل : « يفرغوا » وهو مخالف لقواعد اللغة .

(٧٧) في الأصل : « ينفقوا » وهو مخالف لقواعد اللغة .

(٧٨) كررت كلمة « كتب » في الأصل ، وقد حذفت الكلمة المكررة واستعملت صيغة التثنية وفقا لقواعد اللغة .

(٧٩) في الأصل : « يبقى » ، وهو تصحيف . وانظر مخطوطة « مثير الغرام » ، ورقة ٤٦ .

(٨٠) في الأصل : « ولما » ، والواو زائدة ، لا موضع لها هنا .

(٨١) في الأصل : « وكتبا » ، والصواب ما أثبتناه كما في « مثير الغرام » . (انظر المخطوطة ورقة ٤٦) .

(٨٢) في الأصل : «وكتب»، والصواب ما أثبتناه كما يقتضي السياق ، وكما في « مثير الغرام » . (انظر الورقة ٤٦) .

(٨٣) في الأصل : « جلالان ، والصواب ما أثبتناه كما تقتضي اللغة ، وكما جاء في « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ورقة ٤٦) . والجلال : هو الغطاء .

(٨٤) في الأصل : « ليكنها » ، وهو تحريف من الناسخ ، وقد أورد صاحب « مثير الغرام الكلمة الصحيحة التي أثبتناها . (انظر المخطوطة ورقة ٤٦) . وكفك الشيء أي ردك الشيء عن الشيء (لسان العرب : مادة كفف) .

(م ٩) : ٥١ ، ٥٨ ، ٥٩ .

رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام ، قد حفًا الحجرَ بضرابزين[٨٥] ساسم[٨٦] ، وخلف الضرابزين ستور ديباج مرخاةٌ بين العَمَد . وكان في كل اثنين يأمران بالزعفران يُدَقُّ ويُصْحَن ، ثم يُعَدّ من الليل بالمسك والعنبر والماوَرْد الجوري ، ويخمّر من الليل ، ثم « يأمران »[٨٧] الخدم بالغداة ، فيدخلون حمّام سليمان بن عبدالملك ، يغتسلون ويتطهرون ، ثم يأتون إلى الخزانة التي فيها الخَلوق ، « فتُلقى »[٨٨] أثوابهم ، ثم يخرجون بأثواب جدد من الخزانة : مرويٍّ[٨٩] و« قُوهِيٍّ »[٩٠] وَوَشْيٍ يقال له العَصَب[٩١] ، ويخرجون منها مناطقَ محلّاة ، ويَشُدّون بها أ وساطهم ، ثم يأخذون « سفول »[٩٢] الخلوق يأتون (م ١٠) « بها »[٩٣] الحَجَرَ حَجَرَ الصخرة ، فيلطخون ما قدروا أن تناله أيديهم « حتى يغمروهُ »[٩٤] كلَّه ، ومالم تنله أيديهم ، غسلوا أقدامهم ، ثم يصعدون على الحجر يلطّخون ما بقي ، ثم ترفع آنية البخور ويؤتى بمجامر الذهب

---

(٨٥) ضرابزين : تحريف « درابزين » ، والكلمة من أصل يوناني ، ومعناها قوائم منتظمة يعلوها متكأ . (المنجد : مادة درب) . وقد وردت الكلمة في « الأنس الجليل » بالدال بدلا من الضاد (انظر جزء ١ ص ٢٧٤) .

(٨٦) ساسم : لم أجد هذه المفردة في جميع المعجمات التي رجعت إليها ، ولعلها من عامية ذلك الزمان .

(٨٧) في الأصل : « يأمر » وهو غير متسق مع السياق .

(٨٨) في الأصل : « فيلقى » وهو تصحيف .

(٨٩) « مروى » نسبة إلى مرو ، مدينة بفارس (لسان العرب : مادة مرو) .

(٩٠) قوهي : في الأصل : « قومي » والصواب ما أوردناه كما في « مثير الغرام (المخطوطة ورقة ٤٦) وهو ضرب من الثياب بيض (فارسي) . (لسان العرب : مادة قوه) .

(٩١) العصب : ضرب من برود اليمن (لسان العرب : مادة عصب) .

(٩٢) في الأصل : « سفولي » ، وفي « مثير الغرام » : « ستول » (المخطوطة ورقة ٤٦) . ولم أجد معنى لأي من الكلمتين . وقد أسقط صاحب « الأنس الجليل » الكلمة كلية (انظر جـ ١ ص ٢٧٤) . وأرجّح أنها « سفول » بمعنى ما ترسّب ونزل إلى أسفل من الخلوق ، والخلوق ضرب من الطيب . وكلمة « سفول » تعني نقيض العلو .

(٩٣) الكلمة ساقطة في الأصل ، وقد أوردها صاحب « مثير الغرام » (المخطوطة ، ورقة ٤٦) وأوردها صاحب « الأنس الجليل بصيغة التذكير « به » (انظر جزء ١ ص ٢٧٤) .

(٩٤) في الأصل : « ثم يغمزوه » ، وهو خطأ وتصحيف من الناسخ . والصواب ما أثبتناه كما في « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ورقة ٤٦) .

(م ١٠) : ٥٩ ، ٦٠ .

والفضة والنَدّ والعود « القماريّ »[٩٥] المطويّ بالعنبر والمسك ، فتُرخى الستور حول العَمَد كلّها ، ثم يأخذون . . .[٩٦] البُخورَ حولها يدورون ، حتى يَحُول البُخورُ بينهم وبين القبّة . ثم تشمَرُ الستور ، فيخرج البخور تفوح (ريحه)[٩٧] من كثرته ، حتى تبلغ رأس السوق ، فتشمّ الريح من ثَمّ ، فيقطع البخور من عندهم . ثم ينادي « منادٍ »[٩٨] في صفّ البزّازين وغيره : ألا إن الصخرة قد فُتحتْ للناس ، فمن أرادَ الصلاةَ فَلْيأْت ! فيقبل الناس مبادرين إلى الصلاة في الصخرة . فأكثرُ من يدرك أن يصلّي ركعتين ، وأكثر ، أربعاً . ثم يخرج الناس ، فمن « شمّوا »[٩٩] رائحته قالوا : هذا ممّن دخلوا الصخرة . وتُغْسَلُ آثار أقدامهم بالماء وتمسح بالآس الأخضر ، وتنشّفُ « بالسّباني »[١٠٠] والمناديل ، وتغلق الأبواب ، وعلى كل باب عشرة من الحَجَبَة ولا يُدْخَل إلا « يومي »[١٠١] الاثنين والخميس ، ولا يدخلها إلا الخادم .

وعن أبي بكر بن الحارث[١٠٢] رضي الله عنه قال : كنت أسْرِجُها خلافة

---

(٩٥) في الأصل : « العماري » ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، كما في « الأنس الجليل » (جزء ١ ص ٢٧٤) . والعود القماري ، منسوب إلى موضع ببلاد الهند (لسان العرب ، مادة قمر) .

(٩٦) في الأصل : « يأخذون في . . » ، وكلمة « في » زائدة هنا ، ولا مكان لها . ولم يوردها صاحب « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ورقة ٤٦) .

(٩٧) الكلمة ساقطة في الأصل ، ويقتضيها السياق .

(٩٨) في الأصل : « منادى » ، وهو مخالف لقواعد اللغة ، والصواب ما أثبتناه .

(٩٩) في الأصل : « يتقوا » ، ولا معنى لها هنا ، وهي من أخطاء الناسخ . والصواب ما أثبتناه ، كما أورده صاحب « مثير الغرام » . (انظر المخطوطة ورقة ٤٧) .

(١٠٠) في الأصل : « بالسابي » ، وهي « السباني » في « مثير الغرام » (المخطوطة ، ورقة ٤٧) ، ولم يرد للكلمة ذكر في « الأنس الجليل (انظر جزء ١ ص ٢٧٤) . وفي « اللسان » : السبنية : ضرب من الثياب تتخذ من مشاقة الكتان ، أغلظ ما يكون وقيل : منسوبة إلى موضع في المغرب يقال له « سبن » . (لسان العرب : مادة سبن) .

(١٠١) في الأصل : « يوم » ، وهو مخالف لقواعد اللغة .

(١٠٢) في الأصل : كلمة « حارث » فقط ، والصواب ما أوردناه ، كما في « الأنس الجليل » (جزء ١ ص ٢٧٤) .

عبدالملك « بالبان »[١٠٣] المدني[١٠٤] ، والزئبق الرصاصي . فهذا ما كان يُفْعَل في خلافة عبد الملك كلها .

وكان فيه في ذلك الوقت من الخشب « المسقَّف »[١٠٥] ستة آلاف خشبة ، وفيه من الأبواب خمسون بابا ، ومن العَمَد ستمائة عمود رخامي ، « سوى الآبار »[١٠٦] ، وفيه من المحاريب سبعة ، ومن السلاسل للقناديل أربعمائة سلسلة : ثمانون سلسلة في المسجد ، والباقي في قبة الصخرة . وذرعُ السلاسل أربعون ألف ذراع ، ووزنها ثلاثة وأربعون (م ١١) ألف رطل بالشامي . وفيه من القناديل ، خمسة آلاف قنديل . وكان يسرج فيه مع القناديل « ألفا »[١٠٧] شمعة في « ليالي الخير »[١٠٨] ، وفي نصف رجب وشعبان ، وفي ليلتي العيدين . وفيه من القباب خمس عشرة[١٠٩] قبّة سوى قبة الصخرة . وعلى سطح المسجد مُلَبَّسٌ من شُقاق الرصاص : سبعة آلاف شُقة وسبعمائة شقة ، وزن الشقة سبعون رِطلاً بالدمشقي ، غير الذي على قبّة الصخرة . كل ذلك عُمِل في أيام عبدالملك بن مروان ، ورُتِّبَ له من الخدم القُوّام ثلاثمائة خادم . . .

وفيه من (. . .)[١١٠] الصهاريج للماء ، أربعة وعشرون صهريجا كبار . وفيه من

---

(١٠٣) في الأصل : « بالباب » ، وهو تحريف . وألبان « واحدته » البانة ، وهي شجرة يعتصر دهنها طيبا (لسان العرب : مادة بين) .

(١٠٤) في الأصل : «المديني»، وهي «المدني » « في مثير الغرام » . (انظر المخطوطة ورقة ٤٧) .

(١٠٥) في الأصل : « المشقف » ، وهي تصحيف .

(١٠٦) لا مكان ولا معنى لعبارة « سوى الآبار » هنا ، وهي غير موردة في « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ، ورقة ٤٧) . والأرجح أن الكلمتين زائدتان .

(١٠٧) في الأصل : « ألفي » ، وهو خطأ لغة .

(١٠٨) في الأصل : « في كل ليلة أخيمر » وهو خطأ وتحريف من الناسخ ، ولا معنى له والصواب ما أثبتناه ، كما في « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ، ورقة ٤٧) .

(١٠٩) في الأصل : « خمسة عشر » ، وهو خطأ لغة .

(١١٠) في الأصل ، توجد كلمة « ريح » بعد كلمة « من ، ولا معنى أو مكان لها هنا ، وهي غير موردة في « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ورقة ٤٧) .

(م ١١) : ص ٦٠ ، ٦١ .

المَنابر أربعة : ثلاثة منها في صف واحد غربيّ (المسجد)[111] ، وواحد على باب الأسباط . وكان له من خدم اليهود ، لا يؤخذ منهم جزية ، عشرة رجال . وتوالدوا فصاروا عشرين رجلا ، لكنس أوساخ الناس في المواسم والشتاء والصيف ، ولكنس المطاهر « التي »[112] حول الجامع . وله من الخدم النصارى عشرةُ أهل بيت ، يتوارثون خدمة البيت لعمل الحُصُر ، وكنسِ حُصُر المسجد ، وكنس القني التي تجري إلى صهاريج الماء وكنس الصهاريج أيضا . وغير ذلك من الخدم اليهود ، جماعة يعملون الزجاج للقناديل ، والأقداح « والبزاقات »[113] ، وغير ذلك ، لا يؤخذ منهم جزية ، وكذلك لا تؤخذ جزية من الذين يقومون بالسراقة[114] للفتل التي للمصابيح « جاريا »[115] عليهم وعلى أولادهم أبدا ، ما داموا ، من عهد عبدالملك بن مروان إلى الآن .

وطول المسجد ، سبعُمائة ذراع وخمسةوخمسون ذراعا بذراع الملك ، وعرضه أربعمائة ذراع وخمسة وستون ذراعا بذراع الملك أيضا .

وعن عبدالرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت ، قال : حدثني أبي عن أبيه عن جدِّهِ ، أنَّ الأبواب كانت مُلبّسةً ذهبا (وفضة)[116] ، وصفائح الأبواب كلها ، في خلافة عبدالملك كلها (م ١٢) . فلما قدم أبو جعفر ، وكان شرقي المسجد وغربيّه

(١١١) الكلمة ساقطة في الأصل ، وقد أوردت في « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ورقة ٤٧) .

(١١٢) في الأصل : « الذي » ، وهو مخالف لقواعد اللغة ، والصواب ما أثبتناه .

(١١٣) البزاقات : يظهر من السياق ، أنها أوعية كان يبصق فيها توقيا من البصاق في صحن المسجد . والبزق والبصق لغتان في البزاق والبصاق . (انظر لسان العرب : مادة « بزق ») .

(١١٤) في « مثير الغرام » : « السراق » (المخطوطة : ورقة ٤٨) ، ولم أجد لها في المعجمات معنى يتسق مع السياق ، ولعلها عمل نوع من النسيج الذي كانت تتخذ منه فتل القناديل في ذلك الزمن .

(١١٥) في الأصل : « جاري » ، وهو خطأ ، إذ الكلمة منصوبة على الحاليّة .

(١١٦) الكلمة ساقطة في النص الأصلي ، وقد أوردها صاحب « مثير الغرام » (المخطوطة ورقة ٤٨) . والأسطر اللاحقة في النص ، تستدعي وجود الكلمة .

(م ١٢) : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ .

قد « وقعا »[117] ، فرفع إليه : ياأمير المؤمنين ، قد وقع شرقيُّ المسجد وغربيُّـهُ ، وكانت الرجفةُ سنة ثلاثين ومائة ، في شهر رمضان : فقالوا له : لو أمرت ببنـاء هذا المسجد وعَمارَتِه . فقال : ما عندي شيء من المال . فأمـر بقلع الصفائـع الذهب والفضة التي كانت على الأبواب ، فضُرِبَتْ دنانير ودراهم ، وأُنْفِق عليه . فلما فرغ منه ، وكانت الرجفة الثانية ، وقع البناء الذي بناه أبو جعفر . ثم قدم المهدي بعد وهو خراب ، فَرُفِعَ إليه ذلك فقال : دقَّ هذا المسجد وطال ، وخلا من الرجال ! أَنْقِصُوا من طوله ، وزيدوا في عَرْضِه . فتم البناء في خلافته . . (م ١٣) .

باب قول النبي عليه السلام : لا تُشدُّ الرحال إلّا إلى ثلاثـة مســاجد

. . . عن أبي هـريرة ، أنَّ النبيَّ ﷺ قـال : « لا تُشَدّ الـرحالُ إلا إلى ثـلاثة مسـاجـد : المسجـدِ الحـرام ، والمسجــدِ الأقصى ، ومسجـدي هــذا : مسجـد المدينة » . . .

عن ميمونة[118] ، زوج النبي عليه السلام قالت : « قلت يا رسول الله ، أَفْتِنا عن صخرة بيت المقدس » . قال : « أرضُ المحشَر والمنشَر، إئتوه فزوروه ، فإنَّ الصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه . فَمَنْ لم يستطع منكم أن يأتيه ويزوره ، فَلْيُهْدِ إليه زيتاً يُسرَج فيه ، فإن من أسْرَجَ فيه ، كَمَنْ صلّى فيه . . » .

---

(١١٧) في الأصل : « وقع » ، وهو مخالف لقواعد اللغة .

(١١٨) ميمونة ، زوج النبي ﷺ : هي ميمونة بنت الحارث بن حزن ، وأُمُّها هند بنت عوف بن زهير ، وأختها أم الفضل زوجة العباس بن عبدالمطلب ، عمِّ الرسول عليه السلام . وقد تزوجها الرسول ﷺ في « سَرِف » على عشرة أميال من مكة ، وكامت آخر امرأة تزوجها ، وذلك سنة سبع ، في عمرة القضيّة ، أي في شوال سنة سبع للهجرة ، وكان اسمها « بَرَّة » ، فسمّاها الرسول عليه السلام « ميمونة » (انظر طبقات ابن سعد ط بيرت ١٩٧٩ جزء ٨ ص ١٣٢ وما بعدها) .

(م ١٣) : ٦٣ ، ٦٤ .

عن أبي أمامة[119] « الباهلي »[120] قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ حجَّ واعتمر وصلّى ببيت المقدس ، وجاهد ورابط ، فقد استكمل جميع سنتي (م ١٤) .

باب كم صلّى « النبي »[121] ﷺ والمسلمون إلى بيت المقدس، وأنّها كانت قِبْلة

. . . عن البراء بن عازب[122] ، أن النبي ﷺ كان أوّل ما قِدِم المدينة ، نزل عند أجداده ، أو قال ، أخواله من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستّة عشر أو سبعة عشر شهرا . وكان يُعْجُبُه أن « تكون »[123] قِبْلَتُهُ البيت الحرام ، وإنّ أوّلَ صلاة صلّاها (قِبَل البيت)[124] صلاة العصر ، وصلى معه القوم . فخرج رجل ممن صلى

---

(١١٩) أبو أمامة : سيرد التعريف به في متن هذا الكتاب .

(١٢٠) الباهلي : في الأصل : « الجاهلي » ، وهو تحريف واضح في اسم هذا الصحابي وقد صحح في المصادر الأخرى . (انظر مثلا « الأنس الجليل » جزء ١ ص ٢٦٥) .

(١٢١) في الأصل : « الله » وهو سهو من الناسخ .

(١٢٢) البراء بن عازب : هو البراء بن عازب بن الحارث الأوسي الأنصاري ، يُكنى أبا عمارة ، ويقال : « أبا عُمَر » له ولأبيه صحبة . استصغرَهُ الرسول عليه السلام يوم « بدر » ، ولكنه شهد أُحُداً ، وغزا مع الرسول ﷺ أربع عشرة غزوة . وقد شهد الجمل « وصفّين » مع علي ، ونزل الكوفة ، ومات في إمارة مصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين . وقد روى عن النبي ﷺ جملة من الأحاديث . (انظر « الإصابة في تمييز الصحابة » ، لابن حَجَر العسقلاني ، ط دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، القسم الأول ص ٢٧٨ . وانظر كذلك « تاريخ التراث العربي » لفؤاد سيزكين ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٩٨٣ ، مجلد ١ جز ١ ص ١٢٨ . وقد ذكره ابن سعد في « طبقاته » في عدة مواضع في الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٨) .

(١٢٣) في الأصل : « يكون » ، وهو مخالف لقواعد اللغة .

(١٢٤) قِبَلَ البيت : كلمتان يقتضي السياق أن تضافا من أجل أن يتمّ المعنى . والمقصود بهما : في اتجاه البيت الحرام . والكلمتان غير موجودتين في النص الأصلي .

(م ١٤) : ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٣ .

معه ، فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله ، لقد صليتُ مع النبي عليه السلام قِبَلَ البيت . وكانت اليهود يعجبهم إذْ كان قِبَلَ بيت المقدس ، وأهلُ الكتاب(١٢٥) ، فلما ولّى وجهه قِبَل البيت ، أنكروا ذلك . . .

عن البراء ، في حديثه هذا ، أنه مات رجال على القبلة قبل أن تُحوّل ، وقُتِلوا ، فلم « نَدْر »(١٢٦) ما « نقول »(١٢٧) فيهم ، فأنزل اللهُ تعالى : ﴿ **وما كان اللهُ ليضيعَ إيمانكم**(١٢٨) **أي صلواتكم** . . ﴾ (م ١٥) .

باب ذكر ما جاء في محراب عمر رضي الله عنه
وهو المحراب الذي عند المنبر اليوم

. . . عن كلثوم بن زياد(١٢٩) ، أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب : « فأين ترى لنا أن نجعلَ مُصلّى المسلمين من هذا المسجد»؟فقال : «في مؤخّرة ، ممّا يلي باب الأسباط». قال « كلا ! إن لنا مُقَدَّمَ المسجد». قال : « فصر إلى مُقَدَّمِه » . قال الوليد بن مسلم . . . حدّثني ابن شداد ، أن عمر مضى إلى مُقَدَّمِه مما يلي

---

(١٢٥) العبارة من « وكانت . . حتى الكتاب » ، ربما يكون فيها بعض الغموض . والأرجح أن المقصود فيها أن اليهود ، وكذلك أهل الكتاب من غير اليهود ، كان يعجبهم أنّ الرسول عليه السلام كان يصلي قِبَل بيت المقدس قبل أن يتحوّل إلى الكعبة .

(١٢٦) في الأصل : « بدر » وهو مخالف للسياق ، وفيه تصحيف .

(١٢٧) في الأصل : « تقول » ، وهو تصحيف .

(١٢٨) الآية ١٤٣ من سورة « البقرة » .

(١٢٩) كلثوم بن زياد : هو كلثوم بن زياد المحاربي ، كان كاتباً لسليمان بن حبيب المحاربي المتوفى سنة مئة وعشرين ، أو مئة وست وعشرين للهجرة . وكان سليمان هذا يلقب بقاضي الخلفاء ، لأنه كان قاضيا لعبدالملك ، والوليد ، وسليمان ، وعمر بن عبدالعزيز ، وهشام . (انظر « فضائل البيت المقدس لأبي بكر الواسطي ، حققه وقدم له أ. حسون . ط القدس ١٩٧٩ . حاشية النسخة المصورة صفحة ٤٥) .

(م١٥) : ص ٩٤، ٩٥ .

الغرب ، فحثا في ثوبه من الزبل الذي عليه ، وحثْونا في ثيابنا ، و « مضينـا »[١٣٠] بُمضِيِّهِ ، حتى ألقيناهُ في الوادي الذي يقال له وادي جهنم . ثم عاد وعدنا بمثله ، حتى صلّينا معه في موضع مسجد يصلى فيه جماعة . فصلّى عمر رضي الله عنه بنا فيه ، ولم يقل حدَّثني[١٣١] ابن شداد . والصواب : عن ابن شداد ، عن أبيه . م (١٦)

باب فضل من سكن بيت المقدس وأنّ أهلَهم لا يضرهم خذلان من خَذَلَهُم

. . . عن ذي الأصابع[١٣٢] أنه قال : « رأيت يا رسول الله إن ابتُلينـا بالبقـاء بعدَك ، فأين تأمرنا ؟ » قال : « عليك ببيت المقدس ، لعلّ الله يرزقك ذريّةً تغدو[١٣٣] إليه وتروح . . .

عن أبي هريرة ، عن رسـول الله ﷺ ، أنه قـال : « لا تزال عصـابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله ، لا يضرهم خِذلانُ من خَذَلَهُم ، ظاهرين على عدوّهم إلى أن تقوم الساعة » .

. . . (عن)[١٣٤] أبي عبدالملك الجزري[١٣٥] ، أنّه كان يقـال : « إذا كانت

---

(١٣٠) في الأصل : « فمضونا » ، وهو خطأ في اللغة ، وربما كان من أخطاء الناسخ .

(١٣١) الفرق بين « حدَّثني » ابن شداد وبين « عن » ابن شداد ، أنّ الأولى تعني النقل المباشر عن ابن شداد ، في حين أن الثانية تعني مجرد النقل أو الرواية ، دون أن تتضمن اللقاء المباشر بين الراوي والمرويّ عنه . وقد أورد صاحب المخطوطة هذه العبارة الأخيرة ، استدراكا على العبارة السابقة ، التي توحي بأن الوليد بن مسلم قد سمع الحديث مباشرةً من ابن شداد .

(١٣٢) ذو الأصابع : صحابي ، سيرد التعريف به في متن هذا الكتاب .

(١٣٣) في الأصل : « تغدوا » ، وهو خطأ في الرسم حسب رسمنا للكلمة في أيامنا هذه .

(١٣٤) وضعتُ (عن) بين قوسين في رواية الأحاديث في حالة حذف السنـد ، وقبل آخـر حلقة في سلسلة الإسناد ، إذا لم تكن الكلمة موجودة أصلا قبل الحلقة الأخيرة .

(١٣٥) ورد اسم عبدالملك الجزري في مخطوطة « مفتاح المقاصد ومصباح المراصد » لعبد الرحمن بن علي =

(م ١٦) : ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

الدنيا في بلاء وقحط ، كانت الشام في رخاء وعافية . وإذا كانت فلسطين في بلاء وقحط ، كانت بيتُ المقدس في رخاء وعافية » . وقال : « الشام مباركة ، وفلسطين مقدّسة ، وبيت المقدس قدْس القدس » . .

عن أبي هريرة ، عن النبي عليه السلام قال : « إنّ الله تكفل لمن سكن بيت المقدس إنْ عازَهُ مالٌ لم يَعُزْهُ رزق » . .

. . عن مُرّةَ البهزي[١٣٦] قال : قال رسول الله ﷺ : لاتزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ، وهم كالإناء بين الأكَلَة » . قيل : « يا رسول الله : وأينَ هم ؟ قال : « بأكناف بيت المقدس . . . » م (١٧)

باب ذكر من زارَ بيت المقدس من الأئمة والصالحين ومن كان فيها من المتعبّدين والأبدال

. . . عن إبراهيم ابن أبي عبله[١٣٧] ، قال: «كانت أمّ الدّرداء[١٣٨] تأتينا من دمشق إلى بيت المقدس»، قال : « على بغلة لها ، ولها قائد يقود بغلتها ، فكانت إنْ

= القرشي مرتبطا بهذه الرواية ، دون كلمة أبي » . ولعله عبدالملك بن الطفيل الجزري ، الذي كتب إليه عمر بن عبدالعزيز في الطلاق ، وروى عنه ابن المبارك . (انظر تهذيب التهذيب » لابن حجر العسقلاني ، ط حيدر آباد ١٣٢٦هـ . جزء ٦ ص ٣٩٩) .

(١٣٦) في الأصل : « البهري » وهو تحريف . والصواب ما أثبتناه ، وفقا لما أورده ابن سعد في طبقاته » ، إذ ذكر أنه « البهزي » نسبة إلى « بهز » من بني سليم ، وكان يسكن الأردن . (انظر طبقات ابن سعد) جـ ٧ ص ٤١٤) . أما مجير الدين الحنبلي فقد حرف الاسم بشكل آخر » «الفهري» . (انظر « الأنس الجليل ج ١ ص ٢٦٣) . وسيرد التعريف به في متن هذا الكتاب .

(١٣٧) إبراهيم ابن أبي عبلة : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(١٣٨) أمّ الدرداء : سيرد الحديث عنها في متن هذا الكتاب .

(م ١٧) : ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ .

مَرَّتْ بالجبال ، قالت لقائدها : سَمِّع الجبَال ما وعدها ، يعني ربها . فيرفع صوته بهذه الآية : ﴿ ويسألونك عن الجبال ، فقل ينسفها ربّي نسفا ﴾ ». (١٣٩) . .

عن أبي سلام الأسود(١٤٠) ، قال : كنت إذا قدمت بيت المقدس ، نزلت على عبادة بن الصامت(١٤١) ، فدخلت المسجد ، فوجدته وكعبا(١٤٢) جالسين . . .

عن عبدالرحمن بن غنم الأشعري(١٤٣) ، أن معاذَ بن جبل أتى بيت المقدس وأقام به ثلاثة أيام ولياليهن ، يصوم ويصلي .

(عن) عيسى النخعي قال : « قَدِمْتُ مع الثوريّ(١٤٤) بيت المقدس ، فإذا إبراهيم بن أدهم(١٤٥) بها . فأرسل إلى الثوري فقال : يُحَدِّثُنا . فقيل له : يا أبا إسحاق ، تبعث إليه بمثل هذا ؟! فقال إبراهيم : إنما أردتُ أن أنظر كيف تواضُعُهُ للفقراء ، قال : فإذا سفيانُ قد جاءهُم ! .

(عن) عبدالله بن « قيس »(١٤٦) قال : خرجنا مع غضيف(١٤٧) بن الحارث ،

---

(١٣٩) الآية ١٠٥ من سورة طه .

(١٤٠) أبو سلام الأسود : من الطبقة الأولى من أهل الشام ، بعد أصحاب الرسول ﷺ . انتقل من حمص إلى دمشق وقال : « البركة فيها تَضَعّف مرتين » . (انظر « طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٤٤٥) .

(١٤١) عبادة بن الصامت : صحابي جليل ، سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(١٤٢) كعب : هو كعب الأحبار ابن مانع الحميري أبو إسحاق ، كان يهوديا فأسلم في خلافة أبي بكر ، وقيل في خلافة عمر . سكن الشام ، وروى عن جماعة من الصحابة . تُوُفيَ بحمص سنة اثنتين وثلاثين للهجرة ، في زمن خلافة عثمان رضي الله عنه (انظر طبقات ابن سعد « جزء ٧ ص ٤٤٥ - ٤٤٦ و « الأنس الجليل » ج ١ ص ٢٩٠) .

(١٤٣) عبدالرحمن بن غنم : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(١٤٤) سفيان الثوريّ : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(١٤٥) إبرهيم بن أدهم : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(١٤٦) حرّف الناسخ كلمة « قيس » إلى « أبي قليس » ، وهو من الطبقة الثالثة من التابعين الذين نزلوا الشام ، واسمه « عبدالله بن قيس اللخمي » . مات سنة ١٢٤ هـ انظر طبقات ابن سعد جزء ٧ ص ٤٥٨) .

(١٤٧) غضيف بن الحارث : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب . وقد ورد اسمه في « الأُنس الجليل » (جزء ١ ص ٢٦٦) دون إعجام الحرف الأول : « عصيف » ، ولكنّ ابن سعد أورد الاسم كما أثبتناه . (انظر « طبقات ابن سعد جزء ٧ ص ٤٤٣) .

نريد بيت المقدس . فلما قدْمنا على دمشق ، قال غضيف : لو أتينا أبا الدرداء فسلّمنا عليه . قال : فأتيناه فسلمنا عليه . فقال أبو الدرداء : أين تريدون ؟ قلنا : نؤمُّ هذا البيت . يعني بيت المقدس نَصلّي فيه . فقال أبو الدرداء : هذا مسجد « فصلوا »(١٤٨) . فقال غضيف : إني قد تجهزْتُ وحملتُ أهلي . قال : إن كنتَ لابدّ فاعلا ، فلا تزدْ على صلاة يوم وليلة ، والْقَ أخي أبا ذر(١٤٩) فقل له : يقول لك أبو الدرداء ، اتّقِ الله وخفِ الناس . قال : فأتينا أبا ذرّ ، فألفيناه قائما يصلّي ، لاندري أقيامُهُ أطولُ أمْ ركوعُه أم سجودُه ، وقلنا : إنّ أبا الدرداء يُقْرِؤك السلام ويقول لك : اتّقِ الله ، وخف الناس . قال أبو ذر : اللهمَّ اغفرْ ، اللهم اغفر ! إنْ كنا سمعْنا ، فقد سَمِعَ . وإن كنا رأيْناه فقد رأى . أوَما علم أني بايعتُ رسول الله عليه السلام على أن لا يأخذني في الله لومةُ لائم ؟!

(عن) إسماعيل بن عبدالله(١٥٠) : كان عبدُالملك بن مروان جالسا في الصخرة . يعني ببيت المقدس ، وأُمُّ الدرداء معه جالسة ، حتى إذا نودي المغرب ، قام عبدالملك . وقامت أم الدرداء تتوكأ على عبدالملك بن مروان ، حتى يدخل بها المسجد . فإذا دخلتْ وجلستْ مع النساء ، مضى عبدُالملك إلى المقام ، فصلّى بالناس .

عن صالح بن أبي المخارق قال : انطلقَ أبو عبيدة بن الجراح يريد الصلاة في بيت المقدس ، فأدركَهُ أجَلُه « بفحل »(١٥١) ، فمات بها ، وأوصى : أَقْرِؤوا أميرَ

(١٤٨) في الأصل : « فصلّى » ، وهو مخالف للسياق ومقتضى اللغة .

(١٤٩) أبو ذر : « الصحابي الجليل سيرد التعريف به في متن هذا الكتاب .

(١٥٠) إسماعيل بن عبدالله : لعله إسماعيل بن « عبيدالله » بن أبي المهاجر ، الذي ولاه عمر بن عبدالعزيز إفريقية « تونس » حتى تُوفيّ عليها . (انظر طبقات ابن سعد جزء ٥ ص ٣٤١) .

(١٥١) في الأصل : « بعجل » ، وهو تحريف وتصحيف . والصواب ما أثبتناه ، كما في « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ورقة ١١٤) ، وكما في « معجم البلدان » وفحل اسم موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم ، بعد فتح دمشق بعام واحد وكان يوم فحل يسمى يوم الرَّدَغَة « أيضا » ، ويوم بيسان . (انظر « معجم البلدان ط دار صادر ، بيروت ١٩٧٧ جزء ٤ ص ٢٣٧) .

(م ١٨) : ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٨٧ .

المؤمنين السلام ، وأعْلموهُ أنّه لم يبقَ من أمانتي شيء إلا وقد قمت به ، وأدّيته إليه . . . وقد كان بعث إلى « مائة دينار فرُدُّوها إليه . فقالوا : إنّ في قومك مسكنةً وحاجة . فقال : رُدّوها إليه ! وادفنوني في « غربي »[١٥٢] نهر الأردنّ ، إلى الأرض المقدسة . ثم قال : ادفنوني حيثُ قُبِضْتُ ، فإنني أتخوف أن يكون سُنّة .

. . . عن حمزة[١٥٣] قال : رأيت سفيان الثوريّ اشترى موزا بدرهم ببيت المقدس ، فأَكَلهُ في ظلّها ـ يعني الصخرة ـ ثم التفت إليّ فقال : « إن الحمار إذا استوفى قضيمه[١٥٤] فلا تَرْثِ[١٥٥] له من العمل . ثم قام سفيانُ فصلّى حتى رحمتُه . . . (م ١٩) .

(عن) الشيخ الصالح أبي أحمد ، عبدالله بن أبي بكر الطبراني ، قال : بلغني أنّ إبراهيم بن أدهم قيل له : يعقوب ومقسّم و « غيرهما »[١٥٦] يقرؤون عليك السلام ويقولون : ما ترى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال : اقرأ عليهم السلام وقل لهم : هذه أزمنة العقوبات ! دعوا الدّنيا على أهلها ينهشونها ، وابرُزوا إلى الأرض المقدسة ، وإلى هذه الجبال ، وإلى حيث لاتنكرون منكرا ، وأومى بيده إلى جبل بيت المقدس . (م ٢٠) .

---

(١٥٢) في الأصل : « غير » وهو خطأ نسخي » . والصواب ما أثبتناه كما في « مثير الغرام » . (انظر المخطوطة ورقة ١١٤) .

(١٥٣) حمزة : هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن الزيات التميمي ، أحد أصحاب القراءات السبع الصحيحة . ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ . كان عالما بالقراءات ، بصيرا بالفرائض . ذكر ابن النديم له كتاب « القراءة » وكتاب « الفرائض » ، توفي سنة ١٥٦ هـ . (انظر سيزكين » ، مجلد ١ جزء ١ ص ٣١) .

(١٥٤) قضيمه : أي طعامه الذي يقضمه .

(١٥٥) في الأصل : « ترثي » ، وهو مخالف لقواعد اللغة .

(١٥٦) في الأصل : «وغيرهم» ، وهو مخالف للسياق ، ولما تقتضيه اللغة .

(م ١٩) : ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ .

(م ٢٠) ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

باب كم ببيت المقدس من الأنبياء مقبور ومن كان بها من الصحابة الذين أعْقَبوا والذين لم يُعْقِبوا

. . . (عن) موسى بن سهل النيسابوريِ الرمليّ[157] قال : أسامي أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا بأرض فلسطين ممن سَكنها ، منهم من أعقَبَ ، ومنهم من لم يُعْقِب ، الذين كانوا ببيت المقدس : عبادة بن الصامت ، وشدّاد بن أوس ، وقبورهما بها ظاهرة إلى الآن . وأبو أبَيّ ابن أمّ حرام ، « وأبو ريحانه ، واسمه سمعون ابن زيد بن ختانة القرظي الأنصاري ، « حليف لهم » [15] ، وسلامة بن « قيصر »[159] الحضرمي ، وفيروز الديلمي ، وذو الأصابع ، وأبو محمد النجّاري[160] ، هؤلاء من أهل بيت المقدس ، ماتوا بها . والذي أعقب منهم : عبادة ابن الصامت، وشداد بن أوس ، وسلامة بن قيصر ، وفيروز الديلمي . هؤلاء أعقبوا أولادَهم ببيت المقدس ، وقبورُهم بها . والذين لم يُعْقِبوا منهم : أبو ريحانة ، وذو الأصابع ، وأبو محمد النجاري . وقبر فيروز ببيت المقدس ظاهر معروف أيضا إلى

---

(١٥٧) موسى بن سهل النيسابوري الرملي : هو موسى بن سهل بن قادم الرملي توفي في الرملة سنة ٢٦١ هـ . صاحب كتاب « من نزل فلسطين من الصحابة » ، روى عنه أبو داوود في « سننه » ، وأبو حاتم الرازي وابنه عبدالرحمن وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم . (انظر « سيزكين » مجلد ١ جزء ٢ ص ٢١١) ، وانظر كذلك (معجم البلدان ط بيروت ج ٣ ص ٧٠) وفي المعجم اختلاف طفيف عن « سيزكين » في تاريخ الوفاة ، إذ ذكر ياقوت أن وفاة الرملي كانت سنة ٢٦٢ هـ .

(١٥٨) أيْ أنه نُسِبَ إلى الأنصار عن طريق حِلْفه لهم ، وليس لأنه واحد منهم أصلاً والعبارة في الأصل مضطربة جدا ، إذ وردت كما يلي : « وأبو أبي ابن أم حرام ، واسمه سمعون ، خليف بحضرموت ، وأبو ريحانه بحضرموت » . وهو كلام مضطرب وغير صحيح ، ولاشك أنه خَلْطٌ من الناسخ في النقل ، وتحريف لبعض المفردات ، وهو لا يتفق مع المصادر الأخرى . وما أثبتناه موافق لما أورده صاحب « مثير الغرام » . (انظر المخطوطة ورقة ١٢٢) .

(١٥٩) في الأصل : « قيس » ، والصواب ما أثبتناه كما هو واضح من الأسطر اللاحقة ، وكما جاء في « مثير الغرام » (انظر المخطوطة ، ورقة ١٢٧) .

(١٦٠) سيرد التعريف بهذه الأسماء في متن هذا الكتاب

الآن . . وكـان ببيت المقـدس من أصحـاب رسـول الله ﷺ ، ابن قيصـر الجـرمي الديلمي ، يعني فيروز ، رضي الله عنهم . (م ٢١) .

باب ما جاء أن الله تعالى أقسم بمسجد بيت المقدس وذكر الجبال المقدسيّة

عن أبي هريرة قـال : أقسمَ ربنا عـز وجل بـأربعة أجبـل ، فقال : ﴿ **والتين والـزيتـون وطـور سينين . وهـذا البلد الأمين** ﴾(١٦١) قـال : التين : مسجـد بيت المقدس . والزيتون : « طورزيتا »(١٦٢) . الطور : هو شرقي بيت المقدس . وطور سينين : يعني طورسينا . وهذا البلد الأمين : مكة . (م ٢٢) .

باب ما جاء أن أهل بيت المقدس مرابطون

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سيُفْتَحُ على أمّتي الشام من بعدي وشيكاً . فإذا فتحها الله « ونزلها »(١٦٣) المسلمون ، فـأهلها إلى منتهى الجـزيرة : رجالُهم ونساؤهم وصبيانهم وإماؤُهم وعبيدُهم مرابطون إلى يوم القيامة . فمن نزل عند ذلك ساحلا من السواحل فهو في جهاد . ومن نزل بيت المقدس وما حوله ، فهو فـي رباط » .

وعن أبي الدرّداء قال : قال رسول الله ﷺ : « أهل الشام وذراريهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله . فمن احتل(١٦٤) منها مدينة من

---

(١٦١) الأيتان ١ ، ٢ من سورة « التين » .

(١٦٢) في الأصل : « طورسينا » ، وهو تحريف ، « وطورزيتا » هو جبل الطوركمـا جاء في النص (وانـظر كذلك . الأنس الجليل جزءا ص ٢٥٥) .

(١٦٣) في الأصل : « وتركها » ، وهو تصحيف يسبب اضطرابا في المعنى .

(١٦٤) « احتل » : بمعنى حل في ، أو سكن .

(م ٢١) : ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ .

(م ٢٢) : ص ٢٣٧ .

المدائن ، فهو في رباط . ومن احتلّ منها ثغرا من الثغور ، فهو في جهاد .

. . . (وعن) معاذ بن جبل ، قال رسول الله ﷺ : « يا معاذ ، إن الله يفتح عليكم الشام من بعدي ، من العريش إلى « الفرات »(١٦٥) : رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة . فمن احتلّ ساحلا من سواحل الشام أو بيت المقدس ، فهو في جهاد إلى يوم القيامة » . . . (م ٢٣) .

قال الشيخ : (١٦٦) : وبعد ذكري لفضل المساجد ، وما خصّها الله تعالى به مما دخل المسجد المقدَّسَ في عمومه ، أذكرُ فضائلَ الشام وما خصها الله تعالى به ، لأن البلد المقدس أيضا داخلٌ تحت عموم ذلك ، لابل هو أحقُّ بالفضل ، لأنه قطب الشام ، ومن أجله فُضِّل أكثر الشام ، فكل فضيلة وردت في الشام ، للقدس منها أعظمُ حظٍّ وأوفرُ نصيب ، والله الموفق للصواب ، وعليه التُّكَلان(١٦٧) . (م ٢٤) .

باب جامع في فضائل الشام

عن عبدالله بن عمر ، عن النبي عليه السلام أنه قال : « اللهم باركْ لنا في شامنا وفي يَمَنِنَا . . . »

عن « العرباض »(١٦٨) بن سارية السُّلَميّ ، عن النبي عليه السلام ، أنه قام يوما في الناس فوعَظَهُمْ بوَعْظة بليغة ، وَجِلَتْ منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقال :

(١٦٥) في الأصل : « الفراة » ، وهو خطأ في الرسم .

(١٦٦) الشيخ : أي أبو المعالي المشرّف بن المرجّى المقدسي ، مؤلف هذه المخطوطة

(١٦٧) التّكَلان : أي الاتكال .

(١٦٨) في الأصل : « الغرباض » ، والذي أثبتناه مطابق لما أورده ابن سعد في طبقاته . وكنيته أبو نجيح ، وقد توفي في الشام سنة خمس وسبعين هجرية ، في أول خلافة عبدالملك بن مروان . (انظر « طبقات ابن سعد » ، جزء ٧ ص ٤١٢) .

(م ٢٣) : ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(م ٢٤) : ص ٣٠٧ .

أيها الناس : يوشك أن تكونوا أجناداً مجنّدة ، « جنداً »(١٦٩) بالشام ، وجنداً بالعراق وجنداً باليمن » . فقام عبدالله بن حواله(١٧٠) فقال : يا رسول الله ، إنْ أدرَكَني ذلك « فاخترْلي »(١٧١) . قال : « إني أختار لك الشام ، فإنه عُقْرُ دار المسلم ، وصفوةُ الله من بلاده ، « يَجْتَبي »(١٧٢) إليه صفوته من خلقه . وأما أنتم فعليك بيَمَنِكم ، اسْقوا من غُدُرِكم ، فإنّ الله تعالى قد تكفّلَ لي بالشام وأهلِه » .

عن ابن عبّاس في قوله تعالى : ﴿ ... الذي باركنا حوله ... ﴾ ، قال : هي فلسطين والأردنّ .

عن معاوية بن قرّة(١٧٣) ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا هلكَ أهلُ الشام ، فلا خيرَ في أمّتي » .

(عن) عبدالرحمن بن جُبَيْر بن نُفَيْر(١٧٤) ، أنَّ يزيدَ(١٧٥) ومن معه كتبوا إلى أبي بكر (م ٢٥) يخبرونه بجموع الروم لهم ويستمدُّونه ، فكتب أبو بكر الصدّيق إلى خالد بن الوليد ، وهو بناحية عين التمر(١٧٦) : العَجَل العَجَل إلى أُخوانكم بالشام فوالله

(١٦٩) في الأصل : « جند » ، وهو خطأ لغة ، لأنّ الكلمة بدل تفصيل من « أجناداً » المنصوبة .

(١٧٠) عبدالله بن حوالة : ويكنى أبا حوالة ، كما يكنى أبا محمد ، كان يسكن الأردنّ ، ومات سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . (انظر طبقات ابن سعد ، جزء ٧ ص ٤١٤) .

(١٧١) في الأصل : « فأخبرني » ، وهو تحريف .

(١٧٢) في الأصل : « يخفني » . وهو تحريف .

(١٧٣) معاوية بن قرة : هو معاوية بن قرة بن إياس ، حدّث عن أبيه قرّة بن إياس ، ويُكنى أبا إياس ، وكان ثقة وله أحاديث ، وهو ابن صحابي ، ومن الطبقة الثانية من التابعين الذين نزلوا البصرة . (انظر طبقات ابن سعد جزء ٧ ص ٣٢ و ص ٢٢١) .

(١٧٤) عبدالرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي ، كان ثقة ، وبعض الناس يستنكر حديثه مات سنة ١١٨ هـ في خلافة هشام بن عبدالملك .

(انظر : « طبقات ابن سعد » ، ج ٧ ، ص ٤٥٥) .

(١٧٥) يزيد : أي يزيد بن أبي سفيان أحد قادة أبي بكر في فتوح بلاد الشام .

(١٧٦) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار ، غربي الكوفة ، يجلب منها التمر إلى سائر البلاد ، وهو بها كثير

(م ٢٥) ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٨ .

« لَقَرِيةٌ[١٧٧] من قرى الشام يفتحها الله تعالى على المسلمين ، أحبُّ إلينا من رستاقٍ[١٧٨] من رساتيق العراق . ففعل .

عن معاذ بن جبل قال : صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر ، فلما قضى صلاته ، دعا بهذه الدعوات فقال : « اللهم باركْ لنا في شامنا ، وفي حجازنا ، وفي يَمَنِنا ، وفي صاعنا وفي مُدّنا . . . » .

عن زياد بن أبي هند الداري قال : قَدِمْنا على رسول الله عليه السلام ، ونحن ستة نفر : تميم بن أوس[١٧٩] ، وأخوه نعيم بن أوس ، ويزيد بن قيس ، وأبو عبدالله ابن عبدالله ، وهو صاحب الحديث ، « وأخوه الطيِّب بن عبدالله »[١٨٠] ، فَسَأَلْنا رسول الله عليه السلام أنْ يُقْطِعَنا أرضاً من أرض الشام . فقال رسول الله عليه السلام : « أسألوا حيث شئتم » . فقال أبو هند : فنهضْنا من عنده إلى موضع نتشاور فيه أين أين نسألُ[١٨١] فقال تميم : أرى أنْ نسأله بيتَ المقدس وكورَتَها . فقال أبو هند : رأيتَ مُلْكَ العجم اليوم ، أليس هو ببيت المقدس ؟ قال تميم : نعم[١٨٢] ! ثم قال أبو هند : وكذلك يكون فيها مُلْكُ العرب ، وأخاف ألاّ يتمَّ لنا هذا . فقال تميم : فنسأله بيت جبريل[١٨٣] وكورتها . قال أبو هند : هذا أكبر وأكثر ! فقال تميم : وأين ترى أن

= جدا ، وهي على طرف البرّيّة ، وقد افتتحها المسلمون أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ . (انظر معجم البلدان ط بيروت ، جزء ٤ ص ١٧٦) .

(١٧٧) في الأصل : « كقرية » ، وهو خطأ في النقل وقع فيه الناسخ .

(١٧٨) رستاق : أو « رزتاق » ، فارسي معرب ، والجمع الرساتيق ، وهي السواد . والسواد جماعة النخل والشجر لخضرته واسوداده (لسان العرب) .

(١٧٩) تميم بن أوس : سيرد الحديث عن تميم بن أوس الداري بشيء من التفصيل في متن هذا الكتاب .

(١٨٠) في الأصل : « وأخو الطيب بن عبدالله » ، وهو خطأ في النقل ولا يستقيم مع ما يقتضيه السياق .

(١٨١) في الأصل : نسل ، وهو خطأ لغة .

(١٨٢) الصواب لغةً أن يقول : بلى .

(١٨٣) بيت جبريل : أو « بيت جبرين » ، بلد بين القدس وغزة ، وبينه وبين غزة أقل من ذلك . وكانت فيه قلعة حصينة ، خرّبها صلاح الدين لمّا استنقذ القدس من الإفرنج (انظر « معجم البلدان ط بيروت ، ج ١ ص ٥١٩) .

نسأله ؟ (م ٢٦) قال : أرى أن نسأله « القديمي »[١٨٤] التي تُصْنَعُ فيها حُصُرنا »[١٨٥] ، مع ما فيها من آثار إبراهيم عليه السلام . قال تميم : أصبْتَ وَوُفِّقْتَ . قال : فنهضنا إلى رسول الله عليه السلام ، فقال رسول الله : يا تميم ! تحب أن تخبرني بما كنتم فيه أو أخبرك ؟ « قال تميم بل تخبرنا يا رسول الله ، فنزداد إيمانا . فقال رسول الله : أردت يا تميم أمرا ، وأراد هذا غيره ، ونعم الرأي « رأيُهُ »[١٨٦] . قال : فدعا رسول الله ﷺ بقطعة من جلد آدم ، فكتب لنا كتاباً نسختَهُ :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ذِكْرُ ما وَهَبَ محمدٌ رسولُ الله للداريين إذا أعطاهُ اللهُ الأرضَ . وَهَبَ لهم بيتَ عين[١٨٧] و « حَبْرون »[١٨٨] والمَرْطوم[١٨٩] ، وبيت إبراهيم بمن فيهم لهم أبدا :

شَهِدَ عباس بن عبدالمطلب ، وجهمُ بن قيس[١٩٠] ، وشُرَحبيلُ بنُ حَسَنة ، وكتب . قال : ثم دخل بالكتاب إلى منزله ، فعالج في زاوية الرقعة خاتما بشيء لا

---

(١٨٤) القديمي : لم أعثرْ على هذا المكان في « معجم البلدان » ، أو أيّ من المصادر الأخرى التي رجعت إليها ، ولابد أنها في منطقة الخليل بفلسطين .

(١٨٥) في الأصل : « حضرنا » ، وهو تصحيف .

(١٨٦) في الأصل : « ونعم الرأي رأي » ، والسياق يقتضي ما أثبتناه .

(١٨٧) بيت عين : وفي مثير الغرام : « بيت عينون » (انظر المخطوطة ، ورقة ١٢٣) . وعينون قيل هي من قرى القدس ، وقد نُسب إليها عبد الصمد بن محمد العينوني الذي روى عن ميسرة والوليد بن محمد الدمشقي ، وروى عنه أبو القاسم الطبراني (انظر معجم البلدان ط بيروت ج ٢ ص ٢١٢) .

(١٨٨) حبرون : أي الخليل في فلسطين .

(١٨٩) المرطوم : لم أجد هذا الاسم في المراجع التي رجعت إليها ، وإن كان واضحا من السياق أنها في ناحية مدينة الخليل بفلسطين ، إلا أن ناصر خسرو الذي يسمى المكان « قرية مطلون » يقول إنها المكان الذي فيه قبر الخليل عليه السلام . إذْ إنه يقع على حافّتها من جهة الجنوب « سفرنامة ، بيروت ، ١٩٨٣ ط ٣ ، ص ٧٠-٧١) .

(١٩٠) جهم بن قيس : هو جهم بن قيس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف ، هاجر مع زوجته حرملة إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وتوفيْت زوجته في الحبشة بعد أن أنجبت له من الأبناء حريملة ، وعبدالله ، وعمرا . (انظر طبقات ابن سعد جزء ٨ ص ٢٨٦) .

(م ٢٦) : ٣١٨ ، ٣٢٥ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

يُعْرَف ، وَعَقَدهُ من خارج الرّقعة بسَيْر عقدتيْن ، وخرج إلينا به مطويّاً وهو يقول : « إنّ »[191] أولى الناس بإبراهيم للذين «اتّبعوه»[192] ،وهذا النبيُّ والذين آمنوا والله وليّ «المؤمنين»[193] ثم قال : « انصرفوا حتى تسمعوا بي أني قد هاجرت » .

قال أبو هند : فانصرفْنا ، فلما هاجر رسول الله عليه السلام في المدينة ، قدمنا عليه ، فسألناه أن يجدّد لنا كتاباً آخر ، فكتب لنا كتابا نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أنطى[194] محمدٌ رسول الله عليه السلام تميمَ الداريّ وأصحابه . إنّي أنطَيْتُكُم بيتَ عين وحبرون والمرطوم وبيت إبراهيم بمن فيهم[195] وجميعَ ما فيهم نطيّة بَتّ[196] ، ونفذتُ وسلّمتُ ذاك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبَدَ الأبَد . فمن آذاهم فيهم ، آذاه الله » .

شهد أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمرُ بن الخطاب ، وعثمانُ بن عفان ، وعليُّ بن أبي طالب ومعاويةُ بن أبي سفيان ، وكَتَب . (م ٢٧) .

فلما قُبض رسول الله ﷺ ووَلَي أبو بكر ، وجنّد الجنودَ إلى الشام ، كتب لنا كتابا نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من أبي بكر الصديق ، إلى أبي عبيدة بن الجراح

---

(١٩١) في الأصل : « إنا » ، وهو خطأ في رسم كلمة الآية .
(١٩٢) في الأصل : « اتبعون » ، وهو خطأ في نقل مفردة من مفردات الآية .
(١٩٣) الآية ٦٨ من سورة « آل عمران » .
(١٩٤) أنطى : لغة في « أعطى » . وفي الحديث : « إنّ مالَ الله مسؤول ومُنْطى » ، أي معطى . (انظر « لسان العرب » ، تحت مادة نطا) .
(١٩٥) في الأصل : « بدهم » ولا معنى لها ، وهي تحريف وخطأ في النقل .
(١٩٦) في الأصل : « تب » ، وهو تصحيف ، ولا معنى لها كما وردت .

(م ٢٧) : ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أمّا بعد ، فامنعْ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الداريين . وإنْ كان أهلها قد « جَلَوْا »[197] عنها وأراد الداريون يزرعونها ، فَلْيزرعوها . فإذا رجع إليها أهلها ، فهي لهم ، وأحقُّ بهم والسلام عليكم » .

وعن روح بن زنباع[198] قال : مررت بتميم الداريّ في مسجد إبراهيم ، فوجدتُه ينقي شعيرا لفرسه . فقلت له : يا أبا رُقَيَّة ، أما لك من « يكفيك »[199] ما أرى ؟ فقال : بلى ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رَبَط فرسا في سبيل الله ، ثم وَلِيَ نقاة شعيرة ومسحه وجسده ، كان له بعدد كل شعرة وكل حبّة حسنة تكتب له ، وسيئة تمحى عنه » . فسمّى روح بن زنباع ، وهو من أفاضل التابعين ، الموضع ، مسجد إبراهيم عليه (السلام)[200] ، وما أنكر ذلك عليه أحد . (م ٢٨) .

---

(١٩٧) في الأصل : « خلوا » ، وهو تصحيف .

(١٩٨) روح بن زنباع : هو روح بن زنباع الحرامي ، سيد حرام ، وأمير فلسطين ، كان ذا عقل ورأي ، وكان مُعَظَّماً عند عبدالملك ، لايكاد يفارقه ، وهو عنده بمنزلة وزير . وكان صاحب علم ودين . توفي سنة أربع وثمانين للهجرة . (انظر « شذرات الذهب » ، لابن العماد الحنبلي ، ط بيروت ١٩٧٩ جزء ١ ص ٩٥) .

(١٩٩) في الأصل : « ياكفيك » ، وهو خطأ في النقل أو في الرسم .

(٢٠٠) السلام : الكلمة ساقطة في الأصل ، ويقتضيها السياق واكتمال العبارة .

(م ٢٨) : ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

خاتمة المخطوطة

انتهى في سادس عشر من شهر رمضان المعظم قَدْرُه ، سنة ست وثمانمائة ، على يد علي بن محمد بن مالك ، غفر الله له ولـوالديـه ولجميع المسلمين ، آمين آمين ، والحمد لله وحده ، وصلّى على نبيّه محمد خير خلقه وصحبه وسلم .

انتهى كتـاب « فضائـل بيت المقدس والخليـل » ، للعلاّمـة أبي المعـالي ، المشرّف ابن المرجّي بن إبراهيم المقدسيّ ، بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

كتبه حسن رشيد ، على نفقة دار الكتب المصرية ، من النسخة المحفوظة بها الموضوعة تحت رقم (٣١٩٤) تاريخ ، وكان الفراغ منه ، موافقا يوم الثلاثاء ، سابع عشر صفر سنة ١٣٥١ ألف وثلاثمائة وإحدى وخمسين هجرية . ـ ٢١ يونيو١٩٣٢ م ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم » . (م ٢٩) .

(م ٢٩) : ص٣٥٨ ، ٣٥٩ .



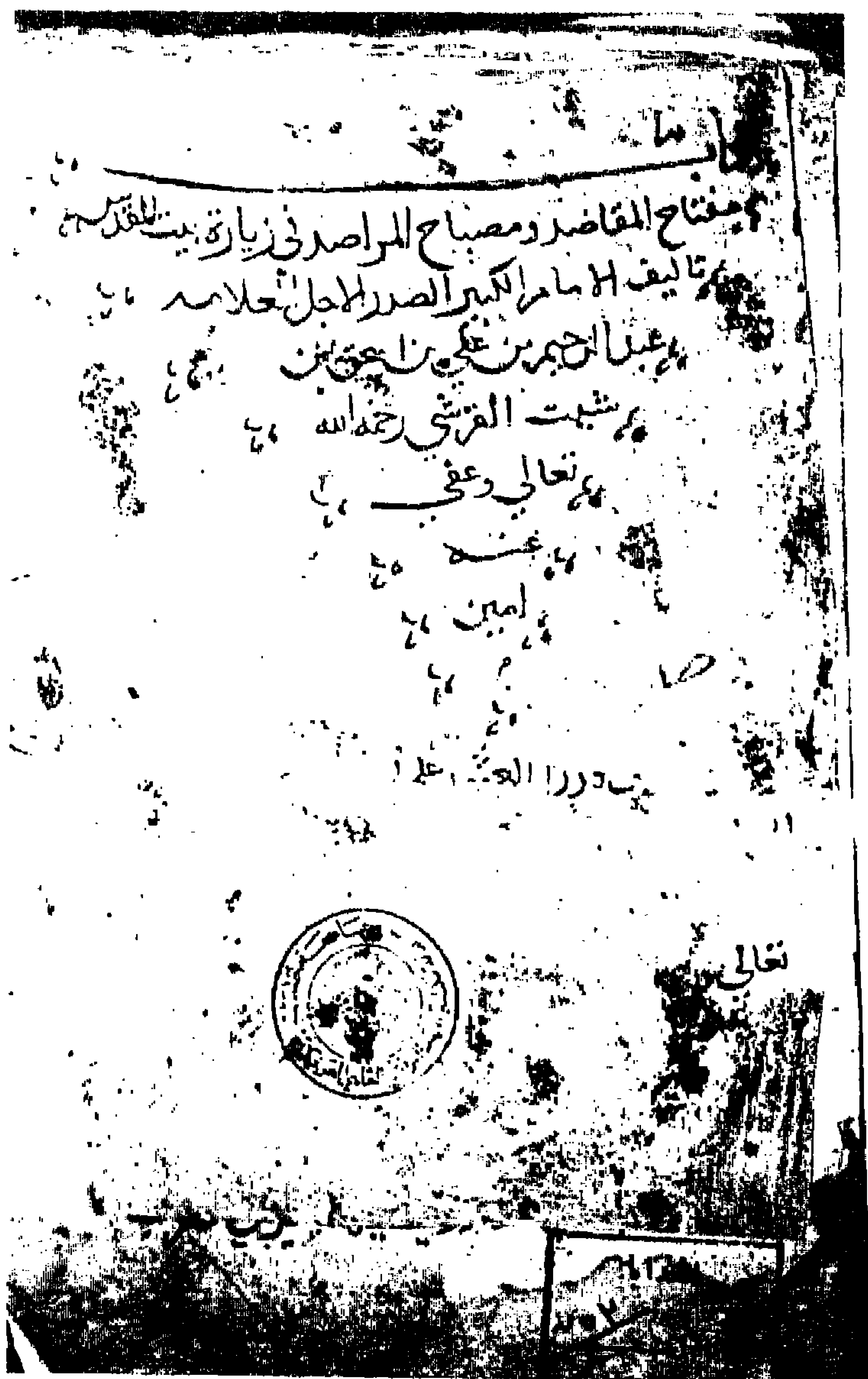
● صورة خاتمة المخطوطة (رقم ٣٥٨ ، ٣٥٩) .

المخطوطة الثانية

مفتاح المقاصد ومصباح المراصد في
زيارة بيت المقدس

تأليف

عبدالرحيم بن علي بن إسحاق بن شيث القرشي


مفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس
تأليف الإمام الكبير الصدر الأجل العلامة
عبد الرحيم بن علي بن إسحق بن
شيث القرشي رحمه الله
تعالى وعفى
عنه
آمين

● صورة الورقة الأولى من المخطوطة

● صورة الورقة الثانية من المخطوطة

المؤلــف

مؤلّف هذه المخطوطة ، هو القاضي جمال الدين عبدالـرحيم بن شيث القرشي الذي قيل فيه ، إنه جَمَع الله له بين الفضل والمروءة والكرم والفتـوّة ، وأنه كـان كثير الصدقات . وقد كان ، على عادة كتاب عصره ينظِم الشعر ، إضافةً إلى براعته في كتابة النثر ، إذ يقول ابن العماد الحنبلي ، إن أبا المظفر كتب إليه كتابا يتشوق إليه . فأجابه :

وافى كتـابـك وهـو الـروضُ مبتسـماً ... عن ثغـر درٍّ طغى من بحـرك الـطامي
وكـان عنـديَ كـالمـاءِ الـزُّلال وقـد ... تنـاولَتْـهُ يمـينُ الحـائـم الـظامي
لله نـفحـةُ فـضْـلٍ منـه رُحْـتُ بهـا ... نـشـوانَ أسحَـبُ أذيـالي وأكـمـامي

وقد تولّى الوزارة للملك المعظم عيسى الأيوبي في الشام . أما نشأته فقد كانت في قوص بمصر ، وتوفي في دمشق سنة ٦٢٥ هـ ، ودفن بتربة قاسيون(٢٠١) .

وقد ورد اسمه ولقبه بصورة أكثر تفصيلا في « الأعلام » ، إذ قال الزركلي عنه ، إنه عبدالرحيم بن علي بن الحسين بن إسحاق بن شيث الأموي الأسناني القوصي » ، أبو القاسم جمال الدين ، صاحب ديوان الإنشاء للملك المعظم عيسى . وتعرّض لمولده ونشأته ، فقال إنه ولد بإسـنا ، ونشأ بقوص ، وذكر بعد ذلك أنه ولي ديوان الإنشاء بقوص ، ثم بالإسكندرية ، ثم بالقدس ، ثم وليه للملك المعظّم عيسى ، وَوَزَرَ له ، وتُوفِّي بدمشق . ومعنى ذلك ، أنه كان للمؤلف صلة شخصية بالقدس ، بحكم عمله متوليا لديوان الإنشاء فيها .

---

(٢٠١) انظر « شذرات الذهب» ، لابن العماد الحنبلي ج٥ ص ١١٧ .

وقد ذكر له صاحب « الأعلام » من المؤلفات : « معالم الكتابة ومغانم الإصابة في فن الإنشاء وآداب كتاب الملوك » ، وقال إن له شعرا جيدا ، وحدّد لنا مولده بعام ٥٥٥ هـ ، ووفاته بعام ٦٢٥ هـ[٢٠٢] .

نسخ المخطوطة

توجد نسخة من هذه المخطوطة في معهد التراث العربي بجامعة حلب . وقد صدرت في المعهد المذكور عام ١٩٨٠ كما هو واضح من الكتابة الموجودة على الورقة الأولى من صورة المخطوطة . ويظهر اسم المخطوطة في فهرس المخطوطات في المعهد ، وهو الفهرس الذي أعده محمد كمال ، تحت رقم ١٤٠٠ / ١٩٨٠ . وقد كتبتْ هذه النسخة عام ٩٢٧ هـ .

وجاء في « مخطوطات فضائل بيت المقدس »[٢٠٣] أنّ هذه المخطوطة ، هي نفسها التي يشير إليها فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية لغاية شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٢٥ ، ج ٥/٢٩٠ الموجود اليوم في دار الكتب تحت رقم ٥١٤ ، وأنها كذلك المخطوطة نفسها التي وردت في فهرس مخطوطات الموصل لداود الشلبي الموصلي (بغداد ١٩٢٧) تحت رقم ٣٦/٧٠ ، وأنه في الفهرسين الأخيرين ورد اسم المؤلف على النحو التالي : عبدالرحمن (لاعبد الرحيم) ، مضافا إليه النسبة إلى قونية ، إذ دُعي « القوني » .

وصف المخطوطة التي اعتمدت عليها

صورة المخطوطة التي اعتمدت عليها تقع في جزأين ، عدد أوراقهما ١٦١ (مع ورقة الغلاف) ، وتقع كل صفحتين من المخطوطة المصوّرة في ورقة واحدة . ويبلغ طول

---

(٢٠٢) انظر « كتاب الأعلام» لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٢١ .

(٢٠٣) « مخطوطات فضائل بيت المقدس : دراسة وببليوغرافيا » ص ٥٣ .

المخطوطة ٢١ سم ، وعرضها ١٦ سم ، وعدد السطور في الصفحة الواحدة (١٧) سطرا ، وقد كتبت بخطٍّ نسخي غير جميل وغير واضح ، وقد شكا الناسخ في آخر المخطوطة من سقامة النسخة التي نقل عنها . والواقع أن المخطوطة المصورة هذه مليئة بالأخطاء اللغوية ، وبالتحريفات والأخطاء الهجائية ، كما أنّ بعضاً من صفحاتها مطموس بصورة كلية أو شبه كلية .

وقد استعمل المؤلف في المقدمة لغة متأنّقة مسجوعة ، حافلة بأنواع البديع ، وأطال فيها ، مازجا محتوياتها بالمادة الأصليّة للمخطوطة ، ولم يقسم مواده بصورة واضحة إلى أبواب وفصول ، واستعان من حين إلى آخر بأبيات من الشعر . والقسم الأكبر من الجزء الثاني من المخطوطة المصورة عبارة عن أدعية ينصح المؤلف بالدعاء بها عند أماكن معينة في القدس .

تبدأ المخطوطة بالبسملة ، ثم بالعبارات التالية :

« قال القاضي الفقيه العلّامة ، جمال الدين ، عبدالرحيم بن علي بن شيث رحمه الله ، الحمد لله الذي ملأنا من أنوار حكمته فأَفَضْنا وأَفَدْنا ، وأهاب بنا إلى هباته فَوَفَدْنا على كرمه وأَفَدْنا . . . » .

وتنتهي بالعبارات التالية التي تحدّد تاريخ النسخ ، دون أن تعيّن اسم الناسخ : « وهذا آخر ما اختصره كاتبه من النسخة ، وهي قديمة ، لكنها سقيمة ، وقد أصلح ما أمكنه إصلاحه ، والباقي على هيئته كما وجده ، نسأل الله جل وعلا المسامحة والغفران ، فمن وجد في هذا التعليق غلطا فأَصْلَحَهُ ، آجره الله على ذلك ، نفع الله به كاتبه ومطالعه ومن انتفع به ، ورحم مصنفه ، وفتح لنا بخير أجمعين .

وكان الفراغ منه عشية الخميس ، ثالث شهر الله المحرم ، من شهور سنة سبع وعشرين وتسعمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

والمخطوطة صورة عن نسخة معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ، وقد

كتب على ورقة الغلاف اسم المعهد المذكور ، وعنوان المخطوطة واسم المؤلف وقياسات المخطوطة ، وعدد الصفحات ورقم المعهد : ٢٠٠/٠٧٥٣ ، وأنها كتبت بخط نسخي ، ومكان التصوير : معهد التراث العلمي العربي ، جامعة حلب ، وتاريخ التصوير : ١٩٨٠ م .

المختار من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي الفقيه العلّامة ، جمال الدين عبدالرحيم بن علي بن شيث القرشيّ رحمه الله : « الحمدُ لله الذي ملأنا من أنوار حكمته ، فَأَفَضْنا وَوَفَضْنا ، وأهابَ بنا(٢٠٤) إلى هباته ، فَوَفَدْنا على كرمه وأفَدْنا ، وأباحَنا بحارَ فضله ، فأَرَدْنا ووردنا . واصْطَنَعنا لنفسه ، فله الحمد بما استَطَعْنا . أحمده على أنه أغنى « وأقنى »(٢٠٥) ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما أشْهَدَنا فَشَهِدْنا ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أُسرِيَ به إليه ، فدنا وتدلّى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، صلاةً « تُجْبى »(٢٠٦) (بها)(٢٠٧) إليهم ثمرات كل خير « وتجنى »(٢٠٨) .

وبعد ، فإنني لما أَلَّفتُ الكتاب (الموسوم)(٢٠٩)«ب»«المقصد الأقصى في المسجد الأقصى » ، نهجت فيه منهج الاستقصاء ، وانقادتْ لي فيه المعاني الجامحة تحت « الاستعصاء »(٢١٠) ، وشحنته من الألفاظ والمعاني بمجامع المحاسن من المبادىء

---

(٢٠٤) في الأصل : « منا » ، وما أثبتناه أقرب إلى ما تتطلبه اللغة والمعنى .

(٢٠٥) في الأصل : « أقنا » ، وهو مخالف لما تعارفنا عليه من رسم الكلمة .

(٢٠٦) في الأصل : « تجبا » ، وهو مخالف لما تعارفنا عليه من رسم الكلمة .

(٢٠٧) « بها » : الكلمة ساقطة أصلا ، وهي لازمة لاستقامة تركيب الجملة .

(٢٠٨) في الأصل : « تجنا » وهو مخالف لما تعارفنا عليه من رسم الكلمة .

(٢٠٩) الكلمة مطموسة جزئيا .

(٢١٠) في الأصل : « الاستقصاء » ، وهي خطأ نسخي ، إذْ إنّها تخالف ما اعتيد عليه في فواصل السجع من عدم تكرار الفاصلة نفسها ، والكلمة التي أثبتناها تتناسب مع المعنى العام للعبارة .

والخواتيم والنصوص ، وجعلتُ الأدعيةَ المودعةَ فيه عامّةً لسائر الأنـام كما ذُكِرَتْ فيه ، وإنْ كانت خاصة بالمكان ، فلها بذلك فضل العموم والخصوص . وأودَعْتُها من المدائح في الله تعالى(و)[211]جعلتُها للنفوس النافرة عن الطاعات مصائر ، وقدّمتهـا بوادر في الأدعيـة لتكون الإجابات لها حصائر . إلاّ أنّها ربما ينوء عنها طبع من ليس له في الأشعار ذَوْق ، وإنْ كان لكل نفسٍ منه رَوْح[212] ، ولكلّ ناظرٍ منه رَوْق[213] . ولا يشكّ ذو لُبٍّ أنّ تفاوت الخَلْق بحسب ما عندهم من المعارف ، وأنّ أعظم المعارف قدراً ، العثور على البلاغة والفصاحة ، « اللتين »[214] هما طَرَفا الفضيلة ، فهما حقيقتان (م ٣٠) بـإنفاق العمر فيهما والتليد والطارف . وكيف يُنازِعُ في ذلك من سمع قوله تعالى : ﴿ نَزَل به الروحُ الأمين . على قلبك لتكونَ من المنذرين . بلسان عربي مبين ﴾[215] بقوله سبحانه « مبين » ، إشارة إلى ما ذكرناه من البلاغة ، وفي هذا إبلاغ . وفيه لمن عنده أدنى ذوق مما أشرنا إليه « مساغ »[216] . . . (م ٣١) .

(البيوت الثلاثة المقدسة)[217]

. . . وقد شرّف الله سبحانه وتعالى هذه البيوت الثلاثـة : مكة والمـدينة وبيت المقدس . فأما البيتان : مكة ، فهي البيت الحرام ، (والمدينة)[218] ، والقـدس هو

---

(٢١١) «الواو» ساقطة في الأصل ويقتضيها التركيب اللغوي للعبارة .

(٢١٢) الرَّوْح : السرور والفرح (لسان العرب ، مادة روح) .

(٢١٣) الرَّوْق : الإعجاب (لسان العرب مادة «روق») .

(٢١٤) : في الأصل : «الذين» ، وما أثبتناه مما تتطلبه قواعد اللغة .

(٢١٥) الآيات ١٩٣ و ١٩٤ ، و ١٩٥ من سورة « الشعراء » .

(٢١٦) في الأصل : « مشاع » ، والكلمة لا تتواءم مع السجع ولا مع المعنى ، والأرجع أنها « مسـاغ » ، كما أثبتناها .

(٢١٧) هذا العنوان الفرعي من وضع مؤلف الكتاب ، وهو ينسجم مع المادة الموردة تحته .

(٢١٨) ساقطة في الأصل ، ويقتضيها السياق .

(م ٣٠) : ١ (م ٣١) : ١

المسجد الأقصى . . . ويؤكده قوله تعالى : ﴿ الذي باركنا حوله . . . ﴾[٢١٩] ، فهو سُوَيْداء القلب ، أعني المسجد ، لأن الأرض المباركَ فيها تكتنفه ، فما عسى أن يصفه بعد ذلك من وَصَفَه ؟!

وإنّ أول بيت وُضع للناس مكة . ثم وجبت له نسبة الأُم ، وهي الأرض المقدسة فَوُضِع مباركا ، وجُعلتْ لمكة خصوصيةٌ في هذا الشرف ، وإن كانت مندرجة تحت ذلك العموم ، كما حصل للنبي خصوصيّة الأنبياء ، وإنْ كان منهم في السلك المنظوم . ولما كانت الأمم مشتركة في تعظيم البيت المقدس ، ونحن منهم ، فزدْنا نحن مكة ، كما أننا معهم أيضا في التوراة والإنجيل والزبور ، ونحن مفَردون عنهم بشرف القرآن . فنحن والحمد لله الأمة الوسط الذين لنا الطّرَفان ، ولم يكن لنا معهم شِرْك ، كما أنهم لا مشاركة لهم في كتابنا ، ولنا في كتبهم الأخذ والترك . قال الله تعالى : ﴿ إنما المشركون نَجَس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾[٢٢٠] كما قال : ﴿لا يمسه إلا المطهرون ﴾[٢٢١] ، في حق القرآن الكريم .

والحجر الأسود في ذلك البيت ، وزانُ الصخرة المقدّسة في هذا البيت . والحجر في صِغَرِه ، له مزيّة التذكير . « وما يَعابُ سوادُ العين بالصّغر »[٢٢٢] وجعل البيتَ للصخرة ، حتى يكون بينهما تآلف الزوجية ، وينتج بينهما الأعمال الصالحة لنيل الدرجات العليّة .

وأما المدينة ، فإنها شَرُفَتْ بنسبها إلى النبي ﷺ وعلى آله . شرّفها الله تعالى لأنها مأوى حبيبه ، فوجب على أمته تعظيمها وزيارتها لتأهيله وترحيبه :

---

(٢١٩) الآية (١) من سورة (الإسراء) .

(٢٢٠) الآية ٢٨ من سورة « التوبة» .

(٢٢١) الآية ٧٩ من سورة « الواقعة » .

(٢٢٢) هذا شطر بيت من الشعر ، هو عجز البيت .

لَـعَـمْـرُك إنــنـــي لأُحِــبُّ داراً   تَحِــلُّ بهــا سُـكَيْـنَــةُ والــرَّبــابُ(٢٢٣)

فهذه الثلاثة التي تشدّ الرحال إليها ، وتجِدّ إليها الرجال : الرّكبان والرّجْل(٢٢٤) (م ٣٢) .

واعلم أن الإنسان إنما خلق في هذه الدنيا لتحصيل فوائد الأعمال الصالحة ، وليخرُجَ من بلاء الدنيا إلى راحة الدار الآخرة . وإذا نظر الإنسان إلى مضاعفة الأعمال في هذه المواضع ، كان عمره فيها بأعمار ، وكان رابحاً الأرباح المضاعفة في كل ليل يمر به وفي كل نهار . فَمَنْ مَنَّ الله تعالى (عليه)(٢٢٥) بالسّكن في هذه الأمكنة المشرّفة ، فَلْيكُنْ فيها على ساق الاجتهاد « بالتسيير »(٢٢٦) ، وليعملْ صالحا ، فإن أعماله في النموّ أبداً وفي التشمير ، وليحذرْ من « الخُرْق »(٢٢٧) فيها ، فإنه يَخْرِق به الحجاب بينه وبين الله تعالى ، فلا يكون له من العار ولا من النار وقاية ، ولا ينفعه عمارة ولا سقاية . .

وقد بَيّنَا أن هذين البيتين : مكة والبيت المقدس ، علامة الروحية ، فإن الله تعالى يقول : ومن كل شيء خلقنا زوجين »(٢٢٨) . فاقتضى هذا أن يكونا بيتين كما كانا ،

---

(٢٢٣) ينسب هذا البيت ، وبيت آخر بعده ، إلى الحسين بن علي ، ويقال إنه قالهما في ابنته سكينة وزوجته الرباب ، والبيتان هما :

لَـعَـمْـرُك إنـي لأحِـبُّ داراً   تحِلّ بها سكينةُ والربابُ
أحِـبُّـهـما وأبـذل كـلّ مالي   وليس للائمي عندي عتابُ

(انظر : « العمدة » لابن رشيق القيرواني.دار الجيل ، ط بيروت ، ١٩٧٢ ج ١ ص ٣٥) .

(٢٢٤) الرَّجْل : اسم للجمع عند سيبويه ، ورجّح أبو علي الفارسي ذلك . واحده : راجل . والراجل خلاف الراكب (لسان العرب ، مادة رجل) .

(٢٢٥) الكلمة ساقطة في الأصل ، ويقتضيها السياق .

(٢٢٦) في الأصل : « التسهي » ، ولا معنى لها ، ولابد أن تكون محرفة عن كلمة أخرى تنتهي بالحرفين «ي» و «ر» ، من أجل التوافق مع فاصلة السجع اللاحقة « التشمير » ولعل الكلمة الأصلية هي كلمة « التسيير » التي أوردناها .

(٢٢٧) في الأصل : « الحرق » ولا معنى لها هنا . يؤكد ما اخترنا إيراده الفعل اللاحق في العبارة : « يخرق » ، وكذلك ما يقتضيه السياق . والخرق : الجهل والحمق . (لسان العرب ، مادة خرق) .

(٢٢٨) الآية ٤٩ من سورة (الذاريات) .

(م ٣٢ : ٦،٧ .

وهذا أيضا سرٌّ دقيق ، فهما مشتركان في الطُّهْر . قال الله تعالى : ﴿ وإذْ بَوّأنا لإبراهيم مكان البيت ، أنْ لاتُشركْ بي شيئا وطهرّ بيتي للطائفين والعاكفين والركّع السجود ﴾[٢٢٩] . . . ومعلوم أن الله تعالى لم يُرِد بقوله : ﴿ وطهر بيتي للطائفين ﴾ بالماء ، وإنما أراد تطهيره من نجاسات الذنوب ، وخبائث أعمال السوء . والبيت المقدس ، هو المطهّر ، قد نزّل الله تعالى ذلك . فما ظنُّك بمن يراغمُ اللهَ تعالى في تنجيس هذه الأمكنة التي شرّفها الله وطهّرها . ونهى عن تدنيسها بالتنجيس وانتهاك الحرمات ؟! (م ٣٣) .

(فتح القدس على يد عمر رضي الله عنه)[٢٣٠]

قيل : لما وليَ عمر رضي الله عنه ، وجنّد الجنود ، وفتح الشام ، ولما نزل المسلمون على بيت المقدس ، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح ، رضي الله عنه ، حاصره وطال مقامهم عليه ، وبعثوا إلى أهله أن افتحوا لنا، على أن نؤمنكم على دمائكم وأموالكم . فبعثوا إليهم : إنا لا نثق بأيمانكم ، إلا أن تحضروا خليفتكم ، فإنه يذكر لنا عنه خير كثير وصلاح ، فإن جاء وأمّننا بأمانِهِ ، فتحْنا لكم .

وفي خبر آخر ، قال كبيرهم : إنا نجد في كتبنا أن لا يَفتَح مدينتنا إلا رجل صفته كذا وكذا . فإن جاء ورأينا صفته ، فتحْنا له . « فكتب »[٢٣١] أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنه ، « يخبره »[٢٣٢] بذلك ، ويرغبه في القدوم . .[٢٣٣] .

---

(٢٢٩) الآية ٢٦ من سورة « الحج » .

(٢٣٠) هذا العنوان الفرعي من وضع المؤلف . وقد اقتصرت فيما أوردته تحته من مادة على ما كان زائدا أو مختلفا كثيرا أو قليلا ، وذلك اجتنابا للتكرار .

(٢٣١) في الأصل : « فكتبوا » ، وهو خطأ لغة

(٢٣٢) في الأصل : « يخبرونه » وهو خطأ لغة .

(٢٣٣) النقط بعد كلمة « القدوم » إشارة إلى المادة التي حذفت تجنبا للتكرار

(م ٣٣ : ٧ ، ٨ ، ١٣ .

[يورد المؤلف بعد ذلك قصة استشارة الخليفة عمر لأصحابه بشأن القدوم إلى القدس ، وأخذه في النهاية برأي علي بن أبي طالب في القدوم ، وقد حذفتُ المادة التي أوردها المؤلف حول هذا الموضوع تجنبا للتكرار ، لأنها مطابقة لما أورده المشرَّف في المخطوطة السابقة . وبعد استجابة الخليفة لرأي عليّ ، خرج فعسكر ظاهر المدينة ، وأقام في الناس فقال :][٢٣٤] .

« الحمد لله الذي أعزَّنا بالإسلام ، وأكرَمَنا بالإيمان ، وَرَحِمَنا بمحمد ﷺ ، فهدانا من الضلالة ، وَجَمَعنا بعد الشتات ، وألّف بين قلوبنا ، ونصرنا على الأعداء ، ومكّن لنا في البلاد ، وجعلنا إخواناً متحابين في الله .فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة ، وسلوه الشكر عليها ، والمزيد منها ، وثمار ما أصبحتم تتقلّبون فيه منها ، فإن الله يزيد الشاكرين المستزيدين الراغبين ، ويتمّ نعمته على الشاكرين » .

وكان رضي الله « عنه »[٢٣٥] لا يَدَعُ هذا القول في كل غَداةٍ طولَ سفره . فلما « دنا »[٢٣٦] من الشام ، عسكَرَ حتى يلتمَّ إليه من تخلّف من العساكر . فما هو إلا أن طلعت الشمس ، حتى بدت الرايات والرماح ، وإذا الجنود قد أقبلت على الخيول ، « يَلْقَوْن »[٢٣٧] أمير المؤمنين رضي الله عنه . « فأخبروهم »[٢٣٨] بصلاح الناس . فسألوا عن عمر رضي الله عنه ، فلم يجبهم[٢٣٩] (م ٣٤) » أحدٌ عنه . حتى إذا كرروا السؤال قيل لهم : هذا أميرُ المؤمنين ! فذهبوا إليه يقتحمون عن خيولهم ، فناداهم عمر رضي الله عنه ، فسلموا عليه ، وساروا بين يديه صافيّ الخيول ، مشرعي الرماح ، حتى

---

(٢٣٤) مابين المعكوفتين من كلام مؤلف هذا الكتاب .

(٢٣٥) في الأصل : « عنهما » وهو خطأ في النسخ .

(٢٣٦) في الأصل : « دنى » وهو مخالف لما تعارفنا عليه من رسم الكلمة .

(٢٣٧) في الأصل : « ملقون » ، وهو تحريف للكلمة الأصلية .

(٢٣٨) في الأصل : فأخبروه ، وهو خطأ في النقل ، لأن الضمير في آخر الكلمة يعود إلى « الجنود » ، ولابد أن يكون في صيغة الجمع .

(٢٣٩) في الأصل : « يجبه » ، وهو خطأ لغة .

(م٣٤) : ٦٠ ، ٦١

طلع أبو عبيدة في عظماء الناس . فإذا أمير المؤمنين على قلوص ملتفعاً بعباءة ، ولها خطام من ليف ، « لابسا »[٢٤٠] سلاحه ، «متنكبا»[٢٤١] قوسه . وإذا أبو عبيدة مثله . فلما رأى عمر رضي الله عنه ، أناخَ قلوصه ، وأناخ عمر رضي الله عنه قلوصه ، وأقبل كل واحد منهما إلى صاحبه ، لا يتفاضل أحدهما على الآخر . فلما «دنا»[٢٤٢] عمر من أبي عبيدة ، مدّ أبو عبيدة يده إليه يصافحه ، فمد عمر رضي الله عنه يده إليه ، فأهوى أبو عبيدة ليقبلها ، يريد بذلك تعظيمه بين العامة ، فأهوى عمر إلى رِجْلِه ليقبّلها ! فقال أبو عبيدة : مَهْ[٢٤٣] يا أمير المؤمنين ! وتنحّى ، فقال عمر (رض) : فَمَهْ يا أبا عبيدة ! فتعانق الشيخان ، ثم ركبا يتسايران ويتحدثان . فتلقَّوْا أمير المؤمنين ببرذون وثياب بيض ، فسألوه أن يركب « البرذون »[٢٤٤] ليكون أهيب في عين العدو ، ويطرح الفروَ عنه ، ويلبس الثياب ، فأبى . فألحّوا عليه ، فركب « البرذون »[٢٤٥] « بفَرْوِهِ »[٢٤٦] وثيابه ، فهملجَ به البرذون ، وخطامُ راحلته بيده ، فنزلَ عنه وركب راحلته وقال : « لقد غيَّرني هذا البرذون حتى كدتُ أفقد نفسي ! عليكم يا معشر المسلمين »[٢٤٧] « بالقصد »[٢٤٨] ، وبما أعزَّكُمُ الله به .

ثم أمر أبا عبيدة بن الجراح « أن »[٢٤٩] يسير إلى إيليا ، ويامر أهلها بالحضور إليه

---

(٢٤٠) في الأصل : « لابس » ، وهو خطأ ، لأن الكلمة منصوبة على الحالية ومتوائمة مع « ملتفعا » .

(٢٤١) في الأصل : « متنكب » ، وهو خطأ ، لأن الكلمة حال منصوبة ، ومتوائمة مع « لابسا » .

(٢٤٢) في الأصل : « دنى » ، وهو خطأ في الرسم .

(٢٤٣) مه : اسم فعل أمر ، بمعنى « اكفف » (لسان العرب ، مادة مهه) .

(٢٤٤) في الأصل : « ليردون » ، وهو تحريف وخطأ في النسخ ، ولا معنى لها .

(٢٤٥) في الأصل : « المردون » ، وهو تحريف شديد للكلمة الأصلية .

(٢٤٦) في الأصل : « بعدده » ، وهو تحريف ، وما أثبتناه مطابق لما في « مثير الغرام » (انظر صورة المخطوطة ، ورقة ٣٩) .

(٢٤٧) في الأصل : « المسلمون » ، وهو خطأ لغة .

(٢٤٨) في الأصل : « التعبد » ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، كما في « مثير الغرام » (المخطوطة ورقة ٣٩) . والقَصْد : الاعتدال وسلوك الطريق الصحيح .

(٢٤٩) في الأصل : « إلى » وهو خطأ في النقل ، ولا يستقيم مع تركيب العبارة .

ليكتب لهم الأمان ، ويخبرهم بقدومه . ثم أذَّن بالرحيل ، وسار في أثَر أبي عبيدة ، حتى قدم أبو عبيدة ، وأخبرهم بذلك ، وألقى إليهم ما قال ، فنزل إليه عظيمهم .

وفي حديث آخر ، لم ينزلْ ، حتى قدم أمير المؤمنين عمر ، رضي الله عنه وعايَنه وأنّه الذي عندهم في الكتب . ففتحها ، وعرفوه بحِلْيَتِه ومركوبه وثيابه ، كما (م ٣٥) هو منصوص في كتبهم ؛ ، فنزلوا إليه وصالحهم ، وكتب لهم .

قيل : ولما اعترضتْ عمرَ رضي الله عنه في طريقه المخاضة إلى بيت المقدس ، نزل عن بعيره ، وأخذ خِطامَه بيده ، ونزع مُرَقَّعَتَهُ ، فأمسكها بيده ، وخاض يقود بعيره . فقال أبو عبيدة : لقد صنعتَ اليوم صُنْعاً عند أهل الأرض[٢٥٠] ! فَصَكَّ عمر رضي الله عنه في صدره وقال : أوَ لو غيرُك يقولُها يا أبا عبيدة ! إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقرَ الناس ، وأقلَّ الناس ، فأعزكُم الله تعالى بالإسلام . فمهما تطلبوا العزّ في غيره يذلَّكم الله عز وجلّ .

وفُتحتْ إيليا وأراضيها كلها على يد عمر رضي الله عنه ، ما خلا أجنادين ، فإنها فتحت على يد عمرو ، « وبيسان »[٢٥١] ، على يد معاوية . وكان كتابُ عمر رضي الله عنه لأهل إيليا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما «أعطى »[٢٥٢] عبدُالله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا : أعطاهم أمانا لأنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وصلبانهم ، و« مقيمها »[٢٥٣]

(٢٥٠) أهل الأرض : أي سكان البلاد . والمقصود بالعبارة من الخليفة بتواضعه قد فعل فعلا عظيما أمام سكان البلاد .

(٢٥١) في الأصل : « قيسان » ، وهو تحريف .

(٢٥٢) في الأصل : « أعطا » ، وهو مخالف للرسم المتعارف عليه بيننا .

(٢٥٣) في الأصل : « سقيمها » ، وهو تحريف ، ولا معنى له هنا ، والصواب ما أثبتناه كما في « الأنس الجليل » . (انظر جزء ١ ص ٢٥٣) .

(م ٣٥) : ٦٢ .

ويرّيها وسائر ملتها ، أنه لا تُسْكَن كنائسُهم ولا تُهْدَم ، ولا يُنتقَص منها ولا من حيّزها ، ولا من « صليبهم »[٢٥٤] ولا شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ولا « يضار »[٢٥٥] أحد منهم ولا يَسكُن إيليا معهم أحدٌ من اليهود . وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما « يعطيها »[٢٥٦] أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم « واللصوص »[٢٥٧] . ومن خرج منهم ، فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم . ومن أقام فيها فهو آمن ، وعليه كما على أهل إيليا من الجزية . ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بماله وأهله مع الروم و « يخلي بيعتهم وصليبهم»[٢٥٨] « فإنهم »[٢٥٩] آمنون على (أنفسهم)[٢٦٠] وعلى بيعتهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان فيها من أهل الأرض (. . .)[٢٦١] ، فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيليا . من الجزية ، (م ٣٦) ومن شاء سار « مع »[٢٦٢] الروم و « ومن »[٢٦٣] شاء رجع إلى أرضه ، ولا يؤخذ منه شيء حتى يُحْصَد حَصادُهم . وعلى مافي هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله ﷺ ، وذمة أمير المؤمنين إذا أعْطَوا الذي عليهم من الجزية .

---

(٢٥٤) في الأصل : « صليبها » ، والصواب ما أثبتناه كما في « الأنس الجليل » (جزء ١ ص ٢٥٣)

(٢٥٥) في الأصل : « يضا » ، وهو بتر للكلمة . والصواب ما أثبتناه كما في « مثير الغرام » (انظر صورة المخطوطة ورقة ٤٠) .

(٢٥٦) في الأصل : « يعطوها » وهو خطأ في النقل واللغة .

(٢٥٧) في الأصل : « واللصوق » ، وهو تحريف وخطأ في النسخ .

(٢٥٨) في الأصل : « ودخل معهم وصليبهم » ، وهي عبارة مضطربة لا معنى لها ، والصواب ما أثبتناه كما في « الأنس الجليل » (انظر جزء ١ ص ٢٥٣) .

(٢٥٩) في الأصل : « هم » ، وما أثبتناه يتمشى مع قواعد اللغة ويطابق ما جاء في « الأنس الجليل » (انظر جزء ١ ص ٢٥٣) .

(٢٦٠) ساقطة في الأصل .

(٢٦١) كلمات غير مقروءة ، وليس من شأنها أن تضيف أي معنى ، وهي غير موجودة في « الأنس الجليل » ، (انظر جزء ١ ص ٢٥٣) .

(٢٦٢) في الأصل : « معهم » ، وهو خطأ في النقل .

(٢٦٣) في الأصل : « وما » ، وهو خطأ لغة .

(م ٣٦) : ٦٢ ، ٦٣ .

شهد على ذلك : خالد بن الوليد وعمرو[٢٦٤] بن العاص ، وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان ، وَكَتَبَهُ . وحُضِّر سنة خمس عشرة » .

وعن شداد بن أوس ، أنّه حضر عمر رضي الله عنه ، حين دخل مسجد بيت المقدس يوم فَتَحَهُ الله عز وجل بالصلح ، وقد دخل من باب محمد[٢٦٥] حَبْواً ومَنْ دَخَل معه ، حتى ظهر على صحنه ، ونظَر يميناً وشمالاً ، ثم كبَّرَ وقال : هذا والذي نفسي بيده ، مسجد داود عليه السلام ، أخبرنا رسول الله ﷺ أنه أُسْرِيَ به إليه . « وتقدم »[٢٦٦] إلى مُقَدَّمِه بما يلي الغرب وقال : نتخذها هنا مسجدا للمسلمين . .

فلما فرغ عمر رضي الله عنه من أمر إيليا ، وكتب الصلح ، قال لبطريقها : دُلَّني على مسجد داود . قال نعم ! فخرج عمر رضي الله عنه (متقلِّداً)[٢٦٧] سيفه في أربعة آلاف من أصحابه الذين قدموا معه ، متقلدين سيوفهم ، وطائفة ممن كانوا على إيليا من المسلمين قبل قدوم عمر رضي الله عنه ، ليس عليهم سلاح إلا السيوف ، والبطريق بين يدي عمر ، حتى دخلوا بيت المقدس . . فانطلق به إلى مسجد بيت المقدس ، حتى « أتى »[٢٦٨] إلى بابه الذي يقال له : باب محمد ﷺ ، وقد انحدر مما في المسجد من المزبلة على درج الباب ، حتى خرج على الزقاق الذي فيه الباب ، وكَثُر

---

(٢٦٤) في الأصل : « عمر » وهو خطأ في الرسم . هذا وقد ذكر ابن رسته أنّ فتح القدس كان سنة ست عشرة (انظر : « الأعلاق النفسية » ، ط ليدن ١٩٦٧ ، ص ٣٣٩) .

(٢٦٥) باب محمد : الأرجح أنه الباب الذي سماه ناصر خسرو « باب النبي عليه الصلاة والسلام » ، وهو بجانب القبلة في المسجد الأقصى ، أي في الجنوب ، وقد ذكر هذا الرحالة الفارسي أبعاد الباب عندما زار المسجد الأقصى ، فقال إن عرضه عشرة أذرع وارتفاعه متفاوت حسب المكان ، فهو في مكان خمس أذرع . أي علو سقف الممر ، وفي مكان آخر عشرون والجزء المسقوف من المسجد الأقصى مشيد فوق هذا الممر ، وهو محكم بحيث يحتمل أن يقام فوقه بناء بهذه العظمة دون أنّ يؤثر فيه قط . ثم إنّ هذا الباب هو الذي دخل منه نبينا ﷺ إلى المسجد ليلة المعراج ، وأنه على جانب طريق مكة (سفرنامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، ط بيروت ١٩٧٠ ، ص ٦٤) .

(٢٦٦) في الأصل : وتقدمه وهو خطأ في النقل واللغة .

(٢٦٧) الكلمة ساقطة ، ويقتضيها السياق وهي في « الأنس الجليل » : مقلَّدا بسيفه . انظر جزء ١ ص ٢٥٥) .

(٢٦٨) في الأصل : « اتا » ، وهو خطأ في الرسم .

على الدرج حتى كان أن يلتصق (بسقفه)(٢٦٩)، فقال له: لن نقدر أنْ ندخله «إلا»(٢٧٠) حَبْواً. قال عمر: ولو حبواً! فحبا بين يدي عمر رضي الله عنه، وحبا خلفه ومن معه. حتى «أفضى»(٢٧١) إلى صخرة بيت المقدس «واستَوَوْا»(٢٧٢) فيه قِياماً. فنظر عمر رضي الله عنه، وتأمل مليا ثم قال: هذا (م٣٧) «والله الذي»(٢٧٣) وصفه لنا رسول الله ﷺ. ومضى نحو محراب داود عليه السلام، والجماعة معه، فدخله، ثم قرأ «سورة»(٢٧٤) ص، فسجد، وسجدنا معه...

ولما دخل عمر رضي الله عنه المسجد، ومعه كعب الأحبار، قال له: أتعرف موضع الصخرة يا أبا إسحاق؟ فقال: اذرعْ من الحائط الذي يلي وادي جهنم كذا وكذا ذراعا، ثم احفر، فإنك تجدها. قال: وهي يومئذ مزبلة، فحفر، فوجدوها. فقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار: أين ترى أن نجعل المسجد، أو قال: القبلة؟ فقال اجعلْهُ خلف الصخرة. فَتُجْمَع القبلتان: قبلة موسى عليه السلام، وقبلة محمد ﷺ. فقال: «ضاهَيْتَ»(٢٧٥) قبلةَ اليهود يا أبا إسحاق! خير المساجد مُقَدَّمُها. قال: فبنى(٢٧٦) القبلة في مُقَدَّم المسجد..

قال: ثم إن عمر رضي الله عنه، لما كشف عن الصخرة، وعلم مكانها، ملأ

---

(٢٦٩) ساقطة، وقد وردت في «مثير الغرام» (انظر المخطوطة، ورقة ٤٣).

(٢٧٠) في الأصل: «إلى»، وهو خطأ في الرسم.

(٢٧١) في الأصل: «أقمي» ولا معنى لها، وهي تحريف شديد، وخطأ من الناسخ.

(٢٧٢): في الأصل: «واستوقفوا»، ولا معنى لها هنا، وهي تحريف شديد.

(٢٧٣) في الأصل: «والذي» فقط، وما أثبتناه أصح لغة وتركيبا، وقريب مما أورده صاحب «مثير الغرام». (انظر صورة المخطوطة، ورقة ٤٢).

(٢٧٤) في الأصل: «سجدة»، وهو خطأ واضح من الناسخ.

(٢٧٥) في الأصل: «ظاهينا»، وهو تحريف يشوه المعنى المقصود، والصواب ما أثبتناه لاتساقه مع المعنى المراد.

(٢٧٦) في الأصل: «فينا»، وهو مخالف للرسم المتعارف عليه للكلمة.

(م ٣٧ : ٦٣، ٦٤، ٦٥.

ذيل قميصه من الزبل الذي كان عليها وحمله ، وملأ الناس كلهم أذيال ثيابهم تشبُّهاً به ، حتى ألقوه في الوادي ، إلى أن خلا المكان عن مصلّى جماعة المسلمين ، فاتخذه مُصَلًّى.وفي حديث أنه أمر ألّا يصلّوا على الصخرة حتى تُطَيَّبها ثلاث مَطَرات. وسخّر عمُر رضي الله عنه أنباط فلسطين في كنس بيت المقدس ، وكانت فيه مزابل عظيمة . . .

وبعد ذلك ، رجع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى المدينة الشريفة مُؤَيَّداً منصوراً ، وفرح المسلمون بالسلامة ، وكان عساكر المسلمين إذ ذاك في فتوح الشام ، ورجع أبو عبيدة بن الجراح إلى بلاد الشام ، وجرت لهم أمور في الفتوحات شرحها الواقدي وغيره ، والله تعالى أعلم . . . (م ٣٨) .

ذكر بناء عبدالملك بن مروان بيت المقدس

[رواية بناء عبدالملك بن مروان لقبة الصخرة لاتكاد تختلف في هذه المخطوطة عن رواية أبي المعالي المشرّف بن المرجّى المقدسي التي وردت في المخطوطة السابقة ولذا ، لم أر داعيا إلى التكرار] [٢٧٧]

(م ٣٩)

استيلاء الفرنج على بيت المقدس[٢٧٨]

ولم يزلْ أمر بيت المقدس في شعاره ومصابيحه ، وأكثر من ذلك ، إلى وقت قريب من « اغتيال »[٢٧٩] الفرنج له . قيل إنه سقط منه تنور فضه فيه خمس مائة

---

(٢٧٧) المؤلّف

(٢٧٨) العنوان الفرعي هذا من وضع مؤلف الكتاب ، ولم يُفْرَدْ في المخطوطة .

(٢٧٩) في الأصل : « اغنيا » ، وهو تحريف وبتر من الناسخ للكلمة المقصودة .

(م ٣٨) : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .

(م ٣٩) : ٦٨ - ٧١ .

قنديل ، وكان ذلك في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ، فتطيّرَ المقيمون ببيت المقدس في ذلك فقالوا : ليَكونَنَّ في الإسلام حادث عظيم ! فطرق الفرنج بلاد الشام ، وامتدت بهم الأيام إلى أخذ بيت المقدس . وكان الأمر قد تفرّق ، وانتُزِع ممَّنْ كان بمصر من المقدَّمين ، ولم يطيقوا حياطته ، وجعله الفرنج نَصْب أعينهم ، مع غفلة أولئك عنه ، « واستهانتهم »[٢٨٠] بأمر الفرنج ، وأولئك يدققون للحيل في اغتيال المسلمين ، إلى أن أمكَنَهُم ذلك في يوم الجمعة ، الثاني والعشرين من شعبان ، الموافق لتموز ، سنة اثنتين وتسعين وأربع مائة ، والمسلمون في صلاة الجمعة ، واليهود قد اشتغلوا في « التهيؤ »[٢٨١] للسبت . فهجم الإفرنج (على)[٢٨٢] البلاد هجمة المغتال ، ووجدوه صفرا من المقاتل لهم ومن المقابل ، فأراقوا الدماء واسْتاقوا العبيد من الأحرار والإماء ، وكان أكثر فتكهم في اليهود ، وجَرَوْا في ذلك على السُّنَن المعهود ، لأنّ الله تعالى قد وعدهم ، ومن أصدق من الله قيلا ، فقال : « ملعونين أينما ثُقِفوا ، أُخِذوا فَقُتِّلوا تقتيلا »[٢٨٣] . .

[حذفت المادة اللاحقة عن تفصيلات تتعلق بالحروب التي تدعى عادة بالحروب الصليبية ، لأن ما ورد في المخطوطة موجود في « الفتح القسي في الفتح القدسي » للعماد الأصفهاني ، وفي كتب أخرى مطبوعة ، ولا يضيف جديدا][٢٨٤] (م ٤٠) .

---

(٢٨٠) في الأصل : « استهوانهم » ، وما أثبتناه هو الأفصح والأشيع في الاستعمال .

(٢٨١) في الأصل : « التهي » ، وهو خطأ في الرسم .

(٢٨٢) الكلمة ساقطة في الأصل ، ويقتضيها السياق والتركيب اللغوي .

(٢٨٣) الآية ٦١ من سورة « الأحزاب » .

(٢٨٤) المؤلف .

(م ٤٠) : ٧٤ ، ٧٥ ـ ٨٠ .

فضل السُّكنى في بلاد الشام[٢٨٥]

. . . وعن عبدالله بن حوالة ، قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فشكوا إليه الفقر والجوع . فقال رسول الله ﷺ : « أبشروا ، فوالله إنني لَمِنْ كثرة الشيء أخوفُ عليكم من قلّتِه . والله لا يزال هذا الأمرُ فيكم . حتى يفتح الله لكم أرض فارس وأرض الروم وأرض حِمْيَر ، وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة : (جندا)[٢٨٦] ، بالشام وجنداً بالعراق ، وجنداً باليمن ، وجنداً يُعْطى الرجل المائة فَيَتَسخَّطُها » .

قلت : يا رسول الله فمن يستطيع الشام وفيها الروم ذات القرون ؟! فقال رسول الله ﷺ : « لَيَسْتَخْلِفَنَّكُمُ الله فيها . . . » قال ابن حوالة : فقلت : يا رسول الله ، اخترْ لي إنْ أدركَني ذلك . قال : أختارُ لك الشام ، فإنها صفوة الله في بلاده ، وإليها يَجْتبي صفوة عباده » . (م ٤١) .

(٢٨٥) العنوان الفرعي هذا من وضع مؤلف الكتاب .

(٢٨٦) في الأصل : « جند » وهو خطأ لغة ، لأن الكلمة بدل تفصيل من « إجناداً » المنصوبة .

(م ٤١) : ٨٢ .

الخاتمــة

وهذا آخر ما اختصره كاتبه من النسخة ، وهي قديمـة ، لكنها سقيمـة ، وقد أصلحَ مـا أمكَنَه إصـلاحه ، والبـاقي على هيئته كمـا وجده ، ونسـأل الله عز وجـل المسامحة والغفران . فمن وجد في هذا التعليق غَلَطاً فأصلَحَهُ ، آجَرَهُ الله على ذلك . نفع الله به كاتبَه ومطالعَه ومن انتفع به ، ورحم مصنِّفَهُ وفتح لنا بخير أجمعين . وكان الفراغ منه عشية الخميس ثالث شهر الله المحرم ، من شهور سنة سبع(٢٨٧) وعشرين وتسعمائة . وحسبنا الله ونعم الوكيل » . (م ٤٢) .

---

(٢٨٧) في الأصل : « سبعة » وهو خطأ لغة .

(م ٤٢) : ١٦١ .

ذون اتباعهم بل يحذرون لهم دعونهم وان
كان اولئك غافلون عن اجماعهم في سرهم وان اتبعهم
واني لاهواه واهوائهم [illegible] ذلك يكون به من كل عيب خلوا
فمارعت وصلاه من الا وجدت من سرانيتي منه لنفسي منفعا
وقد سرني فيه [illegible] مع الناس [illegible]
ومعني اخر وهو ان الله تعالى علم مناصبة
اليهود لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانهم ربما
ينقصوه الامر الذي يكون لموسى عليه السلام يردونه
فما كان ليجعل لموسى اسرا الا يكون [illegible]
ولما علم الله تعالى ان محمد صلى الله عليه وسلم لا [illegible] الارض
المقدسه الا ما سواه لم يرها موسى لا كذلك
حتى يتساوى القدمان ولا يجد اليهود اسرا ينطقون
فيه الى تنقيص حظ نبينا صلى الله عليه وسلم من الفضل
[illegible] موسى عليه السلام حاشى عن هذا فضلا
[illegible] تشركهم في ذلك

[illegible] سبيله الى التنقص [illegible]
الله تعالى ذلك [illegible] نبيه [illegible]
لموسى صلوات الله عليه الا وهي لنبينا محمد صلى الله عليه [illegible]
اذا نظروا وانصفوا اخبروا انهم يعرفون ذلك [illegible]
لم يعرفوا فهذه سنة الله تعالى اسرارا دقيقة
ومعاني عليه لمن نظر اليها بعين الحقيقة والله تعالى
يجعلنا ممن الهمه [illegible] واستخلصه [illegible]
وعرفه مواقع نعمه واوزعه شكره عليها وحمده
وهذا اخر ما [illegible] كانت من النسخه وفي
[illegible] اصلاحه
والباقي على هيئته كما وجدته ونسأل الله عز وجل
السامحه والغفران فيما وجدتني هذا التعليق غلطا
فاصلح اجره الله على ذلك نفع الله تعالى به كاتبه وطالعه
ومن انتفع به ورحم مصنفه وختم لنا بخير اجمعين
وكان الفراغ منه عشية الخميس ثالث شهر الله
المحرم من شهور سنة سبع وعشرين و[illegible]
وحسبنا الله ونعم الوكيل

● صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة المحتوية

على الخاتمة ص ١٦١

المخطوطة الثالثة

كتاب
فيه فضائل بيت المقدس وفضل الصلاة فيها

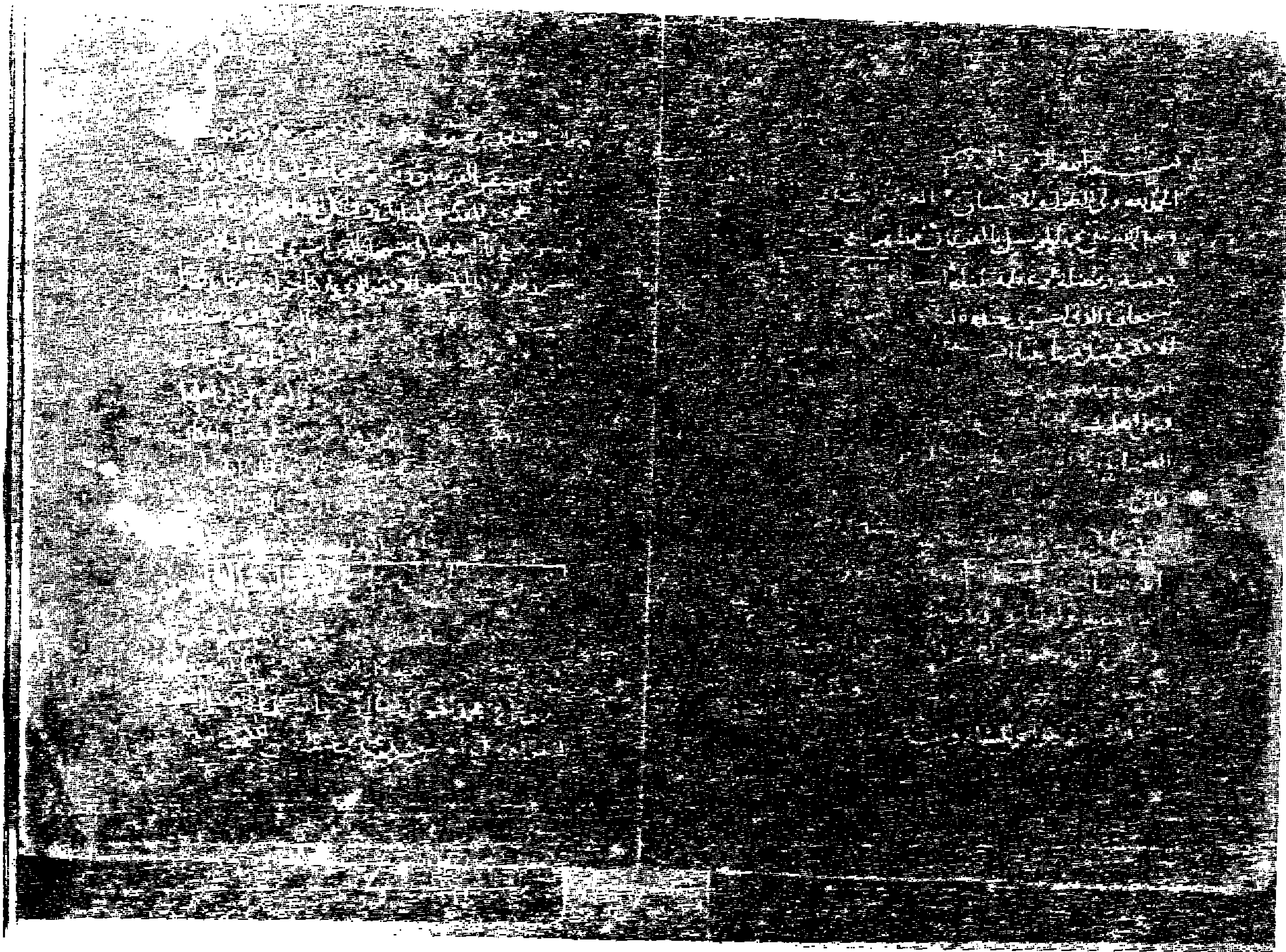
تأليف

شمس الدين محمد بن محمد بن حسين الكنجي

من

رجال التصوف عاش في القرن السابع الهجري

● صورة صفحة الغلاف من المخطوطة .



● صورة الورقة الثانية من المخطوطة ، وفيها المقدمة

المؤلــف

جاء في « طبقات الشافعية » ، الذي ألفه جمال الدين عبدالرحيم الإسنوي المتوفّى سنة سبعمائة واثنتين وسبعين هجرية ، أنّ مؤلف هذه المخطوطة ، هو شمس الدين محمد ابن محمد بن الحسين الكنجي ، الصوفي المحدّث ، المتوفّى سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة ، وذكر له كتابا بعنوان « تاريخ بيت المقدس » ، قال إن ابن رافع السلامي قد وقف عليه .[288]

ويقول صاحب « الأعلام » عن المؤلف ، إنه محمد بن محمد بن حسين بن عبدك ، ويوضح أن كلمة « عبدك » ، هي اختصار لعبدالكريم ، بن إبراهيم الكنجي ، أبو عبدالله شمس الدين ، مؤرخ صوفي عالم بالحديث . ثم يذكر عنه أنه رحل في طلب الحديث إلى الشام ومصر والعراق ، كما سمع الحديث في الحجاز ، وجاور ، وسكن بيت المقدس ، إلى أنْ توفي فيه ، ودفن في مقبرة « مامّلا » . وأضاف أن الكنجي قد جمع تاريخاً كبيراً لبيت المقدس ، ولا شك في أنه التاريخ الذي أشار إليه الإسنوي ، ونقل عن من اسمه « البرزالي » أنه رأى أكثره بخط المؤلف . ثم قال إن الكنجي قد جمع كذلك معجماً لنفسه[289] .

---

(٢٨٨) انظر « طبقات الشافعية » ، لجمال الدين عبدالرحيم الإسنوي ، ط الرياض ١٩٨١ جزء ٢ ص ٤١٢ (الحاشية) .

(٢٨٩) انظر : « الأعلام » لخير الدين الزركلي ، ج ٧ ص ٢٥٩ .

نسخ المخطوطة

جاء في « مخطوطات فضائل بيت المقدس : دراسة وببليوغرافيا »[٢٩٠] ، أنّ مخطوطة فريدة من كتاب الكنجي ، موجودة الآن في مكتبة جامعة توبنجن بألمانيا تحت رقم ٢٦ ، وأن هذه المخطوطة هي ضمن مجموع يحمل هذا الرقم ، ويضم معها « كتاب فيه فضائل بيت المقدس » لأبي إسحاق إبراهيم المكناسي و « كتاب فيه فضائل الشام وبيت المقدس وعسقلان وغزة والرملة وأريحا ونابلس وبيسان ودمشق ، وحمص » لمؤلف مجهول .

ويرجح أن هذه المخطوطة ، هي الكتاب نفسه ، الذي أشار إليه كل من جمال الدين الإسنوي في « طبقات الشافعية » والزركلي في « الأعلام » وأسمياه « تاريخ بيت المقدس » .

فإذا كان هو الكتاب نفسه ، فإنه قد يكون الكتاب الذي وصفه روزنتال بأنه تاريخ كبير للقدس[٢٩١] .

وصف المخطوطة التي اعتمدت عليها

المخطوطةالتي اعتمدت عليها هي صورة المخطوطة « توبنجن » المشار إليها آنفاً . وتقع أوراقها مابين رقم ٦٢ ـ الصفحة المحتوية عنوان المخطوطة واسم مؤلفها ، ورقم ٩٧ ـ الصفحة المحتوية خاتمة المخطوطة . وتشتمل كل ورقة من أوراق المخطوطة على صفحتين ، وطول كل ورقة من أوراقها الخمس والثلاثين ٢٤ ١/٢ سم ، وعرضها ١٦ ١/٢ سم ، وتحتوي كل صفحة (١٧) سطراً . وعلى الرغم من أنّ الخط الواضح في الصفحات جيد ، إلا أنّ قسماً كبيراً من صفحات المخطوطة مطموس ، ولايكاد يقرأ إلا بمشقة وصعوبة كبيرتين .

---

(٢٩٠) « مخطوطات فضائل بيت المقدس : دراسة وببليوغرافيا ص ٥٥ .

(٢٩١) Franz Rosenthal: A History of Muslim Historiography Liden, E.J. Brill, p. 465.

تضم المخطوطة في مجملها أربعين بابا في فضائل القدس ، اتّبع المؤلف في كتابتها طريقة الإسناد ، وتنتهي بتأريخ المؤلف لبناء مسجد القدس القديم ، ثم بناء مسجد قبة الصخرة على يد عبدالملك بن مروان ، وبإيراد معلومات مختلفة حول هذا الموضوع .

أول المخطوطة : « بسم الله الرحمن الرحيم » . الحمد لله وليّ الطَّوْل والإحسان ، العظيم الفضل والامتنان . وصلى الله على محمد المرسل بالفرقان . مظهر المعجزات والبرهان . وخصّة وفَضَّلَهُ وعظَّمَهُ بليلة أُسْرِيَ (به)[٢٩٢] فقال عزّ من قائل :

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد **الأقصى** . . ﴾ فجعل منها بيتا أسّسَ على التقوى ، وقبلة عظيمة لمن اهتدى ، وبيتا فضّلَهُ بالنبي المصطفى ﷺ وعلى أهل بيته الطاهرين . . . »

وآخر المخطوطة : « هذا آخر ما جمعت من فضائل بيت المقدس ، وليستْ من قواعد الإحكام التي يجب فيها الإتقان والإحكام . فقد قال أئمة الحديث : كنا إذا روينا عن النبي ﷺ الحديث في الإحكام والسُّنَن والفرائض ونحوها شدَّدْنا ، وإذا رَوَيْنا في النوافل والرغائب والفضائل ، سامحنا . وهذا المجموع من ذلك القبيل . وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

المختار من المخطوط

الباب الثالث عشر في تحويل القبلة

عن البَراء في قوله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾[٢٩٣] ، أي صلاتكم نحو

---

(٢٩٢) ساقطة ويقتضيها السياق ، والتركيب اللغوي .

(٢٩٣) الآية ١٤٣ من سورة « البقرة » .

بيت المقدس . وعن البراء بن عازب أيضا قال : صلّيتُ مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا . . .

الباب الخامس والثلاثون
في بيت المقدس أنّه قُدْسُ القدس

عن أبي عبدالله الجَزَري قال : الشام مباركة ، وفلسطين مقدسة ، وبيت المقدس قُدْسُ القُدْس .

وقال ثور بن يزيد[٢٩٤] : قُدْسُ الأرض الشام ، وقُدْسُ الشام فلسطين . وقُدْس فلسطين بيتُ المقدس ، وقدس بيت المقدس الجبل[٢٩٥] ، وقدس الجبل المسجد[٢٩٦] ، وقدس المسجد القبّة[٢٩٧] .

الباب السابع والثلاثين : في الجبال المقدسة

عن أبي هريرة : أقسمَ ربّنا بأربعة أجبل ، فقال : ﴿ **والتين والزيتون وطور سينين . وهذا البلد الأمين** ﴾[٢٩٨] . فالتين : جبل دمشق ، والزيتون : طور زيتا وهو مسجد بيت المقدس . وطور سينين : الجبل الذي كلم الله عليه موسى . والبلد الأمين جبل مكة . (م ٤٣) .

---

(٢٩٤) ثور بن يزيد : هو ثور بن يزيد الكلاعي ، من أهل حمص ، ويكنى أبا خالد ، وكان ثقة في الحديث ، مات ببيت المقدس سنة ثلاث وخمسين ومائة ، في خلافة أبي جعفر المنصور ، وهو ابن بضع وستين سنة . (انظر طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٤٦٧) .

(٢٩٥) الجبل : المقصود الجبل الذي بني عليه المسجد الأقصى .

(٢٩٦) المسجد : هو المسجد الأقصى .

(٢٩٧) القبة : أي قبة الصخرة .

(٢٩٨) الآيتان ١ ، ٢ من سورة « التين » .

(م ٤٣) : ٦٩ ، ٨٤ ، ٨٥ .

الباب الأربعون
في تسمية إيليا وبيت المقدس والمسجد الأقصى

. . . (عن) معاوية بن صالح[٢٩٩] ، عن بعضهم ، قال : لا تَدْعُ المدينةيثرب ، ولا بيتَ المقدس إيليا . وقال أبو جعفر ، أحمد بن محمد النحاس النحوي[٣٠٠] في قوله تعالى : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** . . ﴾[٣٠١] ، كان الأنبياء الذين كانوا بعد موسى ﷺ ، كانوا ببيت المقدسْ وما حوله ، فبارك الله في تلك المواطن ، بأنْ باعدَ الشرك عنها ، ولهذا سُمِّيَ بيتَ المقدس ، لأنه قُدِّس : أي طُهِّر من الشرك .

(وعن) أبي الفتح الداري[٣٠٢] قال : المسجد الأقصى هو بيت المقدس وقيل الأقصى : لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام .

وعن إبراهيم بن أبي عبلة[٣٠٣] عن أبيه ، قال : لما قدم عمر رضي الله عنه بيت

---

(٢٩٩) معاوية بن صالح : عدّه ابن سعد في الطبقة السادسة من التابعين ممن نزلوا الأندلس . وهو معاوية بن صالح الحضرمي ، كان قاضيا لهم ، وكان ثقةً كثير الحديث . حجّ حَجّة واحدة ، ومرّ بالمدينة فلقيه جماعة من أهل العراق . توفي سنة ثمان وخمسين ومائة للهجرة . ومن الذين روى عنهم الحديث ، علي بن طلحة الذي روى عن ابن عباس . (انظر « طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٥٢١ « و « سيزكين » ، مجلد ١ جزء ١ ص ٦٧) .

(٣٠٠) أبو جعفر النحاس : هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري النحوي ، كان يُنَظِّرُ بابن الأنباري ونفطويه . وقد كان كذلك مفسّراً أديبا ، زار العراق واجتمع بعلمائه : وقد أخذ عن الأخفش الصغير وغيره وروى الحديث عن النَّسائي ومن مصنفاته « تفسير القرآن » و « إعراب القرآن » و « معاني القرآن » و « شرح المعلقات » . ولد في مصر ، وتوفي فيها سنة ٣٣٨ هـ . (انظر شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٤٦ ، و « سيزكين » ، مجلد ١ جزء ١ ص ٦٧ ، و « الأعلام » ، جزء ١ ، ص ١٩٩) .

(٣٠١) الآية ١ من سورة « الإسراء » .

(٣٠٢) أبو الفتح الداري : لعله أحمد بن يزيد بن روح الداري الذي يعد من أهل فلسطين . سكن بيت المقدس ، وهو من رهط تميم الداري . (انظر الأنساب للسمعاني ، ط بيروت ١٩٨٠ ، ج ٥ ص ٢٥٣) .

(٣٠٣) إبراهيم بن أبي عبلة : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

المقدس ، عسكر في طورزيتا ، ثم انحدر ، فدخل من باب النبي ﷺ ، فلما استوى في المسجد ، نظر يمينا وشمالا ثم قال : « هذا والذي لا إله إلا هو مسجدُ سليمان بن داود ﷺ ، أخبرنا به رسول الله ﷺ أنه أُسْرِيَ به إليه » . ثم أتى غربيّ المسجد ، ثم قال : اتخذوا للمسلمين ههنا مسجدا يصلّون فيه . (م ٤٤) .

باب بناء صخرة بيت المقدس والمسجد

[مادة هذا الباب وردت في المخطوطة الأولى : « فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام » للمشرّف بن المرجّى بن إبراهيم المقدسي ، ولذا فلا نرى داعيا لإيرادها هنا ، وذلك تجنبا للتكرار[٣٠٤] . .]

---

(٣٠٤) المؤلّف

(م ٤٤) : ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٤ .

خاتمة المخطوطة

. . . « هـذا آخر مـا جمعتُ من فضائـل بيت المقدس . وليست من قـواعد الأحكام التي يجب فيها الإتقان والإحكام . فقد قال أئمة الحديث : كنا إذا روينا عن النبي ﷺ الحديث في الإحكام والسُّنَن والفرائض ونحوها ، شدَّدْنا ، وإذا روينا في النوافل والرغائب والفضائل ، سامَحْنا ، وهذا المجموع من ذلك القبيل .

وحسبنا الله ونعم الوكيل (م ٤٥)

انتهى

(م ٤٥) : ٩٤-٩٦ ، ٩٧

يعملون المناجح للعباد بل في الافراح والزفافات وغير ذلك
لا يوخذ منهم جزية وكذلك لا يوخذ جزية من الذين يعرفون
بالسراقة [illegible] الذي للصالح [illegible] عليه وعلى اولاد آدم ابدا
ما ثنا سلوا من عهد عبد الملك بن [illegible] الى [illegible]
سبعمائة ذراع وخمسة [illegible] ذراعا بذراع الملك وعرضه
مائة ذراع وخمسة وستون ذراعا بذراع [illegible]
آخر ما جمعت من فضائل بيت المقدس و[illegible]
الاحكام التي يحتج بها الايمان والاحكام [illegible] الحديث
كما رووها عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث [illegible]
والشعر والفرائض ونحوها مسندة وادوها في [illegible]
والرغائب والفضائل صاحبنا وهذا المجموع من ذلك القليل
وحسبنا الله ونعم الوكيل
تم

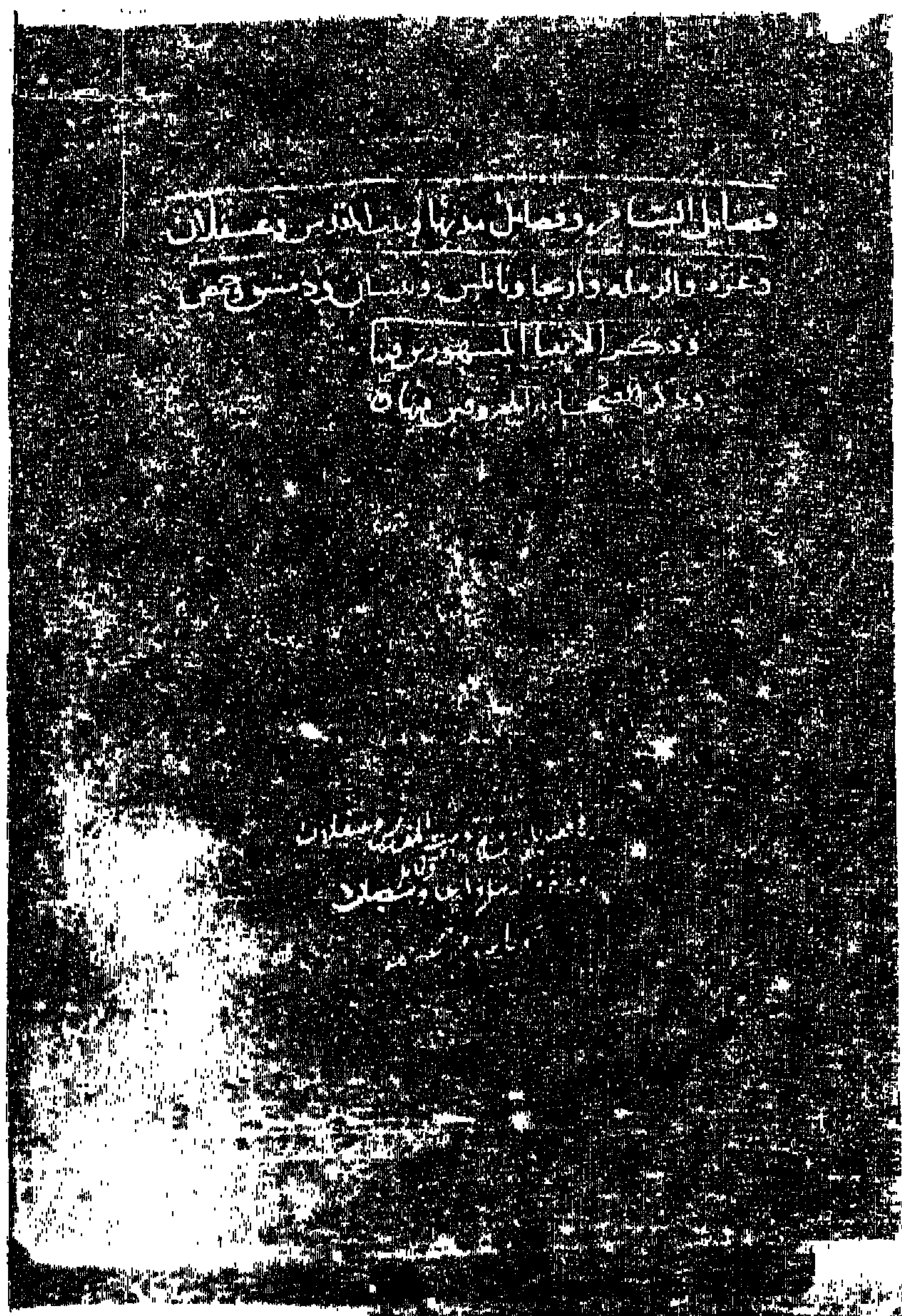
● صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

المخطوطة الرابعة

« فضائل الشام وفضائل مدنها
وبيت المقدس وعسقلان وغزة والرملة وأريحا
ونابلس وبيسان ودمشق وحمص
وذكر الأنبياء المشهورين فيها
وذكر الصحابة والمعروفين فيها

مجموع مع كتاب فضائل القدس وفضل الصلاة فيها لمحمد بن محمد
ابن حسين الكنجي
ومع مخطوطة المكناسي اللاحقة لهذه المخطوطة

لمؤلف مجهول


فضائل الشام وفضائل مدنها وبيت المقدس وعسقلان
وغزة والرملة وأريحا ونابلس وبيسان ودمشق وحمص
وذكر الأنبياء المشهورين فيها
وذكر الصحابة المدفونين بها

● صورة صفحة الغلاف

● صورة الورقة الأولى من المخطوطة رقم ٩٨

نسخ المخطوطة

تشكّل هذه المخطوطة كما جاء في « مخطوطات فضائل بيت المقدس »(٣٠٥) القسم الثالث من المجموع رقم ٢٦ بمكتبة جامعة توبنجن في ألمانيا الغربية ، وهو المجموع نفسه ، الذي يضم مخطوطة الكنجي السابقة ، ومخطوطة المكناسي اللاحقة .

وإذا كنا لا نعرف على وجه التحديد ، تاريخ تأليف هذه المخطوطة ، فإن ما افترضه الدكتور العسلي من أنّها قد أُلّفتْ في القرن السابع الهجري ، هو افتراض معقول لأنه مبني على كون هذه المخطوطة ، جزءاً من مجموع يضم مخطوطتين أخريين ، تعودان إلى القرن السابع الهجري . وإلى أن نعرف على وجه التحقيق تاريخ تأليف هذه المخطوطة ، سنظل نعتبرها من نتاج القرن المذكور .

وصف المخطوطة التي اعتمدت عليها

الصورة التي اعتمدت عليها للمخطوطة ، هي صورة لمخطوطة توبنجن ، التي أُشير إليها آنفا . وهي تقع مابين الورقة ٩٧ التي تحتوي صفحة الغلاف في المجموع الذي بين يديّ ، والورقة ١٢٠ في هذا المجموع ، أي أن مجموع ورقاتها مع صفحة الغلاف هو ٢٣ ورقة ، تضم كل ورقة منها صفحتين . ويبلغ طول الورقة في صورة المخطوطة ٢٥ سم ، وعرضها ١/٢ ١٦ سم ، وعدد السطور في كل صفحة ١٧

(٣٠٥) انظر « مخطوطات فضائل بيت المقدس . دراسة وببليوغرافيا » ص ٦١ .

سطراً ، وقد سار المؤلف على طريقة الأسانيد المتبعة في رواية الأحاديث النبوية ، تبدأ المخطوطة كما يلي :

« الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آلة وصحبه أجمعين . أما بعد فإني جمعت فيه فضائل الشام وفضائل مدنها : بيت المقدس وعسقلان ، وغزة ، والرملة ، وأريحا ، ونابلس ، وبيسان ، ودمشق ، وحمص ، وذكر الأنبياء المشهورين فيها ، وذكر الصحابة المعروفين فيها . . . »

وقد نسخت المخطوطة التي اعتمدت على صورتها سنة ٧٤١ هـ كما سيتضح من العبارة التالية الموردة في آخر صفحة فيها ـ وليس سنة ٧٤٠ هـ ، كما ذكر الدكتور العسلي في « مخطوطات فضائل بيت المقدس »[٣٠٦] ـ والعبارة التي في نهاية المخطوطة هي كما يلي :

« ختم الله تعالى لصاحبها[٣٠٧] الشيخ الإمام ، بقية السلف الصالح الشيخ سراج الدين سالم بن الشيخ بهاء الدين الحنفي ، أبقاه الله تعالى ورحم سلفه ، وذلك يوم الأحد ، رابع عشر شوال سنة إحدى وأربعين وسبعمئة .

كتب محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الفارقي بدمشق المحروسة وصلى الله على سَيدنا محمد وآله وصحبه وسَلّم».

(٣٠٦) انظر « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ص ٦١ .

(٣٠٧) الذي أفهمه من كلمة « صاحبها » ، أنه الشخص الذي نسخت المخطوطة له،إذْ لا وجه للافتراض أن يكون هو مؤلف المخطوطة ، وذلك لأنه يتضح من نص العبارة أنه كان حيا عندما كتب الناسخ مادة المخطوطة في النسخة التي اعتمدنا عليها،فلا وجه إذن لأن يكتبها ناسخ لمؤلفها وهو حي يرزق ، فالمؤلف يكتفي بما خطت يده ولا يكلف ناسخا في حياته لكي ينتسخ له ما ألف ويقدمه إليه .

المختار من المخطوطة

فضل السّكنى في بلاد الشام[٣٠٨]

.. عن زيد بن ثابت : قال رسول الله ﷺ : « طوبى للشام ! قلنا : مالها يا رسول الله ؟ قال : « إنّ ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها » .

عن عبدالله بن حوالة الأزدي ، عن رسول الله ﷺ قال : « إنكم ستُجَنّدون أجناداً : جنداً بالشام ، وجنداً بالعراق ، وجنداً باليمن » . فقال ابن « حواله »[٣٠٩] : خِرْ لي يا رسول الله . قال : « عليكم بالشام ، فَمَنْ أبى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِه ويَسْقِ من غُدُره ، فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله ». فكان أبو إدريس الخولاني[٣١٠] إذا حدّث هذا الحديث التفت إلى أبي عامر فقال : من تكفَّلَ اللهُ به ، فلا ضَيْعَةَ عليه . .

***

فضائل بيت المقدس : أصله من القدس

وهي الطهارة والبركة . والتقديس : التطهير . ونقدس لك :نطهر،أي ننزهك عما لا يليق بك . .

عن أبي سعد[٣١١] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تشد الرحال إلا إلى

---

(٣٠٨) العنوان الفرعي من وضع مؤلف هذا الكتاب .

(٣٠٩) في الأصل : « الخوالي » وهو تحريف ، وانظر « مفتاح المقاصد ، ومصباح المراصد (المخطوطة ، ورقة ٨٢) .

(٣١٠) أبو إدريس الخولاني : هو من الطبقة الثانية من التابعين بالشام . واسمه أبو إدريس عائذ الله بن عبدالله . ولد عام حُنَيْنْ . (انظر : « طبقات » ابن سعد ج ٤٤٨٧) .

(٣١١) أبو سعد : هو أبو سعد ، الحارث بن الصمة ، الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين صهيب بن سنان . شهد يوم أحد مع الرسول عليه السلام ، وثبت معه حين انكشف الناس ، وبايعه على الموت . وشهد أبو سعد يوم « بشر معونة » ، وقُتِل شهيدا في صَفَر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة . (انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩) .

ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، ومسجد بيت المقدس . .

عن ميمونة(٣١٢) ، مولاة رسول الله ﷺ ، قالت : قلت يا رسول الله افتنا في بيت المقدس . قال : « إئتوه ، فصلّوا فيه . « فقلت »(٣١٣) وكيف والروم إذ ذاك ؟ قال : « فإن لم تستطيعوا ، فابعثوا بزيت يُسْرَج له في قناديله » . .

فضائل عسقلان

عن ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « أول هذه الأمة نبوّة ورحمة ، (م ٤٦) ثم تكون خلافة ورحمة ، ثم تكون ملكا ورحمة ، ثم تكون إمارة ورحمة ، ثم تتكادمون(٣١٤) عليها تكادُمَ الحُمُر . فعليكم بالجهاد ، وإن أفضل جهادكم الرِّباط ، وإن أفضل رباطكم عسقلان » .

فضائل فلسطين والرملة

وهي(٣١٥) من مدائن فلسطين . قال أبو عبدالملك الجزري : الشام مبارك ، وفلسطين مقدسة ، وبيت المقدس قدس القدس .

وعن الوليد بن مسلم ، قال ، قال زهير بن محمد(٣١٦) ، وذكر الحديث

(٣١٢) ميمونة : هي ميمونة بنت سعد ، كانت ممن خدم الرسول عليه السلام ، وهي غير زوجته ميمونة بنت الحارث . وقد أعتقها رسول الله وجميع من خَدَمْنَهُ من النساء . روى حديثها أيوب بن خالد ، وهلال بن هلال ، وغيرهما . وقد أورد عز الدين بن الأثير نص الحديث المتعلق بالقدس باختلاف في اللفظ .
(انظر طبقات ابن سعد « جزء ١ ص ٤٩٧ . و « أسد الغابة في معرفة الصحابة » طبعة كتاب الشعب ، مجلد ١ ص ٢٧٤ و ٢٧٥) .

(٣١٣) في الأصل : و « قلت » ، وهو مخالف لما يقتضيه السياق .

(٣١٤) تتكادمون : يعض بعضكم بعضا . والكدم : هو العض بأدنى الفم ، كما يكدم الحمار (لسان العرب ، مادة كدم) .

(٣١٥) وهي : أي الرملة .

(٣١٦) زهير بن محمد : ذكره ابن سعد في طبقاته على أنه معاصر لسفيان الثوري ، وهو أبو المنذر ، زهير بن =

(م ٤٦) : ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ .

(عن)[٣١٧] النبي ﷺ ، إن الله بارك مابين العريش والفرات ، وخصّ فلسطين بالتقديس . قال قوم : الربوة بلد الرملة . وقال آخرون : الربوة أرض فلسطين ، يعنون جهات بيت المقدس ، زاده الله تقديسا . وبها مقابر يقال لها الربوة ، وحجّتُهُ ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « الزموا الربوة » ، يعني فلسطين » فإنها الربوة التي قال الله عز وجل (فيها)[٣١٨] : ﴿ وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾[٣١٩] . .

فضائل دمشق

. . عن أبي الدرداء ، أن رسول الله ﷺ قال : « فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى أرض يقال لها الغوطة ، فيها مدينة يقال لها دمشق ، خير منازل المسلمين يومئذ » . أخرجه أبو داود في سننه . (م ٤٧) .

ما جاء في المسجد الأقصى ببيت المقدس

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** ﴾[٣٢٠] . ولو لم تكن له فضيلة إلا هذه الآية لكانت كافية وبجميع البركات وافية ، لأنه إذا بورك حوله ، فالبركة فيه مضاعفة ، ولأن الله تعالى لما أراد أن يعرج بنبيِّهِ إلى سمائِهِ ، جعل طريقه عليه تبييناً لفضله ، وليجمع

= محمد التميمي ، نزل الشام ثم الحجاز ، ثقة له غرائب ، وقد وصفه ابن سعد بأنه كان كثير الحديث ، ثقة . توفي سنة ١٦٢ هـ (انظر « طبقات ابن سعد » ج ٧ ص ٣٠٤ ، و « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢٥٦) .

(٣١٧) الكلمة ساقطة ، ويقتضيها السياق .

(٣١٨) الكلمة « فيها » غير موجودة أصلا في النص ، ولكن تركيب الجملة يقتضي وجودها .

(٣١٩) الآية (٥٠) من سورة « المؤمنون » .

(٣٢٠) الآية ١ من سورة الإسراء .

(م ٤٧) : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

له فضل البيتين وشرفهما . وإلا فالطريق من البيت الحرام إلى السماء كالطريق من بيت المقدس إليها .

وسبحان الله ، تنزيه الله عن السوء ، ومعناه أسبِّحُ الله تسبيحا ، وترك الفعل ، لأنه يُدَلُّ من اللفظ . فقولك سبحانه : اي انزِّهُهُ عما لا يليق والمسجدان : المسجد الحرام والمسجد الأقصى . . .

ذكر من مات بحمص

منهم ثوبان[٣٢١] ، مولى رسول الله ﷺ . . ومنهم خالد بن الوليد توفي بحمص ، ودفن في قرية على ميل من حمص ، سنة إحدى وعشرين ، أو اثنتين وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

ومنهم أبو إمامة الباهلي[٣٢٢] ، اسمَه صُدَيّ بن عجلان . سكن أبو إمامة مصر ، ثم انتقل منها إلى حمص ، فسكنها ومات فيها سنة إحدى وثمانين ، وقبل ست وثمانين . وهو آخر من مات بالشام من أصحاب رسول الله ﷺ في قول بعضهم .

ومنهم تميم الداري ، توفي بالشام . هذا آخر من وجدت من أسماء الصحابة رضي الله عنهم[٣٢٣] . . (م ٤٨) .

---

(٣٢١) ثوبان : هو مولى رسول الله ﷺ ، وهو من أهل السُراة ، يذكرون أنه من حِمْيَرَ ، أصله سِباً ، فاشتراه رسول الله فأعتقه ، فلم يزل معه حتى قُبِض الرسول عليه السلام ، فتحول إلى الشام ، فنزل حمص ، وله بها دار صدقة ، ومات بها سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية . (انظر « طبقات ابن سعد » ج ٧ ص ٤٠٠)

(٣٢٢) أبو أمامة : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(٣٢٣) اجتزأت بما أوردت عن فضائل مدن بلاد الشام ، وأغفلت بعض ما أورده مؤلف المخطوطة عن مدن أخرى وذلك لارتيابي في صحة ما أورد ، إما بسبب رواة المادة الموردة ، أو بسبب مضمون المادة نفسها .

(م ٤٨) : ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٠ .

الخاتمــة

ختم الله تعالى لصاحبها الشيخ الإمام ، بقية السلف الصالح ، الشيـخ سراج الدين سالم بن الشيخ بهاء الدين الحنفي ، أبقاه الله تعالى ، ورحم سلفه وذلك يوم الأحد ، رابع عشر شوال ، سنة إحدى وأربعين وسبعمئة .

كتب محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الفارقي بدمشق المحروسة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (م ٤٩) .

(م ٤٩) : ١٢٠ .

● صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة

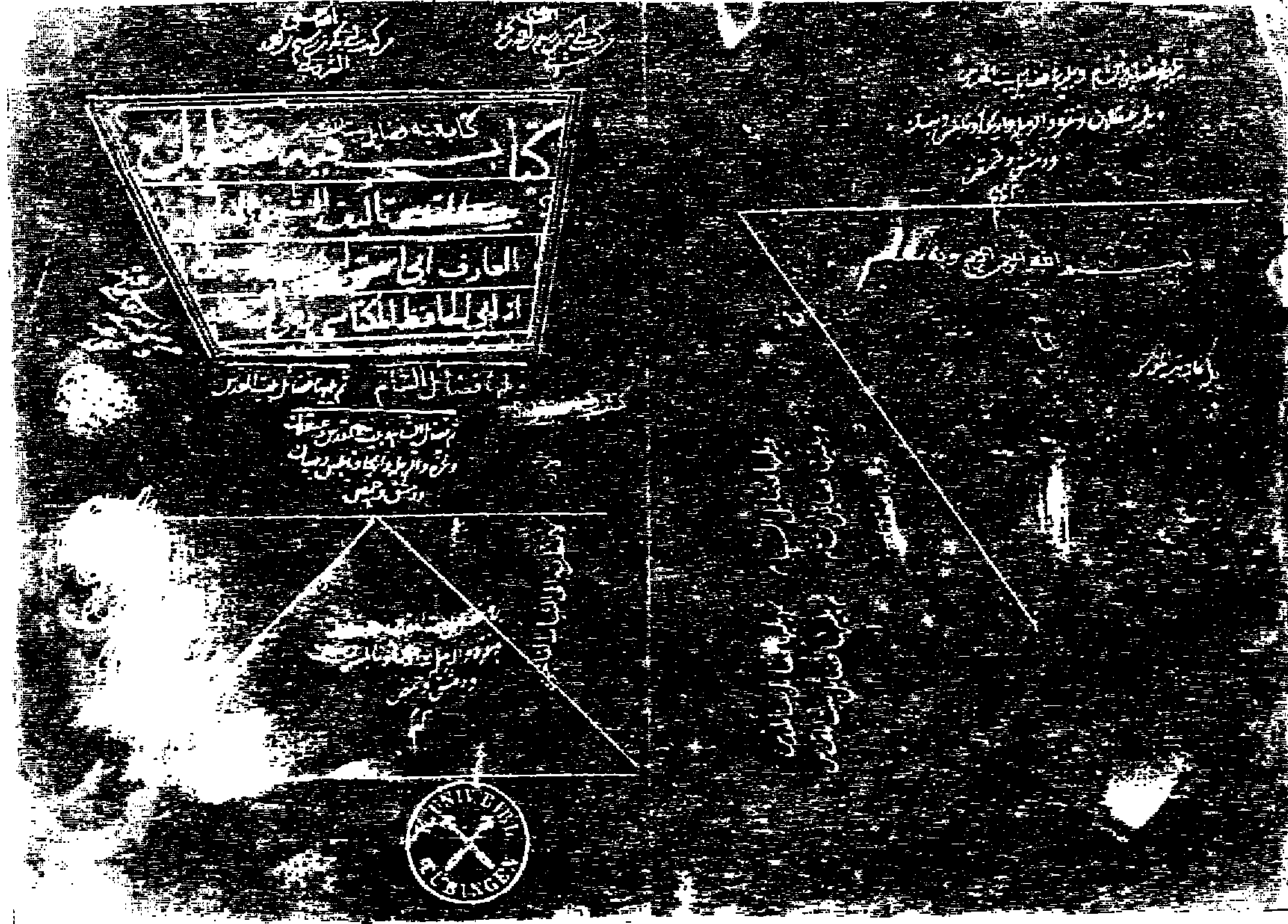
المخطوطة الخامسة

كتاب فيه فضائل بيت المقدس

تأليف

الشيخ الإمام العارف أبي إسحاق إبراهيم
ابن يحيى بن أبي الحفاظ المكناسي

ويليها فضائل الشام



● صورة الغلاف

● صورة الورقة الأولى من المخطوطة ، تحت رقم ١ .

المؤلـــف

يظهر اسم المؤلف على ورقة الغلاف كما يلي : « الشيخ الإمام العارف أبـو إسحاق إبراهيم بن يحيى ابن أبي الحافظ المكناسي ، رضي الله عنه . وفي الصفحة الأولى من المخطوطة يوجد تغيير بسيط في كنية جد المؤلف ، إذ إنّ العبارة الأولى في هذه الصفحة هي كما يلي : « أَخْبَرَنا الشيخ الإمام ، العالم الفـاضل ، أبـو إسحق إبراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ المكناسي . . . »

ومعلوماتنا عن المؤلف قليلة جدا ، وتكاد تكون كلها استخلاصا واستنتاجا من مجموعة من القرائن . فلقب « العارف » يوحي بأن الرجل كان من أهل التصوف ، لأن هذا التعبير هو من تعبيرات الصوفية المتعارف عليها عندهم . ونسبته إلى « مكناس » تُظهر أنه من علماء المغرب ، في حين أن وجود مخطوطته ، ضمن مجموع رقم ٢٦ في جامعة توبنجن ، مع مخطوطتين أخريين ، إحداهما مخطوطة « الكنجي » المتـوفّى سنة ٦٨٢ هـ ، يدفع إلى الاعتقاد بأنه عاش في القرن السابع الهجري . وقد يؤيد هذا الاعتقاد ، أن صاحبِ مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، وهو شهاب الدين أبو محمود بن سرور المقدسي ، الذي ألف كتابه سنة ٧٥٢ هـ ، قد أخذ عن المكناسي هذا ، كما يتضح ذلك من بعض ما أورده في كتابه المذكور . وأَخْذُ أبناء القرن اللاحق عن أبناء القرن السابق أمر شائع معروف .

ولا شك في أن كتابة عالِمٍ من المغرب عن فضائل القدس ، يُقَدِّم دليلا على أن الكتابة في هذا الموضوع ، لم تكن قَصْراً على أهل القدس وفلسطين ، بل ولم تكن قصرا كذلك على علماء بلاد الشام والمشرق الإسلامي ، ولذلك دلالته التي لا تخفى بالنسبة إلى مكانة القدس في نفوس المسلمين في المشرق والمغرب على السواء .

نسخة المخطوطة

توجد مخطوطة فريدة من كتاب المكناسي ، في مكتبة جامعة توبنجن بألمانيا الغربية ، ضمن المجموع رقم ٢٦ في المكتبة المذكورة ، وهو المجموع نفسه ، الذي ضم مخطوطة شمس الدين محمد الكنجي ، ومخطوطة المؤلف المجهول(٣٢٤) . وقد حصلتْ مكتبة الجامعة الأردنية على صورة من هذه المخطوطة ، وهي الصورة التي اعتمدت عليها لدى اختيار مادتي اللاحقة منها .

وصف المخطوطة التي اعتمدت عليها

صورة المخطوطة التي اعتمدت عليها ، هي كما أسلفت ، صورة عن مخطوطة توبنجن ، التي حصلت عليها مكتبة الجامعة الأردنية . وهي تقع في إحدى وستين ورقة ، تضم كل ورقة منها صفحتين ، وتحتوي كل صفحة سبعة عشر سطرا . ويبلغ طول الورقة الواحدة ٢/١ ٢٣ سم وعرضها ٢/١ ١٦ سم .

وتنقسم المخطوطة إلى قسمين كبيرين ، هما : « فضائل بيت المقدس » و « فضائل الشام » ، ومن المؤسف أن الخط في صورة المخطوطة غير واضح في الغالب ، وقد يصبح شبه مطموس في عدد كبير من صفحاتها .

ولم يقسّم المؤلف مادة كتابه إلى أبواب كبيرة بالمعنى المفهوم ، وإنما هي نُتَف ، جعل لكل منها عنوانا خاصا بها . والمؤلف نفسه يذكر أنه جمع في كتابه مواد متفرقة ، وأنه كان ينسب ما أخذه من غيره إلى صاحبه ، وأنه اختصر أكثر الأسانيد التي أوردها . ولا يحتاج القارىء إلى كبير جهد لكي يتبين أن المؤلف قد أخذ كثيرا من مواد مخطوطته عن الآخرين ، ولاسيما عن أبي المعالي المشرّف بن المرجّى المقدسي ، وكذلك عن المؤلف المجهول صاحب فضائل الشام ، وفضائل مدنها ، وبيت المقدس ، وعسقلان وغزة والرملة وأريحا ونابلس وبيسان ودمشق وحمص . »

---

(٣٢٤) انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، ص ٦١ .

أول المخطوطة كما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم أخبرنا الشيخ الإمام العالم الفاضل ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ المكناسي ، قال : « الحمد لله المقدس من الآفات . . »

وآخرها :

« خرّجه أبو داود في سننه ، وأحمد في مسنده ، والجمع بين الحديثين ، المراد والله أعلم ، مباديءُ الخراب . ثم يعمُرُ بيت المقدس ، ثم تخرب المدينة ، فقد ثبت في المُوطّأ عن أبي هريرة « أن النبي ﷺ قال : لتتركن المدينة على أحسن ما كانت . . . » .

المختار من المخطوطة

المقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم . أخبرَنَا الشيخ الإمام العالم الفاضل ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ المكناسي . قال : « الحمدُ لله المقدَّسِ عن الآفات ، الموفِّقِ للخيرات ، المعينِ على الطاعات ، وصلواتُـهُ على نبيه محمد ، المؤيَّدِ بالمعجزات ، المخصوصِ بأرفع الدرجات . وعلى آله وصحبه أولي المكرمات .

أما بعد ، فهذا الكتاب يتضمّن فضائل بيت المقدس والشام ، وما ورد في ذلك من العجائب والخصائص العظام ، جمعتُ فيه المتفرق ، وَبيَّنْتُ المستغلق ، ليكون عونا للمُتَبَصِّر »(٣٢٦) ، واختصرتُ أكثر الأسانيد ، ونسبتُ معظمه لِمُخَرِّجِه ، والله الموفق المعين » (م ٥٠) .

---

(٣٢٥) العنوان الفرعي من وضع مؤلف هذا الكتاب .

(٣٢٦) في الأصل : « على المتبصّر » ، وهو خطأ في التعبير .

(م ٥٠) : ١

اشتقاق بيت المقدس

. . أصله من القدس ، وهي الطهارة والبركة . والقدس : اسم مصدر في معنى الزيادة ، لأنه تعالى في غاية الكمال . ومن أجازه ، فمعناه باسمه تنال البركة ، وهي الزيادة في الخير . وبارك لي في الموت : قال ثعلب : ما يزيد في الخير عند الموت وبعده .

. . . عن خالد بن حازم أنه قال : قدم الزهري بيت المقدس ، فجعلت أطوف به تلك المواضع فيصلي فيها . قلت : إن هنا شيخا يحدث عن الكتب(٣٢٧) يقال له عقبة بن أبي زينب(٣٢٨) ، فلو جلسنا إليه . قال : فجلسنا إليه ، فجعل يحدث عن فضائل بيت المقدس ، فلما أكثر ، قال الزهري : أيها الشيخ : لن تنتهي إلى ما انتهى الله إليه . قال تعالى : ﴿ **سبحان الله أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . .** ﴾

الترغيب في سكن بيت المقدس

. . . وفي حديث عن عليّ بن أبي طالب ، وقد ذَكَر أشياء مِنْ أشراط الساعة ، ثم قال : يا صَعْصَعَةُ بن صُوْحان(٣٢٩) : نِعْمَ المسكنُ يومئذ بيتُ المقدس ، وليأتينَّ

---

(٣٢٧) « الكتب » الأرجح أنّ المقصود بها كتب أهل الكتاب ، التي كان القصاصون يعتمدون على كثير مما ورد فيها فيما يقصّون على عامة الناس في المساجد .

(٣٢٨) عقبة بن أبي زينب : ممن رأوا عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وقد روي عنه الحكم بن أبي سليمان ورجاء بن سلمة : (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، ط حيدر أباد . سنة ١٣٢٦ هـ . جزء ٧ ص ٢٤) .

(٣٢٩) صعصعة بن صُوحان : هو صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبديّ من سادات عبد القيس من أهل الكوفة . كان خطيبا بليغا عاقلا له شعر . شهد « صفّين » مع عليّ ، وله مع معاوية مواقف . نفاه المغيرة من الكوفة إلى البحرين بأمر معاوية ، فمات فيها نحو سنة ستين للهجرة . وقيل مات في الكوفة . (انظر « الأعلام » ط ٣ ج ٣ ص ٢٩٤) .

على الناس زمان يقول أحدهم : ياليتني في تِبْنَةٍ لَبِنَةٍ في سور بين المقدس » .

وعن شداد بن أوس أنه قال : لما دنتْ وفاة رسول الله ﷺ ، قام شدّاد ثم جلس ، ثم قام ثم جلس ، فقال رسول الله ﷺ : ما قلقُك يا شداد ؟ فقال يا رسول الله ، ضاقت بي الأرض ! فقال : « ألا إن الشام سيُفتَحُ (م ٥١) . إن شاء الله ، وبيت المقدس سيفتح إن شاء الله ، وتكون أنت وولدك من بعدِك أئمّةً به إنْ شاء الله . .

إعمالُ المطيّ إلى المساجد الثلاثة

. . . عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « لا تُشَدّ المطيّ إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » .

. . . عن أبي مريم[٣٣٠] ، أنَّ عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس ، خرج إلى المحراب ، فصلى فيه ، وقرأ سورة «ص» ، وسجد فيها . وكان سعيدُ بنُ عبدالعزيز[٣٣١] يخرج إلى المحراب ماشياً وينصرف راكبا . فقال : بلغني أن عبدالله بن عبيدالله[٣٣٢] كان يخرج إلى مسجد قباء على فرس « مُعْرَوْرٍ »[٣٣٣] ، ويرى أن شدَّ

---

(٣٣٠) أبو مريم : رجل من الأسد ، صحب النبي ﷺ . عُدّ من أهل فلسطين ، وقد قدم على معاوية بن أبي سفيان ، وأسمعه حديثا عن الرسول عليه السلام عن واجب ولاة المسلمين نحو المسلمين . (انظر « طبقات ابن سعد » جزء ٧ ص ٤٣٧) .

(٣٣١) سعيد بن عبدالعزيز : وضعه ابن سعد في الطبقة الخامسة من التابعين الذين نزلوا الشام ، وهو سعيد بن عبدالعزيز التنوخيّ ، ويكنى أبا محمد . كان ثقة ، مات بدمشق سنة سبع وستين ومائة في خلافة المهدي ، وهو ابن بضع وسبعين سنة (انظر « طبقات ابن سعد جزء ٧ ص ٤٦٨) .

(٣٣٢) عبدالله بن عبيد الله : لم أستطع الجزم بالشخص المقصود : فلعله عبدالله بن عبيد الله ابن العباس الذي روى أحاديث عن عبدالله بن عباس . (انظر طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢٤٦) . ولعله عبدالله بن عبيد الله ابن أبي مليكة القرشي التيمي المدني ، ويكنى أبا بكر ، روى عن جده وابن عباس وابن عمر . كان إمام الحرم وشيخه ومؤذنه الأمين . توفي سنة سبع عشرة ومائة للهجرة . . . (انظر شذرات الذهب ج ١ ص ١٥٣) .

(٣٣٣) في الأصل : « مُعْرَوْري » وهو خطأ لغة . والمعروري : الذي لا سرج عليه .

(م ٥١) : ١ ، ٢ ، ٧ .

الحزام من شدّ الرحال ، لقول النبي ﷺ : لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (الحديث) .

موضع صلاة النبي ﷺ من بيت المقدس

. . . عن عمر بن الخطاب ، يقول لكعب : أين ترى أن أصلي ؟ قال : إن أخذتَ عني صلّيتَ خلف الصخرة ، فكان القدس كله بين يديك . فقال عمر : ضاهيتَ اليهودية ! ولكن (أصلّي)(٣٣٤) حيث صلى النبي ﷺ ، فتقدم إلى القبلة فصلّى . . . (م ٥٢) . . . وقال سعيد بن عبدالعزيز : لما فتح عمر بيت المقدس ، وجد على الصخرة زبلا كثيرا مما طرحته الروم غيظا لبني إسرائيل . فبسط عمر رداءه ، فجعل يكنس الزبل ، وجعل المسلمون يكنسون معه .

. . . عن عبدالرحمن بن جبير(٣٣٥) ، عن أبيه ، قال لمّاجلا عمر بن الخطاب عن صخرة بيت المقدس المزبلة التي كانت عليها ، قال : لا تصلوا عليها حتى تصيبَها ثلاثُ مطرات أو أكثر . وقال شدّاد بن أوس : تقدّم عمر حين أراد كشف الصخرة وإزالة المزبلة عنها حتى ملأ أسفل ثوبة من المزبلة التي كانت ببيت المقدس ، فحمل ، وحملنا في ثيابنا مثل ما حمل ، حتى ألقيناه في الوادي . حتى جلا عن مصلّى جماعة من المسلمين ، فاتخذه مصلى .

من أَهَلَّ من بيت المقدس والترغيب في ذلك

. . . وفي الموطّأ ـ مالك عن الثقة عنده ، أن عبدالله بن عمر أَهَلَّ من إيليا . . . عن سالم(٣٣٦) عن ابن عمر ، انه أحرم بالعُمْرة من بيت المقدس . . . قال أبو داود :

---

(٣٣٤) الكلمة مطموسة في الأصل .

(٣٣٥) هو عبدالرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي ، وكان ثقة ، وبعض الناس يستنكر حديثه . مات سنة ثماني عشرة ومائة في خلافة هشام بن عبدالملك . (انظر طبقات بن سعد جزء ٧ ص ٤٥) .

(٣٣٦) سالم : هو سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، روي عن أبيه وآخرين . وروى عنه الزهري =

(م ٥٢) : ٧ ، ٩ ، ١٠ .

وأحرَمَ وكيع[٣٣٧] من بيت المقدس ، وفيه جواز الإحرام من المكان البعيد ، وفَعَلَهُ غيرُ واحدٍ من الصحابة وكرهَـهُ جماعـة . وقد أنكرَ عمرُ بن الخـطاب على عمرانَ بنِ الحُصين[٣٣٨] إحرامَهُ من البصرة ، وكَرِهَهُ الحسن[٣٣٩] وعطاء بن أبي رباح[٣٤٠] ، ومالك . وقال أحمد[٣٤١] : وجهُ العمل المواقيت[٣٤٢] وقال بعضهم : وجه الكراهة أنه ربما عَرضَ للمُحْرِم ما يُفسِد إحرامَهُ . (م ٥٣) .

تحويل القبلة

[حـديث البراء بن عـازب عن تحويـل القبلة وَرَدَ مع اختـلاف طفيف . في مخطوطة المشرَّف ابن المرَّجى المقدسي ولا داعي لإعادته هنا][٣٤٣]

= وآخرون ، كان أشبه الناس بأبيه . وقد كان فقيهاً زاهداً عابداً ، قدوة . قيل إن أصح الأسانيد الزهري ، عن سالم عن أبيه ، وهي سلسلة الـذهب . توفي سنة ١٠٦ هـ . (انظر شـذرات الذهب ج ١ ص ١٣٣) .

(٣٣٧) هو وكيع بن الجراح ، وسوف يرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(٣٣٨) عمـران بن الحصين : هن عمران بن الحصين بن عبيـد . أسلم قديمـا هو وأبـوه وأخته ، وغـزا مع الرسول ﷺ . ولم يزل في بلاد قومه ينزل المدينة كثيرا إلى أن قُبِضَ النبي عليـه السلام . وَمُصِّرَت البصرة ، فتحول إليها ونزلها إلى أن مات فيها سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية (انظر « طبقات ابن سعد » ج ٧ ص ٩ وما بعدها) .

(٣٣٩) المقصود : الحسن البصري .

(٣٤٠) عطاء ابن أبي رباح : هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح بن أسلم القرشي ، ولد في اليمن سنة ٢٧ هـ ، وأدرك مئتين من الصحابة ، وروى عن عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر وغيـرهما ، وروى عنـه الزهري والأوزاعي وأبو حنيفة وغيرهم . وكان مفسّرا ومحدثا ووفقيها ، كما كان يعرف بمفتي مكة . توفي سنة ١١٤ هـ . وقد قال عنه الذهبي إنه كان سيد التابعين علما وعملا وإتقانا في زمانه بمكة ، وأنه عاش تسعين سنةأو يزيد ، وكان حجة إماماً كبير الشأن ثَبْتاً رضياً . (انظر « سيزكين » مجلّد ١ جزء ١ ص ٧٤ و « ميزان الاعتدال » للذهبي ، ط بيروت ، دار المعرفة ، ج ٣ ص ٧٠) .

(٣٤١) أحمد : المقصود أحمد بن حنبل .

(٣٤٢) المواقيت : مواضع الإحرام ، والمفرد ميقات ، (انظر لسان العرب) ، مادة « وقت »

(٣٤٣) المؤلف .

(م ٥٣) : ١١ ، ١٢ .

. . . مجاهد ، عن ابن عباس ، كان رسول الله ﷺ يصلّي وهو بمكة نحو بيت المقدس ، والكعبةُ بين يديه ، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستةَ عشرَ شهرا . ثم صُرِفَتْ إلى الكعبة .

. . . عن أنس[٣٤٤] ، أن رسول الله ﷺ ، كان يصلّي نحو بيت المقدس ، فنزلتْ ﴿ قَدْ نرى تَقَلُّبَ وجْهِكَ في السّماء ﴾[٣٤٥] الآية ، فمرّ رجل وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صَلَّوْا ركعة ، فنادى : ألا إن القبلة قد حُوّلتْ إلى الكعبة ، فمالوا كما هم نحو القبلة . . .

. . . . عن ابن عمر قال : كان أهل قُباء يُصَلّون قِبَل الشام ، وأتاهم آتٍ فقال : إنّ رسول الله ﷺ قد أُنزِلَ عليه القرآن ، فتوجّه إلى القبلة ، فاستداروا ، « فاستقبلوها »[٣٤٦] .

. . . . عن ابن عباس أنه قال : أولُ ما نُسِخَ من القرآن فيما بَلَغنا ، واللهُ أعلم ، أمْرُ القبلة ، وذلك أن النبي ﷺ كان يصلي هو وأصحابه قِبَل الكعبة « ثماني » سنين[٣٤٧] ، يُصَلُّون ركعتين بالغداة ، وركعتين بالعشيّ . فلما عُرج به إلى السماء ، أُمِر بالصلوات الخمس ، وصارت الركعتان للمسافر ، وصار للمقيم أربعُ ركعات . فلما هاجر النبي ﷺ لليلتين خلتا من ربيع«الأول»[٣٤٨]،أمرَهُ الله أن يصلّيَ نحو بيت

---

(٣٤٤) أنس : هو ابن مالك بن النضر بن ضمضم ، من بني النجّار ، وأمه أمّ سُلَيْم بنت ملحان : قال إنه خدم رسول الله ﷺ وهو ابن ثماني سنين ، وأنه خدمَهُ لمدة عشر سنين . وقد عُمِّرَ أنس ، حتى توفّي عن مئة وسبع سنوات ، وتوفيَ بالبصرة سنة اثنتين وتسعين ، في خلافة الوليد بن عبدالملك ، وقيل إنه آخر من مات من أصحاب الرسول عليه السلام في البصرة (انظر « طبقات ابن سعد » ، جـ ٧ ص ١٧ وما بعدها) .

(٣٤٥) الآية ١٤٤ من سورة « البقرة » .

(٣٤٦) في الأصل : « فاستقبلها » وهو خطأ في النقل ، إذ أنه مخالف لقواعد اللغة .

(٣٤٧) في الأصل « ثمان » وهو خطأ لغة .

(٣٤٨) في الأصل ربيع « الآخر » ، وهو خطأ . والصواب ما أورده ابن هشام ، وهو ربيع « الأول » . (انظر السيرة النبوية « لابن هشام ط القاهرة ١٩٣٦ جـ ٢ حاشية ص ١٣٧) .

المقدس ، قبلة اليهود ، لئلا يُكَذِّبُ به أهلُ الكتاب إنما صلّى إلى (غير)[٣٤٩] قبلتهم ، ممّا يَجِدُون من نَعْتِه (م٥٤) في التوراة . فصلى النبي ﷺ وأصحابه أول مَقْدَمِهِ إلى المدينة ستة عشر شهرا ، وصلّت الأنصار سنتين قبل الهجرة . فذلك قولُه تعالى : ﴿ ولله المشرِقُ والمغربُ فأينما تُوَلّوا فَثَمَّ وجهُ الله . . ﴾[٣٥٠] .

عن قتادة[٣٥١] قال : قلت لسعيد بن المسيّب[٣٥٢] : ما فرقُ ما بين المهاجرين الأولين والآخرين ؟ فقال : من صلّى القبلتين فهو من المهاجرين الأولين .

. . . عن الزُهْريّ قال : لم يَبْعث الله منذ هبط آدم إلى الدنيا نبيّاً إلاّ جعل قِبْلَتَهُ صخرة بيت المقدس . ولقد صلّى إليها نبيُّنا محمد ﷺ ستة عشر شهرا ، فكان كثيراً ما يدعو إلى الله أن يجعل قِبْلَتَهُ مكة . ففعل الله به ذلك . ولقد قُدّسَتْ ثم قُدِّسَتْ (مِنْ)[٣٥٣] سبع أرضين . وإنّها الأرضُ المقدسة التي قال الله تعالى فيها : ﴿ وباركنا

---

(٣٤٩) كلمة « غير » ليست موجودة في الأصل ، والأرجح أنها سقطت في النسخ ، لأن معنى العبارة يقتضي وجودها . وقد أضاف محقق مخطوطة الواسطي . كلمة « نحو » قبل كلمة « قبلتهم » وهي أيضا لا تتفق مع سياق العبارة . (انظر « فضائل البيت المقدس » للواسطي ص ٥٠) .

(٣٥٠) الآية ١١٥ من سورة البقرة .

(٣٥١) قتادة : هو أبو الخطاب ، قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ، ولد سنة ٦٠ للهجرة ، وكان مفسرا وفقيها وعالما بالشعر والأنساب وبتاريخ الجاهلية . وكان تابعيا ، وروى عن الصحابي أنس بن مالك وعن كثير من قدامى التابعين ومنهم الحسن البصري . توفي سنة ١١٨ هـ أوسنة١١٧هـ حسبما ذكر ابن سعد ، الذي وضعه في الطبقة الثالثة من التابعين الذين نزلوا بالبصرة ، ووصفه بأنه كان ثقة مامونا حجة في الحديث . وقال عنه ياقوت في معجم البلدان ، إنه كان ذا علم في القرآن والحديث والفقه ، وإنّه أخذ القراءة عن الحسن البصري وابن سيرين (انظر « طبقات ابن سعد » جزء ٧ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، و « سيزكين » مجلد ١ جزء ١ ص ٧٥ و « معجم الأدباء » ، تحقيق مرجليوث ، ط ٢ القاهرة ١٩٣٠ جزء ٦ ص ٢٠٢) .

(٣٥٢) سعيد بن المسيّب : هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حَزْن المخزومي . ولد سنة ١٣ هـ ، وكان نسابا ومؤرخا ومحدّثا وفقيها ، وكان يُصْدر أحكامه الفقهية اعتمادا على أحكام عمر بن الخطاب ، ولذا سمي « راوية عمر » . ومن تلاميذه : الزُهْريّ وقتادة ، وحفيدا عمر بن الخطاب : محمد بن عبدالله ، وسالم . توفي في المدينة سنة ٩٤ هـ . (انظر « سيزكين مجلد ١ جزء ٢ ص ٦٧) .

(٣٥٣) ساقطة ، وقد أوردها الواسطي . (انظر فضائل البيت المقدس ص ٥١) .

(م ٥٤) : ١٢ ، ١٣

فيها للعالمين ﴾[٣٥٤] .

فتح بيت المقدس

[رواية عطاء الخراساني الموردَة في المخطوطة بعد هـذا العنوان ، سَبَقَ أن أوردها المشرَّف بن المرجّى المقدسي في مخطوطته ، وهي أُولى المخطوطات التي اخترْنا منها ، فلا داعي للإعادة][٣٥٥] .

. . . . وعن ابن مالك الأشجعي[٣٥٦] قال : أتيتُ النبي ﷺ ، وهو في فناءٍ له ، فسلّمتُ عليه ، فقال : « عوفُ بنُ مالك ؟ فقلتُ : نعم . فقال : « أدخلْ » فقلت : أَكُلِّي[٣٥٧] أو بعضي ؟ قال : « بل كُلُّكَ » ! قال لي : « يا عوفُ » أعدُدْ ستاً بين يدي الساعة : أولاهُنَّ موتي فاستبكيتُ ، حتى جعل يُسْكِتُني . ثم قال : « قل إحدى » . (م ٥٥) فقلتُ : إحدى . « والثانية ، فتحُ بيتِ المقدس قل : ثنتان » . فقلتُ : ثنتان . « والثالثة مَوَتَانٌ يكونُ في أُمّتي ، يأخُذُهم مثل « قعاص »[٣٥٨] الغنم قل : ثلاث . « فقلتُ : ثلاث : والرابعةُ فتنةٌ تكون في أمّتي ، وَعَظَّمْها . قل : أربع » فقلت : أربع . « والخامسة يفيضُ فيكم المال ، حتى إنّ الرجل ليُعْطى المائة دينار « فَيَتَسخّطُها »[٣٥٩] . قل : خمس » فقلت : خمس . والسادسة هدنةٌ تكونُ

(٣٥٤) الآية ٧١ من سورة « الأنبياء » .

(٣٥٥) المؤلف .

(٣٥٦) ابن مالك الأشجعي : هو عوفُ بن مالك الأشجعي ، وسيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(٣٥٧) لعلّ المقصود بـ « كُلّي » الجلوس والحديث ، وليس مجرّدَ التحيّة ثم الانصراف ، بدليل محاورة الرسول ﷺ له بعد دخوله .

(٣٥٨) في الأصل « عقاص » ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، وهو مطابق لما أورده الواسطي . (انظر فضائل البيت المقدّس ص ٥٣) . والقعاص ، داء يأخذ الغنم لا يُلْبِثُها أن تموت . (لسان العرب . مادة « قعص ») .

(٣٥٩) في الأصل « فيسخطها » ، والصواب ما أثبتناه ، كما أورده الواسطي (أنظر فضائل البيت المقدس ص ٥٣) .

(م ٥٥) : ١٣ ، ٢٢ ، ٢٥

بينكم وبين بني الأصفر ، فيسيرون إليكم على ثمانين راية ، تحتَ كلِّ راية اثنا عشر ألفاً ، وفُسطاطُ المسلمين يومئذ في أرضٍ يقال لها الغوطة ، في مدينة يقال لها دمشق(٣٦٠) صحيح ، أخرجَهُ البخاري ، وفي بعضِ ألفاظه اختلاف(٣٦١) . (م ٥٦)

القسم الثاني من كتاب المكناسي

كتاب فيه فضائل الشام

. . . قال رسول الله ﷺ : « ألا إنّ عُقْر دار الإسلام بالشام » ألا إنّ الله تكفّل لي بالشام وأهله . ألا إنّها صفوةُ الله من بلاده ، يُسيِّر إليها صفوته من عباده . لا ينزل إليها إلا مرحوم ، ولا يرغب عنها إلا مفتون » .

[الحديث اللاحق عن عبدالله بن حوالة موجود في مخطوطة الكنجي ، فلا داعي للإعادة](٣٦٢) .

. . . وعن مكحول(٣٦٣) ، عن واثلة بن الأسقع(٣٦٤) ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لحذيفة بن اليمان ، ومعاذ بن جبل ، وهما يستشيرانه في المنزل ، فأومأ إلى

---

(٣٦٠) انظر نصّ الحديث كذلك كما أورده الواسطي (فضائل البيت المقدس ، ص ٥٣) .

(٣٦١) انتهت المادة المختارة من القسم الأول الخاص بفضائل بيت المقدس ، ويليه المختار من القسم الثاني الخاص بفضائل الشام .

(٣٦٢) المؤلف .

(٣٦٣) مكحول : هو أبو عبدالله مكحول بن عبدالله الشامي ، كان معلم الأوزاعي ، ووصفه الزهريّ بأنه عالم أهل الشام . ولم يكن في زمنه أبصرُ منه بالفتيا . سمع أنس بن مالك ، وواثلة بن الأسقع وأبا هند الداري وغيرهم ، وكان مقامُه في دمشق ، وقال فيه ابن العماد الحنبلي ، إنه كان فقيه أهل دمشق . وكانت في لسانه عُجْمة ظاهرة لأنه أعجميّ الأصل ، وينسب إلى هُذَيْل بالولاء . اختُلِفَ في تاريخ وفاته بين ١١٢ و١١٣ و ١١٤ و١١٦ و١١٨ هـ . (انظر : وفيات الأعيان ط بيروت ١٩٧٧ جـ ٥ ص ٢٨٠ ، ٢٨٣ وانظر « شذرات الذهب » جـ ١ ص ١٤٦) .

(٣٦٤) واثلة بن الأسقع : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(م ٥٦) : ٢٥

الشام ، ثم سألاه ، فأومأ إلى الشام ، ثم سألاه ، فأومأ إلى الشام . ثم قال : « عليكم بالشام ، فإنّها صفوةُ بلاد الله يُسْكِنُها خِيَرَتَهُ من عباده ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بيَمَنِه ، وَلْيَسقِ من غُدُرِه ، فإنّ الله تكفل لي بالشام وأهله ، وإن الله قد توكَّلَ لي بالشام وأهلِه » .

. . . وعن خالد بن معدان[٣٦٥] . حدثني أبو « قبيل »[٣٦٦] ، قال : شهدتُ معاوية في بيت المقدس على المنبر يخطب ، إذ قام إليه رجل فسأله ، فكان أول ما استفتح بتّبْيان . قال : بَيْنا أنا عندَ رسول الله ﷺ إذْ قال : « إن الله فاتحٌ لكم ، ومُمَكّنٌ لكم » . فقال رجل : خِرْ لي . فقال : « عليك بالشام ، فإنها خيرة الله من بلاده ، يجتبى إليها خيرتَهُ من عباده . . . » .

. . . الأوزاعي[٣٦٧] عن قتادة ، عن أنس : قال رسول الله ﷺ : (م ٥٧)

« لا تزال طائفة من أ متي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . وأومأ بيده إلى الشام . وأنكر البخاري سند هذا الحديث وقال / إنما هو قتادة عن مطرّف[٣٦٨] ، عن عمران بن حصين . . .

---

(٣٦٥) خالد بن معدان : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(٣٦٦) في الأصل : « قبيلة » ، والأصح أنه أبو « قبيل » ، وهو حُيَيُّ بن هانىء بن ناصر المَعافريّ المصري ، كان يعيش عندما قُتل عثمان سنة ٣٥ هـ ، واشترك في الحملة إلى رودس . روى عن الصحابة : عمرو بن العاص وعبدالله بن عمر وعقبة بن عامر الجهني وغيرهم . وروى عنه يزيدُ بن حبيب ، والليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم . وهو أقدم مؤرخ معروف لمصر . ويُفْتَرض أن مرويات ابن عبدالحكم مقتبسات من كتابه « فتوح مصر » . توفي سنة ١٢٨ هـ كما ذكر سيزكين ، وسنة ١٢٧ كما ذكر ابن سعد . وقد وضعه ابن سعد في الطبقة الثانية من التابعين الذين نزلوا مصر ، وقال إن له أحاديث رُويتْ عنه ، وأنه مات في خلافة مروان بن محمد . (انظر طبقات ابن سعد جـ ٧ ، ص ٥١٢ « وسيزكين » ، مجلد ١ جزء ٢ ص ١٩٥) .

(٣٦٧) الأوزاعي : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(٣٦٨) مُطَرِّف : هو مَطَرِّف بن عبدالله الشِّخِّير ، ويكنى أبا عبدالله ، روى عن عثمان وعلي وأبيّ وأبي ذرّ وأبيه ، وكان ثقةً له فضلٌ وورع ورواية وعقل وأدب . مات في ولاية الحجّاج بن يوسف العراق بعد الطاعون الجارف الذي وقع في خلافة الوليد بن عبدالملك سنة سبع وثمانين . (انظر « طبقات ابن سعد » جـ ٧ ص ١٤١) .

(م ٥٧) : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٥ .

. . . وعن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ : « لن تبرح هذه الأمة منصورين أينما توجهوا ، لا يضرّهم من خذلهم من الناس ، حتى يأتيَ أمرُ الله ، أكثرُهُم أهل الشام . . . » .

. . . وعن « البهزي »[٣٦٩] أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إنه لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من قاواهم ، وهم كالإناءِ بين الأكَلَة ، حتى يأتيَ أمر الله وهم كذلك » . قلنا : يا رسولَ الله ، من هُمْ ؟ وأين هُمْ ؟ قال : بـاكناف بيت المقدس » . . . .

ما جاء في مسجد دمشق

. . . لما قدم المهديّ الشام يريد بيت المقدس ، دخل مسجد دمشق ومعه أبو عُبَيْد الله الأشعريّ كاتبُه ، فقال له : يا أبا عبيد الله ، سبقَتْنا بنو أميّة بثلاث : قال : وماهي يا أمير المؤمنين ؟ قال : بهذا البيت ، يعني مسجد دمشق ، لا أعلم على أرض مثله وبنيل الموالي ، فإن لهم مواليَ ليس لنا بالشام . وبعمرُ بن عبدالعزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبداً . ثم أتى بيت المقدس ، فدخل الصخرة ، فقال : يا أبا عبيد الله ، وهذه رابعة ! . . . .

فصل حمص وما جاء فيها

عن حمزة بن عبد كلال[٣٧٠] أنه قال : سار عمر بن الخطاب إلى الشـام بعد مسيره الأول الذي كان إليها ، فلما شارَفَهُ ، بلغه ومن معه أنّ الطاعون فاشٍ فيها ،

---

(٣٦٩) في الأصل « البهري » ، وهو تصحيف ، وهو مرّة بن كعب ، وقد سبق التعريف به .

(٣٧٠) حمزة بن عبد كلال : لم أعثر على ترجمة لهذا الرجل ، كما ورد اسمه في المخطوطة .

فقال له أصحابه : (م ٥٨) « ارجعْ ولا تقحَمْ علينا . فلو نزلْتَها وهو بها ، لم نرَ لك الشخوصَ عنها . فانصرَفَ راجعاً إلى المدينة . فعرّسَ[٣٧١] من ليلته تلك ، وأنا أقرب القوم منه . فلما انبعث ، انبعثتُ معه في أثره ، فسمعته يقول : رَدُّوني عن الشام بعد أنْ شارفتُ عليه ، لأنّ الطاعونَ فيه . ألا وما مُنْصَرَفي عنه بمؤخِّرٍ من أجلي . ألا ولو قَدِمْتُ المدينة ، ففرغتُ من حاجات لي لابدّ منها ، لقد سرْتُ حتى أدخلَ الشام ، ثم أنزلُ حمص ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : ليبعَثَّن الله منها يوم القيامة سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب . . .

[رواية الطبراني اللاحقة لما سبق عن فضل الرباط في عسقلان أوردها المؤلف المجهول للمخطوطة السابقة ، فلا داعي للإعادة][٣٧٢] .

جامع أمر الشـام

فضيلة الشام أكثرُ من أن تحصى ، لأن الله تعالى مدحه في تنزيله ، والنبي ﷺ نطق بتفضيله ، وهو خير الأرض بعد مكة والمدينة ، وأكثر الأنبياء به وهو أرضُهم . . . والبركة تنزل عليه . . . والرحمة تَدُّر عليه . وفي الخبر : « الشام معدن الأبرار . . » وقال أهل العلم : ليس من البلدان إلا وسيُخرَبُ بأنواع من الخراب في آخر الزمان ، من السنين والعدوّ وشبه ذلك من ضروب المحَن والفِتَن ، لقوله عز وجل ﴿ **وإنْ من قريةٍ إلاّ ونحنُ مُهلِكوها قبل يوم القيامة** . . . ﴾ الآيـة[٣٧٣] سواء كـانت صالحـة أو طالحة . فالصالحة مَهْلَكُها بالموت ، والطالِحَةُ بالعذاب في الدنيا . قالوا : إلا الشام

(٣٧١) عرّس المسافر : نزل في وجه السَّحَر . وقيل التعريس : النزول في آخر الليل .
(لسان العرب : مادة عرس) .

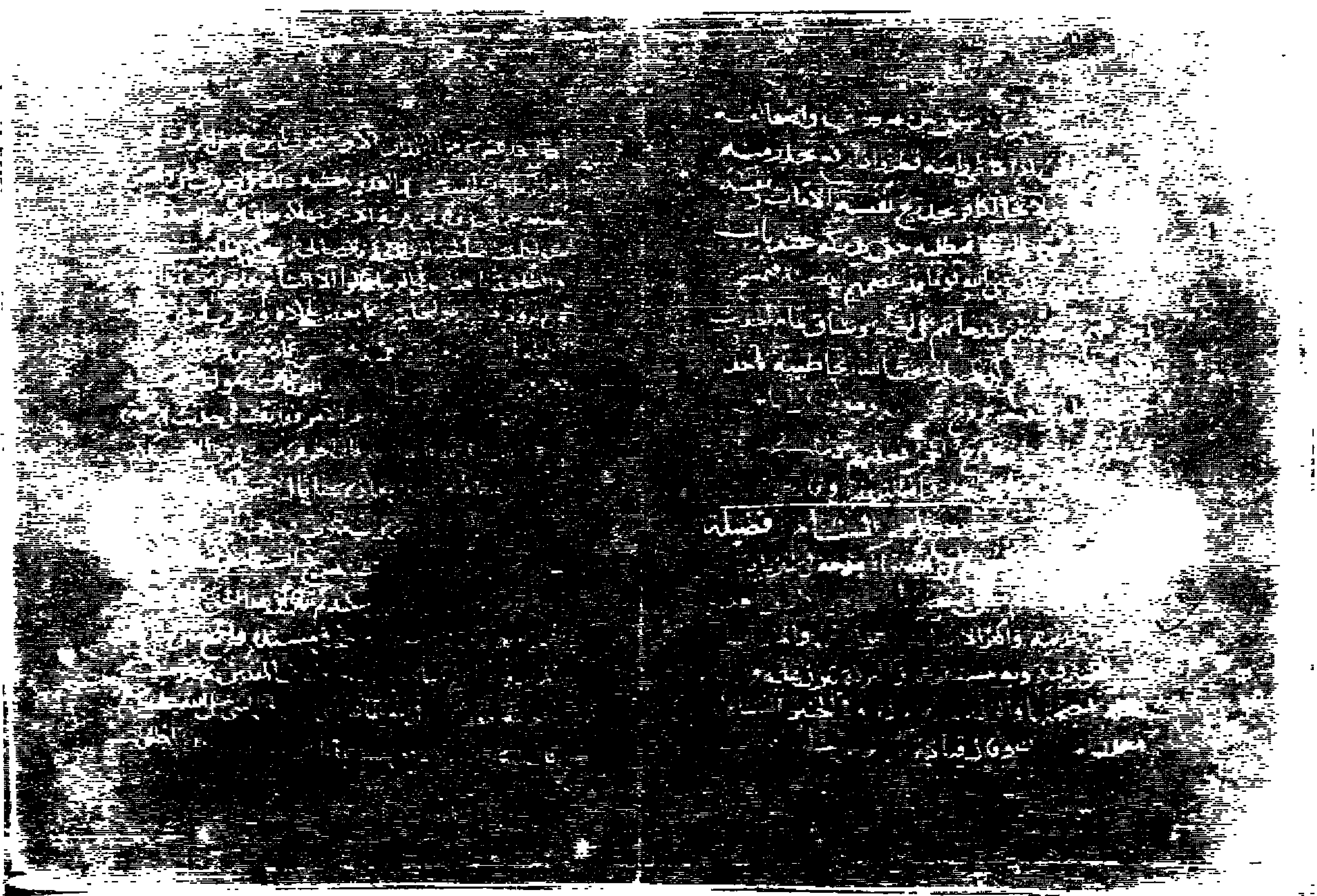
(٣٧٢) المؤلف .

(٣٧٣) الآية ٥٨ من سورة « الإسراء » .

(م ٥٨) : ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٨ .

فإنه يُفْسدُه العدوّ من الروم وغيرهم لغلبتهم على بعض بلاده ، ويبقى سائُرهُ من حيث الجملةُ في بهجته وكثرة نعمته وحسن عَمارته من جري الأنهار ، وبقاء الآثار ، وظهور البركات ونموّ الخيرات إلى آخر الدهر ، وسيخرب آخر الأمر . . (م ٥٩) .

(٥٩) : ٥٩ ، ٦١ .



● صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة

المخطوطة السادسة

تحصيل الأنس لزائر القدس

تأليف

جمال الدين أبي محمد عبدالله بن هشام الأنصاري
المتوفّى سنة ٧٦١ هـ .

تحصيل الأنس لزائر القدس

سئلت عن شخصين قال أحدهما في دعائه اللهم ارؤف بنا بضم الهمزة فرد عليه
الآخر فقال الصواب ارأف بالفتح أيها المصيب فكتبت ما معناه الداعي
مصيب في الضم والراد مصيب فيما ذكر من الفتح مخطئ في تخطئة الداعي وذلك
لأنهما لغتان رؤف يرؤف بالضم فيهما ورأف يرأف بالفتح فيهما رأفة
ورآفة فيهما ورئف بالكسر يرأف بالفتح رأفا مثل فرح فرحا وعلى هذا
فارؤف بالضم جار على اللغة الأولى وارأف بالفتح جار على اللغتين الأخريين
في شرح نظم الجمل للبعض أفديت أعطيت أسيرا وأخذت ذهبا
وفديت أعطيت ذهبا وأخذت أسيرا وفاديت أعطيت أسيرا وأخذت أسيرا

قال المسيح عليه السلام أكنت تطلب من الدنيا ما يكفيك فكلها لا يكفيك

● صورة ورقة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ جلال الدين ابو محمد عبد الله بن هشام الانصاري تغمده الله برحمته هذه اوراق لخصت فيها بعض فضائل الارض المقدسة وفضل الشام وما يتعلق بزيارة المسجد وما توقف الانسان عليه من امور يحتاج الى معرفتها من قصد زيارة المسجد وما يتوقف عليه من كلمة الله

باب في فضل الشام قال الله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية اي قيل ليوشع بن نون واصحابه بعد موسى والقرية اريحا او بلقا او الشام او الاردن او ارض فلسطين او بيت المقدس اقوال الاخير عن مجاهد وقتادة يذكر الكواشي غيره والباب باب القرية او باب القبة التي كانوا يصلون فيها

وقولوا حطة اي حط عنا ذنوبنا او قولوا لا اله الا الله الحاطة للذنوب وفي الصحيح انهم دخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة وقال تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اي بيت المقدس واعانهم على ذلك النصارى وقال تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة اي المطهرة التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح المحفوظ انكم تسكنونها بعد اعدائكم وهذه الارض هي الطور وما حوله او بيت المقدس او اريحا او دمشق او فلسطين وبعض الاردن والشام كلها اقوال وفي بعض الكتب المنزلة ان الشام كنز الله من ارضه وبها اكثر من عباده

وقال تعالى ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق اي الشام وبيت المقدس وقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله وجمع له به الانبياء فصلى بهم فيه والاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد وقبلة الانبياء قبل موسى ومنهم وفي الحديث ان جبريل ربط البراق بالحلقة التي كان يربط بها الانبياء والبركة كثرة الخير بالاشجار والثمار والانبياء والصالحين وعن ابن عباس في باركنا حوله فلسطين والاردن وقيل اول حدود فلسطين من جهة مصر العريش الى يافا والجبون واريحا وامر تعالى موسى عليه السلام ان يخلع به نعليه قال عكرمة ومجاهد ليباشر تراب الارض المقدسة وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها قال ابي بالخصب وكثرة الاشجار والثمار وفيها بعث الانبياء ومنه وفي المنزل ايضا ان الارض ينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقال ... الارض المقدسة ... هذه الامة ... وقال عبد الله بن سلام هي دمشق وقيل الرملة وقال السدي فلسطين وقيل بيت المقدس وقال كعب هي اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وفيه وقال اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني بالمصير اليه وهو الشام قال مقاتل فلما قدم الارض المقدسة سال

صورة الورقة الأولى من المخطوطة

المؤلــف

عبدالله بن هشام المتوفّى سنة ٧٦١ هـ .

قال فيه ابن حجر العسقلاني :

هو عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام ، جمال الدين أبو محمد النحوي الفاضل المشهور ، ولد في ذي القعدة سنة ٧٠٨ هـ ، ولزم شهاب الدين عبداللطيف بن المرحل ، وتلا على ابن السرّاج تاج الدين الفاكهاني جميع شرح « الإشارة » له ، إلاّ الورقة الأخيرة ، وتفقّه للشافعي ، ثم تحنبل ، فحفظ مختصر الخرّقيّ في دونِ أربعة أشهر ، وذلك قبل موته بخمس سنين . وأتقن العربيّة ، ففاق الأقران ، بل الشيوخ ، وحدّث عن ابن جَمَاعة « بالشاطبيّة » ، وتخرّج به جماعة من أهل مصر وغيرهم . وله تعليق على « ألفيّة ابن مالك » ، وله « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » . اشتهر في حياته ، وأقبل الناس عليه ، وكان كثير المخالفة لأبي حيان ، شديد الانحراف عنه .

ثمّ ذكرَ أنّه تصدّر لنفع الطالبين ، وانفردَ بالفوائد الغريبة ، والمباحث الدقيقة ، والاستدراكات العجيبة ، والتحقيق البالغ ، والاطلاع المفرط ، والاقتدار على التصرف في الكلام ، والمَلَكَة التي كان يتمكن بها من التعبير عن مقصوده بما يريد ، مُسْهباً وموجزاً ، مع التواضُع والبِرّ والشفقة ، ودماثةِ الخُلْق ورقّةِ القلب . وقد قال فيه ابن خلدون « ما زلنا ونحن بالمغرب ، نسمع أنه ظهر بمصر عالمٌ بالعربيّة ، يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه » .

ومن تصانيفه غير « المغني » : « عمدةُ الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب » : مجلدان ، « رفع الخَصاصة عن قراءة الخلاصة » : أربع مجلدات ، « شروح الشواهد الكبرى والصغرى » ، التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل والتكميل » : عدة مجلدات . « شذور الذهب » ، وشرحه « الجامع الصغير » ، « قطر الندى وبلّ الصدى » « وشرحه » ، « الكواكب الدُّرّية في شرح الملحمة البدريّة لأبي حيان » ، « شرح بانتْ سُعاد » ، « شرح البردة » ، « إقامة الدليل على صحة التحليل » ، « التذكرة » في خمسةَ عشرَ مجلدا ، « شرح التسهيل ـ مسودة » . ورثاه ابن نباته بقوله :

سقى ابنَ هِشامٍ في الثرى نَوءُ رحمةٍ يَجُرُّ على مثواه ذيلَ غمام
سأرْوي له في سيرة المدح مُسْنَدَاً فما زلتُ أروي سيرةَ ابنِ هشام

ورثاه الصاحب بدر الدين فقال :

تَهَنَّ جمالَ الدين بالخُلْدِ إنّني لِفَقْدِكَ عيشي تَرْحَةٌ ونَكالُ
فما لِدُروسٍ غبْتَ عنها طَلاوةٌ ولا لِزمانٍ لَسْتَ فيه جَمالُ

ومن شعر الشيخ جمال الدين ابن هشام :

ومن يصطبرْ للعلم يظفرْ بنيلِهِ ومنْ يخطب الحسناءَ يصبرْ على البَذْل
ومن لم يُذِلّ النفس في طلب العلا يسيراً يَعِشْ دهراً طويلًا أخا ذُلّ

ومات في ليلة الجمعة ، خامس ذي القعدة ، سنة ٧٦١ هـ[٣٧٤] .

هذا ، وقد نقل ابن العماد الحنبلي في « شذراته » ، مادة ابن حجر العسقلاني التي أوردناها ، بعد أن ذكر أنه في سنة ٧٦١ ، توفي جمال الدين ، أبو محمد

(٣٧٤) انظر : « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » ، تأليف ابن حجر العسقلاني ط دار الجيل ، بيروت ، السفر الثاني ، (جزء ٢) ص ٣٠٨ ـ ٣١٠ .

عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري الحنبلي ، النحوي العلّامة[٣٧٥] .

أما صاحب « الأعلام » ، فقد ذكر أنّ صاحب الترجمة كان مولدُه ووفاتُه في مصر ، وأضاف إلى التصانيف التي ذكرها ابن حجر كتاب « نزهة الطَرْف في علم الصَّرْف » و « موقد الأذهان » ، في الألغاز النحوية[٣٧٦] .

والغريب ، أنّ أيّاً من المصادر الثلاثة لم تذكر له المخطوطة التي بين أيدينا : « تحصيل الأنس لزائر القدس » . ولولا اسم صاحبها : « عبدالله » ، وكنيته : « أبا محمد » ، ونسبته : « الأنصاريّ » ، « إضافةً إلى جد مشهور له هو هشام » تتطابقُ كلُّها مع أوردتْه هذه المصادر ، لشككْنا في نسبة المخطوطة إليه . وما يعزز اعتقادنا بأنّ المخطوطة من تأليفه ، أنّ الدكتور كامل العسلي ذكر أن وفاة المؤلف كانت سنة ٧٦١ هـ[٣٧٧] ولو أنه لم يذكر المصدر الذي استقى منه ، وهذه السنة هي سنة وفاة عبدالله بن هشام الذي نترجم له ، كما أجمعت على ذلك المصادر الثلاثة التي اعتمدنا عليها في هذه الترجمة .

نسخ المخطوطة

جاء في « مخطوطات فضائل بيت المقدس » أنه توجد نسخة من المخطوطة المعنونة « تحصيل الأنس لزائر القدس » في مكتبة بلدية الإسكندرية ، وأنّ هذه المخطوطة تحمل رقم ٢/١٣٥١ ، وأنّه يوجد فِلم عن هذه المخطوطة ، بمعهد المخطوطات رقمه ٣٣٣ .[٣٧٨] .

---

(٣٧٥) انظر : « شذرات الذهب » ، جـ ٦ ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

(٣٧٦) انظر : « الأعلام » ، جـ ٤ ، ص ٢٩١ .

(٣٧٧) انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ص ٦٩ .

(٣٧٨) انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس : دراسة وببليوغرافيا » ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

وصف المخطوطة التي اعتمدت عليها

المخطوطة التي اعتمدت عليها ، هي صورة عن مخطوطة ، « مكتبة محافظة الإسكندرية » كما هو واضح من مجموعة الأختام الموجودة على كل صفحة من صفحاتها ، بما في ذلك صفحة الغلاف . وتحتوي صورة المخطوطة هذه (٩) ورقات ، تبدأ بصفحة الغلاف المرقومة ٥٦ ، وتنتهي بورقةٍ ينبغي أن تحمل رقم (٦٤) ، إذ إنها لاحقة بورقة (٦٣) ، إلا أن الرقم على الورقة الأخيرة مطموس في هذه النسخة المصورة .

وباستثناء ورقة الغلاف ، والورقة الأخيرة ، فإن كل ورقة من أوراق المخطوطة تحتوي صفحتين ، ومعدل عدد السطور في كل صفحة (١٧) سطراً ، ويبلغ طول الورقة في صورة المخطوطة ضمن الإطار المحيط بسطورها ٢/١ ٢٦ سم وعرضها ٢/١ ١٨ سم . وخطّ هذه النسخة المصوّرة ، واضح إلى حد كبير ، ولو أنّ في المخطوطة كلمات مطموسة في عدد من المواضع . وقد ابتدأها المؤلف بالحديث عن فضل القدس والشام ، وأول المخطوطة كما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلّى الله على سيدنا مِحمد وآله وصحبه وسلم . قال الشيخ الإمام العلاّمة ، الحافظ جمال الدين أبو محمد عبدالله بن هشام الأنصاري تغمّدَه الله برحمته . . . » .

وآخر المخطوطة :

(وما سمعتُهُ من كبار أهل البلد أنهم يقولون : حَرَم القدس ، فَيُحَرِّمون ما أحلّ الله افتراءً على الله وتعوذ بالله من الخذلان . . . علّق خطَّهُ عمر بن إبراهيم بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد العبادي(٣٧٩) الظاهر « عفا »(٣٨٠) الله عنهم أجمعين ،

(٣٧٩) الاسم المذكور ، هو اسم الشخص الذي نسخ المخطوطة .

(٣٨٠) في الأصل « عفى » وهو مخالف للرسم المتعارف عليه للكلمة في أيامنا .

في ثالث عشر ذي الحجة الحرام سنة إحدى وتسعمائة ؟)[٣٨١] .

المختار من المخطوطة

المقدمة[٣٨٢]

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم . قـال الشيخ الإمـام العلامـة ، الحافظ جمـالُ الدين أبـو محمد ، عبـدُالله بن هشام الأنصـاري ، تغمدَهُ الله بـرحمته : هـذه أوراق لخّصتُ فيها بعض فضـائل الأرض المقدسة،(نبّهت فيها)[٣٨٣] على أمورٍ يحتاج إلى معرفتها مَنْ قَصَد زيارة المسجد . وما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكّلتُ ، وإليه أنيب . . . (م ٦٠) .

فضل القدس والشام[٣٨٤]

. . . قال تعالى : ﴿ سبحانَ الذي أسرى بعبده . . ﴾ الآية[٣٨٥] ، فهذه كانت في فضله ، إذ جَعَلها سبحانَه طريـق حبيبه حين إرادَ العروج به ، فَجَمَع له فضلَ البيتين . وجمعَ له الأنبياء ، فصلّى بهم فيه ، وإلا فـالطريقُ من البيت الحـرام إلى السماء ، مثلُها من بيت المقدس إليها . . .

وعن ابن عباس في : « باركنا حول . . » : فلسطين والأردنُ . قيل : أول حدود فلسطين من جهة مصر العريش ، إلى يافا ، واللجّون[٣٨٦] ، وأريحا . . .

---

(٣٨١) الكلمة الأخيرة غير واضحة ، وأقرب شيء إلى قراءتها هو تسعمائة .

(٣٨٢) العنوان من وضع مؤلف هذا الكتاب .

(٣٨٣) الكلمتان مطموستان جزئيا في الأصل ، وما وضعته بين قوسين مما يقتضيه السياق وتركيب الجملة .

(٣٨٤) هذا العنوان من وضع مؤلف الكتاب ، وغير موجود أصلاً في المخطوطة .

(٣٨٥) الآية الأولى من سورة « الإسراء » .

(٣٨٦) اللجوّن : بلدٌ بينه وبين طبرية عشرون ميلا وإلى الرملة في فلسطين أربعون ميلا . واللجّون كذلك ، مرجٌ طوله ستة أميال ، كثيرُ الوحل صيفا وشتاء (انظر معجم البلدان جـ ٥ ص ١٣ ط بيروت) .

(م ٦٠) : ٥٧

وفي التنزيل أيضا : « إنّ الأرض يرثُها عباديَ الصالحون . . »[٣٨٧] ، قيل : الأرض المقدّسة ، ترثها هذه الأمة . .

وصحّ عن عكرمة[٣٨٨] ، من شكَّ أن المحشَر إلى بيت المقدس ، فَلْيقرأْ أوائل « الحشر » ،فقد حُشِر الناسُ مرّة،وذلك أنّه حين ظهوره عليه السلام على المدينة ، أجلى اليهودَ إلى بيت المقدس . ونُقِل عن ابن عباس ، أنه لما قالَ لهم : اخرُجوا ! قالوا : إلى أين ؟ قال : « إلى أرض المحشر ، ثم الخلقِ يومَ القيامة : إلى بلاد الشام . . » (م ٦١) .

وفي البخاري مرفوعاً : « اللهم بارك لنا في شامنا» وفي الترمذي مرفوعاً : « طوبى للشام ، إنّ ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها » . ورواه الإمام أحمد في مُسْنَدِه والحاكم[٣٨٩] في مستَدْرَكِه . وفي حديثٍ على شرط مُسْلم : عليكم بالشام ، فإنّ الله قد تكفّل لي بالشام وأهلِه . . » .

وفي مُسْنَد الإمام أحمد : « لا تزال طائفة من أمّتي على الدين ظاهرين ، لعدوّهم قاهرين ، لا يضرُّهم من خالَفهم ولا ما أصابَهُم من لأواء ، حتى يأتيَهم أمرُ الله

---

(٣٨٧) الآية ١٠٥ من سورة « الأنبياء » .

(٣٨٨) عكرمة : هو مولى عبدالله بن عباس ، قال فيه سعيد بن جبير : لو كفَّ عنهم عكرمةُ من حديثه لشُدَّتْ إليه المطايا . وذُكِر أنه كان أعلمَ الناس بالتفسير . وقد قال هو عن نفسه : إن ابنَ عباس كان يضع في رجليه الكَبْل ويعلمه القرآن والسُّنّة (انظر طبقات ابن سعد ، جـ ٢ ص ٣٨٦) . وقد حدّد ابن العماد الحنبلي وفاته بسنة ١٠٥ للهجرة (انظر « شذرات الذهب » جـ ١ ص ١٣٠) .

(٣٨٩) الحاكم : هو أبو عبدالله ، محمد بن عبدالله بن حَمْدَوَيْه بن نُعَيْم ، الحاكم النيسابوري ، ولد سنة ٣٢١ هـ في نيسابور ، وبدأ طلب الحديث عام ٣٣١ هـ ، وسمع في شبابه عمرو بن السماك وأحمد بن سليمان النجّاد وغيرهما في بغداد . وبعد عودته ، تولّى القضاء في « نَسَا » ، ولكنه سرعان ما اعتزلَهُ ، وكان في مجال الحديث ذا مكانة عالية ، مثل الدار قُطْني ، ولكنه كان يميل إلى رأي الشيعة . تُوفي في نيسابور سنة ٤٠٤ هـ . وله كتاب « المستدرك على الصحيحين » . (انظر « سيزكين » ، مجلد ١ جزء ١ ص ٤٥٤) .

(م ٦١) : ٥٧ ، ٥٨

وهم كذلك » . قالوا : يا رسولَ الله ، وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس ، وأكنافِ بيت المقدس » . . .

فتحُ بيت المقدس[٣٩٠]

[المادة الموردَة عن فتح بيت المقدس في هذه المخطوطة أوْرَدَها صاحب مخطوطة « مفتاح المقاصد ومصباح المراصد » ، فلا داعي للتكرار][٣٩١] .

بناءُ عبدالملك لمسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى[٣٩٢]

[المادة الموردة في هذه المخطوطة ، لا تضيف جديدا إلى ما جاء في مخطوطة المشرّف ابن المرجّى المقدسي ، وهي أول مخطوطة جرى الاختيار منها في هذا الكتاب][٣٩٣] (م ٦٢) .

[حديث ميمونة مولاة الرسول ﷺ عن إسراج القناديل في بيت المقدس ، ورد في مخطوطة المشرّف بن المرجّى المقدسي ، وكذلك حديث أبي هريرة عن شدّ الرحال ، فلا حاجة إلى الإعادة هنا][٣٩٤] .

[حديث ابن عباس عن تحويل القبلة الموردَ في هذه المخطوطة ، سبقَ أنْ ورد في مخطوطة المكناسي السابقة ، فلا داعي للإعادة هنا][٣٩٥] .

---

(٣٩٠) هذا العنوان الفرعي من وضع مؤلف هذا الكتاب ، وغير موجود أصلا في المخطوطة .

(٣٩١) المؤلّف .

(٣٩٢) العنوان الفرعي من وضع مؤلف هذا الكتاب .

(٣٩٣) المؤلف .

(٣٩٤) المؤلف .

(٣٩٥) المؤلف

(م ٦٢) : ٥٩ ، ٦٠

. . . وعن الوليد بن مسلم الفلسطيني : أمر عمرُ بنُ عبدالعزيز بأنْ تُسْتَحْلَفَ عمّال سليمانَ بن عبدالملك عند الصخرة ، فما حالَ عليهم الحولُ ، حتى ماتوا ، إلا واحدٌ منهم فدى يمينَه بألف دينار . . . » .

باب في أنّ بعض القرآن نزل ببيت المقدس

في كتاب « التنزيل وترتيبه » ، للحسن بن محمد بن حبيب[٣٩٦] المفسّر في الآيات السَّفَرية ، قال : وأُنْزِلَ في بيت المقدس : ﴿ **وسئل من أرسَلْنا من قبلك من رُسُلِنا ، أجَعَلْنا من دون الرحمن آلهةً يُعْبَدون** ﴾[٣٩٧] . نزل عليه ليلة أُسْرِيَ به ﷺ . . (م ٦٣) .

---

(٣٩٦) الحسن بن محمد بن حبيب المفسّر : هو أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب النيسابوري ، كان أول أمره من فرقة الكُرّاميّة ، ثم أصبح شافعياً ، وقد كان في خراسان مفسّراً مرموق المكانة ، كما كان أيضا عالما بالتاريخ واللغة . تُوفيَ سنة ٤٠٦ . (انظر « سيزكين » ، مجلد ١ جزء ١ ص ١٠٩ . وانظر كذلك « شذرات الذهب » ، جزء ٣ ص ١٨١) .

(٣٩٧) الآية ٤٥ من سورة « الزخرف » .

(م ٦٣) : ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

فصل نختم به الكتاب

اعلم أنّا رأيْنا بالمسجد الأقصى أموراً يذكُرُها أهلُ البلد ، يُغْرون بهـا العوامَّ ورعاعَ الناس ، ولا حقيقةَ لها . فمنها مكانٌ يزعمون أنه مكان الميزان ، الذي يوزَنُ فيه الأعمال، ومكانٌ آخر بالقرب منه يزعمون أنـه السراط ، وكـلاهما في أواخـر بسطة الصخرة من حدّها القبليّ . ومنها مكان بالبسطة المذكورة ، يزعمون أن به اجتماعَ أرواحِ العباد ، وهو سردابٌ تحت الأرض . ومنها سِكّينٌ مُلْصَقَة بالأرض بالقرب من الصخرة ، يزعمون أنّها التي أراد الخليل عليه السلام ذَبح ولده بها . ومنها أنهمْ زعموا أن عرشَ بلقيس هو دكّةُ المؤذّنين ، وأنّ الباب البحريّ من أبواب الصخرة ، هو بابُ الـرحمة . وذلـك مشهور عنـدهم ، يعرفُـه خاصّتُهم وعـامتُهم . وكلُّ هـذه أكاذيبُ وترّهات ، حملَ على القول بها قلة الدينِ وإرادةُ أكلِ أموالِ الناس بالباطل .

وأخبَرَني من كنتُ أظنُّ أنّ له عقلاً ، أنَّ المسجد وما يقرب منه مُسامِتٌ للعرش ، واحتجّ على ذلك بأنّ عيسى عليه السلام ، أُتِيَ به من مكّةَ إلى بيت المقدس ليكون عروجُه من هناك . ولم يَدْرِ هذا الجاهل أنّه لا نسبـة للسماء بجملتهـا بالنسبـة إلى العرش ، وكأنّه توهّم بخياله الفاسد أنّ العرشَ عبارةٌ عن سرير كسرير بيتِه أو أكبر منه تخييلاً . وَرَفْعُ عيسى عليه السلام من هناك ، إنّما كان لأنه كان مقيماً هناك(٣٩٨) . رُفِعَ إدريس عليه السلام من هناك . فلا أدري من أين هذا لهذا الجاهل ، ولم أجدْه في تفسير ولا في شيء من كتب الحديث وغيرها . والذي يظهرُ أنه لا يؤخذ من عالم .

وأما العروجُ بنبّينـا عليه أفضـلُ الصلاة والتسليم من هنـاك ، فَلِحِكَمٍ أبداهـا العلماء . وقد بَلَغَني أن قوماً من الجهلاء يجتمعون يوم عرفة بالمسجد ، وأن منهم من

---

(٣٩٨) الكلمة مطموسة بصورة شبه كلية ، ولعلّها كما أثبتناها ، لأنها مقاربة إلى حد ما للرسم المطموس ، ومتسقة مع السياق .

(م ٦٤) : ٦٣ ، ٦٤ .

يطوف بالصخرة وأنهم يَنْفِرون (عند)[399] غروبِ الشمس ، ويرجعون القهقرى ، وكل ذلك ضلال وأضغاثُ أحلام .

وما سمعتُهُ من كبار أهل البلد ، أنّهم يقولون : « حرم القدس » ، فيُحَرِّمون ما أحلّ (الله)[400] افتراءً على الله ، ونعوذ بالله من الخِذلان . وصلى الله على محمد وآله .

(لمن)[401] علّق خطَّهُ ، ولمن طالَعَهُ من بعده معي ، رحمة (ربه)[402] الهادي عمر بن إبراهيم بن محمد ، بن عبدالعزيز بن محمد العبادي (الظاهر)[403] .

عفى الله عنهم أجمعين

في ثالث عشر ذي الحجة الحرام سنة إحدى « وتسعمائة » ؟[404] .

(م ٦٥)

(٣٩٩) الكلمة مطموسة كلية ، وما أثبتناه يقتضيه السياق وتركيب الجملة .

(٤٠٠) الكلمة مطموسة ، وما أثبتناه هو ما يقتضيه السياق وتركيب الجملة .

(٤٠١) الكلمة مطموسة ، ويقتضيها السياق وتركيب الجملة .

(٤٠٢) الكلمة التي أثبتناها أقرب شيء إلى الكلمة غير الواضحة في المخطوطة وإلى ما يقتضيه المعنى .

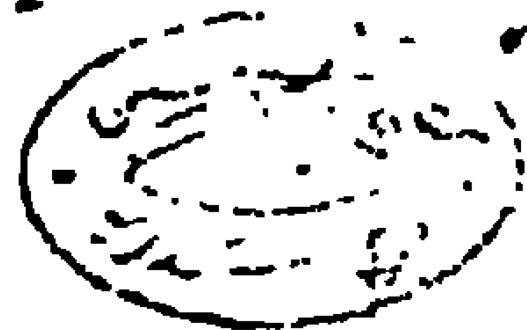
(٤٠٣) الكلمة المثبتة ، هي كذلك أقرب شيء إلى كلمة المخطوطة التي صعب عليَّ تبينها على وجه التثبّت .

(٤٠٤) الكلمة اللاحقة لحرف العطف غير مقروءة ، ولعلها تسعمائة .

(م ٦٥) : ٦٤ .

كسر بنيته او اكبر منه تمثيلا ورفع عيسى عليه السلام من هنا لك انما كا
لانه كان بقيما هنا لك فرفع منها رفع اذ ليس عليه السلام من هنا لك فلا
متباين هذا لهذا الكاهن ولم اجد في تفسير ولا في شي من كتب الحديث
غيرها والذي نظهر انه لا يوجد عن عالم واما العروج بنبينا عليه
الصلاة والتسليم من هنا لك فعليكم ابداها العلما وقد بلغني ان قوما من الجهة
يجتمعون يوم عرفة بالمسجد وان منهم من يطوف بالصخرة وانهم ينفرون
غروب الشمس ويجعون التعريف وكل ذلك ضلال واضعاف احلا[illegible]
ومما سمعنا من كبار اهل البلد انهم يقولون حرم القدس يحرمون ما اطر[illegible]
افتروا على الله ونعوذ بالله من الخذلان وصلى الله على محمد واله

علقه لنفسه ولمن شاء الله من بعده فقير رحمة ربه الهادي
[illegible] محمد بن عبد العزيز بن محمد الهادي [illegible] عفى الله عنهم [illegible]
في [illegible] شهر محرم الحرام [illegible]



● صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة

المخطوطة السابعة

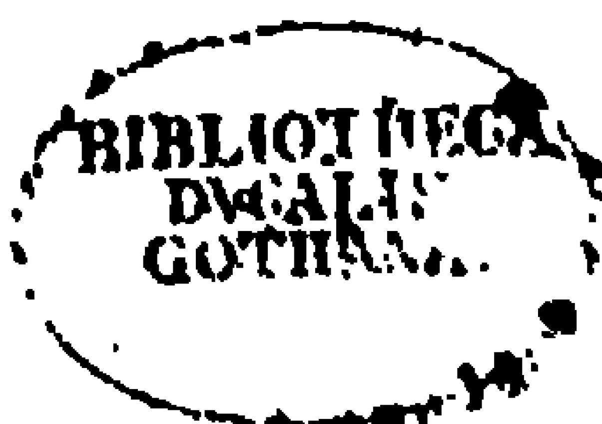
كتاب مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام

تأليف

الشيخ الإمام العالم العلامة ، شهاب الدين أبي محمود
أحمد بن محمد المقدسي الشافعي

تاليف الشيخ الامام العالم العلامة شهاب
الدين ابي محمود احمد بن محمد المقدسي الشافعي
تغمده الله تعالى برحمته امين
والحمد لله وحده

لك الحمد على ما انعمت اهل الحامد



● صورة ورقة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي وهو حسبي ونعم الوكيل

الحمد لله الذي زاد المسجد الاقصى شرفا بالاسرا اليه خير البشر

وجعله ثاني مسجد وضع على وجه الارض كما في صحيح الخبر وقبلة

اولى فصلى اليه المصطفى سته عشر شهرا او سبعة عشر وفضل الصلاة

فيه على الصلاة في غيره خلا مسجد طيبة ومكة ذي الركن والحجر وبارك

حوله ليعلم ان البركة فيه اولى بالاعتبار والنظر وقال نبينا صلى الله

عليه وسلم ايتوا بيت المقدس فصلوا فيه فانه ارض المحشر والمنشر ومن

احرم منه بحج غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ومن قصده لا ينهزه الا الصلاة

فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فيا فوز من اخلص وتطهر واشهد ان

لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة ارغم بها انف من جحد واستكبر

واقمع بها من تولى وكفر واشهد ان محمدا عبده ورسوله صاحب اللواء

والكوثر المبعوث الى الاسود والاحمر صلى الله عليه وسلم وعلى اله واصحابه وسلم

من ... اليه ونصر ... فهذا كتاب ... جليل القدر

جامع الفرائد ... الى زيارة القدس والشام رتبته

ترتيبا وهذبته تهذيبا واتقنته اتقانا واوضحته تبيانا وجعلته ...

الفضائل اقاويل كلها المشار اليه والمعول عليه اذ ... احاديثه

واثاره غالبا الصحيحة والضعيفة والموضوعة ... ولذلك من صنف

في فضائل بل ... دون بيان وجعلته للكتاب

على قسمين ... في فضل الشام وما ... ورساتيقه

وما ... فيه من التقسيم وذكر الايات الواردة في فضله في كتاب الكريم

ويشتمل ذلك على ابواب وفصول ... في فضل المسجد الاقصى

وما يتعلق به على الخصوص من بناء وضعه وبنيانه وما ذكر فيه من العجائب

والاثار ... ويشتمل ايضا على فصول وابواب وجعلت الخاتمة ...

بذكر بعض من ورد البلد من الاخيار ومن عرف منهم باستيطانه ...

المقولة فيه عند ... سنه خمسمايه وثلاث وما بين ذلك ... على ...

المبين ودل ذلك على التحقيق والله المسؤول ان يهدينا الى اقوم طريق

في ذكر الايات الواردة في فضل القدس والشام قال الملك العلام

واذ قلنا ادخلوا هذه القرية الاية اي قيل ليوشع بن نون عليه السلام واصحابه

بعد موسى ادخلوا هذه القرية والدخول الولوج والقرية ... او ...

الشام او الاردن او ارض فلسطين او بيت المقدس وهو قول مجاهد ...

ولم يذكر الامام الكواشي غيره وسميت القرية قرية لجمعها اهلها ... المقراة

للحوض لجمعه الماء ... وادخلوا الباب سجدا اي باب القرية اي القبة

التي كانوا يصلون فيها يعني موسى عليه السلام وبني اسرائيل سجدا ...

جمع ساجد ... وقيل ركعا او خاضعين وقوله حطة اي حط عنا ذنوبنا

والمراد قولوا كلمة لا اله الا الله الحاطة للذنوب او ... الله يغفر لكم خطاياكم

وسنزيد المحسنين ... عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قيل لبني اسرائيل ...

● صورة الورقة الأولى التالية لورقة الغلاف

المؤلّـف

شهاب الدين ، أبو محمود ، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال ، بن تميم بن مسرور المقدسي الشافعي ، المتوفّى سنة ٧٦٥ هـ .

ولـد سنة ٧١٤ ، وعني بـالحديث ، فسمـع من أصحاب ابن عبـدالـدائم ، والنجيب وابن علّاف ، فأكثرَ وبرعَ وجمَعَ ، وشرَعَ في شرح سُنَن « أبي داود » . وقد درّسَ في المدرسة التنكَزية بالقدس بعد الشيخ العلائي ، وقال فيه الذهبي : طالبٌ مفيد سريعُ القراءة سَمِعَ الكثير ، وماتَ بالقدس سنة ٧٦٥[٤٠٥] .

وقد أورد صاحب « الأعلام » لقب المؤلف مخالفا للّقب الذي أوردناه سابقا ، وهـو اللقب المثبَتُ على غلاف مخـطوطته (شهـاب الدين) ، ، فلقّبَـهُ بـ « جمال الدين » . وخالَفَ صاحب « الأعلام » كـذلك ابن حجـر العسقلاني في مكـان وفاة المؤلف ، إذْ ذكرَ أنّه توفيَ بمصر ، مع أنه ذكر أنّ مولده في القدس ، ووصفَهُ بأنـه « فاضل من أهل القدس »[٤٠٦] . ولعلّ صاحب « الأعلام » قد أخذ بقول مجير الدين الحنبلي ، الذي ذكر أنّ وفاة المؤلف كانت بمصر في ربيع الآخر سنة ٧٦٥ هـ[٤٠٧] . وقد سايَـرَ صاحبُ « معجم المؤلفين » مجيـرَ الدين الحنبلي في تحـديد مكـان وفاة المؤلف ، والشهر الذي تُوفيَ فيه . ولعلّ رواية مجير الدين بهذا الصدد ، هي التي

---

(٤٠٥) انظر « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية » لابن حجر العسقلاني ، جزء ١ ص ٢٤٢ .

(٤٠٦) انظر « الأعلام » جزء ١ ص ٢١٦ .

(٤٠٧) انظر « الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل » جـ٢ ص ١٥٨ .

يؤخَذ بها ، وهو ابنُ مدينة القدس ، الـذي تتّبعَ بـالكثير من التفصيـل أخبار علمـاء مدينته .

ولابد أنّ صاحب « الأعلام » قد أخذ كذلك عن الحنبلي لقب المؤلف ، إذْ إنّ الحنبلي يـورده « جمال الـدين » كـذلك[٤٠٨] ، خلافاً لمـا هـو مثبت على غـلاف المخطوطة ، وهو اللقب الذي نعتمده ، وكذلـك فعل صـاحبُ « معجم المؤلفين » الذي تبع الحنبلي في اللقب الذي اختاره للمؤلف : جمال الدين[٤٠٩] .

أما صاحبُ « كشف الكظنون » فيورد لقب المؤلف كما هو مثبت على غلاف مخطوطته : « شهاب الدين » ، ويورد تاريخ وفاة المؤلف ، دون أنْ يورد اسم البلد الذي توفيَ فيه[٤١٠] .

وتتفق المصادر التي أوردتْ تاريخ ولادته ، على أنه ولد سنة ٧١٤ هـ ، كما تتفق على تاريخ وفاته : عام ٧٦٥ هـ ، وتتفق كذلك على تاريخ تأليف كتابه : « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » وتُحَدُّدُهُ بسنة ٧٥٢ هـ[٤١١] .

ومجملُ ما أوْرَدَتْهُ المصادر التي اعتمدنا عليها في ترجمته من منصفاته[٤١٢] هو كما يلي :

١ ــ « المصباح في الجمع بين الأذكار والسلاح » .
٢ ــ « شرح سُنَن أبي داود » ، الذي سمّاه « انتماء السُّنَن واقتفاء السُّنَن » .

---

(٤٠٨) انظر « الأعلام » جزء ١ ص ٢١٦ .

(٤٠٩) انظر « معجم المؤلفين » ط بيروت ، دار المثنى جزء ٢ ص ٦٢ .

(٤١٠) انظر : « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » ، ط مكتبة المثنى بيروت جـ ٢ ص ١٥٨٩ .

(٤١١) انظر : « الدرر الكامنة » جزء ١ ص ٢٤٢ ، و « الأنس الجليل » جزء ٢ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ و « كشف الظنون » جـ ٢ ص ١٥٨٩ .

(٤١٢) انظر : « الأُنس الجليل » جزء ٢ ص ١٥٨ ، و « كشف الظنون » جـ ٢ ص ١٥٨٩ ، و « الأعلام » جزء ١ ص ٢١٦ ، و « معجم المؤلّفين » جزء ٢ ص ٦٢ .

٣ ــ « اقتضاءُ المنهاج في أحاديث المعراج » .

ثم ٤ ــ « مثير الغرام في زيارة القدس والشام » ، وهي المخطوطة التي بين أيدينا ، ويقول صاحب « الأُنس الجليل » ، إنّه فرغَ منه في يوم الأربعاء ، الثالث والعشرين من شعبان سنة ٧٥٢ وهو ببيت المقدس[٤١٣] ، ويشاركه صاحب كشف الظنون في تحديد الشهر والسنة ، دون أن يحدّد اليوم ، ويقول إنه « مشى فيه على النهج الأقوم »[٤١٤] .

ويوردُ له مجيرُ الدين الحنبلي الأبيات الخمسة التالية :

قد صحَّ عند الناس أني مُغْرَمٌ ... أتُرى تجودُ بما ادَّعَوْهُ وتُنْعِمُ ؟
فلقد شَهِدْتُكِ دونَهُمْ بدر الدّجى ... لبليتي ومنيتي ، ولقد عَمُوا
كم ذا أوَرِّي والعواذلُ حُضَّرٌ ... وأصدُّ عن ذكراك كي يتوهموا
وإذا ذُكِرْتِ أري الرقيبَ تَجَلُّداً ... وأخو الصبابة ، ما عساه يكْتُمُ ؟!
غَدَرَ الهوى من بعدِ ما سالَمْتُهُ ... ومَنِ الذي يهوى ومنه يَسْلَمُ ؟![٤١٥]

والجدير بالذكر أن كراتشكوفسكي ، صاحب « تاريخ الأدب الجغرافي العربيّ » يتحدّث عن الاختلاف على لقب المؤلف ، وينقل عن المستشرق الروسي مدنيكوف Mednikov أنّه يفضل لقب « جمال الدين » . ولا أدري لِمَ يفضّلُ هذا المستشرقُ اللقبَ الذي لم يُكْتَبْ مع اسم المؤلّف على غلاف مخطوطته .

ويذكرُ كراتشكوفسكي أنّ المؤلف لم يكُنْ فلسطينيَّ الأصل فَحَسْب ، بل إنه يسوق نسبه إلى الصحابي الجليل ، تميم الداري . ثم يقول إنه ـ المؤلف ـ اعتمد على ما تواتَرَ لدى أسرته من أخبار تميم الداري ، فوضع كتاباً بعنوان : « إفحام المماري بأخبار تميم الداري » .

---

(٤١٣) انظر « الأنس الجليل » جزء ٢ ص ١٥٨ .

(٤١٤) انظر : كشف الظنون « جـ ٢ ص ١٥٨٩ » .

(٤١٥) انظر : « الأُنس الجليل في تاريخ القدس والخليل » جزء ٢ ص ١٥٨ .

ويؤيد كراتشكوفسكي الرواية التي تقول بوفاة المؤلف في القاهرة ، مع أنه يؤيد ما ذهب إليه الآخرون ، من أنه اشتغل في التدريس مدّةً طويلة في القدس(٤١٦) .

وصف المخطوطة التي اعتمدت عليها

النسخة التي اعتمدت عليها ، هي صورة عن مخطوطة مكتبة جوتا ، كما هو واضح من ختم المكتبة المثبت على غلاف النسخة . وتقع هذه النسخة في ١٤٤ ورقة ، إذا عددنا ورقة الغلاف التي تحمل عنوان المخطوطة واسم مؤلفها . وتحتوي كل ورقة ـ باستثناء ورقة الغلاف ـ صفحتين ، معدل عدد السطور في كل منها ١٧ سطراً . ويبلغ طول الورقة الواحدة ٢٣ سم ، وعرضها ١٥ سم .

وتنقسم مادة المخطوطة إلى قسمين كبيرين : الأول في فضائل الشام وبيان حدوده وذكر الآيات الواردة في فضله ، والثاني في فضل المسجد الأقصى . وقد ختمَ المؤلف كتابه بذكر من وردَ القدس من خيار المسلمين ، وبالخطبة التي ألقيت في المسجد الأقصى يوم الجمعة ، بعد أن استعاد صلاح الدين القدس من الفرنج سنة ٥٨٣ هـ .

وقد اعتمد المؤلف في إيراد رواياته طريقة الإسناد المعروفة ، إلا أنّه أوضح أنّ الأحاديث التي أوردها تتراوح بين الصحيح والحسن والغريب والضعيف والواهي والموضوع ، كما أن الروايات الأخرى التي تضمّنها كتابه ، تراوحت ، كما ذكر ، بين القوية والواهية . واعتذر عن إيراد الضعيف والواهي بأنه إنما أتى به من أجل بيانه لا غير ، في حين احترز من إيراد أشياء رويتْ عن كعب الأحبار ، ووهب بن منبّه .

وتنتهي مخطوطة الكتاب التي اعتمدتُ عليها باسم الذي تولّى نسخ مادتها دون

(٤١٦) انظر « اغناطيوس كراتشكوفسكي » : « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم . القاهرة ١٩٦٥ جزء ٢ . وتقع المادة الخاصة بمؤلف « مثير الغرام » وبكتابه بين الصفحتين ٥١١ و ٥١٢ من الترجمة العربية لكتاب كراتشكوفسكي .

أن يذكر تاريخ النسخ . والعبارة التي كتبها الناسخ في نهاية المخطوطة ، هي كما يلي :

« نجز تعليق هذا الكتاب على يد أضعف العبيد وأحقرهم وأذلّهم وأصغرهم ، محمد أبي حامد بن خليل بن يوسف الشهير والده بالموقّت بالرملة ، . . »(٤١٧) تغمده الله بالرحمة والرضوان ، البلبيسي الأصل ، الرملي المولد ، ثم المقدسي المنزل ، الشافعي ، غفر الله ولوالديه ، وَلِمَنْ كتَبَه له .

برسم سيدنا وشيخنا ، وبركتنا ، الشيخ الإمام ، والحَبْر الهُمام ، الفاضل الكامل ، المحقِّق المدقِّق ، أوحدِ الفنّ ، علّامةِ الزمان ، قاضي القضاة وشيخ الإسلام ، بقيّةِ المجتهدين ، وتاج المدرسين ، ومفيد الطالبين والمدافِع عن الحقّ حيث لا ناصر ولا معين ، شهاب الدين أبي العبّاس ، أحمد بن الصلاح الأمويّ المصريّ ، ثم المقدسي الشافعي ، شيخ الصلاحيّة بالقدس الشريف ، أدام الله لنا بقاءه وحفظه وتولاه وغفر له ولنا وللمسلمين أجمعين .

ونستطيع تحديد تاريخ كتابة نسختنا هذه من خلال معرفة الفترة التي تولّى فيها شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الصلاح الأموي المقدسي الشافعي ، الذي كتبتْ هذه النسخة له مشيخةَ الصلاحيّة ، وهي فترة معروفة لنا لحسن الحظّ ، إذ إنه تولى هذا المنصب خلال الفترة ٨٣٨ ـ ٨٤٠ هـ(٤١٨) ، فلابدّ أنْ تكون نسختنا هذه إذن قد كُتبتْ خلال الفترة المذكورة ، وهي فترة قريبة نسبيا من تاريخ تأليف الكتاب سنة ٧٥٢ هـ .

---

(٤١٧) توجد كلمة « كان » بعد كلمة « الرملة » في النص ، ولا أجد لهذه الكلمة في موضعها مكانا ، ولا تضيف أيّ معنى إلى العبارة .

(٤١٨) انظر « شذرات الذهب » جـ ٧ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، حيث يذكر ابن العماد الحنبلي أنّ شهاب الدين أحمد بن الصلاح تولى مشيخة الصلاحية في ذي الحجة سنة ٨٣٨ هـ ، وأنه توفي في شهر ربيع الآخر سنة ٨٤٠ هـ .

أما بداية المخطوطة فهي كما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه ثقتي ، وهو حسبي ونعم الوكيل . الحمدلله الذي زاد المسجد الأقصى شرفا بالإسراء إليه بخير البشر . . » .

وقد كُتبت المخطوطة بخط عادي واضح ، لا صعوبة في قراءته وقسّم المؤلف مادته إلى أبواب وفصول .

المختار من المخطوطة

المقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه ثقتي ، وهو حسبي ، ونعم الوكيل .

الحمدلله الذي زاد المسجد الأقصى شرفا بالإسراء إليه بخير البشر . وجعلَه ثانيَ مسجد وُضِع على وجـه الأرض ، كما في صحيـح الخَبَر . وقبلةً أولى فصلّى إليـه المصطفى ستة عشر شهرا ، أو سبعة عشر . وفضَّل الصلاة فيه على الصلاة في غيره خلا « مسجدَيْ »(٤١٩) طيبة ومكة ذي الركن والحجر . وبارك حوله ليعلم أن البركة فيه أولى بالاعتبار والنظر . وقال نبينا ﷺ : « ائتوا بيت المقدس فصلّوا فيه ، فإنه أرض المحشَر والمنشَر . ومن أحرم منه بحجّ غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . ومن قَصَدَهُ لا ينهزُه(٤٢٠) إلا الصلاة فيه ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه ، فيا فوز من أخلص وتطهّر . وأشهد أنْ لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة من أرغَم بها من جحد واستكبر ، وأقمع بها من تولّى وكفر . وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله صاحب اللواء والكوثر ، المبعوث إلى الأسود والأحمر . صلى الله عليه وعلى أصحابه وسلم : من آوى إليه ونصر .

---

(٤١٩) في الأصل : « مسجد » ، والصواب ما أثبتناه ، لأن الإشارة إلى مسجدين لا إلى مسجد واحد .

(٤٢٠) ينهزه : يدفعه (لسان العرب مادة « نهز »)

وبعد ، فهذا كتاب نفيس الخطر ، جليل القدر ، جامع الغُـرَر(٤٢١) ، سميته « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، ورتّبته تـرتيبا ، وهـذبته تهـذيبا ، وأتقنتـه إتقانا ، وأوضحته تبيانا ، وجعلته في كتب الفضائلَ ، الفاضل كلَّها ، المشارَ إليه ، والمعوّلَ عليه ، إذ بيّنْتُ حال أحاديثه وآثاره غالبا ، الصحيحة والضعيفة والموضوعة والحسان ، وليس كذلك من صنّف في الفضائل ، بل أورد أحاديث كتابه مجملة دون بيان .

وجعلت الكتاب على قسمين : القسم الأول في فضائل الشام وبيـان حدوده «وأقسامه»(٤٢٢)، وما قيل فيه من التقسيم، وذكر الآيات (م ٦٦) الواردة في فضله في القرآن الكريم . وشمل ذلك على أبواب وفصول .

القسم الثاني في فضل المسجد الأقصى ، وما يتصل به على الخصوص ، من ابتداء وضعه وبنيانه ، وما كان فيه من العجائب والآثار أول شأنه . ويشتمل على فصول وأبواب . وجعلت الكتاب مختوماً بذكر بعض من ورد البلد من الأخيار ، ومن عرف منهم باستيطانه ، وبالخطبة المقولة فيه عند فتحه سنة خمسمائة وثلاث وثمانين ، إذ هي مشتملة على بعض فضله المبين ، وكل ذلك بالتحقيق ، والله المسؤول أن يهدينا إلى أقوم طريق . (م ٦٧) .

---

(٤٢١) الغرر : جمع غرة . وغرة الشيء : أكرمه وخياره ورأسه . (لسان العرب مادة « غرر »)

(٤٢٢) في الأصل : إشقاقه : ولم أجد هذا الجمع فيما رجعت إليه من معجمات .اللغة . ولعلها محرفة عن كلمة أخرى ، هي كلمة « أقسامه » التي أثبتناها .

(م ٦٦) : ١ ، ٢ .

(م ٦٧) : ٢ .

الباب الأول : في ذكر الآيات الواردة
في فضل القدس والشام

. . وقال تعالى : ﴿ سبحانَ الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . . . ﴾(٤٢٣) . لو لم يكن للمسجد الأقصى فضيلة إلا هذه الآية العظيمة ، لكانت كافية ، لأنّ الله تعالى نوّه بأمره في كتابه العزيز ، وجعله طريق جبيبه ﷺ لمّا أراد أن يعرج به إلى السماء ، وأثنى عليه نبينا لفضله ، وليجمعَ له فضل البيتين وشرفَهما ، وإلا فإن الطريق من البيت الحرام إلى السماء ، كالطريق من بيت المقدس إليها ، ولأنها قبلة الأنبياء ومقصدهم . .(٤٢٤) .

الذي باركنا حوله : يعني الشام . والشام بالسريانيّة : الطيّب ، سميتْ بذلك لطيبها وخصبها ، وذُكِر غير ذلك . قال النحاس : باركنا حوله : بـارك الله في تلك المواطن بأنْ باعد الشرك عنها ، ولهذا سُمّيت البيت المقدس ، لأنه قُدِّس ، أي طُهِّر من الشرك(٤٢٥) . وقول النحاس أقرب إلى حقيقة مدلول لفظ « الحَوْل » . ويجوز أن يكون أخذ تفسير « الحول » بالشام من دليل آخر غير هذا ، في قوله تعالى : ﴿ لتُنْذِر أمّ القرى ومن حولها ﴾(٤٢٦) ، يريد جميع أهل قرى الأرض . وحول الشيء : إزاؤه وما قـرب منه . والأقـرب أن يحمل حـول الشيء على ما دون مسـافة القِصَـر . وقيـل « الأقصى » لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام . قيل : كان أبعدَ مسجدٍ عن أهل مكة في الأرض يُعَظَّم بالزيارة . والبركة إثبات الخير . أي بالأنهار والأشجار والثمار والأنبياء الصالحين(٤٢٧) .

---

(٤٢٣) الآية ١ من سورة الإسراء .

(٤٢٤) أثبتنا هذه الفقرة على الرغم من أن فيها تكرارا لما ورد في مخطوطة « تحصيل الأنس » ، لأن فيها زيادة عما ورد في تلك المخطوطة .

(٤٢٥) في هذه الفقرة تكرار لبعض ما ورد في مخطوطة « الكنجي » ، ولكن فيها زيادة وبعض اختلاف كذلك . ولذا أثبتناها هنا .

(٤٢٦) الآية ٩٣ من سورة « الأنعام » .

(٤٢٧) تحتوي الفقرة تكرارا لبعض ما ورد في مخطوطة الكنجي ، ولكن فيها زيادة عليها كذلك ، وهذا ما برّر إثباتها هنا .

قال مجاهد : سمّاه مباركا لأنه مقرُّ الأنبياء والملائكة والوحي ، ومنه يُحْشَر الناس يوم القيامة . (م ٦٨) .

وروى جويبر[٤٢٨] ، عن الضحاك[٤٢٩] ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ باركنا حوله ﴾ : فلسطين من جهة مصر إلى العريش ، والأردنّ ، وهو نهر الشريعة . وجويبر هذا هو ابن سعيد البلخي . قال الدارقُطْني[٤٣٠] وغيرُه : متروك[٤٣١] . وقال ابن عباس : بيت المقدس عليها الطَلّ والمطر منذ خلق الله السنين والأيام . .

قال تعالى : ﴿ . . إنّ الأرض لله ، يرثُها عبادي الصالحون ﴾[٤٣٢] . قيل في أحد الأقوال : إنها الأرض المقدسة ، ترثُها أمّةُ محمد ﷺ . .

---

(٤٢٨) جويبر : هو جويبر بن سعيد ، توفي حوالي سنة ١٥٠ هـ (انظر « سيزكين » مجلد ١ جزء ١ ص ٧٢) .

(٤٢٩) الضحّاك : هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، وثّقَهُ الإمام أحمد وغيره . ذُكِر أنه كان فقيه مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبي . توفي في خراسان سنة ١٠٢ هـ حسبما ذكر ابن العماد الحنبلي . وقد أورد سيزكين تاريخا مخالفا لوفاته هو سنة ١٠٥ هـ وقال عنه إنه روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة ومالك ، وكان مؤدِّباً جليلا ، ومفسّراً للقرآن مشهورا . (انظر « شذرات الذهب » جـ ١ ص ١٢٤ و « سيزكين » ، مجلد ١ جـ ١ ص ٧١ . وانظر كذلك ما كتبه عنه ابن سعد في طبقاته » ، جـ ٧ ص ٣٦٩) .

(٤٣٠) الدارقُطْني : هو أبو الحسن ، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدار قطني ، ولد سنة ٣٠٥ أو ٣٠٦ هـ في حي من أحياء بغداد يدعى « دار القطن » ، فنسب إليه . رَحَل كثيرا في طلب العلم ، وكان عالماً بالحديث والقراءات والأنساب والأدب ونقد الحديث والجرح والتعديل . وكانت أحكامه على المحدِّثين معيارا للحكم عند متأخري العلماء . توفي سنة ٣٨٥ هـ ، وله كتاب « السُّنَن » الذي يحتوي على أبواب الفقه الأساسية . (انظر : معجم البلدان ط بيروت جـ ٢ ص ٤٢٢ ، و « سيزكين » مجلد ١ ، جزء ١ ص ٤١٨) .

(٤٣١) متروك : أي لا يؤخذ بحديثه .

(٤٣٢) الآية ١٠٥ من سورة « الأنبياء » .

(م ٦٨) : ٢ ، ٣ .

وقال تعالى : ﴿ وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾[٤٣٣] ، روينا عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال : دمشق . وروي عن سعيد بن المسيب ومقاتل[٤٣٤] ، وقيل : الرملة . وقال السُدّي :[٤٣٥] أرض فلسطين . وقال ابنُ عباس هي بيت المقدس ، وهو قول قتادة وكعب . . . (م ٦٩) .

[تفسير عكرمة المورد هنا لآية ﴿ هو الذي أخرجَ الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾ ، سبق أن أورد في مخطوطة « تحصيل الأنس لزائر القدس » فلا داعي للإعادة][٤٣٦] .

. . . وروى « البَغَويّ »[٤٣٧] في تفسيره عن ابن عباس قال : من شكّ أن المحشر بالشام ، فَلْيقرأْ هذه الآية[٤٣٨] ، فكان هذا أولَ حشرٍ إلى الشام. قال النبيﷺ: اخرجوا . قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى أرض المحشر . (م ٧٠) .

---

(٤٣٣) الآية ٥٠ من سورة « المؤمنون » .

(٤٣٤) مقاتل سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(٤٣٥) السدّي : هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي ذئب ، وقيل ابن أبي كريمة السُدّيّ . ويكنى أبا محمد ، صاحب التفسير . حجازي الأصل ، سكن الكوفة ، يروي عن أنس بن مالك وغيره ، وقد رأى ابن عمر ، وهو السُدّيّ الكبير ، ثقة مأمون ، روى عنه الثوري وشعبة وغيرهما توفي سنة ١٢٧ هـ . (انظر « الأنساب » للسمعاني ط بيروت ١٩٧٦ جـ ٧ ص ٦٢) .

(٤٣٦) المؤلف .

(٤٣٧) في الأصل : « النغوي » ، وهو تصحيف ، والصواب ما أثبتناه ، والبَغَوي هو أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي . كان محدث العراق في عصره . عُمِّر العمر الطويل ، وكان ثقة مكثِرا فَهْماً عارفا بالحديث . صنّف المعجم الكبير للصحابة ، وروى عنه الكثيرون . ولد سنة ٢١٣ وتوفي سنة ٣١٧ هـ ، كما جاء في « أنساب » السمعاني ، وقد أورد « سيزكين » تاريخا مختلفا اختلافا طفيفا عما أورده السمعاني ، إذ جعل مولد البغوي سنة ٢١٤ هـ . وقال إنه ولد في بغداد ، وسمع يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، وعلي بن الجعد وغيرهم ، وأضاف أنه كان محدثا ثقة ومؤرخا ومفسرا للقرآن (انظر « الأنساب » للسمعاني ، جزء ٢ صفحة ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ، و« سيزكين » ، مجلد ١ ، جزء ١ صفحة ٣٤٥) .

(٤٣٨) أي الآية الثانية من سورة الحشر « هو الذي أخرج . . . » .

(م ٦٩) : ٣ ، ٤ .	(م ٧٠) : ٥ ، ٨ .

الفصل الثالث في بيان حدود الشام

اعلم أن حدّه من الغرب ، البحر المالح ، وعلى ساحله مدائن عدة . وحدّه من الجنوب : رمل مصر والعريش ، ثم تيه بني إسرائيل وطوز سيناء ، ثم تبوك . وحده في الشرق من بعد دومة الجندل(٤٣٩) . بريّة السماوة ، وهي كبيرة ممتدة إلى العراق ، ينزلها عرب الشام . وحدّه من الشمال مما يلي الشرق أيضا : الفرات ، فحوض الفرات إلى بلاد الجزيرة . فطوله من العريش إلى الفرات ، هو عشرون يوما أو أكثر . نعم : قال في كتاب « المسالك والممالك »(٤٤٠) : خمسة وعشرون يوما ، وعَدَّ مسافة ما بين كل بلد.وعرضه يزيد وينقص ، أكثره ثمانية أيام ، وأقلّه ثلاثة . ذكر هذا التحديد شيخنا مؤرخ الشام ، شمس الدين محمد الذهبي(٤٤١) في كتاب « البلدان » له . .

وقال غيرُه : قَسّمت الأوائل الشام خمسة أقسام ، **الأول : فلسطين** . . . وأول حدود فلسطين من طريق مصر : رفح ، وهي العريش(٤٤٢) ، ثم يليها غزّة ، ثم الرملة : رملة فلسطين . ومن مدن فلسطين : إيليا . وهي بيت المقدس ، بينها وبين الرملة نحو ثمانية عشر ميلا . وبيت المقدس كان مُلْكَ داود وسليمان عليهما السلام .

---

(٤٣٩) دومة الجندل : موضع على بعد سبع مراحل من دمشق ، بينها وبين مدينة الرسول عليه السلام . وهي حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء ، وهي القريّات . ومن وادي القرى إلى تيماء : أربع ليال . وقد افتتحها خالد بن الوليد سنة تسع للهجرة ، وذهب بعض الرواة إلى أن التحكيم بين عليّ ومعاوية كان بها . (انظر معجم البلدان ط بيروت ، جـ ٢ ص ٤٨٧) .

(٤٤٠) تأليف أبي القاسم محمد بن حوقل البغدادي ، المتوفى سنة ٣٥٠ هـ . (انظر « كشف الظنون » ، جـ ٢ ص ١٦٦٤) .

(٤٤١) الذهبي : هو محمد بن أحمد بن عثمان ، شمس الدين الذهبي ، أبو عبدالله ، حافظ مؤرخ علامة محقق ، مولده ووفاته في دمشق . تصانيفه تقارب المئة . منها « دول الإسلام » و « تاريخ الإسلام الكبير » . توفي سنة ٧٤٨ هـ . (انظر « الأعلام » جـ ٦ ، ص ٢٢٢ و٢٢٣) .

(٤٤٢) هذا وهمٌ من المؤلف ، إذ أنّ رفح غير بلدة العريش التي تعتبر مركز شبه جزيرة سيناء المصرية .

ومن مدن فلسطين : عسقلان ، ولُدّ ، وسَبَسْطِيةَ ، ونابُلُس ، ومدينة الخليل عليه السلام .

قال المؤلف : قال في كتاب « المسالك والممالك » : إنّ مسافة فلسطين للراكب ، طول « يومين »(٤٤٣) من رفح ، وهي العريش(٤٤٤) إلى حدّ اللجون ، وعرضه من يافا إلى أريحا مسافة يومين . (م ٧١) .

الشام الثانية : الجولان ، مدينتها العظمى طبرية . . . ومن مدنها : الغور(٤٤٥) واليرموك وبيسان ، فيما بين فلسطين والأردن . . . ، والأردنّ ، هو النهر المعروف بالشريعة ، المذكور في قوله تعالى : ﴿ إن الله مبتليكم بِنَهر ﴾(٤٤٦) وهو بضمّ الهمزة والرّاء الساكنة ، وضمّ الدال المهملة ، وتشديد النون .

الشام الثالثة : الغوطة ، ولها ذكر في آثار عدة ، ستأتي إن شاء الله تعالى ، ومدينتها العظمى دمشق . . . ومن سواحلها : طرابُلُس . ودِمَشْق بكسر الدال وفتح الميم . ويجوز في لغة ضعيفة ، كسر الميم . قال الحافظ ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر(٤٤٧) ، في كتاب « الأربعين البلدانيّة » ، له عند ذكرها .

---

(٤٤٣) في الأصل : « يومان » ، وهو خطأ لغة .

(٤٤٤) انظر رقم ٤٤٢ في الحاشية السابقة .

(٤٤٥) الغور ليس بمدينة ، وإنما هو غور نهر الأردن ، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض بيت المقدس ، ولذلك سمي « الغور » طوله مسيرة ثلاثة أيام ، وعرضه نحو يوم ، فيه نهر الأردن ، وبلاد وقرى كثيرة ، وعلى طرفه طبرية وبحيرتها . وأشهر بلاده بيسان ، بعد طبريّة . وهو وخم شديد الحر ، وأكثر ما يزرع فيه قصب السكر ، ومن قراه أريحا . (انظر : « معجم البلدان » ط بيروت ، جـ ٤ ص ٢١٧) .

(٤٤٦) الآية ٢٤٩ من سورة « البقرة » .

(٤٤٧) أبو القاسم بن عساكر : هو الحافظ ابن عساكر ، أبو القاسم ، علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي محدث الشام ، صاحب تاريخ دمشق وغيره من المؤلفات . ولد سنة ٤٩٩ ، وسمع من نحو ألف وثلاثمائة شيخ ، وثمانين امرأة . وكان ديِّنا خيِّرا . توفي في رجب سنة ٥٧١ هـ (انظر : « شذرات الذهب » ، جـ ٤ ص ٢٣٩) .

(م ٧١) : ٩ .

هي أمُّ الشام ، وأكبر مدنه ، وهي من الأرض المقدسة .

الشام الرابعة : حمص . . . وعن قتادة قال : نزل حمصَ خمسُ مائة من أصحاب رسول الله ﷺ . ومن أعمالها : سَلَمِيّة .

الشام الخامسة : قنّسرين ، ومدينتها العظمى حلب ، ومن أعمالها : سرمين[٤٤٨] ، وانطاكية ، ويقال إنها قرية حبيب النجار[٤٤٩] ، وذكروا لكل قسم من هذه الخمس بلاداً ومعاملات ، ثبتت في « المُذَيَّل » لابن السمعاني . . . وعن عبدالله بن سليمان بن الأشعث[٤٥٠] بالشام عشرة آلاف عين رأت النبيّ ﷺ . . (م ٧٢) .

---

(٤٤٨) سرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب ، وأهلها (أيام ياقوت) إسماعيلية . (أنظر : « معجم البلدان » ط بيروت ، جـ ٣ ص ٣١٥) .

(٤٤٩) حبيب النجار : ذكر ياقوت أنّ قبره في أنطاكية ، وأنه يُقصد من الأماكن البعيدة ، وأنه يزار . وأضاف أنه يقال إنه نزلت فيه الآية : ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ، قال يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾ . (الآية ٢٠ من سورة « ياسين ») وذكر الخازن في تفسيره ، أن حبيب النجار التقى اثنين من رسل المسيح في أنطاكيه . (انظر « معجم البلدان » . ط بيروت جـ ١ ص ٢٦٩ ، و « تفسير الخازن » ، طبعة بيروت ، جـ ٤ ص ٤) .

(٤٥٠) عبدالله بن سليمان بن الأشعث : هو أبو بكر بن أبي داود ، الأزديّ السجستاني ، من كبار حفاظ الحديث ، له تصانيف ، كان إمام أهل العراق . ولد بسجستان ورحل مع أبيه رحلة طويلة ، وشاركه في شيوخه ، واستقر وتوفي في بغداد سنة ٣١٦ هـ . من كتبه « المُسْنَد » و « السُّنَن » . (انظر « الأعلام » ، جـ ٤ ص ٢٢٤) .

(م ٧٢) : ٩ ، ١٠ .

باب دعائه عليه السلام بالبركة في الشام

عن نافع[٤٥١] (عن)[٤٥٢] ، ابن عمر ، أن النبي ﷺ قال : « اللهمَّ بارك لنا في شامنا ، اللهم بارِكْ لنا في يَمَنِنا » ، قالها مرارا . . .

[الحديث الذي رواه عبدالله بن حوالة عن الرسول ﷺ ، المورد في هذه المخطوطة تحت « باب الترغيب في سكن الشام » ، سبق أن ورد في مخطوطة « فضائل بلاد الشام وفضائل مدنها . . » السابقة من تأليف مؤلف مجهول فلا داعي للإعادة . وقد عقّب مؤلف هذه المخطوطة - « مثير الغرام إلى زيارة القدس الشام » - على الحديث المذكور بقوله : « هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم ، مسلسل بالدمشقيين في جميع رجاله ، إلى عبدالله بن حوالة ، وقد نزل أيضا الشام وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين[٤٥٣]] . (م ٧٣) .

باب : الشام خيرة الله من بلاده ، يجتبي إليها خيرته من عباده

[الحديثان اللذان يوردهما المؤلف هنا عن أبي قبيل ، عن معاوية بن أبي

---

(٤٥١) نافع : هو أبو عبدالله ، نافع الديلمي ، فقيه المدينة ، مولى عبدالله بن عمر . كان من جلة التابعين . بعثه عمر بن عبدالعزيز إلى مصر يعلمهم السنن . وقد روى أيضا عن عائشة وأبي هريرة . توفي سنة ١١٧ هـ . (انظر « شذرات الذهب » ، جـ ١ ص ١٥٤ . وانظر كذلك ما كتبه ابن سعد عن نافع في « طبقاته » جـ ٥ ص ٤١٣ ز ٤١٨ ز ٤٥٥ . وما كتبه سيزكين في مجلد ١ جـ ٤ ص ٣٧٤) .

(٤٥٢) في الأصل : نافع بن عمر دون إيراد كلمة « عن » بين « نافع » و « ابن عمر » وقد أسقط الناسخ كلمة « عن » ، وهو خطأ ، لأن « نافع » ليس ابن عمر ، بل هو مولاه ، وهو لم يرو الحديث عن الرسول عليه السلام ، بل رواه عن ابن عمر ، الذي رواه عن الرسول ﷺ .

(٤٥٣) ما بين المعكوفتين من تعقيب مؤلف هذا الكتاب .

(م ٧٣) : ١١

سفيـان ، وعن مكحول ، عن واثلة بن الأسقـع ، سبق أن أوردهمـا المكنـاسي في مخطوطته السابقة ، فلا داعي للإعادة][٤٥٤] .

باب قول الصادق عليه السلام إن أرض المحشر الشام

. . . وعن شهـر بن حوشب[٤٥٥] ، قـال : حدثتني أسمـاء[٤٥٦] ، وهي ابنة يـزيد بن (. . . .)[٤٥٧] ، أن أبـا ذر كان يخـدم النبي ﷺ ، فإذا فـرغ ، أوى إلى المسجد ، فكان بيتَهُ يضطجع فيه . فدخل رسول الله ﷺ ، فَنَكَتَهُ برجله حتى اسْتوى قائماً . فقال : « ألا أراك نائماً ؟ فقال أبو ذر : يا رسول الله فأين أنام ؟ هل لي من بيت غيره ؟ فجلس إليه رسول الله ﷺ ، فقال له : « كيف أنت إذا أخرجوك منه » ؟ قال : إذاً ألحقُ بالشام ، فإنها أرض الهجرة وأرض المَحْشَر ، وأرضُ الأنبياء ، فأكون رجلا من أهلها . قال : « كيف أنت إذا أخرجوك من الشام » ؟ قال : (م ٧٤) إذاً أرجع إليه فيكون بيتي ومنزلي . قال : « فكيف أنت إذا أخرجوك منه الثانية » ؟ قال : إذاً آخذُ سيفي فأقاتل عنّي حتى أموت ! قال : فكشَّرَ[٤٥٨] إليه رسول الله ﷺ ، وأنهَضَه بيده ، وقال : « أَدُلُّك على خير من ذلك » ؟ فقال : بلى بأبي أنت وأمي يا نبي الله ! قال : « تنقاد لهم حيث قادوك ، وتنساقُ لهم حيث ساقوك ، حتى تلقاني وأنت على ذلك » . أخرجه الإمام أحمد في مسنده .

---

(٤٥٤) ما بين المعكوفتين من تعقيب مؤلف هذا الكتاب .

(٤٥٥) شهر بن حوشب : هو شهر بن حوشب الأشعري ، من الطبقة الثانية من التابعين في الشام . قيل عنه إنه كان ضعيفا في الحديث . اختلف في سنة وفاته بين سنتي ٩٨ و ١١٢ هـ . (انظر طبقات ابن سعد جـ ٧ ص ٤٤٩) .

(٤٥٦) أسماء : هي أسماء ابنة يزيـد ، وكنيتها أم عـامر . أسلمت ، وبـايعت رسول الله ﷺ ، وروت عنـه أحاديث ، وشهدت معه بعض المشاهد . روت أنها كانت في نسوة ، فسلم عليهن الرسول ﷺ ، فرددن السلام (انظر طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ٣١٩ ـ ٣٢٠) .

(٤٥٧) الكلمة غير مقروءة .

(٤٥٨) كشّر : الكَشْر ، بُدُوّ الأسنان عند التبسّم . (لسان العرب : مادة كشر) .

(م ٧٤) : ١١ ، ١٢ .

باب إنزال القرآن بالثلاثة البلدان

. . . عن أبي أمامة ، عن النبي ﷺ ، قال : أنزلتْ علي النبّوةُ في ثلاثة أمكنة : بمكة والمدينة والشام(٤٥٩) . حديث صحيح . . .

باب مقام الطائفة المنصورين الذين لا يزالون إلى قيام الساعة على الحق ظاهرين

[ما أورده مؤلف المخطوطة تحت هذا الباب ، من حديث أبي أمامة ، سبق أن أورده ابن هشام في مخطوطة « تحصيل الأنس لزائر القدس » ، فلا داعي للإعادة](٤٦٠) (م ٧٥) .

(٤٥٩) المقصود بالشام هنا على وجه التحديد : القدس ، كما هو واضح في رواية الحسن بن محمد بن حبيب المفسر عن الآيات السُّفَرية ، إذ أنه يصرح بأن الآية ٤٥ من سورة الزخرف : « وسئل من أرسلنا من قبلك من الرسل . . » قد نزلت بيت المقدس . (انظر مخطوطة « تحصيل الأنس لزائر القدس » الورقة السابعة من صورة المخطوطة التي اعتمدت عليها ، والمرقمة أصلا في المخطوطة برقم ٦٢) .

(٤٦٠) تعقيب المؤلف .

(م ٧٥) : ١٢ ، ١٤ ، ١٥ .

القسم الثاني

في فضل المسجد الأقصى ، وما يتعلق به على الخصوص من ابتداء وضعه وبنيانه، وما كان فيه من العجائب والآثار أولُ شأنه

الباب الخامس في فتوح القدس الشريف صلحاً على يد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

[ما أورده مؤلف هذه المخطوطة تحت هذا الباب مطابق تقريباً لما أورده المشرّف بن المرجّى المقدسي ، في مخطوطته التي كانت أول مخطوطة اخترنا منها ، وكذلك لما أورده عبدالرحيم بن علي بن شيث القرشي في مخطوطته « مفتاح المقاصد ومصباح المراصد » التي كانت المخطوطة الثانية التي اخترنا منها ، فلا داعي للإعادة هنا ، إلا من فقرة أوردها صاحب هذه المخطوطة عن كَرْمٍ لرجل من النصارى أكل منه المسلمون دون إذن من صاحبه ، مما جعل صاحبه يستصرخ الخليفة عمر] .[1]

. . . فظهروا[2] على أماكن لم يكونوا ظهروا عليها قبل ذلك ، وظهروا يومئذ على كَرْمٍ كان في أيديهم[3] لرجل من « النصارى »[4] له ذمةٌ مع المسلمين في كَرْمِه ، فجعلوا يأكلون . فأتى الذميُّ عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ، كَرْمي ، كَرْمي ! كان في أيديهم فلم « يستبيحوه »[5] ولم يتعرضوا له ، وأنا رجل لي ذمّة . فلما

---

(١) المؤلف .

(٢) فظهروا : ضمير الجماعة في الفعل يعود إلى المسلمين .

(٣) كان في أيديهم : أي في أيدي المحاصَرين في القدس ، قبل أن يفتح المسلمون المدينة .

(٤) في الأصل : « منهم » ، وهو مخالف لمقتضى السياق ، والصواب ما أثبتناه حسبما أورده مجير الدين الحنبلي (انظر : « الأنس الجليل » ، جزء ١ ص ٢٥٣)

(٥) في الأصل : « يفتحوه » ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه حسب رواية مجير الدين الحنبلي . (انظر « الأنس الجليل » جزء ١ ص ٢٥٣) .

ظهر عليه المسلمون ، وقعوا فيه . فدعا عمر بن الخطاب ببرذون له . فركبه عُرْياً من العجلة (م : ٧٦) . قال : ثم خرج يركض في عِراص المسلمين . قال : فكان أوَّلَ من لقيه ، أبو هريرة ، يحمل فوق رأسه عنباً . قال : فقال له : وأنت أيضا يا أبا هريرة ؟! قال : فقال ، يا أمير المؤمنين ، أصابَتْنا مَخْمَصَة[٦] شديدة ، وكان أحقّ الناس بأكلنا من ماله ، من قاتَلْنا من ورائه . قال : (. . . .)[٧] فتركه عمر ، ثم مضى ، ثم أتى الكرم . قال : فنظر ، فإذا الناس قد « أسرعوا »[٨] فيه . قال : فدعا عمر الذمي ، « فقال له »[٩] ، كم كنت ترجو من غلّة كَرْيك هذا ؟ ، قال : فقال له شيئا . قال : « فخل »[١٠] سبيله . قال : فأخرج عمرُ ثمنَه الذي قال ، فأعطاه إياه ، ثم أباحه للمسلمين . . . (م ٧٧) .

احتلال الفرنج لبيت المقدس[١١]

. . . ثم إن بيت المقدس ، لم يزل بأيدي المسلمين من لدن فتوح عمر بن الخطاب ، إلى سنة إحدى وثمانين[١٢] وأربعمائة . وفي سنة اثنتين وثمانين[١٣] ، أقام

---

(٦) مخمصة : أي مجاعة .

(٧) الكلمة التي أسقطناها هي « فركبه » ، ولا معنى لها هنا . وكأنَّ الناسخ قد أدرك ذلك ، إذ كتب بعدها « أو فتركه » ، وقد أثبتنا الفعل الذي يقتضيه المعنى والسياق .

(٨) في الأصل : « أشرعوا » وهو تصحيف ، والصواب ما أثبتناه ، حسبما جاء في « الأنس الجليل » (انظر جزء ١ ص ٢٥٣) .

(٩) في الأصل : « قال » ، وما تقتضيه اللغة والسياق ، هو ما أثبتناه .

(١٠) في الأصل : « فحلا » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه كما في رواية « الأُنس الجليل » (انظر جزء ١ ص ٢٥٣) .

(١١) العنوان الفرعي هذا من وضع مؤلف هذا الكتاب وغير موجود في المخطوطة .

(١٢) هذا خطأ ، إذ إنّ الفرنج احتلوا القدس كما هو معروف سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة للهجرة . ولعله خطأ غير مقصود وقع فيه الناسخ ، كما يتبين من الأسطر اللاحقة في هذه الفقرة . (انظر « الأنس الجليل » ، ج ١ ص ٣٠٥) .

(١٣) كما في الملاحظة السابقة : إذ الصواب ، وفي سنة اثنتين وتسعين .

م ٧٦) : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ؛ (م ٧٧) : ٤٢

عليه الفرنج نيفاً وأربعين يوما ، فملكوه « ضحى »[١٤] نهار يوم الجمعة من السنة ، وقتل فيه من المسلمين خلق كثير في مدة أسبوع . وقُتِل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا ، وأخذوا من عند الصخرة من أواني الذهب والفضة مالا يضبطه الحصْر ، وانزعج المسلمون في سائر بلاد الإسلام غاية الانزعاج . وكان الأفضلُ بن أمير الجيوش ، قد تسلَّمَهُ من سقمان بن اورتق[١٥] في يوم الجمعة ، لخمس يقين من رمضان ، سنة إحدى وتسعين[١٦] ، وقيل في شعبان سنة تسع وثمانين ، ووليَ لِمَنْ قِبَلَهُ[١٧] ، فلم يكن لمن فيه طاقة بالفرنج ، فتسلموه منهم ، ثم استولى الفرنج على كثير من بلاد الساحل في أيامه ، فملكوا حيفا في شوال سنة ثلاث وتسعين ، (. . .)[١٨] وقيسارية في سنة أربع وتسعين . . . (م ٧٨) .

الفصل السابع في ذكر بناء عبدالملك بن مروان قبة الصخرة ، ومتى كان ذلك البنيان

قال العلماء : بنى عبدالملك بن مروان رحمه الله مسجد بيت المقدس ، سنة سبعين من الهجرة ، وحمل إلى بنيانه خراج مصر سبع سنين . قال سبط ابن الجوزي في كتاب « مرآة الزمان » : ابتدأ بنيانه سنة تسع وستين ، وفُرِغ منه سنة اثنتين وسبعين

(١٤) في الأصل : « ضحا » ، وقد اثبتنا رسم الكلمة كما هو متعارف عليه في أيامنا .

(١٥) سقمان بن أرتق : هو الأمير سقمان بن أرتق بن اكسك التركماني . ملك والدُه أرتق القدس سنة ٤٧١ هـ ، بتقليد من الأمير تتش ابن السلطان ألب أرسلان السلجوقي . واستمر ارتق مالكا للقدس إلى أن توفي سنة ٤٨٤ هـ . وتولى القدس من بعده ولداه سقمان وايلغازي حتى سنة ٤٨٨ هـ . وفي سنة ٤٨٩ هـ استولى الأفضل ابن بدر الجمالي الوزير الفاطمي في خلافة المستعلي بأمر الله ، على القدس بالأمان . وترك سقمان القدس وتوجه إلى الرها حيث أقام فيها . (انظر الأنس الجليل « جزء ١ ص ٣٠٥) .

(١٦) هذا يثبت ما ذهبنا إليه آنفا ، إذ إن المؤلف أو الناسخ ، قد عادعن سنة « ثمانين » إلى سنة « تسعين » وهو يؤرخ لأحداث سبقت احتلال الفرنج للقدس .

(١٧) المقصود ، أن الأفضل ولي القدس للخليفة الفاطمي ، ـ المستعلي ـ الذي يعمل هو تحت أمرته .

(١٨) كلمة غير مقروءة .

(م ٧٨) : ٤٤ ، ٤٥ .

من الهجرة . قلت[١٩] : ويقال إن الذي بني قبة بيت المقدس وجدَّدَها ، سعيد بن عبدالملك بن مروان[٢٠] . . .

[المادة التالية عن بناء عبدالملك لقبة الصخرة ، سبق أن أوردها المشرّف بن المرجّى المقدسي في مخطوطته التي أخذنا منها أول ما أخذنا ، فلا داعي للإعادة ، إلا من فقرات لاحقة ، فيها شيء من إضافة أو اختلاف عما سبق][٢١] .

طول المسجد الأقصى وعرضه[٢٢]

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله : وطول المسجد الأقصى سبعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعا بذراع الملك . وعرضه أربع مائة ذراع وخمسة وستون « ذراعا »[٢٣] بذراع الملك أيضا . قلت[٢٤] : وكذا قال أبو المعالي المشرف في كتابه .

ولكن رأيتُ قديما بالحائط الشمالي فوق الباب الذي يلي الداوادرية[٢٥] من داخل (م ٧٩) السور بلاطةً فيها طول المسجد وعرضه ، وذلك مخالف لما ذكرناه .

---

(١٩) الضمير في « قلت » عائد إلى مؤلف هذه المخطوطة .

(٢٠) يظهر أن المؤلف يخلط بين بناء قبة الصخرة ، وبين ما تولُّوا صيانة البناء وتجديده ، إذ إن المتفق عليه بصورة عامة ، أن عبدالملك بن مروان ، هو باني قبة الصخرة . وأما باني المسجد الأقصى الواقع جنوبي مسجد الصخرة ، فهو الوليد بن عبدالملك ، وقد ذكر ذلك صراحة ابن الأثير ، وربما كان أول من صرح بذلك من المؤرخين . (انظر الكامل « ط دار صادر ، بيروت ج ٥ ص ٩) .

(٢١) المؤلف .

(٢٢) العنوان الفرعي هذا ، من وضع مؤلف هذا الكتاب ، وغير موجود أصلا في المخطوطة .

(٢٣) في الأصل : « ذراع ، وهو خطأ لغة .

(٢٤) « قلت » : الضمير عائد إلى مؤلف هذه المخطوطة .

(٢٥) الداوادرية : وإليها تنسب المدرسة الدويدارية بباب شرف الأنبياء ، وهي التي سمي باب المسجد بسببها باب الدويدارية . وقد رأى مجير الدين الحنبلي في كتاب الوقف المنسوب لواقفها أنها تعرف بدار الصالحين ، وهي مكان مأنوس . (انظر : « الأنس الجليل جزء ٢ ص ٣٠) .

(م ٧٩ : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

والذي فيها أنّ طوله سبعمائة ذراع وثمانون ذراعا ، وعرضه أربعمائة وخمسون ذراعا . قلت : وَوُصِفَ فيها الذراعُ ، ولكن لم أتحققْ من ذلك : هل هو الذراع المذكور أولا ، أم غيره ، لِشَعث الكتابة . قلت : وقد ذُرِعَ بالحبال عرضُه وطولُه في وقتنا هذا ، فجاء قدْرُ طوله من الجهة الشرقية ستمئة وثلاثة « وثمانين »[٢٦] ذراعا ، ومن الغربية ، ستمئة و « خمسين »[٢٧] ذراعا ، وجاء قدر عرضه أربعمئة و « ثمانية »[٢٨] وثلاثين ذراعا خارجا عن عرض أسواره . . .[٢٩] (م ٨٠)

باب صلاة النبي ﷺ وأصحابه الجلّة وأنّ الصلاة إلى بيت المقدس كانت هي القبلة

[ما أورده صاحب هذه المخطوطة تحت هذا الباب لا يتعدّى ما أوردَتْه مخطوطة المشرّف بن المرجّى المقدسي ومخطوطة أبي إسحاق المكناسي ، وهما المخطوطتان الأولى والخامسة اللتان اخترنا منهما نصوصا في هذا الكتاب][٣٠] .

فضل البلاطة السوداء ومايكون في آخر الزمان على أسوار بيت المقدس من أسوار الذهب والفضة البيضاء

[بعد أن يورد المؤلف رواية غير قابلة للتصديق نقلها أحدهم تحت هذا العنوان

---

(٢٦) في الأصل : « ثمانون » وهو خطأ لغة .

(٢٧) في الأصل « خمسون » ، وهو خطأ لغة .

(٢٨) في الأصل : « ثمان » ، وهو خطأ لغة .

(٢٩) لا غرابة في أن يكون ثمة اختلافات في أبعاد المسجد ، وذلك لأن الترميمات المتعاقبة التي أجريت عليه ، ربما نشأ عنها تغيير في هذه الأبعاد ، كثير أو قليل .

(٣٠) المؤلف .

(م ٨٠) : ٤٩ .

وأدخلَ فيها اسم وهب بن منبه ، يقدم لنا هذه الملاحظة الذكية النافذة][31] .

« . . . قاتل الله القُصّاص الوضّاعين ، كم لهم من إفْكٍ على وهب وكعب[32] ، ولاشكّ في فضل هذا المسجد ، ولكنهم قد غَلَوْا . إنما صحّ ذلك لمسجد رسول الله ﷺ في قوله : « مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » ، مع أنّ بعض العلماء تَأَوّلَهُ ، وبعضهم حمله على ظاهره » . (م ٨١)

من ورد القدس الشريف من الأنبياء والأعيان ، ومن عُرِف فيه بالاستيطان

صلاة رسول الله ﷺ بالأنبياء بالمسجد الأقصى ليلة الإسراء

رَوَيْنا في صحيح مسلم ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، وفيه : « وقد رأيتُني في جماعةٍ من الأنبياء » وفيه : « فحانت الصلاة فأمَمْتُهُم . . »

ومن أعيان الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

قدم عمر الشام أربع مرات ، ودخل بيت المقدس ، وقد تقدم كيفية دخوله حال الصلح ، رضي الله عنه .

---

(٣١) المؤلف .

(٣٢) المقصود بالطبع ، هو كعب الأحبار .

(م ٨١) : ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .

أبو عبيدة بن الجراح ، رضي الله عنه :

قال عروة بن رؤيم[٣٣] : انطلق أبو عبيدة يريد الصلاة ببيت المقدس ، فأدركه أَجَلُه بفحل ، فتوفي بهـا . وقال أبـو عبيدة : ادفنـوني من غربي النهـر إلى الأرض المقدسة ، ثم قال : ادفنوني حيث قُبِضْتُ ، فإنني أتخوّف أن تكونَ سُنّةً . مات سنة ثماني[٣٤] عشرة في طاعون عمواس .

سعد بن أبي وقاص :

وعن أبي الدرداء ، عويمر ، رضي الله عنه ، سعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنه ، قدم بيت المقدس ، وأحرم منها . (م ٨٢) .

سعيد بن زيد :

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، رضي الله عنه . قدم بيت المقدس زمن الفتوح وتوفي بالعقيق ، وقيل بالكوفة ، ابن بضع وسبعين سنة .

عبدالله بن عمر ، رضي الله عنه :

قدم ابن عمر بيت المقدس ، وأَهَلَّ منه بعُمْرة . ومن ذلك قالوا : وقَدِمَهُ بعد صلاة الصبح ، فجلس في المسجد ، حتى إذا طلعت الشمس ، قام فصلّى ركعات هو ومن معه ، ثم قعدوا على رواحلهم ، ولم ينتظروا صلاة الجماعة .

---

(٣٣) عروة بن رؤيم : هو عروة بن رؤيم اللخمي ، من الطبقة الرابعة من التابعين الذين نزلوا الشام . كان كثير الحديث ، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة . (انظر « طبقات ابن سعد » ، جزء ٧ ص ٤٦) .

(٣٤) في الأصل : « ثمان » والصواب لغة ما أثبتناه .

(م ٨٢) : ٩٥ ، ١١٤ .

عبدالله بن عباس ، رضي الله عنهما :

أهَلَّ من بيت المقدس في الشتاء ، وقد تقدم شيء من هذا .

عبدالله بن عمرو بن العاص :

عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي ، وأبوه ، وأخوه ، رضي الله عنهم « شهدوا »(٣٥) أجنادين ، وقدموا جميعا على معاوية ، وبايعه عمرو ، فبايعه على طلب دم عثمان ، وكتب كتابا بينهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تعاهد عليه معاويةُ بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ببيت المقدس بعد قتل عثمان رضي الله عنه ، وحمّلَ كلُ واحد منهما صاحبه الأمانة : أن بيننا عهدَ الله على التناصُر والتخالُص والتناصُح في أمر الله والإسلام ، لا يخذُلُ أحدُنا صاحبَه لشيء ، ولا يتخذ من دونه وليجة ، ولا يحول بيننا وَلَد ولا والدٌ ما حيينا فيما استطعْنا » .

وقال علي بن أبي جميلة عن طَوْق ، قال : رأيت عبدَالله بنَ عمرو بن العاص يَقْدُم إلى بيت لحم يصلي فيه ، ويأمر بزيت لإيقاده(٣٦).

معاذ بن جبل الأنصاري ، رضي الله عنه :

عن عبدالرحمن بن غنم الأشعري(٣٧) ، أن معاذا أتى بيت المقدس ، فأقام به ثلاثة أيام بلياليها ، يصوم ويصلي .فلما خرج منها ، وكان على الشَّرَف(م٨٣). التفتَ

---

(٣٥) في الأصل : « شهد » ، والسياق يقتضي ما أثبتناه .

(٣٦) في الأصل : « لإيقادها » ، واللغة تقتضي تذكير الضمير .

(٣٧) عبدالرحمن بن غنم الأشعري : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(٣٨) الشرف : كل نشر من الأرض قد أشرف على ما حوله . (لسان العرب : مادة شرف)

(م ٨٣) : ١١٤ ، ١١٥ .

إليها ثم أقبلَ على أصحابه فقال : أمّا ما مضى من ذنوبكم ، فقد غُفِر لكم ، فانظروا ما أنتم صانعون فيما بقي من أعماركم .

أبو ذرّ الغفاري :

جُنْدُب بنُ جَنادة ، رضي الله عنه . روينا في مسند الإمام أحمد بن حنبل ، عن الأحنف بن قيس[٣٩] ، قال : دخلتُ بيتَ المقدس ، فوجدت فيه رجلا يُكثر الركوع والسجود . فوجدتُ في نفسي من ذلك . فلما انصرفَ قلت : على شَفْع انصرفتَ أم على وَتْر ؟ قال : إن أكُ لا أدري ، فإن الله يدري . ثم قال : أخْبَرَني حبيبي أبو القاسم ﷺ ، ثم بكى ، أنه ما من عبدٍ سَجَد لله سجدةً إلا رَفَعَهُ الله بها درجة ، وحطّ عنه بها خطيّة ، وكتبَ له حسنة . قال : قلت : أخبرني من أنت ، يرحمك الله ! قال : أبو ذرّ ، صاحب رسول الله ﷺ . فتقاصَرَتْ إليّ نفسي[٤٠] ، ورواه غيلان عن مُطَرِّف قال : دخلت مسجد بيت المقدس ، فذكر نحوه .

ثم ارتحل إلى المدينة ، وتوفي بالرَّبَذَة ، في آخر خلافة عثمان ، رضي الله عنه .

سلمان الفارسي :

سلمان ، أبو عبدالله الفارسي ، رضي الله عنه ، دخل بيت المقدس يبتغي العلم من الراهب الذي كان به . حديثه مشهور .

---

(٣٩) الأحنف بن قيس : هو الضحاك بن قيس بن معاوية ، ويكنى أبا بحر . وكان ثقة مأمونا ، قليل الحديث . وقد روى عن عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي ذر . وكان الأحنف صديقا لمصعب بن الزبير ، فوفد عليه في الكوفة ، ومصعب بن الزبير يومئذ وال عليها . فتوفي الأحنف عنده بالكوفة ، فرؤي مصعب يمشي في جنازته بغير رداء . . وقد عدّه ابن سعد من رجال الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة (انظر : طبقات ابن سعد ، ج ٧ ص ٩٣) .

(٤٠) أي شعرت بصغر نفسي أمام الصحابي الجليل أبي ذر .

خالد بن الوليد :

سيف الله ، رضي الله عنه . دخل بيت المقدس ، وشهد فتح دمشق . وتوفي بحمص ، وقبره ظاهر يزار ويقصد . ولما حلق رسول الله ﷺ شعره ، ابتدره الناس ، فبدَرَهُ أبو سليمان[٤١] إلى ناصيته ، فجعلها في قلنسوته . وهو ابن أخت ميمونة زوج النبي ﷺ (م٨٤) .

عياض بن غَنم رضي الله عنه :

أتى بيت المقدس ، وبني بها ، وهو عياض بن غنم بن وهب ، من بني الحارث بن فهر ، عم أبي عبيدة . استعمَلَه عمر على حمص . له رواية عن النبي ﷺ ، مات سنة عشرين .

عبدالله بن سلام ، رضي الله عنه :

أبو الحارث ، اسم جدّه الحارث . هو الإمام الحَبْر المشهود له بالجنة ، الإسرائيلي ، من خواص الصحابة ، رضي الله عنهم . قال الواقدي : كان مما بَلَغَنا ممّنْ شهدَ فتح بيت المقدس . قال ابن سعد : كان اسمه الحُصَيْنْ ، فغيّره النبي ﷺ بعبد الله . توفي عبدالله سنة ثلاث وأربعين .

يزيد بن أبي سفيان ، رضي الله عنه ، صخر بن حرب :[٤٢]

بعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى الشام ، فكان على جند من الأجناد المتقدمة .

---

(٤١) أبو سليمان : أي خالد بن الوليد ، رضي الله عنه .

(٤٢) صخر بن حرب هو أبو سفيان ، والد يزيد ، وقد ذكر الاسم بعد الكنية .

(م ٨٤) : ١١٥ ، ١٢٠ .

معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنه :

تعاهد ثلاثة نفر على قتله وقتل عمرو بن العاص وحبيب بن مَسْلَمة(٤٣) . فأقبلوا بعدما بويع معاوية بالخلافة حتى قدموا إيليا ، فَصَلَّوْا من السَّحر ما قُدر لهم ، والقصة في ذلك مشهورة . قال الليث(٤٤) : بويع معاوية إيلياء ،في رمضان ، بيعة الجماعة ، ودخل الكوفة سنة أربعين . قال الخطيب(٤٥) : هذه البيعة كانت بيعة أهل الشام (م ٨٥) لمعاوية عند قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك سنة أربعين . فأما دخوله الكوفة ، ومبايعة الحسن بن علي له ، فإنما كان ذلك في سنة إحدى وأربعين على الصحيح عند بعضهم .

أبو هريرة رضي الله عنه :

واسمه عبدالرحمن بن صخر ، قدمَ بيت المقدس ، ومات بمدينة رسول الله ﷺ . وليس هو المدفون بيننا ، إنما بعض ولده . مات سنة سبع وخمسين(٤٦) .

---

(٤٣) حبيب بن مسلمة : هو حبيب بن مسلمة الفهري ، من أصحاب رسول الله ﷺ الذين نزلوا الشام . قبض الرسول ﷺ ، ولحبيب بن مسلمة اثنتا عشرة سنة . حفظ عن الرسول ﷺ أحاديث رواها ، وتحوّل إلى الشام ، فلم يزل مع معاوية بن أبي سفيان في حروبه في صفين وغيرها . وكان معاوية يغزيه الروم ، فيكون له فيهم نكاية وأثر . ثم وجهه إلى أرمينيا واليا عليها ، فمات بها سنة اثنتين وأربعين ولم يبلغ خمسين سنة . (انظر : طبقات ابن سعد ، ج ٧ ص ٤٠٩ و ٤١٠) .

(٤٤) الليث : هو الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي . كان عالم أهل مصر ، كان نظير مالك في العلم . قدم بيت المقدس . ولد سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، وتوفي في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة . (انظر : « الأنس الجليل » جزء ١ ص ٢٩٣) .

(٤٥) الخطيب : هو الحافظ الكبير الإمام أبو بكر أحمد بن علي البغدادي . ولد سنة ٣٩٢ هـ ، محدث الشام والعراق المعروف بالخطيب البغدادي . له ستة وخمسون مصنفا ، منها تاريخ بغداد . توفي سنة ٤٦٣ هـ (انظر : « تذكرة الحفاظ » للذهبي . ط حيدر أباد ١٩٥٨ . المجلد الثاني ، جزء ٣ ص ١١٣٥ وما بعدها) .

(٤٦) ذكر ناصر خسرو ، الرحالة الفارسي أن قبر أبي هريرة يقع خارج مدينة طبرية ناحية القبلة ، ولكن لا يستطيع أحد زيارته ، لأن السكان هناك شيعة ، فإذا ذهب أحد للزيارة ، تجمع عليه الأطفال وتحرشوا به وحملوا عليه وقذفوه بالحجارة . (انظر : « سفرنامة » ، ترجمة يحيى الخشاب ، ط بيروت ١٩٧٠ ص ٥٣) . ويؤيد لي (م ٨٥) : ١٢٠ .

أبو أمامة رضي الله عنه :

واسْمُهُ صُدَيّ بنُ عجلان ، سكن بيت المقدس ودمشق . له رواية عن النبي ﷺ كثيرة . مات سنة ست وثمانين بجِلّق . وكان آخر من بقي من الصحابة . شهد حَجّة الوداع ابن ثلاثين سنة .

أبو مسعود الأنصاري :

واسمه عقبة بن عمرو الأنصاري البَـدْريّ ، لأنه سكن بـدرا ولم يشهدهـا على الراجح . توفي سنة تسع وثلاثين ، وقيل سنة أربعين . ورُوي أنه أتى بيت المقدس ، فدخل المسجد الأقصى ، فرآه ناس ، فاتّبعوه . فقال : ما حاجتكم ؟ فقالوا : جئنـا نسلم عليك ونسير معك ، لأنك صـاحب رسول الله ﷺ . فقـال : انزلـوا فصلّوا . فنزلوا ، فلما صَلَّوْا قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : ما من عبدٍ يلقى الله لا يشرك به شيئا ولم « يُتْنَلَ »[٤٧] بدمٍ حرام ، إلاّ دخل من أيّ أبواب الجنة شاء .

ورُويَ هذا أيضا عن عقبة بن عامر المقتول يوم اليمامة شهيدا ، وهو أنصاري أيضا خزرجي . رواه المبارك ومحمد بن عبيد عن اسماعيل بن أبي خالد . والأول رواه يحيى بن سعيد الأموي عن أبيه عن إسماعيل .

قال ابن عساكر : وقد قدم عقبة بن عمرو هذا الشام ، ولهم عنه أحاديث . وقال

= سترانج رواية ناصري خسرو عن موقع القبر في قرية عقيق قرب طبرية ، مستندا إلى اكتشاف المرشوماشر Schumacher لحجر من رخام عجلون ، طوله قدمان وسبع انشات ، وعرضه قدمان ، في قرية قرب طبرية وعليه هذا النقش : « بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله أحد الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد ، هذا قبر أبي هريرة صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد لاحظ شوما شير في المكان الذي اكتشف فيه الحجر آثـار مسجد قـديم . (انظر : "History of Jerusalem Under the Moslems" ط القدس ، ص ١٧٩ - ١٨٠) .

(٤٧) في الأصل : « يقتل » وهو تحريف ، والسياق يقتضي ما أثبتناه .

أبو عمر سكن عقبة مصر ، وكان واليا عليها ، وابتنى دارا . توفي في آخر خلافة معاوية . (م ٨٦) .

عوفُ بنُ مالك الأشْجَعي :

عوفُ بن مالك الأشجعي ، رضي الله عنه ، أبو محمد ، شهد فتح بيت المقدس ، ونزل بحمص . بايع رسول الله ﷺ على أن يعبدَ الله لا يشركُ به شيئا ، والصلوات الخمس ، وألّا يسأل الناس شيئا . مات سنة ثلاث وسبعين . وقد مرّ له حديث في فضل أهل الشام .

أبو جمعة الأنصاري رضي الله عنه :

واسمه حبيب بن سبّاع ، وقيل ، جنيد بن سباع ، وقيل ابن وهب ، وقيل ابن فُدَيْك ، وقيل هو كناني ، وقيل قارِيٌّ من القارَة[٤٨] . قدم بيت المقدس ليصلي فيه . ويُعَدُّ في الشاميين . قال أبو عُمَر ابن عبدالبَرّ ،[٤٩] ومن حديثه عن النبي ﷺ أنه قال : قلنا يا رسول الله ، هل أَحَدٌ خير منا ؟ قال : « نعم ، قومٌ يَجِيْئونَ بعدكم ، يَجدونَ كتاباً بين لوحَيْنْ ، يؤمنون ويصدّقون » .

---

(٤٨) القارَة : قوم من رماة العرب . وقارة اسم قبيلة ، وهما فضل والدّيش ابنا الهون بن خزيمة بن كنانة . (لسان العرب : مادة قير) .

(٤٩) ابن عبدالبر : هو أبو عمر بن عبدالبر ، يوسف بن عبدالله القرطبي ، أحد الأعلام ، وصاحب التصانيف . توفي سنة ٤٦٣ هـ ، وله خمس وتسعون سنة . قيل إنه أحفظ أهل المغرب . من مؤلفاته : « كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » . و « كتاب الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار ، فيما تضمنه الموطأ من المعاني والآثار » . و « كتاب الإستيعاب » وغيرها . « انظر « شذرات الذهب ج ٣ ص ٣١٤ وما بعدها . وانظر كذلك « سيزكين » ، مجلد ١ ج ٣ ص ١٣٤) .

(م٨٦) : ١٢٠ ، ١٢١

مُرّةَ بنُ كعب رضي الله عنه :

قال أبو الأشعث الصنعاني(٥٠) : قامت خطباء بإيليا في إمارة معاوية فتكلموا . فكان آخرَ من تكلم ! مُرّةُ بن كعب . فذكر حديثا في فضل عثمان رضي الله عنه . قال أبو عمر(٥١) : نزل مُرّةُ البصرة ، ثم نزل الشام ، وتوفي سنة سبع وخمسين بالأردن ، وروى عنه ايضا جبير بن نفير ، وعبدالله بن سفيان .

عبادة بن الصامت الأنصاري ، رضي الله عنه :

رؤي وهو يبكي على سور بيت المقدس الشرقي . وقد سكن بيت المقدس . كان نقيباً ، وشهد العقبة الأولى والثانية والثالثة . وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين (م ٨٧) أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ . وشهد بدرا والمشاهدَ كلها . وجّهه عمر إلى الشام قاضياً معلماً ، فأقام بحمص ، ثم انتقل إلى فلسطين . قال الأوزاعي : أول من ولي قضاءَ فلسطين عبادة بن الصامت . قال أبو عمر : مات عبادةُ بفلسطين ، ودُفِن ببيت المقدس ، وقبرُهُ بها معروف إلى اليوم . وقيل إنه توفي بالرملة ، والأول أكثر وأشهر . وكانت وفاته سنة أربع وثلاثين ، قال المؤلف : فأما الآن ،(٥٢) فلا يُعْرَف له قبر ببيت المقدس ولا بالرملة . وما ذلك إلا لاستيلاء الفرنج على تلك الناحية نيّفاً وتسعين سنة ، خذلهم الله ، فاندرس بسبب استيلائهم معالمُ كانت قبل ذلك معروفة مشهودة .

---

(٥٠) أبو الأشعث الصنعاني : هو شراحيل بن شراحيل بن كليب ، وهو من صنعاء الشام وقيل من صنعاء اليمن . روى عن شداد بن أوس وغيره من الصحابة . شاميّ تابعيّ ثقة ، كان ينزل دمشق وتوفي زمن معاوية . شهد فتح دمشق ، وذكر ابن حبان في الثقات (انظر : « تهذيب التهذيب » لابن حجر العسقلاني ط حيدر اباد ١٣٢٥ هـ ج ٤ ص ٣١٩) .

(٥١) أبو عمر : هو يوسف بن عبدالبر المذكور آنفا .

(٥٢) الآن : أي زمن مؤلف هذه المخطوطة ، والمعروف أنه ألفها سنة ٧٥٢ هـ .

(م٨٧) : ١٢١ .

شداد بن أوس ، رضي الله عنه :

هو ابن ثابت بن المنذر ابن أخي حسان ،(٥٣) وكنيته أبو يَعْلى . نزل الشام ناحية فلسطين . قال عبادة بن الصامت : كان شدّاد بن أوس ممن أوتي العلم والحُكْم(٥٤) . روى عنه أهل الشام . وقال أبو الدرداء : إنّ الله تعالى يؤتي الرجل العلم ، ولا يؤتيه الحكم ، ويؤتيه الحكم ، ولا يؤتيه العلم ، وأن أبا يعلى شداد بن أوس ، آتاه الله العلم والحكم . روي عن شداد ، ابنه يعلى ، وأبو الأشعث الصنعاني وضمرة بن حبيب(٥٥) . روي عن النبي ﷺ أحاديث الاستغفار ، وحديث « اللهمّ إني أسألك الثبات في الأمر » في أحاديث . ورُوِيَ عنه أنه لما دنتْ وفاة رسول الله ﷺ ، قام ، ثم جلس ، ثم قام ، ثم جلس ، فقال رسول الله ﷺ : « يا شدّاد ، ما سبب قلقك » ؟ (قال)(٥٦) : فقلتُ : يا رسول الله ، ضاقتْ بي الأرض . فقال : « ألا إن الشامَ سيفتح عن قريب ، وبيت المقدس إن شاء الله تعالى ، وتكون أنت وولدُك من بعدِك أئمةً بها إنْ شاء الله » . وكان إنْ أخَذَ مضجعَه ، صار كالحبة على المِقْلى ، فيقول : اللهم إنّ النار قد حالَتْ بيني وبين الرقاد . ثم يقوم ، فلا يزال يصلي حتى يصبح . وكان ذا عبادة واجتهاد ، وله عَقِبٌ ببيت المقدس . مات سنة ثمان وخمسين ، وهو ابن خمس وسبعين . وقيل ، توفّي سنة إحدى وأربعين . وقبرُه ظاهر يزار ببيت المقدس بالقرب من باب الرحمة حذاء المسجد الأقصى .

أبو ريحانة :

واسمه شمعون بالشين المعجمة ، ويقال إنهابالمهملة، ابن زيد ، بن ختانة

---

(٥٣) حسان : أي حسان بن ثابت ، شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٥٤) الحُكْم : من معاني الحُكْم : الحِكْمة ، وهو المقصود هنا . (انظر « لسان العرب » مادة حكم) .

(٥٥) ضمرة بن حبيب : وضعه ابن سعد في الطبقة الرابعة من التابعين الذين بالشام ووصفه بأنه كان ثقة . (انظر « طبقات ابن سعد » ج ٧ ص ٤٦٤) .

(٥٦) قال : ساقطة في الأصل ، ويتطلبها السياق .

(م ٨٨) : ١٢١ ، ١٢٢ .

القُرَظي ، من بني قُرَيْظَة ، الأنصاري ـ حليف لهم ، ويقال من بني النضير . ويقال له : مولى رسول الله ﷺ . كانت ابنته ريحانة سرّيةَ رسول الله ﷺ ، ماتت قبل وفاته عليه السلام . وهو مشهور بكنيته ، وله صحبة وسماع ورواية ، وكان من الفضلاء ، الزاهدين في الدنيا . نزل الشام وروى عنه الشاميون . . .

وسكن أبو ريحانة القدس ، وكان يقص في المسجد الأقصى . ورَوَيْنا في سُنَن النسائي من حديث أبي الحصين الهيثم بن « شَفْي »(٥٧) قال : خرجتُ أنا وصاحب لي يسمى أبا عامر : رجلا من « المَعافر »(٥٨) لنصلي بإيليا . وكان قاضيهم رجلا من الأزد يقال له أبو ريحانة من الصحابة . قال أبو حصين : فسبقني صاحبي إلى المسجد ثم أدركْتُهُ ، فجلست إلى جنبه ، فقال : أدركْتَ قَصَص أبي ريحانة ؟ فقلت : لا . فقال سمعتُهُ يقول : نهى رسول الله ﷺ عن عشرة : عن الوشْم والوَشَر(٥٩) فذكر الحديث . قال المؤلف : أبو ريحانة ، يقال إنه أزْدِيّ كما ذكره الرازي ، ويقال دَوْسي ودَوْس من الأزد . ويقال القُرَشي ، بنى بدمشقَ دارا . (م ٨٩) .

تميم الداري ، رضي الله عنه :

أبو أوس بن خارجة بن جذيمة بن درّاع بن عَدِيّ ابن الداري ، هانىء بن حبيب بن ثمارة بن لخم بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَدَ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . . .

(٥٧) أبوالحصين الهيثم بن شَفْي ، وفي الأصل : « صفي » ، والصواب ما أثبتناه كما في « تهذيب التهذيب » ، وهو الهيثم بن شَفْي ، أبو الحصين ، الحجْريّ المصري ، روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وأبي ريحانة ، وغيرهما . ذكره ابن حبان في الثقات . وقد شهد فتح مصر (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ط حيدر أباد ١٣٢٧ هـ ج ١١ ص ٩٨) .

(٥٨) المَعافر : في الأصل ، « المغافر » ، والأرجح أنها بالعين المهملة ، وأن الناسخ قد صحف الكلمة والمعافر قبيلة ، وهي معافر بن مرّ ، أخو تميم بن مر . ويقال : رجلٌ مَعَافِريّ ، والنسبُ إلى الجمع ، لأن مَعافر اسمٌ لشيء واحد . ومعافر كذلك ، بلد في اليمن (لسان العرب ، مادة عفر) .

(٥٩) الوَشْر : ومثله النَّشْر : أن تحدّدَ المرأةُ أسنانَها وترققَها تشبّهاً بالشوابّ (لسان العرب ، مادة وشر) .

(م ٨٩) : ١٢٢ .

وَفَدَ تميمٌ هو وأخوه نعيم ، فأسلما سنة تسع ، وأَقْطَعَهُما رسولُ الله ﷺ « حَبرون »[٦٠] وبيت عينون ، وليس لرسول الله ﷺ قطيعةٌ على غيرهما . وكان تميم الداري أميراً على بيت المقدس . قال روحُ بنُ زنباع : دخلتُ على تميم الداريّ وهو أمير على بيت المقدس ، وهو يُنَقّي لفرسه شعيراً . فذكر في ذلك فضلاً عن رسول الله ﷺ ، وهو : « من نقّى لفرسه شعيرا في سبيل الله ، ثم قام به حتى يُعَلِّقَهُ عليه ، كُتِب له بكل شعيرة حسنة » . رواه الطبراني في معجمه الصغير .

وصحب تميمٌ رسول الله ﷺ ، وغزا معه ، وروى عنه ، ولم يزل بالمدينة حتى تحوّل إلى الشام بعد مقتل عثمان . وكان تميم يقصُّ للناس بإذن عمر بن الخطاب . وجلس إليه عمر ، وسَمِعَهُ . وكان تميم يحذِّر من زلّة العالِمِ ، لأنّ الناس يقتدون به ، وإنْ تاب بعد ذلك .

وَرَوَيْنا في سُنَن ابن ماجة قال . . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أوّلُ من أسرجَ في المساجد ، تميم الداريّ . وروى أبو القاسم ، مكي بن عبدالسلام[٦١] الحافظ بسنده . . . : قدم تميم الداري من الشام ، يعني إلى المدينة ، وحمل معه « قناديل »[٦٢] وحبالا وزيتا و (. . .)[٦٣] حتى قدمنا المدينة . وكانوا إذا حضرت (م ٩٠) العتمة ، أَوْقَدُوا سَعَفَ النخل . فلما أمسيْنا ، أمَرَني تميم ، فَعَلَّقْتُ الحبال

---

(٦٠) في الأصل : « حبري » ، والصواب « حبرون » ، كما في « الأنس الجليل » . (انظر ص ٢٦٢) .

(٦١) مكي بن عبدالسلام : هو الشيخ أبو القاسم ، مكي بن عبدالسلام بن الحسين بن القاسم الأنصاري الرميلي الشافعي الحافظ . ولد سنة ٤٣٢ هـ ، وكانت الفتاوي تأتي إليه من مصر والشام وغيرهما . وكان من الجوالين في الآفاق ، كثير التعب والنصب والسهر وكان ورعا ، سمع بالقدس وبلاد كثيرة ، وشرع في تاريخ بيت المقدس وفضائله ، وجمع فيه أشياء كثيرة . ولما أخذ الفرنج القدس سنة ٤٩٢ هـ ، أخذوه أسيرا ، وبعثوه إلى البلاد ينادى في فكاكه بألف دينار ، لما علموا أنه من علماء المسلمين ، فلم يستفكه أحد . فرموه بالحجارة على باب أنطاكية حتى قتلوه رحمه الله . (انظر : « الأنس الجليل » ، ج ١ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩) .

(٦٢) في الأصل « قناديلا » ، وهو خطأ ، لأن الكلمة ممنوعة من الصرف .

(٦٣) الكلمة غير مقروءة .

(م ٩٠) : ١٢٣ .

بالسّواري ، وعلّقتُ فيها القناديل ، وصببتُ فيها الماء والزيت ، ووضعتُ الفتل . فلما أمسينا ، أمرني فأوقدتُها ، حتى جاء تميم إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « نَوّرْتَ يا تميمُ المسجدَ ، نوَّر الله عليك ! أمَا لو كانتْ لي ابنةٌ لأَنْكَحْتُكَها » . قال نوفل ابن الحارث بن عبدالمطلب : فإن لي ابنة ، فافعل فيها يا رسول الله ما رأيت ، فأَنْكَحَهُ إياها .

قال أحمد بن الحسن : ودعا تميم جدّي أبا الحسن البرّاد ، وأعتَقَهُ على المكان ، وأقْمنا ، فلما كان يومُ الجمعة ، خطب رسول الله ﷺ قائماً . فلما انصرف ، قال له تميم : يا رسول الله ، قد رأيتُ في الشام شيئاً يصنعونه في كنائسهم لأساقِفَتِهِمْ يسمى المِرقاة . أفلا أعملُ لك مرقاة تقوم عليها ؟ فقال رسول الله ﷺ ، « اعملْها يا تميم » فخرج تميم إلى السوق ، فاشترى خشبة ونَشَرَها ، وعمل منها ثلاثة درجاتِ المنبر . ففضل من الخشب فضْلَة ، فعمل تابوتاً ، فهوعندنا إلى اليوم ، نضع فيه نفقاتنا ، ونتبرك « به »(٦٤) وقد روى عن النبي ﷺ حديث الجساسة(٦٥) عنه ، وهذه مَنْقَبَةٌ عظيمة لتميم . وحديث الجسّاسة مُخَرّجٌ في صحيح مسلم ، وغيره من السُّنَن .

. . . عن معاويةَ بن « حَرْمَل »(٦٦) قال : قَدِمْتُ المدينة ، فلبثتُ في المسجد ثلاثاً لا أطْعَم . فأتَيْتُ عمر فقلت : يا أمير المؤمنين ، تائبٌ من قبل أنْ يُقْدَر عليه قال : من أنت ؟ قلت : معاوية بن « حرمل » . قال : اذهب إلى خير المؤمنين ، فانزلْ عليه . قال : وكان تميم الداريّ إذا صلّى ، ضرب بيده على يمينه وشماله ، فأخذ رجلين فذهب

---

(٦٤) في الأصل : « بها » ، وما أثبتناه هو ما تتطلبه اللغة .

(٦٥) حديث الجساسة : انظر هذا الحديث الطويل في صحيح مسلم بشرح النووي ، ط بيروت ١٩٧٨ مجلد ٩ ج ١٨ ص ٧٨ وما بعدهما) .

(٦٦) في الأصل : « جبريل » ، وهو خطأ . والصواب ماأثبتناه كما في « الإصابة في تمييز الصحابة . وهو معاوية بن حرمل الحنفي ، صهر مسيلمة الكذاب . كان مع مسيلمة في الردة ، ثم قدم على عمر تائبا . (انظر « الإصابة في تمييز الصحابة » لإبن حجر العسقلاني . ط دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، القسم السادس ، ص ٣٠٢) .

بهما . فصلَّيْتُ إلى جنبه ، فضرب يده ، وأخذ بيدي وذهب بي ، فأُتِينا بطعام ، فأكلتُ أكلا شديداً ، وما شبعت من شدة الجوع . . . (م : ٩١) .

وعن مسروق[٦٧] ، رحمه الله ، قال : صلّى ليلةً تميم حتى أصبح ، أو كادت أن تصبح ، فقرأ آية يُردِّدها ويبكي : ﴿ أمْ حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات . . ﴾[٦٨] . وعنه أيضا أنَّ تميماً ردَّدَ هذه الآية حتى أصبح . ﴿ إن تعذبْهم فإنهم عبادُك . . ﴾[٦٩] وعن منكدر بن محمد[٧٠] ، عن أبيه ، أن تميما نام ليلة : لم يقم يتهجّدُ فيها ، حتى أصبح ، فقام سَنَةً لم ينم فيها عقوبة الذي صَنَع . تُوفَي تميم سنة أربعين .

الشريف بن سويد ، رضي الله عنه :

« أبناؤه »[٧١] ، عمرو ، وأبو سَلَمة وغيرهما . قدم بيتَ المقدس ، لأنه نَذَر أنْ يصلي فيه إنْ فَتَحَ الله مكة على رسول الله ﷺ ، فأَذِنَ له في ذلك . وقد مرّ .

(٦٧) مسروق : هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أميّة الهمداني ، أبو عائشة ، قدم من اليمن بعد النبي ﷺ ، وروى عن عدد من الصحابة . قيل عنه : كوفي تابعي ثقة ، مات سنة ٦٣ هـ ، وعاش ثلاثا وستين سنة ، ولعلّها سبعون . (انظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » لإبن حجر العسقلاني ، ط مصر ١٩٧١ ج ٦ ص ٢٩١ - ٢٩٣) .

(٦٨) الآية ٢١ من سورة « الجاثية » .

(٦٩) الآية ١١٨ من سورة « المائدة » .

(٧٠) منكدر بن محمد : هو منكدر بن محمد بن المنكدر ، القرشي التيمي المدني ، روى عن أبيه والزهريّ وغيرهما . قيل فيه : كان من خير عباد الله تعالى ، فقطعتْهُ العبادة عن مراعاة الحفظ ، فبطَل الاحتجاجُ بأخباره ، وترك بعض أهل العلم بالحديث الرواية عنه . توفي سنة ١٨٠ هـ . (انظر : « تهذيب التهذيب » لابن حجر العسقلاني ، ط حيدر آباد ١٣٢٧ هـ ج ١ ص ٣١٧ - ٣١٨) .

(٧١) « أبناؤه » : في الأصل « ابنه » ، وهو مخالف لما تقتضيه اللغة .

(م ٩١) : ١٢٣ ، ١٢٤ .

ابن أبي الجذعاء[٧٢] التميمي ، ويقال الكناني ويقال العبدي ، رضي الله عنه :

عن عبدالله بن شقيق[٧٣] ، قال : كنت مع رهط بإيلياء ، فقال[٧٤] : سمعت (م ٩٢) رسول الله ﷺ يقول : « يدخلُ الجنةَ بشفاعةِ رجل من أمّتي أكثرُ من بني تميم » . قيل : يا رسول الله ، سواك ؟ قال : « سواي » ـ فلما قام قلت : من هذا ؟ قالوا هذا ابن أبي الجذعاء » . حديثٌ حسن صحيح غريب . رواه الترمذي . قال : وابن أبي الجذعاء . إنما يعرف له هذا الحديث الواحد .

قال المؤلف[٧٥] : وله حديث « متى كنت نبيا » ، رواه خالد الحذاء ، عن ابن شقيق .

فيروز الديلمي ، رضي الله عنه :

أبو عبدالله ، وقيل أبو عبدالرحمن ، وقيل أبو الضحاك ، ويقال له الحميري ، لنزوله حِمْيَر ، وهو من أبناء فارس ، من فُرْس صنعاء . وفد على النبي ﷺ ، وروى عنه . سكن بيت المقدس ، ويقال قبره بها . . .

عن أبي هريرة ، أنّ النبي ﷺ ، ذكر الأسود العنسي[٧٦] ، فقال : قَتَلَه الرجلُ الصالح فيروز الديلمي ، رجل من فارس . .

---

(٧٢) في الأصل : « الجرعاء » ، والصواب ما أثبتناه كما في « طبقات ابن سعد » (انظر ج ٧ ص ٥٩) .

(٧٣) عبدالله بن شقيق : هو عبدالله بن شقيق العقيلي ، روي عن عمر بن الخطاب ، وكان عثمانيا ثقة في الحديث ، وروى أحاديث صالحة . توفي في ولاية الحجاج بن يوسف على العراق . وقد وضعه ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة (انظر : طبقات ابن سعد ، ج ٧ ص ١٢٦) .

(٧٤) الضمير المستتر في « قال » يعود إلى ابن أبي الجذعاء

(٧٥) المؤلف هو صاحب هذه المخطوطة . وليست هذه هي المرة الأولى التي يكون فيها لمؤلف المخطوطة هذه رأي أو قول يضيفه إلى ما ينقله عن الآخرين .

(٧٦) الأسود العَنْسي : هو الأسود بن كعب العنسي الذي ادّعى النبوة في صنعاء باليمن في حياة الرسول عليه السلام . (انظر « سيرة ابن هشام » ، ط القاهرة ١٩٣٦ ، ج ٤ ص ٢٤٦) .

(م ٩٢) : ١٢٤ ، ١٢٥ .

عن أبي عمرو[٧٧] ، قال : أتى الخبرُ النبيَّ ﷺ من السماء ، الليلةَ التي قُتِل فيها العَنْسي . فخرج يُبَشِّرنا فقال : « قُتِل الأسودُ البارحة . قتلهُ رجلٌ مبارك من أهل بيتٍ مباركين » قيل : ومن قتلَهُ يا رسولَ الله ؟ قال : « فيروز الديلمي » . وكان قتل الأسود في حياة رسول الله ﷺ ، وقيل في خلافة الصديق ، وصحّحَ الأول أبو عمر ابن عبدالبَرّ[٧٨] . ومات فيروز في خلافة عثمان . روى عن فيروز ابناه : الضحاك وعبدالله . قيل إن رسول الله كناه بأبي عبدالله . وفيروز من الذين بعثهم كسرى إلى اليمن فَنَفوا الحبشةَ عنها ، وغلبوا عليها . (م ٩٣) .

ذو الأصابع التميمي :

ويقال : الخزاعيّ ، ويقال : الجهنيّ . سكن ببيت المقدس . . عن أبي عمران[٧٩] ، عن ذي الأصابع رضي الله عنه ، قال : قلنا يا رسول الله : أرأيتَ إن ابتُلينا بالبقاء بعدَك ، أين تأمرنا ، قال : عليك ببيت المقدس ، لعل الله يرزقُك ذريّةً يغدون ويروحون إليه ، يعني مسجد بيت المقدس . .

قال ابن سعد : ذو الأصابع رجل من أهل اليمن ، من المدد الذي نزلوا الشام ببيت المقدس .

أبو محمد النجّاري :

بالجيم ، الأنصاري ، البَدْري . أظنّه مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن

---

(٧٧) لم أستطعْ ان أحدّد شخصيةَ أبي عمرو هذا ، لعدم تحديد اسمه الكامل ، إذ اكْتُفي بذكر كُنيته فقط .

(٧٨) قال البلاذري إن بعض الرواة ذكروا أن الأسود العَنْسي قُتل قبل وفاة الرسول عليه السلام بخمسة أيام ، وأنّ الفتح ورد على أبي بكر بعدما استُخْلِف بعشر ليال . (انظر « فتوح البلدان » ، ط بيروت ١٩٧٨ ، ص ١١٥) .

(٧٩) أبو عمران : لم استوثق من شخصيّة صاحب هذه الكنية .

(م ٩٣) : ١٢٥ .

زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك النجار ، هكذا نَسَبَهُ الواقدي وغيره . قال أبو عمرو : لم يَعُدَّه ابن اسحاق في البدريين ، بل يُعَدّ في الشاميين . قال : وغلبتْ عليه كُنْيَتُه . قيل : تُوفيَ في خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل : شَهِدَ صِفّين مع عليّ .

أبو أُبَيّ ابن أمّ حرام :

عبدالله بن أُبَيّ ، وقيل : عبدالله بن كعب . وقيل : عبدالله بن عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار . وأُمُّه أمّ حرام بنت ملحان ، أخت أم سليم . كان قديم الإسلام ، ممن صلى القبلتين ، يعد في الشاميين . روي عن النبي ﷺ حديث « عليكم بالسَّنا[٨٠] والسَّنوات[٨١] ، فإن فيهما شفاءً من كل داء إلا السام[٨٢] . (الحديث) . سَكَن عبدالله بيت المقدس ، وكان ربيب عبادة بن الصامت . . (م ٩٤) .

(وعن) موسى بن سهل النيسابوري الرملي قال : أسامي أصحاب النبيّ ﷺ الذين كانوا بأرض فلسطين ، ممّنْ سَكَنها ، منهم من أعقبَ ، ومنهم من لم يُعْقب ، الذين كانوا ببيت المقدس : فَذَكَرَ عُبادةَ بن الصامت ، وأبا أُبَيّ بن أم حرام هذا ، وآخرين مرُّوا . قال أبو محمد الدمياطي[٨٣] ، رحمه الله في أربعينه الكبرى : « هو آخر من مات من الصحابة ببيت المقدس » .

---

(٨٠) السنّا : نبت يتداوى به وهو معصور . (لسان العرب) .

(٨١) السنّوت : العسل ، والسنّوت كذلك : الكمّون ، والسنّوت : الشّبث ، وهو نبات . (لسان العرب) .

(٨٢) السام : الموت (لسان العرب)

(٨٣) أبو محمد الدمياطي : هو حافظ الوقت ، العلامة ، شرف الدين ، عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي الشافعي . ولد بدمياط في أواخر سنة ٦١٣ هـ ، وتفقه بها ، ورحل ، ولازم الحافظ عبدالعظيم المنذريّ سنين . روى عنه من تلاميذه مجموعة من الحُفّاظ ، منهم السّبكي احتوى معجمُه ألفا ومائتين وخمسين شيخا . له تصانيف في الحديث والفقه واللغة . وله مصنّفات نفيسة ، منها « السيرة النبوية » . توفيّ فجأة في ذي القعدة بالقاهرة سنة ٧٠٥ هـ . (انظر : « شذرات الذهب » ، ج ٦ ص ١٢ ، ١٣) .

(م ٩٤) : ١٢٥ ، ١٢٦ .

واثلة بن الأسقع :

وقيل : أبو محمد ، وقيل : أبو قرصافة بن عبدالعُزّى بن عبد ياليل بن ثابت[84] ؟ بن عفرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن علي بن كنانة الليثي ، أسلم ورسول الله ﷺ يتجهّز إلى تبوك . يقال : خَدَمَ النبي ﷺ ثلاث سنين ، وكان من أهل الصُفّة[85] . يقال إنه سكن البصرة ، وله بها دار ، ثم سكن الشام ، وكان منزله على ثلاثة فراسخ من دمشق ، يقال لها البلاط . شهد المغازي بدمشق وحمص ، ثم تحوّل إلى بيت المقدس ، وماتَ بها وهو ابن مائة سنة . وقيل : توفيَ بدمشق في آخر خلافة عبدالملك سنة خمس أو ست وثمانين ، وهو ابن ثمان وسبعين .

محمود بن الربيع بن واسع ، أبو نُعَيْم ، رضي الله عنه :

وقيل : أبو محمد ، معدود في أهل المدينة ، ابن سراقة الخَزْرَجي الأنصاريّ ، من بني عبدالأشهل . وزَعَم أنه عَقِل مجّةً مجّها رسول الله ﷺ في وجهه « الحديث » (م ٩٥) نزلَ بيتَ المقدس ، وأهَلَّ من إيليا بحَجّ وعُمْرة ، وهو خَتَنُ عُبادةَ بن الصامت مات سنة تسع وتسعين ، وهو ابن ثلاث وتسعين .

سلامة بن قيصر :

وقيل : سلمة ، قيل إنّ له صُحْبة ، وكان والياً لمعاوية على بيت المقدس ، وله عَقِبٌ بها . روى عن النبي ﷺ حديث : « من صام يوماً ابتغاء وجه الله تعالى ، باعَدَه الله عن جهنّم ، كبُعْدِ غرابٍ طار وهو فَرْخ ، حتى مات هَرِما » . ورُوِيَ عنه عن أبي هريرة .

---

(٨٤) الكلمة غير واضحة ، وهي قريبة مما أثبتناه في شكلها .

(٨٥) أهل الصُفّة : هم فقراء المهاجرين إلى المدينة ، ومن لم يكن له منهم بيت يسكنه ، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه . (وانظر « لسان العرب » مادة صفف) .

(م ٩٥) : ١٢٦ .

قال المؤلف رحمه الله : أنكر أبو زرعة[٨٦] أن يكون له صحبة ، وقال : روايته عن أبي هريرة .

عبد الرحمن بن أبي عمرة :

ويقال : ابن عمرة الأزدي ، وقيل القرشي : شاميّ دخل بيت المقدس . قال أبو عمر[٨٧] : حديثه مضطرب ، لا يثبت في الصحابة . روى عن النبي ﷺ أحاديث ، وحديثه منقطع الإسناد[٨٨] . . . ولا تصحّ صحبته[٨٩] .

صفيّة بنت حُيَيّ ، أمّ المؤمنين رضي الله عنها :

قد مرّ أنّها قدمتْ بيت المقدس ، وصعدت طورَ زيتا ، وصلّتْ فيه ، (م ٩٦) وقامت على طرف الجبل ، فقالت : مِنْ هنا يتفرق الناس يوم القيامة إلى الجنة أو إلى النار .

غضيف بن الحارث :

وهو الصواب في اسمه ، وقدم غضيف من الشام من بيت المقدس هو وأهله ، فصلى فيه . .

---

(٨٦) أبو زرعة : هو أبو زرعة عبدالله بن عبدالكريم القرشي (بالولاء) ، الرازي الحافظ أحد الأئمة الأعلام . قيل فيه : كل حديث لا يحفظه أبو زرعة ليس له أصل . ولد سنة ٢٠٠ هـ ، وقدم بغداد ، وجالس أحمد بن حنبل وذاكره ويُعَدّ أبوزرعة وصديقه أبو حاتم الرازي من أشهر المدققين في الحديث . وخليفته الحقيقي هو ابن أبي حاتم الرّازي المتوفّى سنة ٣٢٧ هـ . وتوفي أبو زرعة في الريّ سنة ٢٦٤ هـ ، في آخر يوم من هذه السنة . (انظر « شذرات الذهب » ، ج ٢ ص ١٤٨ . و « سيزكين » ، مجلد ١ ، ج ١ ص ٢٨٢) .

(٨٧) الأرجح أنه يوسف بن عبد البَرّ ، إذ كانت كنيته أبا عمر .

(٨٨) توجد بعد كلمة الإسناد في النص كلمة « أحاديث » ، وهي زائدة ، ولامكان لها .

(٨٩) أي لم يصحَ أو لم يثبتْ أنه صحب الرسول عليه السلام .

(م ٩٦) : ١٢٦ ، ١٢٧ .

وعن يعلى بن شدّاد بن أوس(٩٠) ، قال : شهدتُ مع معاوية بيتَ المقدس ، فَجَمَع(٩١) بنا ، فإذا جُلُّ مَنْ في المسجد أصحابُ رسول الله ﷺ ، فرأيتهم مُخْبِتين(٩٢) . والإمامُ يخطب .

خَبْر من أحبار بيت المقدس :

قَدِمَ المدينة بعد موت النبي ﷺ ، لثنتي عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأول . فلما كانت صبيحةُ الخميس ، إذْ أقبلَ شيخٌ أبيض الرأس واللحية ، ملثّمٌ بعمامة له ، على قَعُودٍ جافٍ ، فنزل فعَقَلَ بعيره بباب المسجد فنادى : السلام عليكم ورحمة الله . هل فيكم محمّدٌ رسولُ الله ؟ فقال عليّ : ماتريد به ؟ فقال : أنا حَبْرٌ من أحبار بيت المقدس ، قرأت « التوراة »(٩٣) ثمانين سنة ، وتَدَبَّرْتُها أربعين صباحا ، فوجدتُ فيها ذِكْرَ محمدٍ ، وأنه ليس بكذّابٍ ، ولاقوّالٍ للكذب . وقد جئتُه أطلب الإسلام على يديه . فذكر أثراً طويلاً وكلاماً مع عليٍّ رضي الله عنه (م ٩٧) .

ذكرُ التابعين رضي الله عنهم

منهم أويسُ القرني ، رضي الله عنه :

وهو ابن عامر ، ويقال عمرو بن جبر بن مالك بن عمرو بن سعد بن عمرو . . . ، قيل إنه اجتمع مع عمر بن الخطاب ببيت المقدس . روى عثمان(٩٤) عن عطاء عن أبيه ، أنَّ أويساً أتى بيت المقدس عام حج ، ولقي فيه أميرَ المؤمنين

---

(٩٠) يعلى بن شدّاد بن أوس : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(٩١) فجمع بنا : الأرجح أن المقصود : صلّى بنا جماعة .

(٩٢) مُخْبِتين : مُطْمَئِنِّين إلى ربّهم ، متواضعين متخشعين . (انظر « لسان العرب » ، مادة خبت) .

(٩٣) في الأصل : « التوارت » ، وهو رسم مخالف لما تعارفنا عليه في زمننا .

(٩٤) لم أستطع ان أحدد شخصية عثمان هذا .

(م ٩٧) : ١٢٧ ، ١٢٨ .

عمرَ بن الخطاب . وقيل : إنما وافق عمر في الموسم ، فقال لعمر : قد حججتُ واعتمرتُ وصليتُ في مسجد رسول الله ﷺ . ووددتُ أنْ صَلَّيْتُ في المسجد الأقصى . فجهّزهُ عمر رضي الله عنه ، فأحسن جهازه ، فأتى المسجدَ الأقصى فصلّى فيه ، ثم أتى الكوفة ، فخرج غازياً راجلاً إلى ثغر أرمينية فأصابه البطن ، « فالتجأ »(٩٥) إلى أهل خيمة ، فمات عندهم ، ومعه جرابٌ وقَعْب . ويقال : فُقِد بصفّين سنة سبع وثلاثين .

عبيد عامل عمر على بيت المقدس :

قال « حفيده »(٩٦) المغيرة ، لما وقع الطاعون في بيت المقدس ، كان عمر بن الخطاب استعمل جدّي على بيت المقدس . قال : فجَعَلتِ الجنائز تُنْقَلُ وجدّي يصلّي عليها ، وجعل لايحملهن(٩٧) إلا الشباب ، وذكر حديثا .

عمير بن سعدرضي الله عنه :

استعمله عمر رضي الله عنه على حمص ، وكان هو ومعاوية مرّةً على الشام ، ثم عَزَلهُ عثمان ، وترك معاوية .

يعلى بن شداد بن أوس :

كنيته أبو ثابت . ذكره مسلم بن الحجاج في الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام(٩٨) . (م ٩٨) روى يعلي عن أبيه شداد ، قال : كنا نَعُدّ على عهد رسول الله ﷺ

---

(٩٥) في الأصل : « فالتجي » ، وهو مخالف لما تعارفنا عليه من رسم الكلمة في زماننا .

(٩٦) في الأصل : « حافدة » ، وهو خطأ في الرسم .

(٩٧) هكذا في الأصل ، وهي في « الأنس الجليل » كما يلي : « وجعل لايحمل الجنائز إلا الشباب . (ج ١ ص ٢٨٧) .

(٩٨) وانظر ما كتبه عنه الذهبي في « ميزان الاعتدال » ، ط دار المعرفة ببيروت ، المجلد الرابع ص ٤٥٧ .

(م ٩٨) : ١٢٨ - ١٢٩ .

الشركَ الأصغرَ الرِّبا . ويعلى ثقة ، حَضَرَ فتح بيت المقدس . وأخْرَجَ يعلى أبو داود وابن ماجة . روى أيضا عن عبادة بنِ الصامت ، وروى عنه جماعة ، كهلال بن ميمون(٩٩) ، وسليمانَ بن شبير(١٠٠) .

جُبَيْرُ بنُ نُفَيْر :

أتى بيتَ المقدس للصلاة ، وهو حمصي في الطبقة الأولى من التابعين : أدرك زمن النبي ﷺ ، وأسلمَ زمن أبي بكر الصديق . روي له مسلم والأربعة في سُنَنِهم . روى عن خالد بن الوليد ، وعبادةَ بن الصامت ، وأبي الدرداء ، وروى عن النواس بن سمعان(١٠١) ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى كنفه سوران لهما أبواب مفتّحة ، وعليها ستور ، وداعٍ يدعو على رأس الصراط ، وداعٍ يدعو من فوقه . ﴿والله يدعو . .﴾(١٠٢) الحديث .

وقال جُبَيْر : خمسُ خصال قبيحة : الحِدّة في السلطان ، والحرصُ في العُلَماء ، والقسوةُ في الشيوخ ، والشُحُّ في الأغنياء ، وقلّةُ الحياءِ في ذوي الأحساب . مات جُبير في سنة خمس وسبعين بخلاف .

---

(٩٩) هلال بن ميمون : هو هلال بن أبي سويد ، أبو ظلال القسملي . قال فيه النَّسائي والأزدي : ضعيف . (انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ، مجلد ٤ ص ٣١٦) .

(١٠٠) سلمان بن « شبير » : هكذا في النص . ولعل المقصود سليمان بن « يسير » مولى إبراهيم النخعي . روى عنه الثوري وشعبة وغيرهما ، وضعَّفه كثيرون من رجال الحديث . (انظر : « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٢٣٠ و « ميزان الاعتدال » مجلد ٢ ص ٢٢٨) .

(١٠١) النواس بن سمعان : هو النواس بن سمعان الكلابي ، ويقال الأنصاري . روى عن النبي ﷺ ، وعنه أبو إدريس الخولاني ، وجبير بن نفير الحضرمي . يقال إن أباه وفد على النبي عليه السلام ، فدعا له . وقيل إن النواس سكن الشام . (انظر : « تهذيب التهذيب » : ج ١٠ ص ٤٨٠) .

(١٠٢) الآية ٢٥ من سورة « يونس » .

أبو نُعَيْم المؤذن :

كان أوّلَ من أذّن ببيت المقدس . . . عن رافع بن محمود بن ربيعة(١٠٣) ، عن عبادة بن الصامت ، وكان على إيليا ، فأبطأ عبادةُ بصلاة الصبح ، فأقام أبو نعيم الصلاة . وكان أولَ من أذّن ببيت المقدس ، فجئتُ مع عبادة بن الصامت ، حتى صَفّ مع الناس ، وأبو نُعَيْم يجهرُ بالقراءة . فقرأ عبادة بن الصامت بأمّ القرآن(١٠٤) حتى فهمتُها منه . وقال : سمعت (م ٩٩) رسول الله ﷺ يقول : « لا يقرأ » أحد منكم إذا جهر »(١٠٥) الإمام بالقرآن . رواه النَّسائي عن هشام . ولم يذكر مكحولا في إسناده ، وليس منه إلا المرفوع(١٠٦) فقط .

أبو الزبير ، مؤذن ببيت المقدس :

. . عن أبي الزبير ، مؤذن بيت المقدس ، قال : جاءنا عمر فقال : إذا أذَّنْتَ فَتَرَسّلْ(١٠٧) وإذا أقَمْتَ « فاْحْذُرْ »(١٠٨) . وفي رواية : « فاحْذُرْه » .

---

(١٠٣) لم أجد فيما رجعت إليه من المصادر ترجمة لهذا الاسم في إطار المطابقة مع اسمي والده وجده .

(١٠٤) أم القرآن : فاتحته ، لأنه يبدأ بها كل صلاة . وجاء في الحديث : « إنّ أمّ الكتاب هي فاتحة الكتاب » . (لسان العرب) .

(١٠٥) في الأصل : « حيرت » ، وهو خطأ ولا معنى له .

(١٠٦) المرفوع : المرفوع من الحديث ، ما أضيف إلى النبي ﷺ ، سواء أضافَهُ إليه صحابّي أم تابعيّ أم مَن بعدَهُما ، وسواء اتصل إسناده أم لا . (انظر : « علوم الحديث ومصطلحه » ، لصبحي الصالح ، ط ١٠ ص ٢١٦) .

(١٠٧) تَرَسَّلْ : أي تأنَّ ولا تَعْجَلْ . (انظر « لسان العرب » ، مادة رسل) .

(١٠٨) فاحْذُرْ : في الأصل : « فاحلد » ، والصواب ما أثبتناه ، كما تقتضي اللغة ، ووفق ما جاء في الأنس الجليل ، (انظر ج ١ ص ٢٨٦) . ومعنى فاْحْذُرْ: أسْرِع . أي إذا أقمت الصلاة فأسـرع . (لسان العرب مادة حذر) .

(م ٩٩) : ١٢٩

أبو سلامة الحبشي :

واسمه ممطور ، ويقال الباهلي الدمشقي . روى عن ثوبان ، وحذيفة[١٠٩] والنعمان بن بشير[١١٠] ، وقال أبو مسهر[١١١] : سمع عبادة بن الصامت ، وقيل : رواياته عنه مُرْسَلة[١١٢] ، (م ١٠٠) ولذا لم يُخَرِّجْ له البخاري . وقد روى بُحَيْر[١١٣] عن أبي « سلامة »[١١٤] المذكور ، قال : كنتُ إذا قدمتُ بيت المقدس ، نزلت على عبادة بن الصامت . فأتيت منزله ، فلم أجده ، فأتيت المسجدَ فوجدتُه وكعباً

(١٠٩) حذيفة : هو أبو عبدالله حذيفة بن حسيل بن جابر العبسي المعروف بحذيفة بن اليمان ، من أصحاب رسول الله ﷺ الذين نزلوا المدائن . شهد أحُداً والخندقَ وما بعدَ ذلك من المشاهد مع الرسول عليه السلام ، واستعملَهُ عمرُ بن الخطاب على المدائن ، وقد مات فيها بعد قتل عثمان بأشهر ، سنة ست وثلاثين وله عقب في المدائن . (أنظر : « طبقات ابن سعد » ، جـ ٧ ص ٣١٧) .

(١١٠) النعمان بن بشير : هو النعمان بن بشير الصحابي ، قيل إنه روى عن الرسول عليه السلام مئة واثنين وأربعين حديثا . كان أميرا على حمص ، وسار لنصرة الضحاك الفهريّ على مروان بن الحكم ، فقتله أصحاب مروان سنة أربع وستين للهجرة . (انظر « شذرات الذهب » جـ ١ ص ٦٣ وص ٧٢) .

(١١) أبو مُسْهر : هو أبو مُسْهر ، عبدالأعلى بن مسهر الغساني من أهل دمشق . ولد سنة ١٤٠ هـ ، وكان محدِّثاً وعارفاً بالمغازي والأنساب . حدّث عن مالك وسفيان بن عُيَيْنَة وغيرهما ، واعتبره أحمدُ بن حنبل من أثبتِ محدّثي عصره في دمشق . وكان أُشْخِصَ من دِمَشْق إلى المأمون وهو بالرقّة ، فسأله عن خلق القرآن ، ثم أرسله إلى بغداد . فحُبِس فيها بسبب رأيه في خلق القرآن ، ومات في الحبس سنة ٢١٨ هـ . (انظر : « طبقات ابن سعد » جـ ٧ ص ٤٧٣ . و « سيزكين » ، مجلد ١ ص ١٨٧) .

(١١٢) المرسَل من الحديث : الذي فيه انقطاع في السند . (انظر : « علوم الحديث ومصطلحه ، لصبحي الصالح . ط ١٠ ص ٢٧٩) .

(١١٣) في الأصل : « بجير » ، وهو تصحيف ، والصواب ما أثبتناه ، كما في « تهذيب التهذيب » . وهو بحير بن سعيد السحولي ، أبو خالد الحمصي . روى عن خالد بن معدان ، ومكحول . وروى عنه بقية بن الوليد وثور بن يزيد ، وهو من أقرانه ، ومعاويةُ بن صالح وغيرهم . وقد وثّقه ابن سعد ، والنَسائي وابن حبان . (انظر : « تهذيب التهذيب » ، ط حيدر أباد ١٣٢٥ هـ . جزء ١ ص ٤٣١) .

(١١٤) في الأصل : « سلام » ، وهي كذلك « سلام » في « الأنس الجليل » . (انظر جـ ١ ص ٢٨٦) . غير أن صاحب هذه المخطوطة أوردها « سلامة » في أول ذكر له للرجل ، ولعلّه أخطأ في كتابة الاسم أو لعلّ الناسخ هو الذي حرف الاسم عند النسخ .

(م ١٠٠) : ١٢٩ .

جالسين . . وانتقل أبو « سلامة » من حمص إلى دمشق ، وقال : البركة تضاعَفُ فيها مرتين . روى عن عبادة أيضا أثراً .

أبو حفص الجرشي :

روى عليّ بن أبي «حملة»(١١٥)، عن أبي حفص الجرشي قال : دخل مع عبادة بن الصامت المسجد ، مسجدَ بيتِ المقدس ، فرأى رجلاً يصلي واضعا نعله على يمينه أو يساره ، أو عن شماله . فقال : لولا أنك تناجي ربَّك ، لقرعتُ بهذه العصا رأسك . تفعل كفعل أهل الكتاب !!

خالد بن معدان :

الكلاعي ، العبد الصالح ، كان يُسَبِّحُ في اليوم أربعين ألف تسبيحة . فقيه كبير ، روى عن معاوية وابنِ عمرَ وعبدالله بن عمر(١١٦) ، وثوبان . أخرج له الأئمة في كتبهم . روى عنه ثور(١١٧) وصفوانُ بنُ عمرو(١١٨) ، « وبحَير »(١١٩) بنُ سعيد ، فأكثر . أتى بيت المقدس ونزل « منه »(١٢٠) على ستة أميال ، ولم يُصَلِّ فيه غيرَ خمس صلوات (م١٠١) .

---

(١١٥) في الأصل « جميلة » ، والصواب ما أثبتناه كما في « تهذيب التهذيب » و « شذرات الذهب » . وهو عليّ بن أبي حملة القرشي ، أبو نصر الفلسطيني ، مولى لآل الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس . أدرك معاوية وواثلة ، وروى عن أبيه وعبدالملك بن محيريز وإبراهيم بن أبي عبلة وغيرهم . وكان على دار الضرب بدمشق لعمر بن عبدالعزيز ، ووليَ كتابة الخراج لهشام بن عبدالملك بفلسطين . وقد وثّقه أبو حاتم . مات سنة ١٠٦ هـ . وقد أخطأ صاحب شذرات الذهب حين ذكر أنه توفي سنة ١٥٦ هـ . إذ إنه لا يمكن أن يكون قد أدرك معاوية ، ثم عُمِّر بعده حوالي قرن من الزمان . (انظر : « تهذيب التهذيب » ، ط حيدر أباد ، ١٣٢٦ هـ ، جـ٧ ص ٣١٤ ، و « شذرات الذهب » جـ١ ص ٢٤٠) .

(١١٦) لعلّ المقصود « عبدالله بن عمرو » « بن العاص ، لأن الاسم السابق : « ابن عمر » ، غالبا ما يقصد به عبدالله بن عمر ، فلا وجه للإعادة إذا كان الأمر كذلك .

(١١٧) هو ثور بن يزيد ، وقد سبق التعريف به .

(١١٨) صفوان بن عمرو : هو صفوان بن عمرو ، السكسكي الحمصي ، وضعه ابن سعد في الطبقة الخامسة من التابعين الذين نزلوا الشام ، وقال عنه إنه كان ثقة مأموناً . أنظر « طبقات ابن سعد » جزء ٧ ص ٤٦٧)

(١١٩) سبق التعريف به في الصفحة السابقة (انظر رقم ١١٣ في حاشيتها)

(١٢٠) في الأصل : « معه » ، وهو مخالف لمقتضى التركيب اللغوي .

(م١٠١) : ١٢٩ ، ١٣٠

عبدالرحمن بن غنم الأشعري :

كان مسلماً في زمن النبي ﷺ ، ولكنه لم يَفِدْ إليه . لكنّه لازم معاذ بن جبل ، وسمع عمرَ بن الخطاب . أظنه قدم بيت المقدس ، فإنه هو الذي فقّهَ عامة التابعين بالشام ، واجتمعَ بأبي هريرة وأبي الدرداء بحمص ، وروى عنه ممطور(١٢١) ومكحول . مات سنة سبع وسبعين .

أم الدّرداء :

وأسمها هُجَيْمَة ، ويقال جُهَيْمَة ، خطبَها معاويةُ بن أبي سفيان ، فأبتْ وقالتْ : سمعتُ أبا الدرداء يقول ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « المرأة لآخر أزواجها » . فإن أردْتِ أنْ تكوني زوجتي في الجنة ، فلا تُحْدِثي بعدي زوجاً . وقالت : طلبتُ العبادة في كلّ شيء ، فما رأيت أشفى من مجالسة العلماء ومذاكراتهم .

وكان معها نساء « يَتَعَبَّدْنَ »(١٢٢) ، فإذا ضَعُفْنَ « عند »(١٢٣) قيام الصلاة تعلَّقْنَ بالحبال . وكانت تأتي من دمشق إلى بيت المقدس ، فإذا مرَّتْ على الجبال قالت لقائدها : أسْمِعِ الجبال ما وَعَدَها ربُّها . فيقرأ : ﴿ **ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرُها قاعاً . .** ﴾ الآية(١٢٤) وقوله تعالى : ﴿ **ويوم نُسَيِّر الجبالَ . . .** ﴾ الآية(١٢٥) . وكانت تجالسُ المساكين ببيت المقدس ، فجاء إنسان . فأعطاهن

---

(١٢١) ممطور : هو أبو سلام الأسود الحبشي المذكور آنفا ، وقيل إن الحبشي نسبة إلى حي من حمير . وقد ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام . (انظر : « تهذيب التهذيب » ، ط حيدر أباد ، ١٣٢٧ هـ ، جـ١ ص ٢٩٦) .

(١٢٢) في الأصل : « يتعبدون » وهو خطأ لغة .

(١٢٣) في الأصل : « عن » ، وهو خطأ في النقل، ولعلّ للأصل كذلك وجها مقبولاً في اللغة .

(١٢٤) الآية ١٠٥ من سورة « طه » .

(١٢٥) الآية ٤٧ من سورة « الكهف » .

فلوسا ، وأعطاها فلسا ، فأمرتِ الجاريةَ أن تشتريَ به نُقْلاً ، وقالت إنه جاءَ من غيرِ « مسألة »[126] . وكـانت تقيم ببيت المقدس نصف سنـة ، وبدمشق نصف سنـة . (م ١٠٢) .

أبو العوّام ، مؤذن بيت المقدس :

تقدّم ذكره ، وروايته عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنّ السُّور في القرآن ، هو سور المسجد الشرقي ، وتصحيح الحاكم إياه في « المستدْرَك »[127] .

جماعة من التابعين رضي الله عنهم :

عن الأوزاعي قال : كان قبيصة بن ذؤيب[128] وعبدالله بن مُحَيْريز ، وهانىء بن كلثوم يحضرون « للصلاة »[129] من الرملة إلى بيت المقدس . قلت : هؤلاء كلّهم عُبّادٌ زُهّاد . فقبيصة ، كان عالما ربّانياً ، مات سنة ست وثمانين . وابن محيريـز ، فقرشي جُمَحي مكي ، نزل بيت المقدس . قال رجاء بن حيوة . إنْ فَخَر علينا أهل المدينة بعابدهم ابنِ عمر ، فإنا نفخر بعابدنا ابن مُحَيْريز . إن ما كنت أعُدُّ بقاءه أماناً

(١٢٦) في الأصل : « مسئلة » ، وهو مخالف للرسم المتعارف عليه .

(١٢٧) المُسْتَدرَك : هو كتاب « المستدرك على الصحيحين » في الحديث ، للشيخ الإمام أبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسـابوري الحـافظ المتوفى سنـة ٤٠٥ هـ . (انظر : « كشف الـظنون » منشورات مكتبة المثنى ، بيروت ، جـ ٢ ص ١٦٧٢) .

(١٢٨) قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي ، ولد سنة ٨ هـ بالمدينة ، وكان من الصحابة الذين رأوا النبي عليه السلام ، ولم يحدّثوه . روى قبيصة عن كبار الصحابة ، ولا سيما عن زيد بن ثابت ، وكان ذا مكانة مرموقة بين فقهاء الطبقة الأولى ، وكان عالما واسع المعرفة . وقد عاش في أواخر عمره في بلاط الأمويين بدمشق ، وتولى الكتابة لعبد الملك بن مروان ، وكان أمينا على خاتمه ، وتوفي سنة ٨٦ ، وقيل ٨٧ هـ . (انظر « سيزكين » مجلد ١ جزء ٣ ص ١٧ ، وانظر كذلك « طبقات ابن سعد » ، جـ ٧ ص ٤٤٧) .

(١٢٩) في الأصل : « الصلاة » وهو غير مستقيم مع تركيب الجملة .

(م ١٠٢) : ١٣٠ .

لأهل الأرض . مات قبل المائة . وأمّا هانىء ، فقد عُـرِضتْ عليه إمـرة فلسطين ، فامتنع .

عبد الملك بن مروان :

باني قبة صخرة بيت المقدس : روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من لم يَغْزُ ولم يُجَهِّزْ غازياً ولم يَخْلُفْهُ بخير ، أصابَهُ الله تعالى بقارعـة . قال ابن عمر : ولد الناس ابناً ، وَوَلَد مروان أباً : يعني عبدالملك . قال عمرو بن العاص : كان عبدالملك حسن البِشْر عند اللقاء ، حسن الحديث إذا حَدَّث ، حسنَ الاسْتماع إذا حُدِّث ، هيِّنَ المؤنةِ إذا خولف ، لا يمازح من لا يثق بعقله ودينه ، ولا يحالف لئيماً ، ولا يتكلم بما يُعْتَذَر عنه . كان مرّةً جالساً في الصخرة عند أمّ الدرداء ، فنودي بالمغرب ، فقـامتْ تتوكـأ عليه حتى أدخلهـا المسجد إلى النسـاء ، ومضى فصلى بالناس . وقال العلاء بن (م ١٠٣) « زيد »[١٣٠] ، ما غَبَطْتَهُ لشيء من ولايته ، إلاّ بقتل الحارث الكذّاب ، لأني حُدِّثْتُ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجّالون كذابون ، كلُّهمْ يزعم أنه نبيّ . من قتلَ منهم أحداً فله الجنة » . وذلك أنه لما ظهر كذب الحارث ، هرب فاختفى ببيت المقدس ، فبعث عبدالملك في طلبه حتى أُتِيَ به ، فقتله . توفي عبدالملك بدمشق سنة ست وثمانين .

عمر بن عبدالعزيز :

أمير المؤمنين ، الإمام العادل . كان خالدٌ[١٣١] بصحن بيت المقدس ، فجاء عمر ابن عبدالعزيز ، فأخذ بيده وقال : يا خالد ، ما علينـا ومالنـا عليكم من الله ؟

---

(١٣٠) في الأصل : العلاء بن « زياد » ، والصواب ما أثبتناه كما في « ميزان الاعتدال » . بَصْريّ ، روى عن أنس ، وسمّاه بعضهم « ابن زيدل » بزيادة لام . قال عنه الدّارقطني : متروك . وقال النجّاري وغيرُه : منكر الحديث . (انظر « ميزان الاعتدال » مجلد ٣ ص ٩٩) .

(١٣١) خالد : الأرجح أنه خالد بن معدان الذي مر ذكره .

(م ١٠٣) : ١٣٠

(قال)[١٣٢] : أُذُنٌ سميعة ، وعين بصيرة . فأرعدَ عمر خوفا من الله ، ونزع يَدَه . فقال خالد : يوشك أن يكون هذا إماماً عادلا .

ولزم خالد بيته في آخر أمره وقال : ما بقي من الناس إلا حاسد أو شامت ! توفي خالد سنة سبعين ، وتوفي عمر سنة إحدى ومائة .

وقال ابنُ سيرين :[١٣٣] : رحم الله سليمان بن عبدالملك ، افتتح خلافَتَهُ بخير ، فصلّى الصلوات لوقتها ، وخَتَمها بخير ، فاستخلف عمر بن عبدالعزيز .

روى عمر بن عبدالعزيز عن عبدالله بن جعفر ، وأنس بن مالك ، وابن المسيّب وعدة . وروى عنه ابناه وإبراهيم ابن أبي عبلة ، وأيّوب[١٣٤] وغيرُهم . قال سفيان (م ١٠٤) الثوريّ : الخُلفاء الراشدون خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وعمر بن عبدالعزيز ، رضي الله عنهم . ورُوِيَ هذا أيضا عن الإمام الشافعي رضي الله عنه .

---

(١٣٢) ساقطة في الأصل ، ويقتضيها السياق .

(١٣٣) ابن سيرين : هو أبو بكر محمد بن سيرين البصريّ الأنصاريّ ، مولى أنس بن مالك . ولد سنة ٣٣ هـ ، واستقر بالبصرة . كان تابعيا مشهورا روى عن عدد من أصحاب الرسول ﷺ . كما كان ثقة مأمونا فقيها إماما كثير العلم ورعا ، ويُعَدّ من الزهاد الأوائل ، وكان حجة في تفسير الأحلام ، توفي سنة ١١٠ هـ عن نيّفٍ وثمانين سنة ، وكان به صمم . ومن آثاره « تعبير الرؤيا » . (انظر : « طبقات ابن سعد » جـ ٧ ص ١٩٣ وما بعدها . و« سيزكين » ، مجلد ١ جزء ٤ ص ٩٧) .

(١٣٤) أيوب : هو أيوب بن أبي تميمة السختياني ، ويُكنى أبا بكر ، مولى لِعَنَزَة . وكان ثقة ثَبْتاً في الحديث ، جامعا عَدْلا ورعا كثير العلم ، حجة . رأى من الصحابة أنس بن مالك ، ويقال إنه روى عنه ما بين ثمانمائة وألف حديث ، كان ذا مكانة كبيرة بين الناس ، وعرف عنه الزهد ، وتوفي في الطاعون بالبصرة ، سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . (انظر : « طبقات ابن سعد » ، جـ ٧ ص ٢٤٦ وما بعدها . وانظر كذلك : « سيزكين » مجلد ١ جزء ١ ص ١٦٠) .

(م ١٠٤) : ١٣٠ ، ١٣١ .

محارب بن « دثار »[١٣٥] السدوسي رحمه الله :

قال محارب : صَحِبْنا القاسمَ بنَ عبدالرحمن[١٣٦] إلى بيتِ المقدس ، فَغَلَبنا على ثلاث : على قيام الليل ، والبَسْط في النفقة ، والكفِّ عن الناس . وفي رواية القاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود : فَفَضَلَنا بكثرة الصلاة ، وطول الصمت ، وسخاءِ النفس . حديث محارب مُخَرَّجٌ في كتب الإسلام . وكان قاضيا ، روى عن ابن عمر وجابر وغيرهما . روى عنه سعيد بن الحجاج[١٣٧] والسفيانان[١٣٨] وكان من العلماء الزهاد .

ابن أبي عبلة ، رحمه الله :

هو عقيلي مقدسي ، روى عن أبي أمامةَ وأنَس وطائفة . وروى عنه الإمامان مالك وابن المبارك ، وهو صدوق . قال : كنت أنا وابن الديلمي في مسجد بيت المقدس ، فدخل (م ١٠٥) واثلة بن الأسقع ، وعبدالله بن أمِّ حرام . فقمت إلى عبدالله ، يعني هذا ، وقام الديلمي إلى واثلة . فأخبَرني عبدُالله أنّه صلى مع النبي ﷺ القبلتين ، وأخبرَني الديلميُّ أنّ واثلة قال : أتينا النبيَّ ﷺ في صاحبٍ لنا قد

---

(١٣٥) في الأصل : « ذياب » ، وما أثبتناه مطابق لما في « الأنس الجليل » (انظر جـ ١ ص ٢٨٧) .

(١٣٦) القاسم بن عبدالرحمن : هو القاسم بن عبدالرحمن الدمشقي الفقيه الفاضل أدرك أربعين من المهاجرين والأنصار . توفي سنة ١١٢ هـ . (انظر : « شذرات الذهب » جـ ١ ص ١٤٥) .

(١٣٧) سعيد بن الحجاج : لعله سعيد بن أبي أيوب ، الذي توفي سنة إحدى وستين ومائة للهجرة ، وقد نيف على الستين ، وهي السنة نفسها التي توفي فيها سفيان الثوري . (انظر : « شذرات الذهب » جـ ١ ص ٢٥١) .

(١٣٨) السفيانان : هما سفيان الثوري ، الذي سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب ، وسفيان بن عيينة ، وهو سفيان بن عيينة بن ميمون العلاّمة الحافظ ، شيخ الإسلام ، أبو محمد الهلالي الكوفي ، محدّث الحرم ، مولى محمد بن مزاحم . ولد سنة ١٠٧ هـ ، وطلب العلم في صغره . سمع الزهريّ وغيرَه ، وحدّث عنه ابن مهدي والشافعي وابن حنبل ، وغيرهم كثيرون . قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . حديثه نحو سبعة آلاف ، ولم يكن له كتب . توفي سنة ١٩٨ هـ . (انظر « تذكرة الحفاظ للذهبي » ، مجلد ١ جـ ١ ص ٢٦٤) .

(م ١٠٥) : ١٣١ .

أوجَبَ[١٣٩] ، فقال : « اعتقوا عنه رقبة ، يفك الله عنه بكل عضو منا عضوا منه من النار » .

توفي ابن أبي عبلة سنة اثنتين وخمسين . وابن الديلمي المذكور ، هو عبدالله بن فيروز الديلمي ، مرّ أبوه في الصحابة . خرّج له أبو داود والنَّسائي وابنُ ماجة ، وهو مقدسي روى عن أبيه وابن مسعود وغيرهما ، وروى عنه ربيعة بن يزيد القصير[١٤٠] ، ويحيى السّيباني[١٤١] ثقة ، وله أخ يقال له الضحاك بن فيروز ، وهو ثقة أيضا ، روى عنه أيضا . وَثَّقَهُ أبو وهب الجيشاني[١٤٢] .

رجاء بن حيوة :

أبو المقدام ، وأبو نصر ، الكِنْدي . فقد تقدم أنه كان القائم ببناء قبة الصخرة أيام عبدالملك (م ١٠٦) ، وهو فلسطيني ، وكان فقيهاً ، وَزَرَ لعمر بن عبدالعزيز . روى عن معاوية بن أبي سفيان ، وأبي أمامة ، وروى عنه ابنُ عوف ، وثورُ بن يزيد ،

---

(١٣٩) أوجبَ : أوجبَ الرجل : أتى بموجبة من الحسنات أو السيئات . وأوجب الرجل إذا عمل عملا يوجب له الجنة أو النار . (لسان العرب : مادة وجب) . وواضح من السياق أن الرجل هنا قد قارف سيئة يستحق عليها العقوبة .

(١٤٠) ربيعة بن يزيد القصير : هو ربيعة بن يزيد الدمشقي القصير ، شيخ دمشق بعد مكحول ، استُشْهِدَ بأفريقية . لقي جُبَيْر بن نُفَيْر وطائفة . وقد قال فيه سعيد بن عبدالعزيز : لم يكُنْ عندنا أحسن سَمْتاً في العبادة منه ومن مكحول . توفي سنة ١١٣ (انظر : « شذرات الذهب » ، جـ ١ ص ١٦١) .

(١٤١) يحيى السيباني : في الأصل : « الشيباني » ، والصواب ما أثبتناه ، وهو أبو زرعة يحيى بن أبي عمرو السيباني (سيبان بطن من حمير) الرملي ، من أهل الرملة . روى عن ابن محيريز وغيره ، وروى عنه الأوزاعي وابن المبارك وغيرهما . وثّقَهُ ابنُ حنبل ، توفي سنة ١٤٨ هـ وهو ابن خمس وثمانين سنة . وعداده في الشاميين ، وكان والده من تابعي أهل الشام . (انظر : « الأنساب للسمعاني » ، ط بيروت ١٩٧٦ جـ ٧ ص ٢١٥) .

(١٤٢) أبو وهب الجيشاني : هو ديلم بن الهوشع الجيشاني . وجيشان من اليمن . روى عن الضحاك بن فيروز ، وروى عنه يزيد بن أبي حبيب . وقد عدّهُ ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين الذين نزلوا مصر . (انظر « طبقات ابن سعد » جـ ٧ ص ٥١٠ « والأنساب » للسمعاني ، ط بيروت ، جـ ٣ ص ٤١٢) .

(م ١٠٦) : ١٣١

وكان من جملة الأعلام العلماء . توفي سنة اثنتين ومائة .

محمد بن واسع :

جمعتْهُ الطريقُ ومالك بن دينار(١٤٣) وعبدالواحد بن زيد ، وهم سائرون إلى بيت المقدس . فسمعوا بين الرصافة(١٤٤) وحمص قائلا يقول : مَنْ مَلَكَ الرّمال يامحفوظُ يا مستورُ ؟ اعقلْ في سير من أنت ! فإن كنتَ لا تعقل ، فاحذرِ الدُّنيا . فإن كنت لا تحسن أنْ تحذَرَها ، فاجعلْها شوكة ، وانظر أين تضع رجليك !

كان محمد من أهل البصرة من الأزد ، وكان من الزهاد . روى عن أنس بن مالك ومُطَرّف بن الشِّخِّير(١٤٥) . أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، وكان ثقة ، روى عنه الحاكمان(١٤٦) وهُمام(١٤٧) . تُوُفّيَ سنة سبع وعشرين ومائة بخلاف . (م ١٠٧).

---

(١٤٣) مالك بن دينار : سيرد الحديث عنه في متن هذا الكتاب .

(١٤٤) الرُّصافة : الرصافة المقصودة هنا ، هي رصافة هشام بن عبدالملك ، في غربي الرقّة . بينهما أربعة فراسخ على طرف البريّة ، وهي رصافة الشام ، وفيها دير عجيب ، وعليها سور ، وليس عندها نهر ولا عين جارية ، إنما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور . (انظر : « معجم البلدان » ط بيروت ، جـ٣ ، ص ٤٦ ـ ٤٧) .

(١٤٥) مُطَرّف : في الأصل : « السخير » ، والصواب ما أثبتناه كما في « طبقات » ابن سعد وهو مطرف بن عبدالله بن الشُّخِّير ، وقد سبق التعريف به . (انظر : « طبقات ابن سعد » جـ ٧ ص ١٤١) .

(١٤٦) الحاكمان : هما الحاكم صاحب « المُسْتَدْرَك » ، وقد سبق التعريف به ، والحاكم الكبير ، أبو أحمد محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري الكرابيسي ، المعروف بالحاكم الكبير . ولد سنة ٢٨٥ هـ ، وروى عن عروبة الحراني وغيره . وكان الحاكم النيسابوري أحد تلاميذه ومستمعيه . وقد اعتُبِر في عصره محدّثاً عظيما . ولِيَ القضاءَ في عدة مدن ، وتوفي سنة ٣٧٨ هـ ، وبذا فإن روايته ورواية الحاكم الآخر عن محمد بن واسع لا يمكن أن تكون رواية مباشرة . (انظر : « سيزكين » مجلد ١ جـ ١ ص ٤١١) .

(١٤٧) همام : لعله همام بن يحيى العوذي البصري المحدث . روى عن الحسن وعطاء وطائفة ، وكان أحد أركان الحديث ببلده . وصفة ابن سعد بأنه ثقة ، وربما غلط في الحديث ، وقال فيه ابن حنبل : هو ثبْتٌ في كل مشايخه . توفي سنة ١٦٣ هـ . (انظر : « طبقات ابن سعد » ، جـ ٧ ص ٢٨٢ . و « شذرات الذهب » ، جـ ١ ص ٢٥٨) .

(م١٠٧) : ١٣١ ، ١٣٢

الوليد بن عبدالملك :

بنى مسجدَ بيت المقدس(١٤٨) ، ومسجد مصر ، وعمّر في بيت المقدس صخرةً . قال(١٤٩) : سمعتُ إبراهيم بن أبي عبلة يقول : رحم الله الوليد ، وأين مثل الوليد ؟ افتتح الهند والأندلس . رحم الله الوليد ، وأين مثلُ الوليد ؟ هدم كنيسة دمشق ، وبنى مسجدَ دمشق . رحم الله الوليد وأين مثلُ الوليد ؟ كان يعطيني قِصاع الفضة أُقسِّمُها على قراء بيت المقدس . توفّيَ سنة ست وتسعين بدمشق ، رحمه الله .

سليمان بن عبدالملك :

أتى بيتَ المقدس ، وأتتْه الوفود بالبيعة ، فلم يَرَوْا وفادة كانت أهنأ من الوفادة عليه . كان يجلس في قبّةٍ في صحن مسجد بيت المقدس مما يلي الصخرة قد بُسِطَتِ البُسُط بين يَديْ قبته ، عليها النمارق والكراسي ، فيجلسون ويأذن لهم ، فيجلس الناس على الكراسي والوسائد ، وإلى جانبه الأموال والكُسى وآنية الذهب والفضة ، وكتّاب الدواوين ، فيدخُل وفدُ الجند ، ويتقدّمُ صاحبهم ، فيتكلم عنهم وعن من قَدِموا مِن عندِه . وكان سليمانُ قد همّ بالإقامة ببيت المقدس واتخاذها منزلا ، وجمعَ الأموالَ والناسَ بها .

رأى سليمان أبا حازم(١٥٠) ، وسأله ووعظه ، واجتمع بالزُّهريّ . روينا عن

---

(١٤٨) عبارة المؤلف عن بناء الوليد لمسجد بيت المقدس ، أي المسجد الأقصى ، وتعميره قبة الصخرة ، هو تصوير للحقيقة التاريخية بالنسبة إلى هذا الموضوع . فقد أظهرت أوراق البرديّ ، كما يبين ذلك الدكتور عبدالعزيز الدوري ، بصورة لا تترك مجالا للشك ، أنّ الوليد هو الذي بنى المسجد الأقصى ، في حين أنّ والده عبدالملك هو الذي بنى مسجد قبة الصخرة . (انظر البحث الذي قدمه الدكتور الدوري إلى المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام ، « فلسطين » ، الذي عُقِد في عمان في الفترة ١٩ ـ ٢٤ نيسان (على ورق ستانسل) ، وانظر كذلك « الكامل لابن الأثير ط دار صادر بيروت ، جـ ٥ ص ٩) .

(١٤٩) لم يذكر المؤلف من الذي « قال » ، إذْ أنه لا يمكن أن يكون هو الذي سمع إبراهيم بن أبي عَبْلَة ، فالمؤلف من أبناء القرن الثامن ، وإبراهيم بن أبي عبلة توفي سنة ٥٢ للهجرة .

(١٥٠) أبو حازم : هو أبو حازم ، سلمة بن دينار المخزومي ، أحد مشاهير الإسلام في صدر الإسلام. أصله فارسي ، وكان قاضيا في المدينة ، وروى عن قدماء التابعين ، وروى عنه الزهريّ ومالك وسفيان الثوريّ وغيرهم . وصف بأنه عالم المدينة وزاهدها وواعظها، وأمُّهُ رومية ، وولاؤه لنبي مخزوم . قيل عنه إنه ثقة =

الضحّاك بن موسى . (م ١٠٨) قال : مرّ سليمانُ بنُ عبدالملك بالمدينة وهو يريد مكة ، فأقام بها أياما فقال : هل بالمدينة أحد أدركَ من أصحاب النبي ﷺ ؟ قالوا له : أبو حازم . فأرسل إليه ، فلما دخل عليه قال : يا أبا حازم ، ما هذا الجَفاء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، وأيّ جفاء رأيت مني ؟ قال : أتاني وجوهُ أهل المدينة ، ولم تأتني . قال : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن تقول مالم يكن ! ما عرفْتَني قبل هذا اليوم ، ولا أنا رأيتك ! قال : فالتفت سليمانُ إلى محمد بن شهاب الزهريّ فقال : أصاب الشيخُ وأخطأتُ . قال سليمان : يا أبا حازم ، مالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أخربتُمْ الآخرة ، وعمرتم الدنيا ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب . قال : أصبْتَ يا أبا حازم . فكيف القدوم غداً على الله تعالى ؟ قال : أما للمُحسِن ، فكالغائب يقدُمُ على أهله . وأما للمسيء ، فكالآبق يقدُمُ على مولاه ! فبكى سليمان وقال : ليت شعري مالنا عند الله ؟ قال : اعرض عملك على كتاب الله . قال : في أيّ مكان أجِدُه ؟ قال : في قوله تعالى : ﴿ إنّ الأبرارَ لفي نعيم ، وإن الفُجّار لفي جحيم ﴾(١٥١) قال سليمان : فأيّ عباد الله أكرم ؟ قال : أوْلو المروءة والنُّهىٰ . قال سليمان : فأي الدعاء أسمع ؟ قال : دعاء المحسن إليه إلى المُحْسَن . قال فأيّ الصدقة أفضل ؟ قال : للسائل البائس ، وجهد المُقِلّ ، ليس فيها مَنٌّ ولا أذى . قال : فأيُ القول أعدل ؟ قال : قولُ الحق عند من تخافه أو ترجوه . قال : فأيّ المؤمنين أكْيَس ؟ قال رجل عملَ بطاعة الله ، ودلّ الناس عليها . قال : فأيّ المؤمنين أحمق(١٥٢) ؟ قال : رجل انحطّ في هوى أخيه وهو ظالم ، فباع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : أصبت ! فما تقول فيما نحن فيه ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، أوَتُعْفيني ؟

= لم يكن في زمانه مثله . له حِكَمٌ ومواعظ . توفي سنة ١٤٠ هـ . (انظر : « شذرات الذهب » ، جـ ١ ص ٢٠٨ و « سيزكين » ، مجلد ١ جـ ٤ ص ٩٩) .

(١٥١) الآيتان ١٣ ، ١٤ من سورة « الانفطار » .

(١٥٢) هكذا في الأصل ، وهو مخالف لقواعد اللغة ، إذ أنّ القياس أن يقال : أشدّ حمقا أو أكثر حمقا ، لأن الصفة المشبّهة من حمق على وزن أفعَل : أحمق ، فلا يجوز إذن أن تستعمل لأفعل التفضيل .

(م ١٠٨) : ١٣٢ .

قال : لا ، ولكن نصيحة تلقيها إليّ ، قال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ آباءك قهروا الناس بالسيف ، وأخذوا هذا المُلْك عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم ، حتى قتلوا منهم مَقْتَلَة عظيمة . قد ارتحلوا عنها ولو أُشْعِرْتَ ما قالوا وما قيل لهم !!

فقال رجل من جلسائه : بئس ما قلت يا أبا حازم ! قال أبو حازم : كذبت! إن الله أخذ ميثاق العلماء لَيُبَيِّنُنَّه للناس ولايكتمونه . قال سليمان : (م١٠٩) فكيف لنا أن نَصْلُح ؟ قال : تَدَعون الصَّلَف ، وتُمْسِكونَ بالمُروءة ، وتَقْسِمون بالسَّويَّة . قال له سليمان : كيف لنا بالمأخذ ؟ قال : تأخُذُه من حِلِّهِ ، وتضعُه في أهله . قال له سليمان ، يا أبا حازم ، هل لك أنّ تصحبنا فتصيب منّا ونصيبَ منك ؟ قال أعوذ بالله ! قال سليمان : وَلِمَ ذلك ؟ قال : أخشى أن أركَنَ إليكم شيئا قليلاً ، فيذيقَني اللهُ ضِعْفَ الحياة وضِعْفَ الممات . قال له سليمان : ارفعْ لنا حوائجَك . قال تنجيني من النار وتدخلني الجنة ! قال سليمان : ليس ذلك إليّ . قال أبو حازم : فما لي حاجة غيرها ! قال : فادع لي . قل أبو حازم : اللهمّ إنْ كان سليمانَ وليَّك ، فَيَسِّرْهُ لخير الدنيا والآخرة . وإن كان عدوَّك ، فخذ بناصيته إلى ما تحبُّ وترضى ! فقال له سليمان عظني . قال أبو حازم : قد أوجزت ، وأكثرتُ إنْ كنتَ من أهله . وإن لم تكن من أهله ، فما ينبغي أن أرمي عن قوس ليس لها وَتَر ! قال له سليمان : أوْصِني . قال : سأوصيك وأوجز : عظِّم ربَّك ، ونزِّهْهُ أنْ يراك حيث نهاك ، أو يفْتَقِدَك من حيث أمَرَك .

فلما خرج من عنده ، بعث إليه بمائة دينار ، وكتب إليه أن أنْفِقْها ، ولك عندي مثلُها كثير . فردّها إليه ، وكتب إليه : يا أمير المؤمنين ، أعيذُك بالله أن يكون سؤالك إيايَ هَزْلا ، أوْرَدِّي عليك بَذْلا . وما أرضاها لك ، فكيف أرضاها لنفسي ؟ . . . (١٥٣) فإن كانتْ هذه المائة دينار(١٥٤) عوضا لما حدَّثْتُ ، فالمَيْتَةُ ولحمُ الخنزير حالَ

---

(١٥٣) المادة المحذوفة التي أشير إليها بنقط ، هي تفصيل لقصة موسى عليه السلام مع شعيب ، أوردها أبو حازم مطوّلة لكي يبيّن أنه لا يريد أنّ يأخذ على موعظته أجرا ، مثلما أن موسى عليه السلام لم يَسْقِ للجاريتين ابنتي شُعيب طَمَعاً في الأجر .

(١٥٤) الأصحّ لغة أن يقول : المائة الدينار ، أومائة الدينار .

(م ١٠٩) : ١٣٢ ، ١٣٣ .

الاضطرار أحَلُّ من هذه . وإنْ كانت لحقٍّ لي في بيت المال ، فلي فيها نظراء . فإنْ ساويتَ بيننا ، وإلاّ فليس لي فيها حاجة .

كانت خلافة سليمان سنة ستة وتسعين ، وتوفي سنة تسع وتسعين ، وله خمسٌ وأربعون سنة . وإنّما أتيتُ بهذه الحكاية كلها ، لأنها وقعت لنا روايتها في سند الإمام الحافظ أبي محمد بن عبدالرحمن الدارمي(١٥٥) ، وفيها مَنْقَبَةٌ عظيمة لسليمانَ الخليفة (م ١١٠) في إعظامه العلماء ، رحمه الله تعالى .

زياد بن أبي سودة :

مقدسّي ، روى عن عبادة بن الصامت ، وأبي هريرة ، وروى عنه معاويةُ بن صالح ، وسعيد بن عبدالعزيز . ذكره ابن حبّان في كتابه « الثقات » وقال : « كان زياد بن(١٥٦) أبي سودة (. . . .)(١٥٧) إذا قَدِمَ بيت المقدس ، صعد طور زيتا .

سليمان بن طرخان :

أبو المَعْمَّر التميمي ، نزل فيهم بالبصرة ، سمع أَنَساً . كان سليمان يقول : إذا دخلتُ بيت المقدس ، كأنَّ نفسي لا تدخل معي حتى أخرج منها . توفي سنة ثلاث وأربعين ومائة .

---

(١٥٥) الحافظ الدارمي : هو أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي السمرقندي ، ولد سنة ١٨١ هـ ، وسمع في رحلاته الطويلة كثيرا من المحدِّثين . حدّث عنه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم . له كتاب « المسند » ، وهو كتاب في السّنن ، ويقال إنّه ألّف تفسيرا وكتاباً بعنوان « الجامع » . وقد تقلّد القضاء في سمرقند ، ولكن استعفى بعد أن قضى في قضية واحدة ، فأُعْفِيَ . توفي سنة ٢٥٥ هـ . (انظر : « شذرات الذهب » جـ ٢ ص ١٣٠ و « سيزكين » مجلد ١ ، جزء ١ ص ٢١٩) .

(١٥٦) في الأصل جاءت العبارة في ترتيب خاطىء هكذا : « زياد كان ابن أبي سودة » ، وهو خطأ في النقل عند النسخ .

(١٥٧) كلمة غير مقروءة .

(م ١١٠) : ١٣٣ ، ١٣٤

رابعة :

ابنة اسماعيل ، أمّ الخير العدويّة البصرية الزاهدة ، رحمة الله عليها ، مولاة آل عُبَيد . قيل : كانت تقول في مناجاتها : إلهي ! تحرِق بالنار قلبا يُحِبّكَ !؟ فهتف بها هاتف : « ما كنا نفعل هذا ، فلا تظني بنا ظنّ السوء » . وكانت تقول : ما ظَهَر من أعمالي لا أعُدُّه شيئا . قدمتْ بيت المقدس ، وماتت به ، وقبرها بظاهر القدس الشريف ، على رأس طور زيتا ،وهو ظاهر يزار . وكانت وفاتها سنة خمس وثلاثين ومائة .

أبو الحسن البهراني[158] الأندلسي :

كان مقيماً ببيت المقدس ، سمعه أبو عبدالله الصُّوريّ[159] في بيته . سمع محمد بن العباس (. . . .)[160] قال : سمعتُ الشبليّ وسمعَهُ وسأله رجل فقال له : يا أبا بكر ، ما تقول في رجل كان له حظٌّ في قيام الليل ، فتركَهُ ثم عاودَهُ ، فهو يَجْهَدُ أن ينالَه فلا يَقدِر ؟ قال : فأنشد :

تشاغَلْتُمْ عنّا بصحبةِ غيرِنا وأظهرتُمُ الهِجرانَ ما هكذا كُنّا

مقاتل بن سليمان المفسر :

قدِمَ بيت المقدس ، فصلى فيه ، وجلس عند باب الصخرة القبلي ، فاجتمع إليه خلق من الناس يكتبون عنه ويسمعون منه . فأقبل بدويّ يطأ بنعلين على البلاط وطئاً

---

(١٥٨) في « إتحاف الأخِصّا » : النهرواني . (انظر صورة المخطوطة ، ورقة ٩٦) .

(١٥٩) أبو عبدالله الصوري : هو محمد بن المبارك بن يعلى القرشي الصوري ، سكن دمشق وكان من عُبّادِ أهل الشام وزُهّادِهم ، حدّث عن عبدالله بن المبارك . ولد سنة ١٥٣ هـ ، وتوفي سنة ٢١٥ هـ ، وصلّى عليه أبو مُسْهِر الغسّاني . (انظر : « الأنساب » للسمعاني ط بيروت جـ ٨ ص ١٠٤ و « تهذيب التهذيب » ط حيدر أباد سنة ١٣٢٦ هـ ، جـ ٩ ص ٤٢٣ - ٤٢٤) .

(١٦٠) الكلمة في النص غير واضحة .

شديداً . فسمعه (م ١١١) مقاتل ، فقال لمن حوله : انفرجوا ، فانفرج الناس عنه ، وأهوى بيده يشير إليه ويَزْبُرُه بصوته ويقول : أيّها الواطىء ! ارفقْ بوَطْئِك ، فوالذي نفسُ مقاتل بيده ، ماتطأ إلاّ على أجاجين(١٦١) الجنّة ! وفي كلام آخر ، قال الإمام الشافعي رحمه الله : الناس كلُّهم عيال على ثلاثة : مقاتلِ بن سليمان في التفسير ، وذَكَرَ الآخَرَيْن . وفاة مقاتل سنة خمسين ومائة(١٦٢) . رحمه الله .

إبراهيم بن يوسف الفريابي ، رحمه الله :

نزل بيت المقدس ، روى عن « عمر »(١٦٣) بن ربيعة ، والوليد بن مسلم ، وعنه بَقِيُّ بن مَخْلَد(١٦٤) ، وأبو زُرْعَة ، وابنُ قتيبة ، والعسقلاني ، صدّقَهُ أبو حاتم ، وحديثه في كتب ابن ماجة .

أبو عتبة الخواص :

عباد بن عباد الأرسوفي . قدِم بيت المقدس وروى عن ابن

(١٦١) أجاجين : واحدته إجانة ، وهو المَرْكَن . (لسان العرب ، مادة أجن) .

(١٦٢) في الأصل : « خمس » ، ولابد أنه خطأ في نقل الكلمة ، إذ إنّ أبا الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير ، صاحب التفسير ، توفي بالبصرة سنة خمسين ومائة (انظر وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس . ط دار الثقافة ، بيروت المجلد الخامس ، ص ٢٥٧) .

(١٦٣) في الأصل : « عمرة بن ربيعة » ، وهو خطأ من الناسخ ، والصواب ما أثبتناه ، وهو أبو ربيعة عمر ، وقيل : عمرو ، بن ربيعة . وروى عن الحسن البصري ، حَسَّنَ الترمذيُّ بعض أفرادِه . (انظر « تهذيب التهذيب » ، ط حيدر أباد ، ١٣٢٧ هـ ، جـ١٢ ص ٩٤) .

(١٦٤) بَقِيُّ بن مَخْلَد : هو أبو عبدالرحمن ، بَقِيُّ بن مَخْلَد بن يزيد القرطبي . ولد سنة ٢٠١ هـ ، وارتحل إلى مصر والشام والحجاز طلباً للعلم . روى عن أحمد بن حنبل ، وأبي بكر بن شيْبَة وغيرهما ، وألّف عدداً كبيراً من الكتب . كان ثقة حجة واسع المعرفة . ويروى أنه أول محدّثٍ رتّبَ الأحاديث في المُسْنَد على أسماء الصحابة ، ثم رتّب كل صاحب على أسماء الفقه في أبواب الأحكام . أمّا تفسيره المفقود للقرآن الكريم ، فقد قال فيه ابن حزم : إنه لم يؤلَّف في الإسلام مثلُه . توفي سنة ٢٧٦ هـ . (انظر : « شذرات الذهب » جـ٢ ص ١٦٩ و« سيزكين » ، مجلد ١ جزء ١ ص ٢٩٦) .

(م ١١١) : ١٣٤ ، ١٣٥

« عون »[١٦٥] (م ١١٢) ، ويونس[١٦٦] ، وعنه آدم[١٦٧] وأبو مُسْهر[١٦٨] . وَثَّقوه . قال أبو عتبة : رأيت ببيت المقدس شيخاً كأنه محترق بنار ، عليه مُدَرَّعَةٌ سوداء ، وعِمامة سوداء ، طويلَ الصمت ، كريهَ المنظر ، كثيرَ الشَّعْر ، شديد الحُزن . فقلت له : رحمك الله ! لو غيّرتَ لباسَك هذا ، وقد عَلِمْتَ ما جاءَ في البياض . فبكى وقال : هذا أشبهُ بلباس المُصاب ، وإنما نحن في الدنيا في حِداد ، وكأنا قد دُعينا ! ثم غُشي عليه .

سفيانُ الثوري ، رحمه الله :

هو ابن سعيد بن مسروق ، الإمام العالم المُجْمَع على جلالته وزهده وورعه . أتى المسجد الأقصى ، فصلّى فيه بموضعٍ للجماعة ، ولم يأتِ قبة الصخرة . ورُوِيَ أنه أتاها فقرأ فيها ختمة . وقد ذكر الوليد بن مسلم ، عن صَدَقة بن يزيد[١٦٩] قال :

---

(١٦٥) ابن عون : في الأصل : « عوف » ، وهو تحريف من الناسخ . وابن عون ، هو محمد بن عون ، أبو عبدالله الخراساني . روى عن نافع مولى ابن عمر ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وغيرهم . ذكره البخاري في الأوسط في فصل من مات بين الأربعين إلى الخمسين ومائة (انظر : « تهذيب التهذيب » لابن حجر العسقلاني ، جـ ٩ ص ٣٨٤ وص ٣٨٥) .

(١٦٦) يونس : الأرجح أنه يونس بن عبيد شيخ البصرة . رأى أنَساً وروى عن الحسن البصري ومحمد بن سيرين . قال ابن سعد عنه إنه كان ثقة كثير الحديث ، وأرخ لوفاته ١٣٩ هـ ، في حين ذكر ابنُ حجر العسقلاني أنه توفي سنة ١٤٠ هـ . وقد حَمَلهُ بنو العباس على أعناقهم بعد وفاته . (انظر : « طبقات ابن سعد » جـ ٧ ص ٢٦٠ و « تهذيب التهذيب » جـ ١١ ص ٤٤٢ وما بعدها) .

(١٦٧) آدم : هو آدم ابن إياس ، أبو الحسن الخراساني العسقلاني ، ولد في بغداد سنة ١٣٢ هـ ، وقام بعدة رحلات ، ثم استقر أخيرا في عسقلان . روى عن شعبة والليث وغيرهما ، وروى عنه البخاري والدارمي وغيرهما . توفي في عسقلان سنة ٢٢٠ هـ . (انظر : « سيزكين » مجلد ١ ، جزء ١ ص ١٩١ ، وانظر كذلك ما كتبه عنه ابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » جـ ٢ ص ٤٧) .

(١٦٨) أبو مُسْهر : سبق التعريف به .

(١٦٩) صدقة بن يزيد : هو صدقة بن يزيد الخراساني ، ثم الشامي ، نزل الرملة ، روى عنه الوليد بن مسلم ، وَوَثَّقهُ أبو زرعة الدمشقي . وقال البخاري عنه إنه منكر الحديث ، وضعَّفَهُ أحمد بن حنبل وقال : إن صدقة بن يزيد كان يكون بناحية بيت المقدس . (أنظر : « ميزان الاعتدال » للذهبي ، المجلد الثاني ص ٣١٣) .

(م ١١٢) : ١٣٥

لقيتُ سفيان الثوريّ في مسجد الجماعة ببيت المقدس ، فقلت له : أتيتَ القبة ؟ ولولا أن يكونَ في نفسي شيءٌ من ذلك ما سألته . فقال : نعم ، وختمتُ فيهـا القرآن . ورُوِيَ أنه اشترى موزاً بدرهم ، فأكل منه في ظلِّها ثم قال : إنّ الحمار إذا زادوا في عَلَفِهِ زاد في عمله . ثم قام فصلى حتى رَحِمَهُ من (م ١١٣) رآه . روى عن زياد بن عـلاقـة(١٧٠) ، وحبيب بن أبي ثـابت(١٧١) ، والأسـودِ بـنِ قيس(١٧٢) ، وعنـه الأعمش(١٧٣) ، وهو من شيوخِهِ وَكُبْرُهُ(١٧٤) وشُعبه(١٧٥) والأوزاعي ، وهما من أقرانِهِ . مات سنة إحدى وستين ومئة .

---

(١٧٠) زياد بن علاقة : هو زياد بن علاقة الثعلبي الكوفي ، روى عن طائفة ، وكان مُعَمَّرا ، أدرك ابن مسعود ، وسمع من جرير بن عبدالله . توفي سنة ١٢٥ هـ أو بعدها . (انظر « شذرات الذهب » جـ ١ ص ١٦٦) .

(١٧١) حبيب ابن أبي ثابت : هو حبيب ابن أبي ثابت الكوفي ، فقيه الكوفة ومفتيها . روى عن ابن عباس وابن عمر وخلق من التابعين . توفي سنة ١١٩ وقيل سنة ١٢٢ للهجرة . (انظر : « شذرات الذهب » جـ ١ ص ١٥٦) . وقد وصفه ابن حجر العسقلاني بأنه تابعي ثقةٌ حُجَّةٌ ، وأن الأعمش والثوريَّ وغيرَهما قد رووا عنه ، وبيَّن أن اسم والده المكنى « أبا ثابت » هو هند الأسدي . ولم يتأكد ابن حجر من أن وفاته كانت سنة ١١٩ هـ ، إذ ذكر بعد أن أورد هذا التاريخ لوفاته عبارة : « وقيل غير ذلك » . (انظر : « تهذيب التهذيب » ط حيدر آباد ١٣٢٥ هـ : جـ ٢ ص ١٨٠ ، ١٨١) .

(١٧٢) الأسود بن قيس : هو الأسود بن قيس العبدي الكوفي . روى عن شعبة والثوري وابن عُيَيْنَه وغيرهم ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات . (انظر « تهذيب التهذيب » ط حيدر أباد ١٣٢٥ ، جـ ١ ص ٣٤١) .

(١٧٣) الأعمش : هو الإمام أبو محمد سلمان بن مهران الأسدي الكاهلي ، روى عنه الكبار ، وكان محدث الكوفة وعالَمها . قيل إنّ له نحو ألف وثلاثمائة حديث . وقال ابن عُيَيْنَة : كان أقرأهم لكتاب الله ، وأعلمَهم بالفرائض وأحفظَهم للحديث . وقد وصف بأنه علاّمة الإسلام . توفي سنة ١٤٨ هـ . (انظر : « شذرات الذهب » جـ ١ ص ٢٢٠ وما بعدها ، وانظر كذلك « سيزكين » مجلد ١ جـ ٤ ص ٢٥٢) .

(١٧٤) كُبْرُهُ : أي أكبرُ منه (انظر : « معجم متن اللغة » ، للشيخ أحمد رمضان ، المجلد الخامس ط بيروت ١٩٦٠ ، ص ١٢ تحت « كبر ») .

(١٧٥) شعبة : هو أبو بسطام ، شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزديّ ، ولد في أواسط سنة ٨٢ هـ ، ثم ذهب إلى البصرة ، وتوفي فيها سنة ١٦٠ هـ . وكان محدّثاً ، وهو من أوائل من بوّبوا الحديث في البصرة ، وامتاز بأنه أولُ من بحث أحوال المحدِّثين ، وأفرد لهذا علما مستقلاً . وقد كان كذلك عالماً بالشعر . (انظر : « طبقات ابن سعد » ط بيروت ، جـ ٧ ص ٢٨٠ - ٢٨١ وانظر كذلك : « سيزكين » ، مجلد ١ جزء ١ ص ١٦٨) .

(م ١١٣) : ١٣٥

عابدٌ ببعض قرى بيت المقدس ، زمن ثور بن يزيد رحمه الله :

قال محمد بن الفيض بن محمد بن الفيّاض[١٧٦] ، سمعت أبي يقول : سمعت منبّهَ بنَ عثمان (م ١١٤) اللخميّ يقول : كان ثور بن يزيد قد سكن بيت المقدس ، وكان رجلٌ متعبِّدٌ في بعض قرى بيت المقدس يجلس إلى ثور بن يزيد ، وكان يغدو من قريته مع الفجر ، فيصلي الصّلوات كلها في مسجد بيت المقدس ، وينصرف بعد عشاء الآخرة إلى قريته . وقد سمع ثورا يحدّث أنّ خالد بن معدان حدّثَهُ بحديث رفعه إلى رسول الله ﷺ ، قال : من رأى شيئا يهوله أو يفزعه ، فَلْيَقُلْ إن الله هو الذي ليس كمثله شيء ، وهو الواحد القهار . فما قالها أحد إلاّ فَرَّجَ الله عنه ، ولو كان بين يديه تنوّرٌ من حديد . . .

إبراهيم بن أدْهَم ، أبو إسحاق ، رحمه الله :

قال النسائي في « التمييز » : ثقة مأمون ، أحد الزهاد . وذكره ابن حبان في ثقات أتباع التابعين . يَروي عن الشافعي ، وعنه الثوريُّ وبقيةُ بن الوليد[١٧٧] . أهْلُهُ من بَلْخ ، ثم انتقل بعد أنْ تاب وترك الإمارة إلى الشام طلبا للحلال ، فأقام بها مرابطا غازيا ، يُصِّر على الجهد الجهيد ، والفقر الشديد ، والورع الدائم ، والسخاء الوافر ، والخدمة للأصحاب . وقد تقدم أنه قدم بيت المقدس ، ونام بالصخرة . ومات في بلاد الروم سنة إحدى وستين ومائة : رحمه الله .

---

(١٧٦) محمد بن الفيض بن محمد الفياض : هو محمد بن الفيض الغساني ، محدّث دمشق . روى عن صفوان بن صالح والكبار ، وتوفي سنة ٣١٥ هـ عن ست وتسعين سنة . (انظر : « شذرات الذهب » ، جـ ٢ ص ٢٧١) .

(١٧٧) بقية بن الوليد : هو الإمام أبو يحمد ، بقية بن الوليد الكلاعيّ الحمصيّ الحافظ . ولد سنة ١١٠ ، وروى عن محمد بن زياد وبحير بن زيد والكبار ، وأخذ عمن هب ودرج ، وتفقه بالأوزاعي ، وكان مشهورا بالتدليس . وصفهُ بعضُهم بأنه محدّث الشام ، وكان إماما مُكْثِرا . توفي سنة ١٩٧ هـ . (انظر : « شذرات الذهب » جـ ١ ص ٣٤٨ ، ٣٤٩) .

وخرج من بيت المقدس ، فمرّ بحرس ، فقالوا : عَبْدٌ آبقٌ ! قال : نعم ! فحبسوه في السجن مدّةً حتى عرفوه ، فأطلقوه . فقال : ما كان أحسنَ مكاني وأنا عبدٌ لله ، وآبِقٌ من ذنوبي !

الأوزاعي :

عبدالرحمن بن عمرو ، أحد الأعلام . روى عن عطاء ومكحول ، ورأى ابن سيرين . وروى عنه قتادة وشيخه وغيرُ واحد . وكان رأساً في العلم والعبادة ، وفقيهَ أهل الشام ، « أَحَدَاً »(١٧٨) في ذلك . قدمَ بيت المقدس ، فنزعَ بدلوِهِ من جُبّ ماءٍ فتوضأ ، فقال له رجل : يا شيخ ، ألا تتقي الله ؟ تتوضأ هاهنا في المسجد ! فلم يلتفتْ إليه ، ثم صلّى « ثماني »(١٧٩) ركعات ، وجعل الصخرة وراءه ، ثم صلّى فيه الخمس ، ثم قال : هكذا فعل عمرُ بنُ عبدالعزيز ، ولم يأت شيئاً من المزارات . وفي روايةٍ أنه قال للذي أنكر عليه : « تَفَقَّهْ في الدين ، ثُمّ افْتِ » . مات الأوزاعي (م ١١٥) في الحمّام سنة سبع وخمسين ومائة .

الليث بن سعد :

ابن عبدالرحمن ، أبو الحارث الفهمي ، مولاهُمْ ، عالم أهل مصر . روى عن عطاء وابنِ أبي مُلَيْكَة(١٨٠) وخلقٍ ، وروى عنه قتيبة(١٨١) ، ومحمد بن رمح(١٨٢)

---

(١٧٨) في الأصل : « أصاب » ، وهو تحريف ، ولا معنى لها .(١٧٩) في الأصل : « ثمان » ، وهو خطأ لغة .

(١٨٠) ابن أبي مُلَيْكَة : هو عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المكي ، قاض من رجال الحديث الثقات ، ولاه ابن الزبير قضاء الطائف . توفي سنة ١١٧ هـ . (انظر : « الأعلام » ، جـ ٤ ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧) .

(١٨١) قتيبة : وهو محدث خراسان ، أبو رجاء ، قتيبة بن سعيد الثقفي (بالولاء) ، البلخي الحافظ ، واسمه يحيى ، وقيل علي ، ولقبه قتيبة ، سمع مالكا والليث والكبار ، ورحل العلماء إليه . حدّث عنه أصحاب كتب الحديث إلا ابن ماجة ، وروى عنه أحمد وابن معين ، إليه المنتهى في الثقة . توفي سنة ٢٤٠ هـ . (انظر : « شذرات الذهب » جـ ٨ ص ٩٤ ، ٩٥) .

(١٨٢) محمد بن رمح : هو محمد بن رمح بن المهاجر التجيبي ، أبو عبدالله المصري الحافظ ، حكى عن =

(م ١١٥) : ١٣٥ ، ١٣٦

وخلائق . ووثَّقُوه . كان نظيرَ مالكٍ في العلم . قيل : كان دخْلُهُ كل سنة ثمانين ألف دينار ، فما وجبت عليه زكاة[183] ! وفي رواية : لا ينقضي عام إلا وعليه دين من كثرة جوده وَبِرِّهِ . قدم بيت المقدس . قال الليث : لما ودعتُ أبا جعفر ببيت المقـدس قال : أعجبَني ما رأيتُ من شدة عقلك ، فالحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلَك . مات سنة خمس وسبعين ومائة .

أبو جعفر المنصور :

عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، رحمه الله . قد تقدم اجتماعه بالليث ، ومرّ أيضا أنه قدم بيت المقدس بعد الرجفة الأولى ، وكان قد وقع شرقيُّ المسجد وغربيُّهُ ، فرفعوا إليه ذلك لِيبنيهُ ، فقال : ما عندي شيء من المال ، فأمرَ بقلع الصفائح الذهب والفضة التي على الأبواب ، فضربتْ دنانيرَ ودراهم ، وأنفق عليه حتى فرغ منه ، وقد مر ذلك مستوفىً . وتوفيَ أبو جعفر سنة ثمان وخمسين ومائة . (م ١١٦) .

المهدي بن المنصور :

أبو حارثة أحمد بن إبراهيم بن هشام الغساني[184] رحمه الله قال : حدَّثني أبي

= مالك وروى عن ابن لهيعة والليث وغيرهـا ، وروى عنه مسلم وابن مـاجة وغيـرهما . وثَّقَـهُ أبو داود والنسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات . توفي سنة ٢٤٣ هـ . (انظر : « تهذيب التهذيب » ، ط حيدر أباد ، ١٣٢٦ هـ . جـ ٩ ص ١٦٤ ، ١٦٥) .

(١٨٣) أي أنه كان ينفق من دخله في البر والجود ، فإذا حال الحول ، لم يكن لديه من المال ما تجب فيه زكاة .

(١٨٤) هو ابن إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني الذي روى عن أبيه وعن سعيد بن عبدالعزيز . وكان جدُّه الأكبرُ يحيى بن يحيى الغسـاني الدمشقي قـاضيا لـدمشق . (انظر : « الأنسـاب » للسمعاني ، ط بيروت ، ١٩٨١ ، جـ ٩ ص ١٥٠ ـ ١٥١) .

(م ١١٦) : ١٣٦

عن أبيه ، قال : لما قِدمَ المهديّ الشام يريد بيت المقدس ، دخل مسجد دمشق ، ومعه أبو عبدالله الأشعري ، فقال : يا أبا عبدالله ، سَبَقَنا بنو أمية بثلاث . قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا البيت ، يعني مسجد دمشق ، ولا أعلم على ظهر الأرض مثلَه . وبنَيْلِ الموالي ، فإنّ لهم موالي ليس لنا مثلهم . وبعمرَ بنِ عبدالعزيز ، لا يكون فينا والله مثلُهُ أبدا . ثم أتى بيت المقدس فدخل الصخرة فقال : يا أبا عبدالله ، وهذه رابعة !

ورُويَ أنه صلّى المغرب ، فجهر بالبسملة فقال : حدّثني أبي عن جدّي عن ابن عباس ، أنّ النبي ﷺ جَهَرَ بها . وقد مرّ قدومُه وأمرُهُ ببناء ما تشعّثَ من المسجد الأقصى ، مات سنة تسع وستين ومائة ، رحمه الله .

وكيع بن الجرّاح :

أبو سفيان الرواسي ، قدمَ بيت المقدس ، ولم يزرْ شيئا من تلك الأماكن . قال الإمام الحافظ أبو داود في « سُنَنِهِ » ، بعد أن ساق حديثَ أمِّ سلمة المتقدّم في فضل الإحرام من بيت المقدس : يرحَمُ الله وكيعاً ، أحرم من بيت المقدس ، يعني إلى مكة . كان وكيعٌ من الأعلام ، روى عن الأعمش ، وهشام بن عُروة(١٨٥) ، وروى عنه أحمد وإسحاق(١٨٦) . قال أحمدُ : ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظَ ، كان أحفظَ

(١٨٥) هشام بن عروة : هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوّام ، ويكنى أبا المنذر ، وكان ثقةً ثبْتاً كثير الحديث حُجَةً ، وقد سمع من عبدالله بن الزبير ، ووفد على أبي جعفر المنصور بالكوفة ، ولحق به ببغداد . ومن رواته مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عُيَيْنَه ، ووكيع بن الجرّاح ، وغيرهم . كان محدثا وفقيها ، عاش في المدينة قبل انتقاله إلى بغداد ثم وفاته فيها . (انظر : « طبقات ابن سعد » جـ ٧ ص ٣٢١ وكذلك « سيزكين » مجلد ١ جزء ١ ص ١٦٢) .

(١٨٦) إسحاق : هو إسحاقُ بن إبراهيم ، أبو يعقوب الحنظلي ، ابن راهوية ، أحد الأئمة الأعلام ، ثقةُ حُجَة . روى عنه أصحاب الصحاح سوى ابن ماجه ، وهو من جلّة أصحاب أحمد بن حنبل . روى عن سفيانَ بن عُيَيْنَه وعبدالله بن المبارك . ولد سنة ١٦١ هـ ، وعاش في نيسابور ، ثم رحل إلى مدنٍ مختلفة . له من الكتب : « المسند » ، و« السنن ، والتفسير » . توفي سنة ٢٣٨ هـ . (انظر : « الفهرست » ص ٢٨٦ و« ميزان الاعتدال » ، مجلد ١ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ و« سيزكين » ، مجلد ١ جـ ١ ص ٢٠٨) .

من ابن مهديّ[187] . وقال حمّاد (م ١١٧) بن زيد[188] : لو شئتُ لقلتُ إنّه أرجحُ من سفيان . مات يوم عاشوراء بُعَيْدَ سنة تسع وتسعين ومائة .

الإمام محمد بن إدريس الشافعي :

قدم بيت المقدس ، فصلى فيه وقال : سلوني عمّا شئتم أخبرْكُم من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ . فقيل له : ما تقول في مُحْرِمٍ قتل زنبورا ؟ فقال : قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾[189] ، وحدثنا ابن عُيَيْنَةَ عن عبدالملك بن عُمَيْر ، عن ربعيّ ، عن حُذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « اقتدوا باللذَيْن من بعدي : أبي بكرٍ وعمر » . وحدّثنا ابن عيينة ، عن مسعود ، عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب[190] أنّ عمرَ رضيَ الله عنه أمَرَ المُحْرِمَ بقتل الزنبور .

مات الإمام الشافعي سنة أربع ومائتين ، تغمده الله برحمته ، ورضى عنه ، آمين .

---

(١٨٧) ابن مهدي : هو عبدالرحمن بن مهدي البصري اللؤلؤي الحافظ ، أحد أركان الحديث في العراق . كتب عن صغار التابعين ، قيل فيه إنه كان أعلم الناس ، وكان أيضا رأسا في العبادة ، فقيها مفتيا عظيم الشأن . توفي في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة للهجرة . (انظر : « شذرات الذهب » جـ ١ ص ٣٥٤) .

(١٨٨) حمّاد بن زيد : هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي ، إمام أهل البصرة الضرير ، أبو إسماعيل ، كان من أهل الورع والدين . قال ابن مهديّ : لم أر قطُّ أعلمَ بالسُّنّة منه . وقال : أئمة الناس أربعة : الثوريّ بالكوفة ، ومالك بالحجاز ، وحماد بن زيد بالبصرة ، والأوزاعيّ بالشام . وقيل إنه كان يروي أربعة آلاف حديث يحفظها ، ولم يكن له كتاب . توفي في رمضان سنة ١٧٩ هـ . (انظر : « شذرات الذهب » ، جـ ١ ص ٢٩٢) . .

(١٨٩) الآية ٧ من سورة « الحشر » .

(١٩٠) طارق بن شهاب : هو طارق بن شهاب بن عبدشمس بن سَلَمَةَ البَجَلي الأحْمَسيّ ، أبو عبدالله ، من الغُزاة . أدرك النبي ﷺ ، وغزا في خلافة أبي بكر وعمر ثلاثا وثلاثين غزوة ، وسكن الكوفة ، وله في صحيحي البخاري ومسلم وبقية الكتب الستة أحاديث عن الصحابة ، منها ماهو عن الخلفاء الأربعة . وقد وثّقه يحيى بن معين . تُوفيّ سنة ٨٢ هـ ، على خلاف في تاريخ وفاته . (انظر : « الأعلام » جـ ٣ ص ٣١٤ و « تهذيب التهذيب » ، ط حيدر أباد ١٣٢٦ هـ ، جـ ٥ ص ٣ - ٤) .

(م ١١٧) : ١٣٦

المؤمَّل بن إسماعيل :

البصري ، صدوق ، قدم بيت المقدس ، وأعطى به قوما شيئا ، فدوَّروا به تلك الأماكن . توفَي سنة ست ومائتين ، وكان شديداً في السُنَّة ، رحمه الله .

السريّ بنُ المُغَلِّس :

رحمه الله ، قدم بيت المقدس . رُوِيَ أنه قال : خرجتُ من الرملة إلى بيت المقدس ، فمررتُ بمَشْرَفةٍ(١٩١) وغديرِ ماءٍ وعشبِ نبات . فجلستُ آكل من العشب وأشرب من الماء (م ١١٨) ، فقلت في نفسي : إن كُنتُ أكَلْتُ أو شربْتُ في الدنيا حلالاً ، فهو هذا . فسمعت هاتفا يقول : يا سَريّ ! فالنفقة التي بلّغتْـكَ هنا ، من أين ؟!

مات السريّ سنة إحدى وخمسين ومائتين ، رحمه الله .

ذو النون المصري :

أبو الفيض ، قدم بيت المقدس . قال ذو النون : وجدتُ على صخـرة بيت المقدس : « كلُّ عاص مُسْتَوْحِش ، وكل مُطيعٍ مُسْتَأنِس ، وكلُّ خائفٍ هارب ، وكلُّ راج طالب ، وكلُّ قانعٍ غنيّ ، وكلُّ مُحِبٍّ ذليل » . قال : فرأيت هذه الكلماتِ أصولَ ما استعْبَدَ الله به الخالق . مات ذو النون سنة خمس وأربعين ومائتين .

صالح بن يوسف :

أبو شعيب المقنّع ، واسطيّ الأصل ، مات بالشام في بلد الرملة ، سنة اثنتين

---

(١٩١) مَشْرَفة : من الشَّرَف ، وهو كل نَشَزٍ من الأرض أشرف على ماحوله . (لسان العرب ، مادة شرف) .

(م ١١٨) : ١٣٦ ، ١٣٧

وثمانين ومائتين ، يُستسقى بقبره ، ويستجابُ الدعاءُ عنده . ويقالُ إنـه حجّ سبعين حَجّة راجلًا . في كلّ حَجّةٍ منها يُحْرِم من صخرة بيت المقدس ، وكان يدخل بادية تبوك على التجريد[١٩٢] والتوكّل ، رحمه الله وإيانا .

بِشْرُ بنُ الحارث الحافي ، رحمه الله :

قيل له : لِمَ يفـرحُ الصالحـون ببيت المقدس ؟ قـال : لأنها تُـذْهِب الهمَّ ، «وتشغل»[١٩٣] . . النفس بها . قال : وما بقي من لذات الدنيا إلا أنْ أستلقيَ على جنبي تحت السماء بجامع بيت المقدس . وُلِد سنة « ست وعشرين ومائتين »[١٩٤] ، ومات سنة (. . . .)[١٩٥] ، رحمه الله .

عبدالله بن عامر العامري ، رحمه الله :

قال : سألت راهبا ببيت المقدس ، فقلت : يا راهب ، ما أولُ الدخولِ في العبـادة ؟ قال : الجـوع . قلت : ومـا دليـل ذلـك ؟ قـال : لأنَّ الجسـدَ خُلِق من التـراب ، (م ١١٩) والروح من مَلَكـوت السماء . فـإذا شَبِع الجسـدُ ، رَكَنَ إلى الأرض ، وإذا لم يَشْبَعْ ، اشتاق إلى الملكوت . قلت : وما سبب الجوع ؟ قال : ملازمةُ الذّكرِ والخشوع .

---

(١٩٢) التجريد : تجرّدَ للعبادة : أجدَّ في القيام بها . ورُويَ عن عمر : تجرَّدُوا بالحج وإن لم تُحْرموا . وقال ابن شميل : جرّدَ فلانٌ الحجَّ ، وتجرّدَ بالحجِّ : إذا أفْرَدَهُ ولم يَقْرِن . (لسان العرب : مادة جرد) .

(١٩٣) في الأصل تشغلوا ، وهو خطأ لغة .

(١٩٤) هذا خلط من مؤلف المخطوطة ، إذ إنّ بشراً الحـافي وُلد سنـة ١٥٠ هـ . (انظر : « الأنسـاب » ، ط بيروت ١٩٨٠ ، جـ ٤ ص ٢٨ ، و« شذرات الذهب » جـ ٢ ص ٦٠) .

(١٩٥) الكلمات مطموسة كليّةً في النص ، غير أن السمعاني حدد وفاة بشر الحافي بسنة ٢٢٧ هـ . (انظر : « الأنساب » جـ ٤ ص ٢٨) .

أبو عبدالله محمد بن خفيف ، رحمه الله :

قال : خرجتُ من شيراز وحدي، فَتُهْتُ في البادية ، واشتدّ بي الجوع والعطش ، حتى سقط من أسناني ثمانية ، وانْتَثر شعري كلُّه . فوقعتُ إلى فيد[١٩٦] ، فأقمتُ بها حتى تماثلتُ ، وخرجتُ إلى مكة ، ثم أتيتُ بيت المقدس ، ثم دخلتُ الشام ، فبتُ في مسجدٍ إلى جانب صبّاغ ، فبات معي رجل به قيام[١٩٧] ، فبقي يخرج ويدخل إلى الصباح . فلما أصبحْنا ، صاح ناس وقالوا : نُقِبَ حانوتُ الصباغ ، وأُخِذَ مافيه ! فدخلوا المسجد ، فرأونا ، فسألونا ، فقال الرجل المبطونُ : لا أدري ، إلاّ أنَّ هذا الرجلَ ، كان طولَ الليل يدخل ويخرج ! فأخذوني ، ومازالوا يجرونني ويضربونني ويقولون : تكلّمْ ! فاعتقدتُ التسليم[١٩٨] ، فاغتاظوا من سكوتي ، وحملوني إلى دكّان الصباغ ، وأَثَرُ رِجْل اللص في الرماد . فقالوا : ضَعْ رجلك ، فوضعتُها ، فوافقتهُ ، فازدادو[١٩٩] ، غَضَباً ، وجاء الأمير ، وحُمِل زيتٌ ونُصِبَ قِدْرٌ ، فأُغلِيَ فيها . وجاؤوا بمن يقطعُ يدي ، ونفسي ساكنة . وجعل الأميرُ يهدّدني ويصول عليّ . فرأيته فعرفته ، وكان مملوكَ أبي . فكلّمني بالعربية ، وكلمتُه بالفارسية ، فنظر إليَّ ، فضحكتُ ، فعرفني من ضحكي . فجعل يلطم رأسَهُ ووجهَه . وإذا بضَجّةٍ وقعتْ بأخْذِ اللصوص ، واعتذر إليّ ، وجهد فيّ كل الجهدِ أن أقبلَ شيئاً فأبيت وهربت ليومي . فحدّثْتُ بعض المشايخ ، فقال : هذه عقوبةُ انفرادك ! فما دخلتُ بعدها بلداً فيه فقراء إلا قَصَدْتُهُم .

---

(١٩٦) فَيْد : بَليدةٌ في نصف طريق مكة من الكوفة ، عامرة إلى الآن (زمن ياقوت) ، يُودِعُ الحجاجُ فيها أزوادهم وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها ، فإذا رجعوا استردوها ووهبوا لمن أودعوها شيئاً وليس من دون فَيْد طريق إلى الشام . (« معجم البلدان » ط بيروت جـ ٤ ص ٢٨٢) .

(١٩٧) به قيام : أي مضطرٌ إلى القيام من مجلسه أو من نومه بسبب إسهال ألمَّ به ، كما توحي بذلك العبارات اللاحقة .

(١٩٨) التسليم : أي تسليم أمره إلى الله تعالى دون أن يحاول الدفاع عن نفسه .

(١٩٩) في الأصل : « فزدادوا » ، وهو مخالف لما تعارفنا عليه من رسم الكلمة .

قثَمُ الزاهد ، رحمه الله تعالى :

قال : رأيتُ راهباً على باب بيت المقدس كالوالِهِ ، لا « يرقأُ »[٢٠٠] له دمع ، فهالني (م ١٢٠) أمرُه ، فقلت : أيها الراهب ، أوْصِني بوصيّةٍ أحفظُها عنك . فقال : كُنْ كرجُلٍ احتَوَشَتْهُ السّباعُ والهوامُ ، فهو خائفٌ مذعور ، يخاف أن يَسْهُوَ فتفترسَه ، أو يلهوَ فتنهسَه[٢٠١] ، فَلَيْلُهُ ليلُ مخافة ، إذا أمن فيه المغترّون ، ونهارُه نهارُ حُزْن ، إذا فرحَ فيه البطّالون . ثم ولّى وتركني . فقلت : لو زِدْتَني شيئاً عسى الله أن ينفعَني به . فقال : يا هذا : إن الظمآن يكفيه من الماء اليسير .

أبو الحسن عليّ بن محمد بن الجلا البغدادي :

قال : أخبرني أحمدُ بن يحيى البزاز البغدادي ، وكان قد قَدم من مكة إلى بيت المقدس ، ثم إنّه ندم على مجيئة وقال : تركت الصلاة بمكة بمائة ألف صلاة ، وهاهنا بخمس وعشرين ألف صلاة ، وبمكة شرفها الله تَنْزِل عشرون ومائة رحمة للطائفين والمصلّين والناظرين . وأراد الخروج إلى مكة ، فرأى[٢٠٢] النبيَّ ﷺ ، وذكر أنه ذَكَر له ما خَطَر له من الفضل ، فقال له النبيّ ﷺ : نعم ، هناك تنزل الرحمةُ نزولاً ، وهاهنا تُصَبُّ الرحمة صباً . ولولم يكن لهذا الموضع إلا كرامة الإسراء ، لما أُسريَ بي إليه ، ثم إنّ الرجل أقامَ بالقدس إلى أنْ مات . قال المشرّف[٢٠٣] : كانت هذه الرؤيا سنة إحدى وأربعين وثلثمائة .

---

(٢٠٠) في الأصل : « يرقى » وما أثبتناه هو الاستعمال الصحيح في هذا الموضع . ويرقأ بمعنى ينقطع ويجف .

(٢٠١) تنهسُه : نهستْه الحيّة : عضّته . (لسان العرب : مادة نهس) .

(٢٠٢) فرأى : المقصود بالطبع الرؤيا في المنام ، كما هو واضح من الأسطر اللاحقة .

(٢٠٣) المشرّف : هو المشرّف بن المرجّى المقدسي ، صاحب أول مخطوطة اخترنا منها في هذا الكتاب .

(م ١٢٠) : ١٣٧ ، ١٣٨

جعفر بن محمد النيسابوري :

قدِمَ بيت المقدس وحدّثَ به سنة سبعين ومائتين . قال جعفر : سمعتُ الحسنَ ابن الصباح « البزّار »(٢٠٤) يقـول : سمعتُ الوليـد بن مسلم يقول : سمعتُ الأوزاعي يقول (م ١٢١) سمعتُ بلالَ بنَ سعدٍ(٢٠٥) يقول : لا تنظُرْ إلى صِغَر الخطيئة ، وانظرْ من عصيتَ ! .

الإمام الحافظ :

أبو الفضل ، عليّ بن محمد بن طاهر بن أحمد المقدسي ، الجوّال في الآفاق ، الجامع بين الذكاء والحفظ وحسن التصنيف وجودة الخط . رأيتُ نسخةً من سُنَن أبي داوود بخطه ، وهي عُمْدَة . وُلد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ببيت المقدس ، وأول ما سُمع عنه سنة ستين . ورحل إلى بغداد سنة سبع وستين ، ثم رجع إلى بيت المقدس ، وأحرمَ منه إلى مكة . وأول من سَمِعَهُ الفقيهُ نصرُ المقدسي(٢٠٦) ، واجتمعَ في رحلته بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي(٢٠٧) رحمه الله . مات ابن طاهر سنة سبع وخمسمائة ببغداد ، رحمه الله .

(٢٠٤) الحسن بن الصباح « البزّار » ، بالراء المهملة في آخر الكلمة ، وليس بالمعجمة كما ورد أصلاً في النص ، هو أبو علي الواسطي البغدادي ، روى عن ابن عُيَيْنَه ووكيع ، والوليد بن مسلم وغيرهم ، وروى عنه البخاريُ وأبو داود والترمذي وغيرهم . صدوق ثقة ، وقد وثَّقَهُ ابن حبان . توفي سنة ٢٤٩ هـ . (انظر : « تهذيب التهذيب » ، ط حيدر أباد ، جـ ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٠) .

(٢٠٥) بلال بن سعد : وضعه صاحب « الطبقات » في الطبقة الرابعة من التابعين الذين في الشام ، وقال عنه إنه كان ثقة . (انظر : « طبقات ابن سعد » ، جـ ٧ ص ٤٦١) .

(٢٠٦) نصر المقدسي : هو الفقيه نصر بن إبراهيم ، أبو الفتح المقدسي النابلسي الزاهد ، شيخ الشافعية بالشام وصاحب التصانيف . كان إماما علّامة مفتياً محدِّثاً حافظاً زاهداً ، وَرِعاً كبير القدر . سمعَ بدمشق وغزة وآمد وصور والقدس ، وكان يقتاتُ من غلّة أرضٍ له في نابلس وهو في دمشق . وقد أقام في القدس مدة طويلة قبل قدومه إلى دمشق . توفي يوم عاشوراء في دمشق سنة ٤٩٠ هـ . (انظر : « شذرات الذهب » ، جـ ٣ ص ٣٩٥ ، ٣٩٦) .

(٢٠٧) أبو إسحاق الشيرازي : هو الشيخ إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشافعي جمال الدين ، أحد =

(م ١٢١) : ١٣٧ ، ١٣٨

الطّرطوشي الإمام :

محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي المالكيّ . قرأ الأدبَ على أبي محمد بن حزم ، ورحل إلى بلاد المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة ، وقدم بيتَ المقدس وحجَّ ، وتفقَّه على الإمام أبي علي « الشاشي » المستظهري[٢٠٨] (م١٢٢) ، وسكن الشام ، ودرَّس بها ، وكان إماماً عالماً زاهداً ، وُلِد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

الإماحجّة الإسلام ، أبو حامد الغزالي :

محمد بن محمد الطوسيّ ، أقام بدمشق ، ثم انتقل إلى بيت المقدس مجتهدا في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظّمة ، وأخذ في التصانيف المشهورة ببيت المقدس ، مثل « إحياء علوم الدين » و « القسطاس » « ومحك النظر » وغيرها ، ورحل إلى الإسكندرية ، وأقام بها مدة ثم عاد إلى طوس ، وتوفي سنة خمس وخمسمائة .

أبو الغنائم النّرسي :

محمد بن عليّ بن ميمون النرسيّ الحافظ الكوفي ، ثقة دَيِّنٌ خَيِّر ، رحلَ إلى

= الأعلام . تفقّه بشيراز ، وقدمَ بغداد واستوطَنها . انتهتْ إليه رئاسة المذهب الشافعي ، ورحل إليه الفقهاء من الأقطار ، ودرّس بالنظامية . وكانت الفتاوي تحمل من البر والبحر إليه . توفي في جمادى الآخرة سنة ٤٧٦ هـ . (انظر : « شذرات الذهب » جـ٣ ص ٣٤٩ ، ٣٥٠) .

(٢٠٨) في الأصل : «الساسي المستظهريّ » ، وهو تصحيف . وهو فخرُ الإسلام ، أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين ، شيخ الشافعية ، ولد سنة ٤٢٩ هـ في ميّافارقين ، ثم انتقل إلى بغداد ، وصنف وأفتى ودرّس في النظامية ، وتوفي في شوال سنة ٥٠٧ هـ . ومن تصانيفه : « الشافي في شرح الشامل » ، في عشرين مجلدا ، وكتاب « الحَلْبة » في مجلّدين ، صنّفه للخليفة المستظهر بالله ، ولذلك يلقب بـ « المستظهري » . (انظر : « شذرات الذهب » ، جـ ٤ ص ١٦ ، ١٧) .

الشام ، وسمع الحديث ببيت المقدس ، وعنده فوائدُ تتعلق بالحديث . توفي سنة عشر وخمسمائة بالحِلّة السيفية(٢٠٩) .

الإمام أبو بكر بن العربي :

محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن العربي المَعافِريّ الأندلسي الأشبيلي الحافظ المشهور . دخل مع أبيه إلى المشرق سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، ولقي بالشام الطرطوشي ، وتفقَّهَ عليه ، وصحب « الشاشي »(٢١٠) والغزالي . قَدِمَ الإمام أبو بكر بيتَ المقدس و « رأى »(٢١١) به خلقا من (أرباب) (٢١٢) العلوم . وقد قَدَّمْنا كلامه في القِدَم(٢١٣) . توفي سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة .

الديباجي :

أبو عبدالله ، محمد بن أحمد بن يحيى المقدسي العثماني . أصلُهُ من مكة ، وأقامَ ببيت المقدس ، وكتب الأحاديثَ بها ، وسمعها ، وسكن دربَ السلسلة ببغداد(٢١٤) ؟! فقيهٌ فاضل متدينٌ حسنُ السيرة ، قوّالٌ بالحقّ ، تفقّه بالشام على الفقيه

---

(٢٠٩) الحِلّة السيفية : هي حِلّة بني مَزْيَد ، مدينة كبيرة غربي الفرات ، بين الكوفة وبغداد . وكان أولَ من عمرها سيفُ الدولة ، صدقَةُ بنُ منصور بن دُبَيْس بن علي بن مَزْيَد الأسديّ ، وذلك سنة ٤٩٥ هـ . وقد قصدها التجار ، فصارتْ أفخر بلاد العراق ، وأحسنها مدة حياة سيف الدولة صدقة ، الذي عمرها . فلما قُتِل ، بقيت على عمارتها . فهي اليوم (زمن ياقوت) قصبةُ تلك الكورة . (انظر « معجم البلدان » ، ط دار صادر بيروت ، المجلد الثاني ، ص ٢٩٤) .

(٢١٠) في الأصل : « الساسي » ، والصواب ما أثبتناه ، كما في « شذرات الذهب » . (انظر جـ ٤ ص ١٦) .

(٢١١) في الأصل : « رآ » وهو مخالف للرسم المتعارف عليه للكملة .

(٢١٢) الكلمة ساقطة في الأصل ، ويقتضيها السياق .

(٢١٣) لعلّ المقصود قِدَم القرآن الكريم ، وأنه ليس بمخلوق . ولم أعثرْ في المخطوطة على كلام للمؤلف حول حديث ابن العربي في هذا الموضوع .

(٢١٤) هكذا في النص ، مع أن باب السلسلة هو في القدس ، ويتبع ذلك أن يكون درب السلسلة في القدس كذلك . والسياق نفسه يتطلب أن يكون درب السلسلة في القدس لا في بغداد ولعل الأمر خطأ غير مقصود من الناسخ .

«أبي»[٢١٥] (م ١٢٣) الفتح ، نصرِ بنِ إبراهيمَ المقدسيّ ، وسمع منه الحديث . وهو من أولادِ الدّيباج بن عبدالله بن عمرو بن عمثانَ بن عفان ، وأمه[٢١٦] فاطمة بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنهم . وإنما سُميَ الديباج لحُسْنِه ، ولأن ديباجةَ وجهِه كانتْ تُشبهُ ديباجةَ وجهِ رسولِ الله ﷺ ، فكان يقال له : سَميُّ النبيّ وشبهُهُ .

سمع صحيح البخاري من أبي مكتوم ، عيسى بن أبي ذر الهَروِيّ[٢١٧] . تُوَفّيَ يوم الأحد سابع عشر صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، ودفن بالوردية ، رحمه الله .

محمد بن حاتم :

ابن محمد بن عبدالرحمن الطائي ، أبو الحسن الطوسي ، تفقّه على إمام الحرمين[٢١٨] بنيسابور . كان صدوقا خَيِّراً ، فقيهاً صوفيّاً ، سافر إلى العراق والحجاز والشام ، ودخل إلى بيت المقدس ، وسمع به الحديث .

أبا روح[٢١٩] :

ياسين بن سهل بن محمد بن الحسن « القابسي »[٢٢٠] الحَسَّاب ، توفي بعد

---

(٢١٥) في الأصل : « أبو » وهو خطأ لغة .

(٢١٦) أمُّهُ : المقصود أم الديباج .

(٢١٧) الهَرَوِيّ : هو أبو مكتوم ، عيسى ابن الحافظ أبي ذرّ عبدالرحمن بن أحمد الهروي ثم السَّرَوِيّ الحجازيّ ، وُلد سنة ٤١٥ هـ ، وروى عن أبيه صحيحَ البخاري . توفي سنة ٤٩٧ هـ . (انظر : « شذرات الذهب » ، جـ ٣ ص ٤٠٦) .

(٢١٨) إمام الحَرَمين : هو أبو المعالي عبدالملك ابن الشيخ أبي محمد عبدالله بن يوسف بن عبدالله الجويني الفقيه الشافعي المعروف بإمام الحرمين . أعلمُ المتأخرين من أصحاب الشافعي على الإطلاق . بنى له الوزير السلجوقيُّ نظامُ المُلْكِ المدرسة النظامية بنيسابور ، وتولّى الخطابة بها . وقد صنَّفَ في كل فن . ومن كُتُبه : « نهاية المطلب في دراية المذهب » . ولد سنة ٤١٩ هـ ، وتوفي سنة ٤٧٨ هـ . (انظر : « وفيات الأعيان » ، ط دار صادر ، بيروت ١٩٧٧ ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ وما بعدها) .

(٢١٩) هكذا في الأصل ، وحقها أن تكون « أبو روح » .

(٢٢٠) في الأصل : « الفاسي » ، وما أثبتناه مطابق لما في « إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى » (انظر المخطوطة ، ورقة ١٠٠) .

(م ١٢٣) : ١٣٨ ، ١٣٩

سنة اثنتي عشرة وخمسمئة بنيسابور ، رحمه الله تعالى .

أبو محمد :

عبدالله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري الفقيه المالكي . كان من سادات (م ١٢٤) المغاربة وفضلائهم . سكن مصر ، وروى بها عن أبي محمد ، عبدِالله ابن أبي زيد القيرواني[٢٢١] . وأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن خلف القابسيّ[٢٢٢] وغيرهما .

قال ابنُ الوليد[٢٢٣] : أنا[٢٢٤] أبو محمد بن أبي يزيد ، قال : جِماعُ آداب الخير وأزِمَّتُهُ تتفرّع من أربعة أحاديث : قول النبي ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقُلْ خيراً أو ليصمتْ . وقوله : من حُسْن إسلام المرء ، تركُهُ مالا يعنيه . وقولُه الذي اختُصِر في الوصية : لا تغضبْ ! وقوله : المؤمن يحبُّ لأخيه ما يحب لنفسه . توفيَ ابن الوليد ببيت المقدس

(٢٢١) أبو محمد ، عبدالله بن أبي زيد القيرواني : هو عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي زيد النفزواتي القيرواني ، أبو محمد ، فقيه من أعيان القيروان . مولده ونشأته ووفاته فيها . كان إمام المالكية في عصره ، يلقب بمالك الأصغر . من كتبه : « مختصر المدوّنة » : توفّي سنة ٣٨٦ هـ . (انظر : « الأعلام » ، ط ٣ جـ ٤ ص ٢٣٠ - ٢٣١) .

(٢٢٢) أبو الحسن عليّ بن محمد بن خلف القابسي المعَافري القيرواني ، كان فقيهاً محدّثا . من المرجّح أنه ولد سنة ٣٢٤ هـ بالقيروان . كان كفيفاً ، ورحل إلى المشرق سنة ٣٥٢ هـ ، فأقامَ في كلٍّ من مكة ومصر ، وواصل فيها تلقي العلم على أيدي عدد من العلماء ، ثم عادَ إلى القيروان سنة ٣٥٧ ، وتوفّي بها سنة ٤٠٣ هـ . منْ آثاره : « الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلمين ، وأحكام المعلمين والمتعلمين » : (انظر : « سيزكين » ، مجلد ١ ، جـ ١ ص ١٧٦) .

(٢٢٣) ابن الوليد : هو أبو محمد ، المترجم له .

(٢٢٤) أنا : اختصار « أخبرنا » .

(م ١٢٤) : ١٣٩

أبو بكر الخوجاني[٢٢٥] :

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن الخوجاني ، من أهل خوجان[٢٢٦] ، من أعمال نيسابور ، قصد هو وأبو محمد سعد بن السمعانيّ زيارة بيت المقدس ، فذهبا ولم يفترقا ، حتى رجعا إلى العراق . قال ابن السمعانّي في حقّه : وكان نِعْمَ الصاحبُ والرفيق ، وهو شيخ صالحٌ قيِّمٌ بكتاب الله ، دائم البكاء كثير الحزن ، له أوقات حسنة . جاور بمكة سنين ، وخدم المشايخ الكبار ، ومولدُهُ سنة خمس وستين وأربعمئة ، ووفاته سنة أربع وأربعين وخمسمئة . (م ١٢٥) .

أبو مسعد السمعاني :

تاجُ الإسلام ، عبدُالكريم بن محمد بن منصور ، صاحب كتاب « المذيّل لتاريخ مدينة السلام » ، عدة مجلدات . انتقيْتُ منه فرائد . قدم بيت المقدس زائرا ، ومات سنة إحدى وستين وخمس مائة .

وفي أيام الخليفة المستظهر بالله أبي العباس ، أحمد بن المقتدي بأمر الله ، أبي القاسم عبدالله ، سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، في شعبان ، أخذ الفرنج بيت المقدس عُنْوة و « قتلوا »[٢٢٧] من أهلها بالمسجد الأقصى زائدا على سبعين ألف نفس ، وهُزِم الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش ابن بدر الجمالي بظاهر عسقلان أقبح هزيمة . ولم يزل البيت المقدس في أيدي الفرنج نيفاً وتسعين سنة ، إلى أنْ فتحَهُ الله تعالى على يد الملك صلاح الدين ، يوسف بن أيوب في شهر رجب ، سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة .

---

(٢٢٥) الخوجاني : وردت « الجرجاني » ، في « إتحاف الأخِصّا » . (انظر المخطوطة ، ورقة ١٠٠) .
(٢٢٦) خوجان : وردت « جرجان » في « إتحاف الاخصا » . (انظر المخطوطة ، ورقة ١٠٠) .
(٢٢٧) في الأصل : « وقتل » ، وهو خطأ لغة .

الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب :

منقذ بيت المقدس من المشركين ، تغمّدَهُ الله برحمته ، قال القاضي الإمام العلاّمة شمسُ الدين ، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خَلِّكان في كتابه « وفيات الأعيان » : ولما فتح السلطان القدس الشريف ، تطاول إلى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا معه في خدمته حاضرين ، وجهّزَ كلٌّ واحد منهم خطبة بليغة ، طمعاً في أن يكون هو الذي يُعَيَّنُ لذلك . فخرج المرسوم إلى القاضي محيي الدين أبي المعالي ، محمد بن أبي الحسن ، عليّ بن محمد بن يحيى بن علي بن عبدالعزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم بن عبدالرحمن بن أَبان بن عثمان بن عفان ، رضيَ الله عنهم ، أن يخطب هو . وحضر السلطانُ وأعيان دولته ، وذلك أوّلَ جُمعة صُلّيَتْ بالقدس الشريف بعد الفتح . فلما « رقى »(٢٢٨) المنبر ، استفتح بسورة الفاتحة ، وقرأها إلى آخرها ثمّ قال : ﴿ فَقُطِعَ دابرُ القوم الذين ظلموا والحمدُ لله رب العالمين ﴾(٢٢٩) ثم قرأ أول سورة الأنعام : **﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل (م ١٢٦) الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربِّهم يَعْدِلون ﴾**(٢٣٠) . ثم قرأ من سورة « سبحان »(٢٣١) **﴿ وقل الحمدُلله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكنْ له شريكٌ في المُلْك ولم يَكُنْ له وليٌّ من الذل ، وكبِّره تكبيرا ﴾**(٢٣٢) . ثم قرأ أول الكهف : **﴿ الحمدُلله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعلْ له عِوَجا ﴾**(٢٣٣) ، الآيات الثلاث . ثم قرأ من « النحل » .

---

(٢٢٨) في الأصل : « رقا » ، وهو مخالف للرسم المتعارف عليه للكلمة .

(٢٢٩) الآية ٤٥ من سورة « الأنعام » .

(٢٣٠) الآية (١) من سورة الأنعام .

(٢٣١) أيْ من سورة الإسراء « التي تبدأ بقوله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . . ﴾

(٢٣٢) الآية ١١ من سورة الإسراء .

(٢٣٣) الآية ١ من سورة الكهف .

(م ١٢٦) : ١٣٩ ، ١٤٠ .

﴿ **وقل الحمدلله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى . . .** ﴾[٢٣٤] ، ثم قرأ أولَ سورة « سبأ » : ﴿ **الحمدُلله الذي له مافي السموات ومافي الأرض** ﴾[٢٣٥] . وكان قصده أنْ يذكر جميع تحميدات القرآن الكريم . ثم شرع في الخطبة ، فقال :

الحمدُ لله معزِّ الإسلام بنصره ، ومذلّ الشرك بقهره ، ومصرِّف الأمور بأمره ، ومديم النِّعَم بشكره ، ومستدرِج الكفار بمَكرِه ، الذي قدَّرَ الأيام دُولاً بعَدْلِه ، وجعلَ العاقبة للمتقين بفضلِهِ ، وأفاء على عباده من ظِلّه ، وأظهر دينَه على الدين كلِّه . القاهرِ فوق عباده فلا يمانع ، والظاهرِ على خليقته فلا ينازَع ، والآمرِ بما يشاءُ فلا يراجَع ، والحاكمِ بما يريد فلا يدافَع . أحمدُهُ على إظفارِهِ وإظهارِه ، وإعزازِه لأوليائِه ونصرِهِ لأنصارِه ، وتطهيرِه لبيتِه المقدّسِ من أدناس الشرك وأوضارِهِ ، حَمْدَ من استشعرَ الحمدَ باطنَ سرِّه وظاهرَ إظهارِه . وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له ، الأحَد الصمَد ، الذي لم يَلِد ولم يولَدْ ، ولم يكنْ له كفواً أحَد ، شهادة من طَهّرَ بالتوحيد قلبَه ، وأرضى[٢٣٦] به ربَّه . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، رافع الشك ، وداحض الشرك ، وراحض[٢٣٧] الإفْك ، الذي أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرجَ منه إلى السموات العُلى إلى سِدْرة المُنْتَهى ، عندها جنةُ المأوى ، ما زاغَ البصرُ وما طغى . صلّى الله عليه وعلى خليفته أبي بكر الصدّيق السابق إلى الإيمان (م ١٢٧) ، وعلى أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخطاب ، أوّلِ من رَفَع عن هذا البيت شِعار الصُّلبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمانَ بنِ عفان ذي النورينِ جامعِ القرآن ، وعلى أميرِ المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، مزلزلِ الشرك ومكسّرِ الأوثان ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ والتابعين لهم بإحسان .

---

(٢٣٤) الآية ١ من سورة النحل .

(٢٣٥) الآية ١ من سورة سبأ .

(٢٣٦) في الأصل : « وأرضا » ، وهو مخالف للرسم المتعارف عليه للكلمة .

(٢٣٧) راحض : من رحض ، أي غسل . (لسان العرب : مادة رحض) .

(م ١٢٧) : ١٣٩ ، ١٤٠ .

أيّها الناس : أبشروا برضوان الله تعالى الذي هو الغايةُ القصوى ، والدرجة العليا ، لما يَسَّر الله على أيديكم من استردادِ هذه الضالّة[٢٣٨] وردِّها إلى مقرها من الإسلام ، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام . وتطهير هذا البيت الذي أذِنَ اللهُ أن يُرْفَعَ ويُذْكَرَ «فيه»[٢٣٩] اسمُه . . ، وإماطةِ الشركِ عن طُرُقِهِ بعد أن امتدَّ عليها رواقُهُ واستقرّ فيها رَسْمُه ، ورفع قواعده بالتوحيد ، فإنّه بنيَ عليه ، وشَيْدِ بنيانه بالتحميد ، فإنه أُسِّسَ على التقوى من خلفه ومن بين يَدَيْه . فهو موطنُ أبيكم إبراهيم ، ومعراجُ نبيكم عليه السلام ، وقبلتكم التي كنتم تصلّون إليها في ابتداء الإسلام . وهو مقرُّ الأنبياء « ومقصد الأولياء »[٢٤٠] ، ومدفنُ الرّسل ، ومهبط الوحي ، ويتنزَّلُ به الأمرُ والنهي . وهو في الأرض المحشر ، وصعيدُ المنشر ، وهو في الأرض المقدسةِ التي ذكرها الله في كتابه المبين . وهو المسجد الذي صلّى فيه رسول الله بالملائكة المقرّبين ، وهو البلدُ الذي يبعث الله إليه عبدَهُ ورسولَهُ ، وكلمَتَهُ التي ألقاها إلى مريم وروحَهُ : عيسى الذي كرّمه الله برسالته ، وشرَّفَهُ بنُبُوّته ، ولم يزحزحْه عن رُتْبَةِ عبوديّته . فقال تعالى : ﴿ لن يستنكفَ المسيحُ أنْ يكونَ عبداً لله ، ولا الملائكةُ المقرّبون ﴾[٢٤١] . كذب العادِلونَ[٢٤٢] بالله ، وضلّوا ضلالاً بعيدا . ﴿ ما اتّخذَ الله من وَلَد ، وما كان معه من إله ، إذاً لذهبَ كلُّ إله بما خَلَقَ ، ولعلا بعضُهم على بعض . سبحانَ اللهِ عما يَصِفون . عالم الغيب والشّهادة فتعالى عما يشركون ﴾[٢٤٣] ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيحُ بن مريم . . . ﴾[٢٤٤] إلى

---

(٢٣٨) الضالّة : الشيء المفقودُ . والمقصودُ به أنّ القدس كانت مفقودة عندما كانتْ في قبضة الفرنج .

(٢٣٩) في الأصل « فيها » والصواب ما أثبتناه لأنَّ الضمير يعود على البيت .

(٢٤٠) في الأصل : « الأنبياء » ، وما أثبتناه موافق لما ورد في « كتاب الروضتين » لأبي شامة (ط دار الجيل ، بيروت ، جـ٢ ص ١١٠) . والسجع يقتضي ألا تتكرر كلمة الأنبياء في العبارة الواحدة .

(٢٤١) الآية ١٧١ من سورة النساء .

(٢٤٢) أي الذين يعدلون بالله إلها آخر .

(٢٤٣) الآيتان ٩٢ ، ٩٣ من سورة « المؤمنون » .

(٢٤٤) الآية ١٩ من سورة « المائدة » .

آخر الآيات من « المائدة » (م ١٢٨) . وهو أولى القبلتَيْن وثاني المسجدَيْن ، وثالث الحرَميْن ، لا تشدُّ الرحال بعد المسجَديْن إلاّ إليه ، ولا تُعْقَدُ الخناصرُ بعد الموطنْين إلا عليه . فلولا أنكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده ، لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار ، ولا يباريكم في شرفها مبار . فطوبى لكم من جيش ظهرتْ على أيديكم المعجزات النبوية ، والوقَعات البدْريّة ، والعَزمات الصدِّيقية ، والفتوحات العُمَريّة ، والجيوشُ العثمانيّة ، والفَتَكاتُ العَلَويّة . جددْتُمْ للإسلام أيامَ القادسية ، وأعلامَ اليرموكية ، والمنازلاتِ الخيبَريّة ، والحَمَلات الخالدّية ، فجزاكم الله عن نبيّكم محمدٍ أفضلَ الجزاء ، وشكرَ لكمْ ما بذلتموه من مُهَجِكم في مقارعة « الأعداء »[٢٤٥] ، وتقبّلَ منكم ما تقربتم به من مهراق الدماء ، وأثابكم الجنة ، فهي دار السعداء . فاقْدُروا رحمكم الله هذه النعمةَ حقَّ قدرها ، وقوموا لله بواجب شكرها ، فله تعالى المِنّةُ عليكم بتخصيصكم هذه النعمة ، وترشيحِكم لهذه الخدمة ، فهذا هو الفتحُ الذي فُتحَتْ له أبواب السماء ، وتجلّتْ بأنواره وجوه الظلماء ، وابتهجَ به الملائكة المقرّبون ، وقرّ به عيناً الأنبياء ، والمرسلون . فماذا عليكم من النعمة بأن جَعَلَكُم الجيشَ الذي يُفْتَح على يده البيتُ المقدّس في آخر الزمان ، والجندَ الذين تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوّة أعلامُ الإيمان . فيوشك أن يَفْتَح الله على أيديكم أمثالَه ، وأنْ تكونَ التهاني لأهل الخضراء[٢٤٦] ، أكثرَ من التهاني لأهل الغبراء[٢٤٧] . هو البيت الذي ذكره الله في كتابه ، ونصّ عليه في مُحْكَم خطابه . فقال سبحانه : ﴿ **سبحانَ الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى . . .** ﴾[٢٤٨] هو البيتُ الذي عظمتْهُ المِلَلُ ، وأثنتْ عليه الرُّسلُ ، وتُليَتْ فيه الكتب الأربعة المنزلة من الله عز وجل . أليس

---

(٢٤٥) في الأصل : « العدا » ، ولا تتواءم مع فاصلة السجع .

(٢٤٦) أهل الخضراء : أهل السماء .

(٢٤٧) أهل الغبراء : أهل الأرض .

(٢٤٨) الآية ١ من سورة « الإسراء » .

(م ١٢٨) : ١٤٠ ، ١٤١ .

هو البيتَ الذي أمسك اللهُ عز وجل لأجله الشمس على يوشعَ بن نون أن تغرُب ، وباعَدَ بين « فتراتها »[٢٤٩] ليتيسَّر فتحه ويقرب ؟ أليس هو البيتَ الذي أمر الله عز وجل موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يُجبه إلا رجلان ، وغضب عليهم لأجله ، فألقاهم في التيه (م ١٢٩) عقوبة للعصيان ؟ فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمَكم لما نَكَلَتْ عنه بنو إسرائيل وقد فُضِّلَتْ على العالمين ، ووفّقكم لما خَذَل فيه أُمماً قبلكم من الأمم الماضين ، وجَمَعَ لأجْلِهِ كلمَتكم وكانت شتى ، وأغناكم بما أمضتْهُ كانَ وقَدْ عن سوف وحتى[٢٥٠] .

فَلْيَهْنِكمُ أن الله قد ذكركُم به فيمن بعده ، وجعلكم بعد أنْ كنتم جنودَ الأهْوِيَةِ جندَه ، وشكرَ لكم الملائكة المنزلون على ماأهديتُم لهذا البيت من طيِّب التوحيد ، ونشْرِ التقديس والتحميد، وما أمطتُمْ عن طُرُقِهِمْ فيه من أذى الشرك والتثليث ، والاعتقادِ الفاجر الخبيث . والآن تستغفر لكم أملاكُ السموات ، وتصلي عليكم الصلوات المباركات .

واحفظوا رحمكم الله هذه الموهبةَ فيكم ، واحرُسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تَمسَّكَ بها سَلِمَ ، ومن اعتصم بعُروَتِهِ نجا وعُصِم . واحذروا من اتّباع الهوى ، ومُواقَعَةِ الرّدى ، ورجوع القهقرى ، و « النكول »[٢٥١] « عن »[٢٥٢] العدا ، وجِدُّوا في انتهاز الفرصة ، وإزالة ما بقيَ من الغُصَّة ، وجاهدوا في الله حقّ جهادِهِ « وبيعوا »[٢٥٣] عبادَ الله أنفسَكُم في رضاه ، إذ جعلكم من خير عبادِهِ . فإياكُمْ أن

(٢٤٩) في الأصل : « فطراتها » ، ولا معنى له .

(٢٥٠) أي أنّ الله قد أغناكم بما وقع فعلا عن توقعات المستقبل وتطلعاته .

(٢٥١) في الأصل : « السلوك » ولا معنى لها . وما أثبتناه هو ما أورده صاحب « كتاب الروضتين » (انظر : ط دار الجيل جـ ٢ ص ١١١) .

(٢٥٢) في الأصل : « على » ، والصواب « عن » كما في كتاب الروضتين . (انظر ط دار الجيل جـ ٢ ص ١١١) .

(٢٥٣) في الأصل : « واسمعوا » ، والصواب ما أثبتناه ، كما في كتاب الروضتين ط دار الجيل (انظر جـ ٢ ص ١١١) وانظر كذلك « وفيات الأعيان » ، ط بيروت ١٩٧٧ جـ ٤ ص ٢٣٤) .

(م ١٢٩) : ١٤١ .

يَسْتَزِلْكُمُ الشيطان ، وأنْ يداخِلَكُم الطُّغيان ، فيُخَيِّلَ إليكم أنّ هذا النصرَ بسيوفكم الحِداد ، وخيولِكم الجياد ، وبجلادِكُم في موطنِ الجلادِ . لا والله ! ﴿ وما النّصرُ إلا من عندِ الله العزيز الحكيم ﴾(٢٥٤) .

واحذروا عبادَ الله ، بعد أن شرّفكم بهذا الفتح الجليل ، والمَنْح الجزيل ، وخصّكم بنصرِه المبين ، أنْ تقترفوا كبيراً من مناهية ، وأن تأتوا عظيما من معاصيه ، فتكونوا كالتي ﴿ نَقَضَتْ غَزْلَها من بعد قُوّة أنكاثا ﴾(٢٥٥) ، وكالذي ﴿ آتيناه آياتِنا فانْسلَخَ منها فأتْبَعَهُ الشيطانُ فكانَ من الغاوين ﴾(٢٥٦) .

والجهادَ الجهادَ ، فهو أفضلُ عباداتكم ، وأشرفُ عاداتكم . انْصُروا الله يَنْصُرْكُم.احفظوا الله يَحْفَظْكُم . اذكروا الله يَذْكُرْكُمْ . اشكروا الله يَزِدْكُم ويَشْكُرْكُم . جِدُّوا في حَسْم الداء ، وَقَلْعِ شأفةِ الأعداء . وطهّروا بقية الأرض من هذه الأنجاس التي (م ١٣٠) أغضبت الله ورسولَه ، واقْطعوا فروعَ الكُفرِ واجتثُّوا أصولَه . فقد نادتِ الأيامُ بالثارات الإسلامية والملِة المحمديّة . اللهُ أكبر ! فتَح ونصرَ ، غَلَبَ الله وقَهَرَ ، أذَلَّ الله من كَفَر ! واعلموا رَحِمَكُمُ الله ، أن هذه فرصةٌ فانْتهزوها ، وفريسةٌ فناجزوها ، ومهمةٌ فأخرِجوا لها هممتكم وأبرزوها ، وسيِّروا إليها عَزَماتكم وجهّزوها . فالأمورُ بأواخرها ، والمكاسبُ بذخائرها ، فقد أظفَرَكُمُ الله بهذا، العدوِّ المخذول ، وهم مثلُكُم أوْ يزيدون ، فكيفَ وقد أضحى قُبالةَ الواحدِ (منهم)(٢٥٧) منكم عشرون ؟! وقد قال الله تعالى : ﴿ إن يَكُنْ منكم عشرونَ صابرونَ يغلبوا مائتين . . ﴾(٢٥٨) إلى آخر الآيتين . أعانَنَا الله وإياكم على اتّباع أوامره ، والازدجار بزواجره ، وأيّدَنا معشر

---

(٢٥٤) الآية ١٢٦ من سورة « آل عمران » .

(٢٥٥) الآية ٩٢ من سورة « النحل » .

(٢٥٦) الآية ١٧٤ من سورة « الأعراف » .

(٢٥٧) ساقطة في الأصل ، ومثبته في « وفيات الأعيان » . (انظر جـ ٤ ص ٢٣٥) .

(٢٥٨) الآيتان ٦٥ ، ٦٦ من سورة « الأنفال » .

(م ١٣٠) : ١٤١ ، ١٤٢ .

المسلمين بنصر من عنده ، ﴿ إن ينصرْكُمُ الله فلا غالبَ لكُم ، وإن يَخْذُلْكُم فَمَنْ ذا الذي ينصُرُكم من بَعْدِهِ ﴾(٢٥٩) .

إنّ أشرف مقالٍ يقال في مُقام ، وأنفذَ سهامٍ تمرُقُ من قِسِيّ الكَلام ، وأمضى قَوْلٍ « تُحَدُّ »(٢٦٠) به الأفهام ، كلامُ الواحد الفرد العزيز العلّام . قال الله تعـالى : ﴿ وإذا قُرِىء القرآنُ فاسْتمعوا له وأنْصِتوا لعلّكم تُرْحَمون ﴾(٢٦١) . أعـوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وقرأ أول الحشر ، ثم قال : آمركم وإياي بما أمر الله من حُسْن الطاعة فأطيعوه ، وأنهاكُمْ وإيايَ عما نهاكم عنه من قُبْح المعصيـة فلا تَعْصُـوه . أقول قـولي هذا واستغفـرُ اللهَ لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه .

ثم دعا للإمام الناصر خليفة العصر ، ثم قال : اللهم وأدمْ سلطانك ببقاء عبدك الخاضِع لهيبتك ، الشاكرِ لنعمتِك ، المعترف بموهبتك ، سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والمحامي عن دينك المدافع ، الذابِّ عن حَرَمِك المانعِ ، السيّد الأجلِّ ، الملكِ الناصرِ ، جامعِ كلمة الإيمان ، وقامعِ عَبَدَة الصُّلبان ، صلاح الدُّنيا والدين ، سلطانِ الإسلامِ والمسلمين ، مُطهِّر بيتِ المقدس ، أبي المظفَّر يوسفَ بن أيوبَ بنِ شاذي مُحيي دولةِ أميرِ المؤمنين . اللهمَّ عَمِّرْ بدولته البسيطة ، واجعلْ ملائكتك براياته محيـطة ، وأحْسِنْ عن الدّين الحنيفيّ جـزاءه ، واشكـرْ عن الملّةِ المحمـديّـةِ عـزَّهُ ومضاءَه . اللهّم أبْقِ للإسلام مُهْجَتَهُ ، وَوَقِّ(٢٦٢) للإسلام حَوْزَتَهُ ، وأنشُرْ في المشارقِ والمغاربِ دعوته (م ١٣١) . اللهمّ فكما افتتحْتَ علي يديه البيتَ المقدّسَ بعد أنْ

(٢٥٩) الآية ، ١٦ من سورة « آل عمران » .

(٢٦٠) في الأصل « نخل » وما أثبتناه أكثر موائمة للمعنى ، واتّساقاً مع كلمة أمضى « التي وردت فيها » .

(٢٦١) الآية ٢٠٣ من سورة « آل عمران » .

(٢٦٢) في الأصل : « ووفق » ، وما أثبتناه هو ما أورده صاحب « الروضتين » . (انظر ط دار الجيل ، جـ ٢ ص ١١١) . وهو ألصق بالمعنى المراد في الجملة .

(م ١٣١) : ١٤٢ .

ظنَّتِ الظنون ، وابْتُلِيَ المؤمنون ، فافتّح على يديه دانَي الأرض وقاصيَهـا ، وَملّكهُ صياصيَ[٢٦٣] الكَفَرَةِ ونواصيَها ، فلا تلقاه كتيبةٌ إلا مزّقها ، ولا جماعةٌ إلا فرّقَها ، ولا طائفةٌ بعد طائفة إلا ألحَقَها بمن سَبَقها . اللهمّ اشكرْ عن محمد ﷺ سَعْيَهُ ، وأنفذْ في المشارق والمغارب أمرَهُ ونَهْيَهُ . اللهمّ وأصْلِحْ به أواسطَ البلاد وأطرافَها ، وأرجـاءَ المُلك وأكنافها . اللهم ذلِّلْ به معاطسَ الكُفّار ، وأرغِمْ به أنوف الفُجّار[٢٦٤] ، وانشُرْ ذوائبَ مُلْكِهِ على الأمصار .

اللهمَّ ثبّت المُلْكَ فيه وفي عَقِبِهِ إلى يوم الدين ، واحفظْهُ في بيته الغُرِّ الميامين ، وشُدّ عَضُدَه ببقائهم ، واقضِ بإعزاز أوليائِك وأوليائهم . اللهمَّ كما أجريتَ على يده في الإسلام هذه السُنّةَ التي تبقى على الأيام ، وتخلُد على مرّ الشهور والأعوام ، فارزقْهُ المُلْكَ الأبديّ الذي لا ينفد في دار المتقين ، وأجِبْ دعاءَهُ فيقوله :﴿ربِّ أوزِعني أن أشكر نعمَتَك التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديّ وأن أعملَ صـالحاً تـرضاه ، وأدخلْني برحمتكَ في عبادك الصالحين﴾[٢٦٥] .

ثم دعا بما جرتْ به العادة . وتوفَي القاضي محيي الدين ، رحمهُ الله في سابع سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بدمشق ، ودُفِنَ من يومه بسفح جبل قاسيون[٢٦٦] . . .

---

(٢٦٣) صياصي : حصون ، وكل شيء امتُنع به وتُحُصِّن به فهو صيصة . (لسان العرب) .

(٢٦٤) في الأصل : « الكفار » والصواب ما أثبتناه ، كما في كتاب « الروضتين » (انظر ط دار الجيل ، جـ ٢ ص ١١٢) .

(٢٦٥) الآية ١٩ من سورة النمل .

(٢٦٦) خطبة القاضي محيي الدين وردتْ في غير ما مصدر واحد ، يُذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : « كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : « النورية والصلاحية » لأبي شامة المقدسي ، ط دار الجيل جـ ٢ ص ١١٠ ـ ١١٢ . و « وفيات الأعيان » ، لابن خَلّكان جـ ٤ ص ٢٣٣ وما بعدها ، في طبعـة بيروت ١٩٧٧ .

وفاة الملك صلاح الدين :

قيل : ذلك في صفر من شهور سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وترجمته(٢٦٧) مدوَّنة في سيرته (م ١٣٢) تغمّده الله برحمته ، وجزاه عن الإسلام خيرا .

كان بعدَ الفتوح خطيبَ المسجد الأقصى ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي ابن حميد بن سيد زين الدين المُعافِريّ المالقي . كان محَدِّثاً مجيدا ، سمع كتاب « الجامع المستقصىٰ » على مُصَنِّفِهِ الحافظ بهاءِ الدين القاسم بن الحافظ أبي القاسم بن عساكر ، بقراءته بالمسجد الأقصى الشريف في العَشْر الأواسط من شهر رمضان المعظم ، سنة ست وتسعين وخمسمائة . وتوفي الحافظ بن عساكر سنة ستمائة ، رحمه الله .

الشيخ الزاهد أبو عبدالله القرشي :

محمد بن أحمد بن إبراهيم ، كانت له كرامات ظاهرة ، وأهل مصر يحكون عنه أشياءَ خارقة وله كلام مدوَّن . قدم بيتَ المقدس ، وأقام به إلى أنْ ماتَ سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وهو ابن خمس وخمسين سنة ، وقبرُهُ ظاهرٌ يزار بتربة ماملاّ ، والناس يقصدون قبره ، رحمه الله . (م١٣٣) .

يقول مصنفُهُ أبو محمود رحمه الله : إن القدس الشريف بلد عظيم ، اجتمعتِ الطوائفُ على تعظيمه ، خلا الطائفة السامرة ، فإنهم يقولون إن القدسَ الشريف جبل نابلس ، وخالفوا جميع الأُمم في ذلك . . .

---

(٢٦٧) لعل أوثق الترجمات وأقدمها لصلاح الدين الأيوبي ، ولاسيما خلال السنوات الأخيرة من حياته ، تلك التي دوّنها قاضيه بهاءُ الدين بن شداد ، بعنوان : « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » أو « سيرة صلاح الدين » ، وهي مطبوعة طبعة محققة .

(م ١٣٢) : ١٤٢ ، ١٤٣ .

(م ٣٣) : ١٤٣ .

وقد صنّفَ جماعة كثيرون كتبا في فضل القدس الشريف ، كالمشرّف بن المُرجّا المقدسي ، والخطيب أبي بكـر ، محمد بن أحمـد بن محمد الـواسطي ، خـطيبِ المسجـد الأقصى الشـريف ، وبهـاءِ الـدين بن عسـاكـر وابن شيث و (أبي)[٢٦٨] الفرج بن الجوزيّ ، وابن حفاظٍ المكناسيّ ، وبرهان الدين الفزاري ، تغمَّدهُمُ الله تعالى بالرحمة والرضوان .

وصنّف آخرون أيضاً في فضائل الشـام ، وهذا المُصَنَّفُ بحمـد الله تعالى ، مشتملٌ على الفَضْلين معاً ، قد احتوى على الآيـات الواردة في القـرآن العظيم في فضلهمـا والأحـاديث الـواردة في ذلـك : الصحيـح والحسن والغـريب والضعيفِ المحتملِ ، والواهي التأليفِ والموضوعِ ، والآثار القوية والواهية . وإنما أتيْتُ بهذه الأقسام في هذا الكتاب لأجلِ بيانِها لا غير ، وقد تركتُ أشياء من الفضائلِ من أوائلِ ما يُروى عن كعب الأحبار ، ووهب بن منبّه ، رضي الله تعالى عنهما .

فَلْيَقرَّ المطالِعُ له به عيناً ، وإذ قد انتهيْنا إلى هنا ، فليكنْ هذا آخرَ الكتاب ، وإلى الله المرجعُ والمآب . . .

نَجَـزَ تعليقُ هذا الكتـاب ، بحمد المَلِكِ الـوهّاب ، على يـدِ أضعفِ العبيد وأحقرِهم ، وأذَلّهِمْ وأصغَرهِم ، محمدِ بن أبي حامد بن خليل بن يوسف الشهير والده بالموقّتِ بالرملة . تغمّدَه الله بالرحمة والرضوان ، البلبيسيّ الأصل ، الرمليّ المولد ، ثم المقدسيّ المنزل ، الشافعي ، غفر الله له ولوالديه ولِمَنْ كُتِبَتْ له .

برسم سيّدنا وشيخِنا وبركِتنا ، الشيخ الإمام ، والحبر الهُمام الفاضل الكامل ، المحققِ المدقّق ، أوْحَد الفن ، علاّمةِ الزمان ، قاضي القضاة وشيخ الإسلام ، بقية المجتهدين ، وتاج المدرِّسين ، ومفيدِ الطالبين ، والمدافعِ عن الحق حيث لا ناصرَ ولا معين ، شهابِ الدين أبي العباس أحمدَ بن الصّلاح الأمويّ المصري (م ١٣٤) ،

---

(٢٦٨) ساقطة في الأصل .

(م ١٣٤) : ١٤٣ .

ثم المقدسيّ الشافعيّ ، شيخ الصلاحيّةِ بالقدس الشريف ، أدامَ الله بقاءَه ، وحَفِظَهُ وتولاّهُ ، وغَفَرَ له ولنا وللمسلمين أجمعين .

اللهمَّ صلّ على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسَلِّمْ تسليماً إلى يوم الدين (م ١٣٥) .

(م ١٣٥) : ورقة ١٤٣ .

● صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة

المخطوطة الثامنة

تسهيل المقاصد لزوار المساجد

تأليف

شهاب الدين أبي العباس ، أحمد بن العماد بن محمد
الأَقَفَهْسي بن العماد المصريّ الشافعي



● صورة الغلاف

● صورة الورقة الأولى من المخطوطة

المؤلــف

شهاب الدين ، أحمد بن عِماد بن محمد بن يوسف الأَقْفَهْسِيّ ـ بفتح الهمزة وسكون القاف ، وفتح الفاء وسكون الهاء ـ المعروف بابن العماد .

هكذا أورد ابن العماد الحنبلي اسم المؤلف ضمن وفيات عام ٨٠٨ هـ . وقد وصفهُ بأنه أحد أئمة الفقهاء الشافعية . وُلِد قبل الخمسين وسبعمائة ، واشتغل في الفقه والعربيّة وغير ذلك ، وأخذ عن الجمال الإسنوي وغيرِه ، وصنّفَ التصانيف المفيدة نظماً ونثراً ، ومتناًوشرحاً ، منها « أحكام المساجد » ، و « أحكام النكاح » ، « حوادث الهجرة » و « كتاب التبيان فيما يحلّ ويحرُم من الحيوان » و « رفع الإلباس عن وَهْم الوسواس » و « شرح حوادث الهجرة » له و « القول التام في أحكام المأموم والإمام » ، وغير ذلك . وسمع منه ابنُ حَجَر ، وكتب عنه برهان الدين ، محدث حلب(٢٦٩) .

أمّا صاحبُ « كشف الظنون » ، فقد اكتفى بذكر عنوان مخطوطته هذه : « تسهيل المقاصد لزوار المساجد » ، وذكرَ أنّ مؤلّفها هو الشيخ شهاب الدين ، أحمد بن العماد بن يوسف الأقفهسي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٨٠٨ هـ . وواضحٌ أنه لم يذكر اسم جدّه الأول : محمد ، كما فعل صاحب « شذرات الذهب »(٢٧٠) .

وأمّا صاحب « الأعلام » ، فقد أورد اسمه هكذا : أحمد بن عماد بن يوسف بن عبدالنبي ابن العماد ، شهاب الدين الأقفهسي ، ثم القاهريّ ، وفي نسبه هذا شيء من

---

(٢٦٩) انظر : « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » ، ط بيروت ١٩٧٩ ، جـ ٧ ص ٧٣ .

(٢٧٠) انظر : « كشف الظنون » ، منشورات مكتبة المثنى ط بيروت ، جـ ١ ص ٤٠٧ .

اختلاف عما ورد في المصدَرَيْن السابقين . وبعد أن أوردَ سنة وفاته عام ٨٠٨ هـ ، ذكر أنّه كان في لسانه حُبْسَة ، وأوردَ له مؤلفاتٍ لم يذكْرها صاحب « شذرات الذهب » ، ككتاب « التعقيبات على المهمّات » ، والكتاب المعقب عليه هو للإسْنَوي ، وكتاب « شرح المنهاج » و « السرّ المسُتْبَان مما أودَعَهُ الله من الخواصّ في أجزاء الحيوان » و « التبيان في آداب حَمَلة القرآن » : منظومة . و « منظومة في « العقائد » و « المَعْفُوّات » في الفقه ـ منظومة تائية شَرَحَها. وأضاف صاحب « الأعلام » أنّ نسبة المؤلِّف هي إلى أقْفَهْس ، من أعمال البهنسا في مصر[٢٧١] .

ولا يكاد صاحبُ « معجم المؤلفين » يضيف جديداً إلى ما ذكرْنا عن المؤلِّف باستثناء ما أوردَهُ عن أنّ وفاته كانت في إحدى الجُمادَيَيْن ، وباستثناء كُتُبٍ للمؤلف ذَكَرها ولم يذكرْها الآخرون مثل : « كشف الأسرار عما خفي من الأفكار » ، وعدة شروح على « منهاج الطالبين في فروع الفقه الشافعي » و « آداب الطعام » و « أحكام الحِكَم في شرح الحِكَم العطائية » و « توقيف الحُكّام على غوامض الأحكام »[٢٧٢] .

ولا يكاد كراتشكوفسكي كذلك يضيف الكثير إلى ما سبق أن ذُكِرَ ، إذْ يقول بعد أنْ ذَكَرَ تاريخ وفاة المؤلف ، إنه اشتُهر بمؤلفاته الفقهية كالزركشي ، ولو أنَّ شهرته لم تبلغْ شهرة الزركشي . إلا أنه يذكر لنا تاريخ إتمام المؤلف للمخطوطة التي بين أيدينا ، وهو ٧٨٦ هـ ، ويقول عن المؤلف إنه معروف لنا بشكل خاص ، بوصفه مصدراً من مصادر « إتحاف الأخِصّا » التي يذكرها السيوطي في مقدمة كتابه[٢٧٣] .

أما أقدمُ المصادر التي تناولتْ حياة مؤلف المخطوطة بتوسُّع ، فهو كتاب « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » ، لشمس الدين السّخاوي . ولعل المصادر

---

(٢٧١) انظر كتاب « الأعلام » جـ١ ص ١٧٨ .

(٢٧٢) انظر : « معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، نشر مكتبة دار المثنى ببيروت ، جـ٢ ص ٢٦ .

(٢٧٣) انظر : « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » تأليف أغناطيوس كراتشكوفسكي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ط ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، جـ٢ ص ٥١٣ .

الموردة سابقا قد اعتمدتْ بصورة مباشرة أو غير مباشرة على هذا الكتاب ، وهو الذي أورد اسم « عبدالنبي » في نسب المؤلف ، وعنه أخذ صاحب « الأعلام » هذا الاسم . ويذكر السخاوي من شيوخ المؤلف ، إضافةً إلى الجمال الإِسْنَويّ ، السراج البلقيني وخليل بن طرنطاي الدوادار الذي سمع عليه صحيحي البخاري ومُسْلم ، وابن الشهيد ، والشمس والرفاء وابن الصائغ والجمال الباجي ، والزين الأيوبي الأصبهاني . ويذكر السخاوي أن ابن العماد هذا قد كتب كتابا عقَّب فيه على كتاب « المهمات » لشيخه الإِسْنَوي ، وأَكْثَر فيه من تخطئته ، بل وربّما نسبَ شيخَه فيه لسوء الفَهْم وفسادِ التصوّر . ويذكر السخاوي مجموعةً أخرى من الكتب لصاحب المخطوطة ، غير التي ذُكرتْ في المصادر السابقة ، ومن هذه الكتب « شرح العمدة » ، « والأربعين النووية » ، « والبردة » « والاقتصاد في كفاية العقاد » وقد نظمها فيما يزيد على خمسمائة بيت ، وله عليه شرح مختصر . و « كشف الأسرار » ، و « الدرة الفاخرة » ، وهو يشتمل عليأمور تتعلق بالعبادات والآخرة .

وقد وصفه ابن حجر العسقلاني ، شيخ السخاوي ، بأنه أحد الأئمة الفقهاء الشافعيّة في عصره ، وقال إنه سمع من نظمه من لفظه قصيدة مدح بها الشيخ البلقيني ، وأنه نِعْمَ الشيخُ كان ، وقد أخذ عنه الرشيدي « أحكام المساجد » وكتبه بخطّه ، وقرأه عليه أيضا البرهانُ الحلبي مع سماع كتاب « التبيان » من تصانيفه ، وكتب عنه :

إمامٌ مَحِبٌ ناشيءُ متصدِّقٌ ... مُصَلٍّ وباكٍ خائفٌ سطوة الباس
يُظِلُّهُمُ الرحمنُ في ظِلِّ عَرْشِهِ ... إذا كانَ يومَ الحشْرِ لا ظِلَّ للناس

ثم وصفهُ بأنه كثيرُ الفوائد ، دمِثُ الأخلاق ، وفي لسانه بعض حُبْسه . وقد عيّن المقريزي موتَه في إحدى الجُمادَيْين من عام ٨٠٨ هـ .

ويقول السخاوي إنه رأى له جزءا سمّاه « البيان التقريري ، في تخطئة الكمال الدميري » ، وكتب عليه شيخ السخاوي ابن خضر : « المُخَطِّىء الكمالَ هو المُخْطِىء » . ثم يذكر السخاوي من مناظيمه : « المواطن التي تباح فيها الغيبة » :

عشرة أبيات ، وبلغّها إلى نحو العشرين مَوْطِناً . و « الدماء المجبورة » في نحو أربعين بيتاً ، وبلّغَها ستة وثلاثين ظناً . و « الأماكن التي تؤخر فيها الصلاة عن الوقت » ، وبَلّغُها نحو أربعين ، في اثني عشرَ بيتاً وشَرَحها . و « النجاسات المعفوُّ عنها » ، ويسمى « الدر النفيس » ، وهي مئتان وسبعون بيتا . وقصيدة لامية ، نحو خمسمائة بيت ، مشتملة على مسائلَ نثريّة ومنظومة في العدد الكثير(٢٧٤) .

نُسَخُ المخطوطة

عُرِف من نسخ المخطوطة عددٌ محدود في جامع الفاتح باستانبول ، وفي دار الكتب الظاهريّة بدمشق ، وفي جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكيّة ، وفي ليدن بهولندا ، بالإضافة إلى قطعةٍ من المخطوطة في برلين(٢٧٥) .

ويقول كراتشكوفسكي عن نسخ مخطوطة الأقفَهْسي : « وتقابل مخطوطاته في الشرق بين حين وآخر ، ولكنّها نادرة في أوروبا(٢٧٦) .

وصف المخطوطة التي اعتمدت عليها

المخطوطة التي اعتمدت عليها ، هي صورة عن مخطوطة ليدن ، ويتضح ذلك من وجود الحرف والرقم التاليين على معظم صفحات المخطوطة : H 889 ، وهما إشارة إلى الطبعة الثانية ١٨٨٩ رقم ٨٨٩ من ليدن / بريل كاتالوج هوتسما Houtsma .

---

(٢٧٤) انظر : الضوء اللامع ، لأهل القرن التاسع ، تأليف شمس الدين السخاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، جـ ٢ ص ٤٧ .

(٢٧٥) انظر التفصيلات عن هذه النسخ في كتاب الدكتور كامل العسلي : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » : « دراسة وببليوغرافيا » . ص ٨٠ - ٨١ .

(٢٧٦) انظر : « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ، تأليف اغناطيوس كراتشكوفسكي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، جـ ٢ ص ٥١٣ .

وتحتوي صورة المخطوطة هذه على ٤٦ ورقة ، تضم كـل منها ، عـدا ورقة الغلاف ، صفحتين . وعدد الأسطر في كل صفحة ١٥ سطرا ، والخط لا بأس في وضوحه . وطول الورقـة في المخطوطـة ، ٢٢ سم ، وعرضهـا ١٤,٥ سم ، وفيها أخطاء هجائية ولغوية .

كتب نسخة المخطوطة هذه ، المدعو عبدالرحمن بن عبداللطيف بن الفلكي الحلبي الكاتب بالديوان الشريف في طرابلس ، وأتمَّ كتابتها في المدينة المذكورة في ١٦ شوال سنة ٩١٢ هـ .

أول المخطوطة :

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وسلم .

من كتاب تسهيل المقاصد

« للشيخ الإمام العالم القدوة ، مفتي المسلمين ، بقيّة السلف الصالحين أبي العباس أحمد ، الشهير بابن العماد الأَقْفَهَسي الشافعي ، رحمة الله عليه . . » .

وآخرها : « غفرَ الله لمن قرأها ودعا له بالفرج والمغفرة ، وللمسلمين أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

المختار من المخطوطة

المقدّمة(٢٢٧)

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وسلم

من كتاب « تسهيل المقاصد »

للشيخ الإمام ، العالم القدوة ، مفتي المسلمين ، بقية السلف الصالحين ، أبي

(٢٧٧) العنوان الفرعي من وضع مؤلف هذا الكتاب .

العباس أحمد ، الشهير بابن العماد الأقفهسي الشافعي ، رحمة الله عليه .

« الحمد لله الواحد الصَمدِيّ ، فلا ولدَ له ولا والد ، العليِّ الكبير الجوادِ الماجد ، لا ضدَّ له ولا ندَّ ولا معاند ، خلقَ السمواتِ والأرضين بلا مساعد ، ووضع الميزانَ بقدرته لا بِيَد وساعِد ، الذي جعل بيوتَه في الأرض أفضلُها المساجد ، وأهَّل زوّارها لذكره فهم له أقرباء وغيرُهم أباعد ، وأكْرَمَهُمْ بكرامته إكرامَ المزور المُحَبّ ، المحِبَّ الوارد . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادةً أدَّخِرُها ليوم تأتي كل نفس معها شاهد ، وأبيّن مكارِه المصادر والموارد ، واقتحِمُ بها المفاوزَ والمكائد . وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسوله ، سيد كل عابد ، ومرشد كل غويٍّ معاند ، ﷺ ما طَلع شاهد ، وعلى آله وصحبه وعلينا معهم ، ما سَجَدَ له ساجِد .

وبعد ، فَحَقٌّ على كل مسلم أن يتعلم آداب زيارة المساجد ، وما يتعلّق بها من الأحكام والمقاصد . فليس كلُّ عابدٍ يحسن العبادة ، ولا كلُّ زائر يُحْسِنُ الزيارة ، والناسُ « هلكى »[٢٧٨] إلا العلماء ، والعلماءُ « هلكى » إلا العاملون ، والعاملون « هلكى » إلا المخلصون ، والمخلصون « هلكى » إلا الصادقون ، إذِ الإخلاصُ يَدْخُلُه العُجْب بخلاف الصدق ، وقد استخرتُ الله تعالى أن أتكلم فيما يُستَحَبّ في المسجد إن شاء الله تعالى ، وجمعتُ في أحكامها « دُرَرا »[٢٧٩] نفيسة ، وغرائبَ عجيبة ، لا يسعُ المكلّفَ جهلُها ، بل يتعيُن عليه فِعْلُها . وسمّيتُهُ « تسهيل المقاصد لزوار المساجد » ، ورتبتُهُ على أبواب وفصول ، والله المسئول أنْ ينفعَ به كاتبَه والناظرَ فيه ، والحمدُ لله وَحْدَهُ (م ١٣٦) .

لم أجدْ في المخطوطة مادة خاصة بفضائل القدس وبلاد الشام ، إذ إنّ مؤلفها عُني بإخلاص النيّة في قصْد المساجد عامّة ، وتعظيمِها بالزيارة وإحيائها بالذكر والتلاوة ، ليُكتبَ لمن قَصَدَها أنَّهُ من عُمّار المساجد .

---

(٢٧٨) في الأصل : « هلكا » وهو مخالف لرسم الكلمة المتعارف عليه .

(٢٧٩) في الأصل : « درر » ، وهو خطأ لغة .

(م ١٣٦) : ١ ، ٢ .

وفي الإطار العام نفسِه ، عُني المؤلف بالحثّ على إنشاء المساجد وعمارتها ، واتخاذها في البلاد والمحال ، وأوردَ فصولاً بشأن ما يُسْتَحَبّ من الجلوس في المساجد لأغراض معينة . وقد أوردَ باباً في أدعية الصلاة ، وفصلا بالأدعية والأذْكار التي ترِد عقب الصلاة ، وفصلاً في آداب الدخول إلى المساجد ، وآخر في قول : لا إله إلا الله .

ونظرا لما تتسمُ به مادة المخطوطة من طابَع عام فيما يتعلق بالمساجد والصلاة والأدعية ، وأوجه العبادات الأخرى ، فقد رأيت أنه لا كبير فائدة من إيراد هذه المادة ، ضمن النصوص التي اخترتُها من مجموعة المخطوطات التي حصلتُ عليها وقمت بدراستها . ولعلّ عناوين الفصول التي سأوردها مجردّةً من هذه المخطوطة فيما يلي من أسطر ، تبيّن الطابع الوعظي الإرشاديّ العام لمادة المخطوطة كلها][280] .

(عناوين مأخوذة من أوراق المخطوطة)

. . . الباب الأول : فيما يُستحَبُّ لمن قصدَ المسجد أن يُخْلِص النيّة لقصد العبادة ، ويعظّم المسجد بالزيارة وإحيائه بالذكر والتلاوة ليُكتَب من عمّار المسجد .

. . . فصل : يُستحَبْ إنشاء المساجد وعمارتها واتخاذها في البلاد والمحال .

. . . فصل : يستحَبُّ الجلوس في المسجد لأغراض

(م ١٣٧)

باب في أدعية الصلاة

. . . فصل بعدّة الأدعية والأذكار الواردة عُقَيْبَ الصلاة

. . . فصل : ويستحَبّ لمن (يدخل)[281] المسجد أن يقدِّم رجله اليسرى

---

(٢٨٠) المؤلف .

(٢٨١) مطموسة ، ويقتضيها السياق

(م ١٣٧) : ٢ ، ٣٣

ويقول : اللهمّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبوابَ فضلك .

. . . فصل : في قول « لا إله إلا الله »   (م ١٣٨)

. . . تمت « تسهيل المقاصد لزوار المساجد » ، بحمد الله وعونه ، ليلة سادس عشر شهر شوال المبارك ، من شهور سنة اثنتي عشرة وتسعمائة ، وكتبَها لنفسه الفقير إلى الله تعالى ، عبدُالرحمن بن عبداللطيف بن الفلكي الحلبي ، الكاتب بالديوان الشريف بطرابلس . (. . . . . . .)(٢٨٢) . ونسأل الله تعالى حُسْنَ العاقبة بجاه محمد ﷺ .

غفر الله لمن قرأها ، ودعا له بالفرج والمغفرة ، وللمسلمين أجمعين .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

(م ١٣٩)

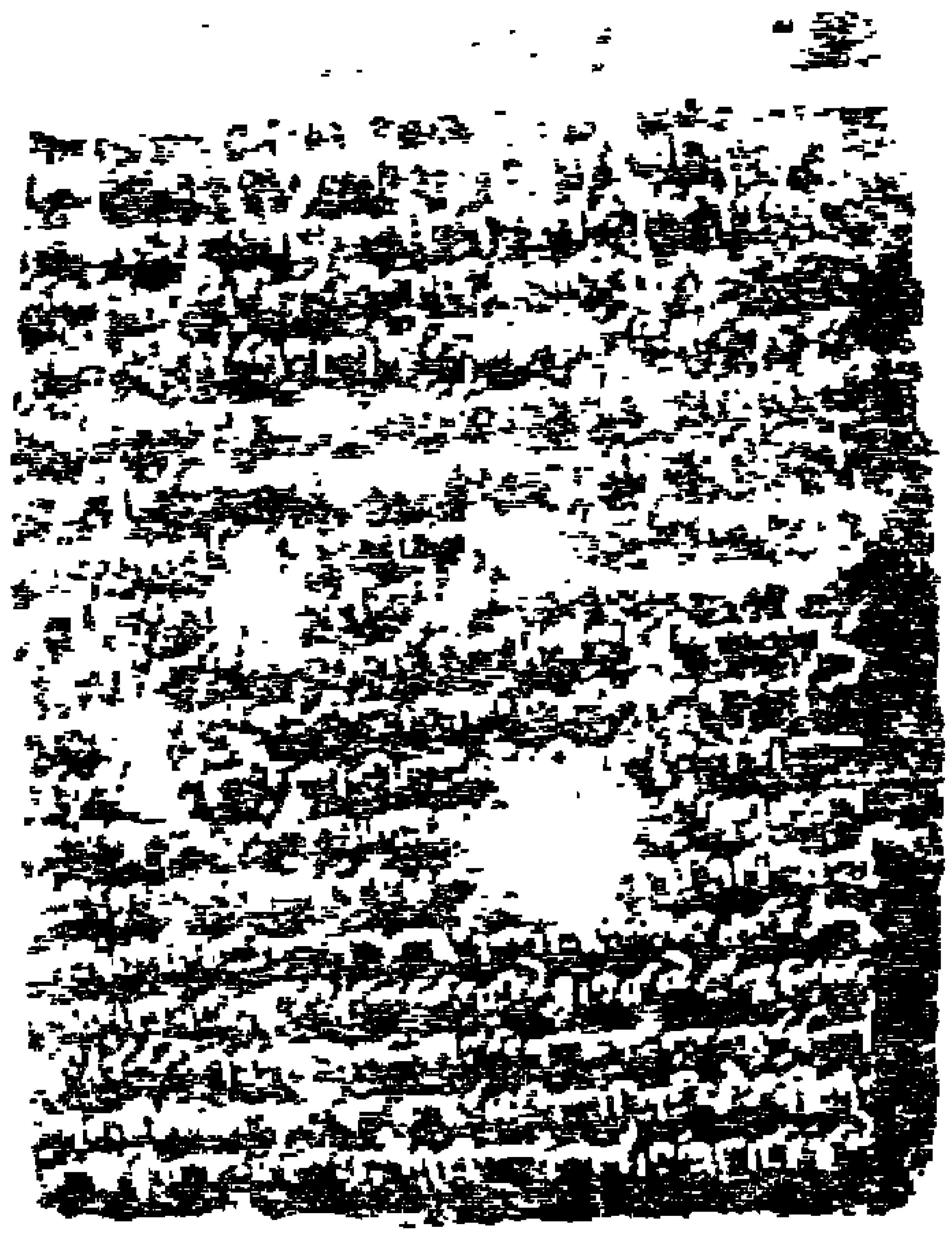
---

(٢٨٢) كلمات غير واضحة .

(م ١٣٨) : ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٥ .

(م ١٣٩) : ورقة ٤٧ .





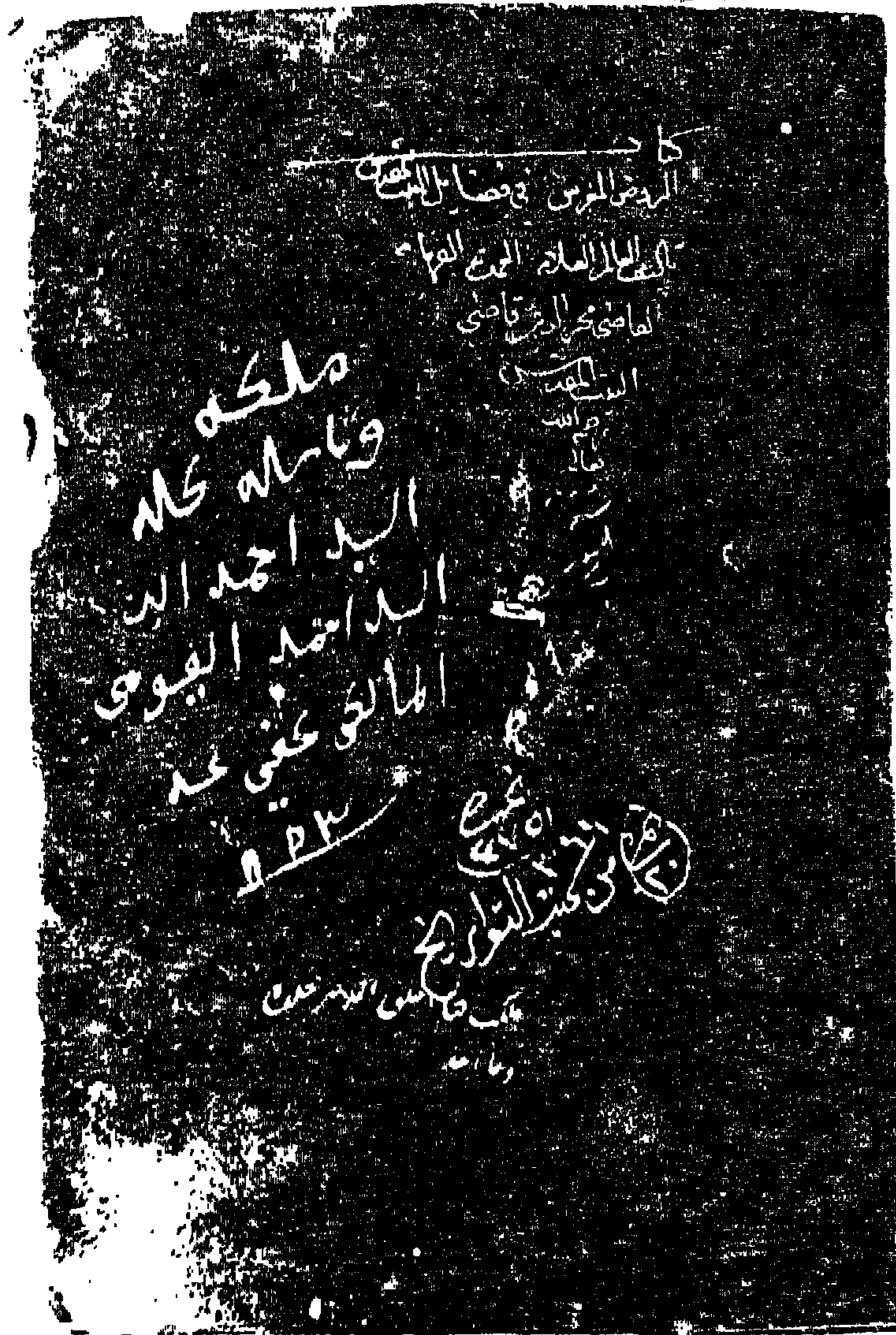
● صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة

المخطوطة التاسعة

كتاب
الروض المغرس في فضائل البيت المغرَّس

تأليف

تاج الدين أبي النصر عبدالوهاب بن عمر
ابن الحسين بن أحمد الحسيني الشافعي



● صورة ورقة الغلاف

الروض المغرس في فضائل البيت المقدس
تأليف الشيخ الإمام قاضي القضاة أبو نصر تاج الدين
عبد الوهاب بن عمر بن الحسيني بن أحمد بن الحسن
ابن حمزة بن محمد بن ناصر الدين بن علي بن الحسين
ابن اسماعيل بن الحسين بن أحمد بن اسماعيل بن محمد
ابن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي
زين العابدين بن الحسين الحسيني الشافعي
نفع الله به المسلمين آمين والحمد لله رب العالمين



● صورة الورقة الأولى بعد الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المقدس عن الأشباه ... عن الأمثال والنظائر المنزه عن الحدوث والزوال [illegible]

[illegible]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له [illegible]

[illegible]

ورسوله الذي أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه [illegible]

[illegible]

● صورة الورقة الثانية بعد الغلاف

المؤلــف

إنّ أوفى تعريفٍ باسم المؤلف ونسبه ، هو ما جاء على الصفحة الأولى (بعد الغلاف) ، من صورة المخطوطة التي اعتمدتُ عليها ، إذْ وردَ اسمُهُ وكنيتُهُ وَلَقَبُهُ ونسبُهُ كما يلي :

« الشيخ الإمام ، قاضي القُضاة ، أبو نصر ، تاجُ الدين ، عبدُالوهاب بن عمر بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن حمزة بن محمد بن ناصرالدين بن عليّ بن الحسين بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين الحسيني الشافعي ، نَفَعَ الله به المسلمين آمين ، والحمد لله رب العالمين » .

أما شمس الدين السخاوي ، وهو قريبُ عهد بالمؤلف ، فقد أوردَ سلسلةً أكثر اختصاراً لنسب المؤلِّف ، إذ اكتفى بالقول : إنه عبدالوهاب بن عمر بن الحسين بن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن محمد بن ناصر بن علي بن الحسين بن اسماعيل بن الحسين التاج الحسيني الدمشقي الشافعي ، ابن أخت قوام الدين ، قاضي الحنفيّة بالشام ، وابن عم الشهاب أحمد بن علي بن الحافظ الشمس محمد الماضي .

وهذه السلسلة لا تختلف عما أوردناه أولا في أنها أقصر من سابقتها فحسب ، بل وفي بعض حلقاتها أيضا ، كما يتضح من المقارنة بين السلسلتين .

ثم يخبرنا السخاوي أن المؤلف ولد بعد سنة ثمانمائة في دمشق ونشأ فيها وحفظ القرآن وكُتُباً ، وتفقَّهَ بالعلاء بن سلام ، والتقى ابن قاضي شُهبة ، لكنْ يسيراً ، وأخذ الفرائضَ عن الحوّاري ، و« منهاج العابدين » بقراءات عن العَلاء البخاري ، وقدِم

القاهرة صُحْبَة الكمال بن البارزي ، فقرأ المطوّلَ وغيره على القاياتي ، وقرأ في الحديث وغيره على شيخنا (يعني ابنَ حجر العسقلاني) ، وناب عن الكمال في دمشق في القضاء ، وفي تدريس الأتابكيّة وغيرها . ثم بعد موته استقلّ بقضاء حلب ، وحُمِدَتْ سيرتُه فيها . ثم يقول السّخاوي إنه بَلَغَهُ أن المؤلف فَوّضَ أمرَ الأوقاف بها لغيره ، ثم لم يزلْ يتلطّفُ في الاْستعفاء منه حتى أُعْفي ، ورَجَع إلى بلده ، وبنى له بيتا في باب البريد من دمشق ، ولزم الانقطاعَ للاشتغال والعبادة والتلاوة في بيته بصالحيّة دمشق ثم في البيت الآخر .

وكان خيّراً بارعاً في الفقه والفرائض ، مع مشاركة في غيرهما ، وحُمْقٍ أدّاه إلى الانفراد ، أو أدّى الانفراد إليه ، وصنّف شرحا لفرائض المنهاج ، « ومنسكا » كبيراً اختصر فيه « منسك » ابن جَماعة ، مع زيادات ، وسمّاه « أوضح المسالك إلى تعلُّم المناسك » ، قَرَضَهُ له العَلَمُ البلقيني . وأكثَرَ الحجّ والمجاورةَ ، حتى كانتْ وفاتُه بمكة في يوم الأحد ، ثاني جُمادى الأولى سنة خمس وسبعين (وثمانمائة) ، ودفن بالمعلاة بعد أن وقف كُتُبَهُ ، ومنها القاموس بخطّه ، على مدرسة أبي عمر ، رَحِمَهُ اللهُ وإيّانا(٢٨٣) .

وقد ذكر له حاجي خليفة مجموعة من الكتب ، نذكر منها غير مخطوطته موضوع هذه الدراسة : كتاب « بلوغ القاصد لأسنى المقاصد »(٢٨٤) ، بالإضافة إلى ثلاثة كتب أخرى هي : « الروض الفاخر لنزهة الناظر »(٢٨٥) ، وهي مجموع في الأدب . و « شرح عمدة الأحكام عن سيد الأنام »(٢٨٦) و « عمدة الأحكام » من تأليف الشيخ عبدالغني الجمّاعيلي ، وقد أوردَ في أوله ست مقالات وأسمى شرحَهُ هذا « عدّة الحكّام » . و « مختصر معالم التنزيل »،والكتابُ الذي اختصَرهُ من تأليف البَغوي الشافعي(٢٨٧) .

(٢٨٣) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، جـ ٥ ، ص ١٠٦ .
(٢٨٤) انظر « كشف الظنون » جـ ١ ص ٢٥٤ .
(٢٨٥) المصدر نفسه ، جـ ١ ص ٩٢١ .
(٢٨٦) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١١٦٥ .
(٢٨٧) المصدر نفسه جـ ٢ ، ص ١٧٢٦ .

وقد وَهِم كراتشكوفسكي حين ظن أن صاحب « الروض المغرّس في فضائل البيت المقدس » ، هو تاجُ الدين عبدُالوهاب السبكي من مواليد القاهرة ، والمتوفّى سنة ٧٧٦ هـ . وكان يكفي أنْ يعلم كراتشكوفسكي أنّ السخاوي قد ترجم للمؤلف باعتباره من رجال القرن التاسع ، لكي ينجو من هذا الوهم . وإذْ يصعبُ أنْ نجدَ لهذا المستشرق الروسي الكبير عذراً في هذا الخطأ ، فقد نجد له عذراً في ظنّه أنّ مخطوطة « الروض المغرّس في فضائل البيت المقدّس » ، غير موجودة ، وذلك لأنها ربما لم تكن قد عُثِر عليها بعد عندما ألّفَ هذا المستشرق كتابه في سنوات الخمسين من هذا القرن .

وإذْ لم يطّلعْ كراتشكوفسكي على المخطوطة نفسها ، فلا عجب أن يتحدث عنها من خلال الاقتباسات المنقولة عنها فيما يسميه « أدب فلسطين » ، ويستخلص من هذه الاقتباسات أن مصادر المؤلف واسعة ، تضم أعمالِ ابنِ الجوزي ، وابن عساكر ، وابن عمه أمين الدين ، والفزاري ، والزركشي ، وأنه كان من مصادر السيوطي في « إتحاف الأخِصّا » ، ومجير الدين الحنبلي في « الأُنس الجليل » ، وغيرهما من المؤلفين . ثم يقول كراتشكوفسكي – ولم يكنْ قد اطلع على مخطوطة « الروض المغرّس » –: « فبالرغم من أنّ الكتاب غير معروف لنا مباشرة ، إلا أنّه لعب دون شك دوره في هذا الأدب المختص بفلسطين ، ويجب أن يحتل مكانه في هذه السلسلة من المصنفات »(٢٨٨) .

هذا ، وقد ذكر لنا صاحب المخطوطة نفسه ، أنه انتهى من تأليفها يوم الأربعاء تاسع عشر ، ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة (٨٧٢ هـ) ، وذلك في الخاتمة التي أنهى بها مخطوطته(٢٨٩) .

ومن الذين ذكروا مؤلف هذه المخطوطة كذلك ، إسماعيل باشا البغدادي في معرض حديثه عن كتاب لصاحب المخطوطة بعنوان : « الحقّ المبين في إدحاض شُبَهِ

---

(٢٨٨) انظر : « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » لكراتشكوفسكي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ١٩٦٥ ، جـ ٢ ص ٥١٣ .

(٢٨٩) انظر صورة المخطوطة ، ورقة ١٧٣ .

المُبْطِلين » ، وآخر بعنوان : « مرقى العلماء لاصطلاح الحكماء » ، وثالث بعنوان « نزهة البصير لحَلّ زاد الفقير » لابن الهمام الحنفيّ ، وذلك إضافة إلى « الروض المغرّس » وبقية الكتب التي ذكرت له سابقاً(٢٩٠) .

نسخ المخطوطة

من حسن الحظ ، أنْ عثر الدكتور كامل العسلي على نسخة كاملة من مخطوطة « الروض المغرّس »، في فضائل البيت المقدّس » في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت في المدينة المنوّرة لدى زيارته لها في عام ١٩٨١ ، وذلك لأنّ النسخة الأخرى من المخطوطة التي تحدّث عنها بروكلمان ، والموجودة في المكتبة الملكية ببرلين تحت رقم ٦٠٩٨ ، ناقصة ، ولا تحتوي إلاّ أربعة عشر فصلاً من أصل سبعة وثلاثين فصلاً هي مجموع فصول الكتاب(٢٩١) .

وصف المخطوطة التي اعتمدتُ عليها

المخطوطة التي اعتمدتُ عليها ، هي صورة لنسخةِ المخطوطة الموجودة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وهي المخطوطة التي ذكرتْ آنفاً ، ويتبين ذلك بوضوح من خلال الكتابة الموجودة في الخَتْم المستدير على صفحتها الأولى التالية لصفحة الغلاف ، إذ إنّها تنص على العبارة التالية : مما وَقَفَهُ العبدُ الفقير إلى ربه ، الغنيُّ (به)(٢٩٢) ، أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله

---

(٢٩٠) انظر : « إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون » ، لإسماعيل باشا البغدادي ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، مجلد ١ ص ٤١٠ ، و« هدية العارفين ، أسماء المؤلّفين والمصنّفين ، للمؤلف نفسه ، ط ١ استانبول ١٩٥١ ، مجلد ١ ص ٦٣٩ وص ٦٤٠ .

(٢٩١) انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس : دراسة وببليوغرافيا » ، ص ٩١ .

(٢٩٢) الكلمة غير مستبانة ، ويقتضيها السياق .

الحسني في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم . . » .

وقد ذكر الدكتور العسلي أن رقم المخطوطة العام في فهرس المكتبة هو ٣٨٦٠ ، ورقم تصنيفها ١١٤/٩٠٠(٢٩٣) .

هذا، وصورة المخطوطة التي بين يدي تقع في ١٧٤ ورقة ، تحتوي كل ورقة منها صفحتين ، باستثناء الورقتين الأوليين للغلاف والعنوان والورقة الأخيرة ، التي كتب على صفحة واحدة فقط من كل منها . وعدد السطور في كل صفحة ١٧ سطرا ، وطول الورقة المصورة ١/٢ ٢٢ سم وعرضها ١/٢ ١٥ سم ، وبعض صفحات المخطوطة مطموسة تتعذر قراءتها .

وتضم المخطوطة بالإضافة إلى المقدمة (٣٧) فصلا ، يعدّدها المؤلف واحداً واحداً . وقد بدأ المؤلف مخطوطته بمقدمة متأنقة ، على عادة أهل العصر ، وذكر في مقدمته هذه بشيء كثير من التفصيل المصادرَ التي اعتمد عليها في مؤلَّفِهِ ، وأعلمنا أنه قد حذف الأسانيد التي وردتْ في نقوله ، واكتفى بالقول : « وبَسَنَـدِه إلى فلان »(٢٩٤) . واحتوت مقدمته كذلك شيئا عن صاحب كتاب « مثير الغرام » ومنهجه في جمع مواده .

تبدأ المخطوطة بعد صفحتي الغلاف بالعبارات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المقدس عن الأشْباه والنظائر ، المحتجب عن الأبصار والنواظر ، المنّزهِ عن الحدوث والزوال ، والأصوات والألفاظ : الظواهر والضمائر ، العالمِ بما تُكِنُّهُ السرائر والضمائر . . . » . وتنتهي بالعبارات التالية التي تُبَيِّن اسمَ الناسخَ وتاريخَ انتهائه من نَسْخِ مادة المخطوطة :

وفُرِغَ من كتابة هذا المجلّد في شهر رمضان المعَظَّم قَدْرُه ، سنة ثلاث

---

(٢٩٣) انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، ص ٩٢ .

(٢٩٤) انظر صورة المخطوطة : ورقة ٤ .

(و)[295] سبعين و (ثمـاني)[296] مائـة ، على يد العبـد الفقير الحقيـر المعروف بالتقصير أحمد بن محمد بن عبدالله أبي بكر العنبري النابلسي » .

فإذا صح هذا التاريخ للنسخ ، فإن عملية النسخ قد تمّتْ بعد سنة واحدة فقط من تأليف الكتاب ، إذْ إنه انتهى من تأليفه عام ٨٧٢ هـ ، كمـا أوضح ذلـك مؤلفه في الخاتمة التي وضعها له .

* * *

الروض المغرّس في فضائل البيت المقدّس تأليف الشيخ الإمام ، قاضي القضاة « أبي » نصر[297] تاج الدين عبدالوهاب بن عمر بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن حمزة بن محمد بن ناصر الدين علي بن الحسين بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمـد بن إسماعيـل بن جعفر الصـادق بن محمد البـاقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين الحسيني الشافعي » .

نفع الله به المسلمين ، آمين ، والحمد لله رب العالمين .

(ختم الواقف)

من كتب التواريخ (م ١٤٠)

---

(٢٩٥) ساقطة في الأصل ، ويقتضيها السياق .

(٢٩٦) كلمة « ثماني » غير ظاهرة ، مع أن تاريخ الانتهاء من نسخ الكتاب قد ورد في « مخطوطات فضائل بيت المقدس » على أنه ٨٧٣ هـ . (انظر ص ٩٢) .

(٢٩٧) في الأصل : « أبو » ، وهو خطأ لغة .

المختار من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المقدّس عن الأشباه والنظائر ، المحتجب عن الأبصار والنواظر ، المنزّهِ عن الحدوث والزوال ، والأصوات والألفاظ : الظواهر والضمائر ، العالم بما تُكِنُّهُ السرائرُ والضمائرُ . أحمدُهُ على نِعَمٍ لا تُحصى ، وأشكرُهُ على اندفاع نِقَم لا تُستَقْصى ، وأشهدُ أنْ لا إله إلاّ هو ، وحدَهُ لا شريك له ، كريمٌ وسعتْ رحمتُهُ ذنبَ من عصى وقسا ، الذي من آياته أن جعل حية تسعى من « عصا »(٢٩٨) . وأشهدُ أن سيّدَنا ومولانا محمدٌ عبده ورسوله ، الذي أُسْريَ به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . صلّى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، عدد الرمل والحصى .

وبعد ، فإني لما زرتُ المسجدَ الأقصى سنة إحدى وسبعين وثمان مائة ، وطالتْ مدةُ إقامتي هناك نحو أربعةِ أشهر أو دونَها ، ورأيتُ تلك المواطنَ الشريفةَ والمقاصدَ الجليلةَ المنيفةَ ، أردْتُ الاطّلاعَ على فضائلها ، وما أُعِدَّ لزائرِها وقاصدِها ، فسألتُ بعض الفضلاء هناك عن أحكام تتعلق بها ، كمضاعفةِ قاصدِ الصلاة من أعمال البرّ بها ، وهل ذلك خاصٌّ بالمسجد ، أو مطّردٌ فيما حوله من سائر بيت المقدس ، وغير ذلك ، فلم أُجَبْ بشيء . فتطلّبتُ كتاباً خاصّاً بذلك ، فلم أجد . فاستخرتُ الله الكريمَ الوهاب ، سبحانَه وتعالى،في جَمْعِ ما تيسّر من ذلك .وقدوقفتُ على « فضائل القدس » للشيخ الإمام جمال الدين ، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، وهو جزء لطيف ، وعلى ما حَضَر في « الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » للإمام الحافظ بهاء الدين ، أبي محمد القاسم ابن الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبي القاسم ، عليّ بن الحسين بن هبة الله بن عساكر ، وهو المجلّدُ الأوسطُ منه ، وعلى بعض كراريسَ تتلوه ، فيها الجزءُ السادسَ عشرَ ، والسابعَ عشرَ ،

---

(٢٩٨) في الأصل : « عصى » ، وهو مخالف لرسم الكلمة المتعارف عليه في زمننا .

(م١٤١) : ٢ ، ٣

والمجلَّدُ المذكورُ مقروءٌ على مؤلِّفِه وهو أجزاء ، أوَّلُهُ الثاني عشر ، وآخره الخامسَ عشَر ، وعلى كل جزءٍ طبقةُ سماع جماعةٍ من الفضلاء والأكابر . وعلى الجزء الخامسَ عشر ، طبقةُ سماعٍ على مؤلِّفِهِ ، مؤرخة بسابع ربيع الأول سنة ثمانٍ وتسعين وخمس مائة،وطبقة أخرى (م ١٤١) على غير مؤلِّفه وهو الشيخ العـالم ، تقي الدين ، أبـو محمد ، إسماعيل ابن الإمام شهاب الدين أبي إسحاق ، إبراهيم بن أبي اليُسْـر ، شـاكر بن عبدالله بن سليمان التنوخيّ ، سمع عليه الإمامُ العـلاّمة ، تـاجُ الـدين عبدالرحمن بن الإمام الزاهد ، برهان الدين إبـراهيم بن سبّاع بن ضيـاء الفزاري ، والإمام محيي الدين ، أبو زكريا ، يحيى بن شرف بن موسى النواوي وغيرهما ، بقراءة الفقيه العالم المحدّث ، شرفِ الدين أحمد بن الشيخ الإمام برهان الدين إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري . وتوفي الحافظ بهاء الدين سنة ستمائة .

ووقفْتُ أيضا على مجلّد أولُهُ الجزءُ الأول ، وآخرُه أوائلُ الجزءِ العاشر من كتاب « الْأنس في فضائل القدس » لابن عمّ الحافظ بهاءِ الدين المذكور ، وهـو القاضي الإمام العالم الثقة ، أمينُ الدين ، أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي . والمجلّد المذكور مقروء على مؤلِّفه ، وعليه طبقاتُ سماع عالية ، آخرها مؤرَّخٌ بيوم الخميس خامسَ عشَر شوال سنة ثلاث وستمائة ، بجامع دمشق ، مقروء على غيره .

ثم قال : « وقد جمعت هذا الكتابَ واعتمدتُ فيه على كتاب ابن عمي الحافظ أبي محمـد القاسم بن الحـافظ أبي القاسم ، رحمهمـا الله ، المسمى « بالجـامـع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » ، وخَرَّجْتُ من مسمـوعاتي ورواياته مـا ساوْيتُهُ في إسناده ، وشاركتُهُ في روايته عن مشايخه وأفـرادِه ، مع مـالَه من القـدمَة والسبق ، وتفرّدَ به من الحفظ والحِذْق ، وكونه أعلى الجماعة سنّاً ، وأحسن في جمع الحديث فنّاً » انتهى .

ووقفتُ أيضا على كتاب « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » للشيخ برهان الدين الفزاري ، وقد قال في ديباجته : « إنه منتخبٌ في فضائل بيت المقدس وقبر الخليل ﷺ ، غالبا من كتاب « المستقصى »[٢٩٩] للحافظ بهاء الدين بن عساكر ،

---

(٢٩٩) في الأصل : « المستصفى » ، وهو تحريف .

والقليل من كتاب أبي المعالي المشرّف بن المرجّا المقدسي ، وأعزو إليه ما نقلتُهُ منه ، والباقي من « المستقصى » . قال : وحذفت الأسانيد من ذلك كلّه لِما اقتضَتْهُ المصلحةُ من ذلك » انتهى .

ووقفتُ أيضا على « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » للشيخ الإمام العالم شهاب الدين أبي محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال بن تميم بن سرور المقدسي الشافعي ، وفرغ منه يوم الأربعاء ، ثالثَ عشرَ شعبان ، سنة اثنتين[٣٠٠] وخمسين وسبعمائة ، ومولدُهُ سنةً أربع عشرة وسبعمائة (م ١٤٢) ، ووفاته بالقدس سنة خمسٍ وستين وسبعمائة ، ودرّس في البكرية بعد الحافظ العلائي ، وذكره الحافظ الذهبي في مُعْجمِهِ المختص ، فقال : « الإمام المحدث ، شهاب الدين أبو محمود ، طالب مفيد سريع القراءة » . انتهى .

قال الشيخ شهاب الدين المذكور في ديباجة كتابه المذكور : « وجعلته في كتب الفضائل كلّها المشارَ إليه ، والمعوّلَ عليه ، إذْ بَيْنْتُ حال أحاديثِه ، وآثاره غالبا : الصحيحة والحسان والضعيفة والموضوعة . وليس كذلك من صنّف في « الفضائل » ، بل أورد أحاديث مُجْملةً دون بيان» . انتهى .

والظاهرُ أنّهُ تعرّض بصاحب « الجامع المستقصى » ، فقد فعل كذا إلا نادراً ، وكذا ابن عمه صاحب كتاب « الأنْس » . ووقفتُ أيضاً على كتاب « إعلام المساجد بأحكام المساجد » للشيخ بدر الدين الزركشي ، ووقفت أيضا على « تسهيل المقاصد لزوار المساجد ، للشيخ شهاب (الدين)[٣٠١] أحمد بن عماد الأقفَهْسي الشافعي بخطِّه . ووقفتُ أيضا على جزء لطيف فيه « فضائل الشام ودمشق » للشيخ أبي الحسن عليّ بن محمد بن شجاع الرَّبَعي المالكي ، وأسْمَعَ هذا الجزء بدمشق ، في المسجد الجامع سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، واختصر هذا الجزء الشيخ برهان الدين الفزاري بحذف الأسانيد ، وحذف ما قام غيرُهُ مقامَه ، كما قال في الديباجة ، قال :

---

(٣٠٠) في الأصل : « اثنين » وهو خطأ لغة .

(٣٠١) الكلمة ساقطة ، وقد أثبتناها لأنها مثبتة في لقب هذا المؤلف في أول مخطوطته .

(م ١٤٢) : ٣

« وذكرتُ مضمونه على ترتيبه في ثمانيةَ عشرَ فصلاً » . وسأذكر ذلك في الفصل السابع والثلاثين ، وسمّاهُ « الإعلام بفضائل الشام » .

ووقفت أيضا بالمسجد الخليلي على ساكنِهِ الصلاةُ والسلام ، على تأليفٍ لشخصٍ متأخّرٍ عاصْرناه ، سمّاه « مثير الغرام ، في زيارة الخليل عليه السلام » ، وفي آخِرِه مؤلفه : إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن كامل « التدمريّ »(٣٠٢) الشافعيّ الخطيب والإمام يومئذ بمقام سيدنا الخليل عليه السلام ، وكتابةُ يدلّ على أنّه ألفَ هذا التأليف سنة « أربعَ عشرة »(٣٠٣) وثمان مائة ، حيث قال أواخر الفصل الأول : « بين وفاة الخليل عليه السلام والهجرة ، على ما صحَّحَهُ المسلمون ، ألفان وستمائة و « اثنتان »(٣٠٤) وثلاثون سنة ، على القول أنّ عمرَهُ مائتا(٣٠٥) سنة ، وهو أوسط الأقوال . ومن الهجرة إلى عصرنا (م ١٤٣) هذا ثمانمائة سنة و « أربع عشرة »(٣٠٦) سنة ، فيكون من وفاة الخليل إلى عصرنا هذا ثلاثة آلاف سنة وأربعمائة سنة و « ست »(٣٠٧) . وأربعون سنة . انتهى .

وحكى في هذا التأليف عن الإِسْنَويّ فقال : « وقال شيخنا عبدالرحمن الإسنوي ، والبلقيني ، وقال : « وقال شيخُنا سراجُ الدين البلقيني » . هذه الكتب هي العمدة في جمع هذا التأليف . وأُضيفُ إلى ذلك ما تيسَّرَ من غيرها « كالترغيب والترهيب »(٣٠٨) ، وكلام الحافظ صلاح الدين بن كيكدي العلائي في كتابه « مسائل الأنس في تهذيب الوارد في فضائل القدس » ، وغير ذلك مما سيأتي إنْ شاء الله تعالى .

---

(٣٠٢) في الأصل : « الترمذي » وهو تحريف . (انظر « الأنس الجليل » جـ ٢ ص ١٣٩) .

(٣٠٣) في الأصل : « أربعة عشر » وهو خطأ لغة .

(٣٠٤) في الأصل « اثنان » ، وهو خطأ لغة .

(٣٠٥) هذا العمر يزيد كثيراً على متوسط عمر الانسان ، ولكنا أثبتناه محافظة على الأمانة في النقل .

(٣٠٦) في الأصل : « أربعة عشرة ، وهو خطأ .

(٣٠٧) في الأصل : « وستة » ، وهو خطأ .

(٣٠٨) كتاب « الترغيب والترهيب » للشيخ الإمام الحافظ زكي الدين المنذري المتوفّى سنة ٦٥٩ هـ ، وهو كتاب كبير في مجلدين ، جمع فيه المؤلف ما تفرق في غيره من الكتب ، مقتصرا على ما ورَدَ صريحا في الترغيب والترهيب (انظر : « كشف الظنون » جـ ١ ص ٤٠٠ .

(م ١٤٣) : ٣ ، ٤

وأولّ ما وقفتُ عليه في هذا الفن ، المجلّدُ المذكور ، وأولُ ديباجةِ هذا الكتاب من « الجامع المستقصى » ، فوجدتُهُ مفيداً شاملاً لمقاصد هذا الفن ، غير أنّه لم يتكلمْ على مَرْوِيَّةٍ بصحةٍ ولا غيرِها ، وذلك أمر حاجيّ ، لتتمَ الفائدةُ ، ويكون الواقفُ على بصيرةٍ من الأمر ، ولتتوفّر الدواعي على العمل بغير الموضوع منه ، وتتّبعُ ذلك يتوقف على فراغٍ وكثرةِ اطّلاع ، وسَعَةِ باع في أسماءِ الرجّال وما حَكَم به الأئمّةُ الحُفّاظُ على كل مَرْوِيّ .

ثم قلتُ في نفسي : الموضوع نَزْرٌ يسير ، وغيرُهُ هو الكثير ، وغايتُهُ أنْ يكون ضعيفا . وقد قال الإمام العـلاّمة النـوَوَيّ ، رحمه الله في غيـر موضـع : « فضائـلُ الأعمالِ يُعْمَل فيها بالأحاديث الضعيفة» ، وحكاه عن العلماء . فاستخرتُ الله تعالى في تلخيصه بحذف السَّنَد ، فأقول : « وبسَنَدِه إلى فلان ، وربّما حذفْتُ بعضَ المكرّر من المَتْن مما لا يتعلّقُ بما نحنُ فيه ، طلباً لِصغَر حجمه ، وأزيدُ عليه مـا تيسَّرَ من الكُتُب المذكورة وغيرها ، ومن الكلام على متن المرويِّ أو سَنَدِه ، ورتّبْتُهُ على سبعةٍ وثلاثين فصلاً :

الأول : في أسمائه . . .

الثاني : متى وُضِع .

الثالث : في بناء داود عليه السلام إياه . . .

الرابع : في بناء سليمان عليه السلام إياه . . .

(م ١٤٤)

الخامس : في فضل بيت المقدس . . .

السادس : في شدِّ الرحال إليه . . .

السابع : في فضل زيارته . . .

الثصامن : في فضل الصلاة ومضاعفتها في بيت المقدس . . .

التاسع : في تضاعُف الحَسَنات والسيئات . . .

(م ١٤٤) : ٤ ، ٥

العاشر : في فضل الصَّدَقَة به

الحادي عشر : في فضل الصوم به

الثاني عشر : في فضل الأذان به

الثالث عشر : في فضل الصخرة . . .

الرابع عشر : في ذكر الماء الذي يخرج من أصل الصخرة . . .

الخامس عشر : في تواضُع الصخرة لله عزّ وجلّ . . .

السادس عشر : في ما يُستحَبّ أنْ « يدعى »[٣٠٩] به عند دخول الصخرة وفي آداب دخولها . . .

الثامن عشرة : في الصلاة عن يمين الصخرة وشمالها . . .

التاسع عشر : فيما يُكْرَهُ من الصلاة على ظهر الصخرة . . .

العشرون : في النهي عن اليمين عند الصخرة .

الحادي والعشرون : في فضل البلاطة السوداء .

الثاني والعشرون : في قيام عزرائيل وإسرافيل على الصخرة

الثالث والعشرون : ما يُستحَبّ من الدعاء عند قبة المعراج وفي مقام النبي ﷺ .

الرابع والعشرون : فيما « يُدْعَى »[٣١٠] به عند قبة السلسلة . . .

الخامس والعشرون : في باب حطة وباب التوبة وسور المسجد ووادي جهنم وحديث الورقات ، ومحراب عمر بن الخطاب

السادس والعشرون : في ذكر عين سلوان . . .

السابع والعشرون : في النهي عن دخول الكنائس . . .

الثامن والعشرون : في ذكر البُرَك التي كانت ببيت المقدس . . .

التاسع والعشرون : في فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس .

---

(٣٠٩) في الأصل : « يدعا » ، وهو مخالف لما هو متعارف عليه في رسم الكلمة .

(٣١٠) في الأصل : « يدعا » وهو مخالف لما هو متعارف عليه في رسم الكلمة .

الثلاثون : في ذكر بناء عبد الملك بن مروان الصخرة . . . (م ١٤٥)
الحادي والثلاثون : في جامع لفضائل بيت المقدس . . .
الثاني والثلاثون : في ذكر من دخله من الأنبياء عليهم السلام
الثالث والثلاثون : فيمن دَخَلَهُ من أعيان الصحابة والتابعين وغيرهم
الرابع والثلاثون : في فروع تخصّ المسجدَ الأقصى ، وخاتمة فيها لا يخصّه .
الخامس والثلاثون : في زيارةالخليل ﷺ
السادس والثلاثون : فيما قيل في قبر سيدنا موسى ﷺ
السابع والثلاثون : في فضل الشام .

وأنا استمدُّ العونَ من القويِّ المتين ، وأمُدُّ أكُفَّ الضراعة إلى من يجيب دعوة المضطرين ، أن يُتِمّ هذا التأليفَ على الوجه الأتمّ ، الأنفعِ الأعمِ ، وأن ينفَعَ به مؤلِّفَهُ وكاتِبَهُ وقارئَهُ ومستمعَهُ والعاملَ به وجميعَ المسلمين ، وأن يرزقني الإخلاصَ لما يكون كفيلاً لي في الآخرة بالخلاص ، ومن التوفيق ما يَدُلُّني على أرشَدِ طريق ، وأرجو منه سبحانه وتعالى الإعانةَ على حَزْن الأمر وسَهْلِهِ وأتوكّل عليه ، واعتصمُ بحبلِه ، وأسأله أن يعصمَني من الخطأ والزلل ويوفِّقَني لما يرضاهُ به العَمَل ، إنه نِعْمُ المولى ونِعْمَ النصيرُ ، وهو عفُوٌّ كريم قدير ، وبالإجابة جدير . (م ١٤٦)

الفصل الأول : في أسمائه

في «إعلام المساجد»(٣١١) : جمعتُ فيه سبعةَ عشَرَ اسماً ، وهي من النفائس المهمة :

(٣١١) « إعلام الساجد في أحكام المساجد » : من تأليف الشيخ بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ . (انظر : « كشف الظنون » ، جـ ١ ص ١٢٥) .

(م ١٤٥) : ٥ ، ٦ ، ٧ (م ١٤٦) : ٧ ، ٨ ، ٩

المسجد الأقصى : سُمِّيَ « أقصى » ، لأنه أبعدُ المساجد التي تزارُ ويُبتغى بها الأجر ، من المسجد الحرام . وقيل لأنه (. . . .)[312] ورآه موضعَ عبادة . وقيل لِبُعْدِهِ عن الأقذار والخبائث . قلتُ : وجُزِمَ بالأول في شرح مسلم . قال : كلاهما من إضافة الموصوف إلى صفته ، وجوَّزَهُ الكوفيون ، وتأوّلَهُ البصريون بحذفِ مضاف ، أي مسجد المكان الحرام ، والمكان الأقصى .

مسجد إيلياء : بهمزة مكسورة ، ثم ياء آخر الحروف ساكنة ، ثم لام مكسورة ، ثم ياء آخر الحروف ، ثم ألف ممدودة ، ككبرياء . وحكى البكريُّ فيها القَصْر . قيل : معناه بيت الله المقدّس ، حكاه الواسطيُّ في فضائله . وحكى صاحبُ « الطوالع »[313] فيه لغةً ثالثة : حذف الياء الأولى ، وسكون اللام ، وبالمدّ . وفي « مسند » أبي يعلى المَوْصِلي[314] عن ابن عباس : « الإيليا » ، بالألف ولام ، واستغْرَبَهُ النوَوِيُّ .

بيتُ المَقْدِس : بفتح الميم وسكون القاف ، أي المكان الذي يُطَهِّر من الذنوب . والقدس : الطُّهْر . قال الواحدي ، قال أبو عليّ الفارسيّ : يُحتَمَلُ أنْ يكون مكانا ، على معنى أنه بيت المكان الذي جعل الطهارة فيه ، أو بيت مكان الطهارة . وتطهيره : إخلاؤُهُ من الأصنام وإبعادُهُ عنها .

البيتُ المُقَدَّس : بضم الميم ، وفتح الدال المشددة ، أي المطهَّر . وتطهيره

---

(٣١٢) الكلمة غير واضحة .

(٣١٣) صاحب الطوالع : لعله القاضي عبدالله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ، صاحب كتاب « طوالع الأنوار » . (انظر : « كشف الظنون » ، جـ ٢ ص ١١١٦) .

(٣١٤) أبو يعلى الموصلي : هو أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي ، ولد سنة ٢١٠ في الموصل ، ورحل في طلب العلم إلى بغداد حيث سمع العلم من أحمد بن حاتم الطويل ، ويحيى بن معين ، وعلي بن الجعد ، ويعتبر من الثقات . وقد عُرِف في المقام الأول بكتابه « المُسْنَد الكبير » ، وتوفيَ سنة ٣٠٧ هـ . (انظر : « سيزكين » ، مجلد ١ جـ ١ ص ٣٣٤) .

إخلاؤه من الأصنام . قال ابن سُراقة[٣١٥] ، ويقال : الأرض المقدَّسة ثلاثة : فلسطين ، والأردنّ ، ودمشق . . .

بيت القُدْس : بضم الدال وسكونها : لغتان . (م ١٤٧)

سَلّمْ : لكثرة سلام الملائكة فيه . قال ابن (. . . .)[٣١٦] : وأصْلُهُ شَلّمْ بشين مُعْجَمَة ، لأنّ شينَ العجمية ، سينٌ في العربية ، والسلام : شلام واللسان : لشان ، والاسم : اشم . قال ابن الأثير : شلّم بالمعجَمَة وتشديد اللام ، اسم بيت المقدس ، ويروى بالمهملة وكسر اللام ، كأنه عَرَّبَهُ ، ومعناه بالعبرانية بيت السلام .

أُوشَلِم : بضم الهمزة ، وفتح الشين المعجمة ، وكسر اللام المخففة ، قاله أبو عبيدة ، معمر بن المثنّى . والأكثرون بفتح الشين واللام .

كورة . إلْيا . أوشِليم . بيت إيل . صُهْيُون . مَصْروث : بصاد مهملة ، وثاء مثلثة . بابوش : بموحدتين وشين معجمة في آخره . كورشيلا . شليم . أرئيل . صلون . ذكر هذه الحسين بن خالويه ، خلا ثانيها وثالثها وخامسها . انتهى كلام الأعلام . وذكر الحافظ أبو محمد القاسم اورسَلم كما سيأتي في الفصل الخامس . وفي النسخة المذكورة ، في ديباجة هذا التأليف : على الشين قُلامة ، إشارةً إلى أنّها بالمهملة . وفي الفصل الخامس عشر : أورشَليم ، بشين معجمة ، بخط خطيب المسجد الأقصى : يعني الواسطي . ثم قال : وفي الأصل : روسَلِم ، بسين مهملة .

وبعد أن كتبتُ هذا ، رأيت في « مثير الغرام » في الباب الأول في أسماء المسجد الأقصى : كثرةُ الأسماء تدلّ على شرف المسمى . فيقال بيت المقدس

---

(٣١٥) ابن سراقة : يرجح أن المقصود هو ابن سراقة الإمام محيي الدين أبو بكر ، محمد بن محمد إبراهيم الأنصاري الشاطبي ، شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة . ولد سنة ٥٩٢ هـ وله مؤلفات في التصوف وكان أحد الأئمة المشهورين بغزارة العلم . توفي سنة ٦٦٢ هـ . (انظر « شذرات الذهب » ، ٣١٠ ، ٣١١)

(٣١٦) كلمة غير واضحة .

(م ١٤٧) : ٩ ، ١٠

بالتخفيف والتثقيل ، والقدس بالسكون والتحريك ، والأرض المقدسة ، والمسجد الأقصى ، وإليا ، وإيليا ، وشلّم بالتشديد ، وأورشلم ، أي بيت الرب ، وصهيون ، بصاد مهملة مكسورة ، والزيتون أيضا ، يقال البيت المقدس ، ولا يقال له الحرم . انتهى .

ووقفتُ بالقدس على كراسة تأليف ابن تيمية الحنبلي ، قد شدد النكيرَ على من سماه حَرَماً . وفي حفظي أنه قال « إنّ قائِلَهُ يُقْتَلُ » ، وهذا إنْ صحَّ عنه ، فهو إفراط عظيم . وسيأتي في هذه الفائدة الثالثة من القصد الثاني عشر من الفصل الخامس والثلاثين تسمية مسجد الخليل ﷺ حرماً . . . . (م ١٤٨) .

الفصل الخامس : في فضل بيت المقدس

[الأحاديث الموردة في هذا الموضوع ، سبق أن وردت في مخطوطة « فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام » ، تـأليف المشرَّف بن المرجّى المقدسي ، فلا داعي للإعادة هنا][٣١٧] . . .

الفصل العاشر : في فضل الصدقة ببيت المقدس

[ما أورد تحت هذا الفصل سبق أن ورد في مخطوطة « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، فلا داعي للإعادة]

الفصل الثلاثون : في ذكر بناء عبدالملك بن مروان قبة الصخرة

[ما أورده المؤلف تحت هذا الفصل سبق أن ورد في مخطوطـة المشرّف بن المرجّى المقدسي ، فلا داعي للإعادة]

---

(٣١٧) المؤلف .

(م ١٤٨) : ١٠

الفصل الثالث والثلاثون : في ذكر من دخل بيت المقدس من أعيان الصحابة والتابعين

[ما أورده المؤلف تحت هذا الفصل ، سبق أن ورد في مخطوطة « مثير الغرام » السابقة فلا داعي للإعادة]

الفصل الخامس والثلاثون : في زيارة الخليل ﷺ
(الفائدة) الرابعة في إقطاع النبي ﷺ تميم الداري

[ما أورده تحت هذه « الفائدة » سبق أن ورد في مخطوطة المشرّف بن المرجّى المقدسي السابقة ، فلا داعي للإعادة هنا] (م ١٤٩)

الفصل السابع والثلاثون في فضل الشام

[الفائدتان الأولى والثانية ، اللتان وردتا تحت هذا الفصل عن تسمية الشام وحدوده وردت مادتهما في مخطوطة « مثير الغرام » ، فلا داعي للإعادة هنا] (٣١٨) .

الفائدة الثالثة : فيما ورد في الشام ، وخصوصا فلسطين والقدس ودمشق وغيرهما .

وفي بعض الأجزاء ، اتفق العلماء على أنّ الشام أفضل البقاع بعد مكة والمدينة . قال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام(٣١٩) في تأليفه : « ترغيب أهل الإسلام

(٣١٨) المؤلف .
(٣١٩) عز الدين بن عبدالسلام : هو شيخ الإسلام ، أبو محمد عبد العزيز بن عبدالسلام الإمام العلامة ، سلطان العلماء ، الدمشقي ، ثم المصري ، الشافعي ، ولد سنة ٥٧٨ هـ . فاق الأقران ، وجمع بين =

(م ١٤٩) : ١٨ وما بعدها ، ٤١ وما بعدها ، ٦٨ وما بعدها ، ٨٥ وما بعدها ، ١٤١ وما بعدها .

في سكن الشام » : « وبعد فأحمَدُ الله تعالى أن حبَّبَ إلينا الإيمان ، وكرَّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيان ، وجَعَلَنا من أهل الشام الذي بارك الله فيه للعالمين ، وأسكَنَهُ الأنبياء والمرسلين ، والأولياءَ المُخْلَصين ، وحفَّهُ بملائكته المقرَّبين ، وجعله في كفالة رب العالمين ، وجعل أهله على الحق ظاهرين ، لا يضرّهُمْ من خَذَلَهُم إلى يوم الدين ، وجعله معقلَ المؤمنين وملجأً » سيما[٣٢٠] دمشق الموصوفة في القرآن المبين ، بأنها ذات قرار ومعين . كذا رُوِيَ عن سيّد المرسلين ، وجماعة المفسّرين ، وبها ينزل عيسى بن مريم لإعزاز الدين ، ونصر الموحدين ، وقتل الكافرين ، وبغوطتها عند الملاحم فسطاط المسلمين » . ثم قال : « وقد وفَّرَ الله سبحانه حَظَّ دمشق بما أجراه فيها من العيون والثمار ، وَسَلَكَهُ من مياهها خلال المنازل والدّيار ، وأنبَتَهُ بظاهرها من الحبوب والأزهار ، وجعلها موطِنا لعباده الأخيار ، وساق إليها صَفْوَتَهُ من الأبرار ، وما ذكره علماء السلف في تفسير آي كتابِهِ العزيز المختار » . هذا كلام « ترغيب أهل الإسلام » (م ١٥٠) ويدلّ على فضل الشام وَبَركَتِها ، الكتابُ والأخبار ، كقوله تعالى : ﴿ **ونَجَّيْناه ولوطا إلى الأرضِ التي باركنا فيها للعالمين** ﴾[٣٢١] في « مثير الغرام » : يعني الشام . رُوِيَ عن أبيّ[٣٢٢] قال : « باركَ الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار ، وفيها بعث أكثر الأنبياء . . . » وفي مجالس

= فنون العلم ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقد روى له الدمياطي وابن دقيق العيد ، وهو الذي لقّبه « سلطان العلماء » . وقد ولي الخطابة بدمشق ، ثم عزله الملك الصالح إسماعيل ، بعد أن نال منه على المنبر لتعاونه مع الفرنج فتوجه إلى مصر ، حيث أكرمه الملك الصالح أيوب . توفي بمصر سنة ٦٦٠ هـ . (انظر « شذرات الذهب » ، جـ ٥ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢) .

(٣٢٠) حق اللغة أن يقال : « لا سيما » ، أي لا مثلما .

(م ١٥٠) : ١٤٨ وما بعدها .

(٣٢١) الآية ٧١ من سورة « الأنبياء » .

(٣٢٢) أُبَيّ : هو أُبَيّ بن كعب بن قيس ، من بني النجّار . كناه الرسول ﷺ أبا المنذر ، شهد العقبة وبدرا ، وكان عمر رضي الله عنه يقول : أُبَيّ سيد المسلمين . روى عنه عبادة بن الصامت وابن عباس وغيرهما ، وهو أول من كتب لرسول الله عليه السلام مَقْدَمَهُ المدينة . اختُلِف في تاريخ وفاته ، والأرجح أنه توفي سنة ٣٠ هـ . (انظر « أسد الغابة في معرفة الصحابة » لعزّ الدين بن الأثير ، ط القاهرة ، ١٩٧٠ ، المجلد الأول ، ص ٦١ وما بعدها) .

(م ١٥٠): ١٤٨ وما بعدها .

أبي سعيد ، محمد بن علي بن عمرو بن مهديّ[٣٢٣] الحافظ ، من حديث أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية قال : هي الأرض المقدسة ، بارك الله فيها للعالمين . . . وقوله تعالى ﴿ إن الأرضَ يرثها عباديَ الصالحون ﴾[٣٢٤] ، قيل : هي الأرضُ المقدّسة يرثها أُمة محمد ﷺ . وقوله تعالى : ﴿ وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾[٣٢٥] : روينا عن عبدالله بن سَلَام رضي الله عنه : هي دمشق . وَرَوى عن سعيد بن المسيّب ومقاتِل ، وقيل : الرملة . وقال السُدِّي : فلسطين . وقال ابنُ عباس : بيت المقدس ، وهو قول قَتادَةَ وكعب ، لأن الربوة المكان المرتفع من الأرض . . . وفي « ترغيب أهل الإسلام » عقب هذه الآية الكريمة ، أعني « إلى ربوة » ، روى أبوأُمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال : « أتدرون أين هي » ؟ قالوا : الله ورسولُهُ أعلم . قال : « هي بالشام ، بأرض يقال لها الغوطة ، مدينة يقال لها دمشق ، هي أَخْيَرُ مدائنِ الشام » . وكذا قال بن عباس وعبدالله بن سلام وسعيد بن المسيب والحسن البصري . انتهى . وقوله تعالى ﴿ والتين والزيتون وطور سينين ﴾ ،[٣٢٦]وتقدّمَ الكلامُ على ذلك أواخر الفصل الثامن والعشرين في الكلام على الجبال المقدسة . وقوله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾[٣٢٧] : في ترغيب أهل الإسلام ، (م ١٥١) اختلف العلماء في هذه البَرَكةِ ، فقيل : هي بالرسل والأنبياء . وقيل : بالمياه والثمار . وفي « مثير الغرام » : وهذه الآية كافية في فضل المسجد

---

(٣٢٣) أبو سعيد ، محمد بن علي بن عمرو بن مهدي الحافظ ، الأصفهاني الحنبلي ، سمع في رحلات قام بها طلبا للعلم من محدثين مشاهير . ويُعَدُّ أبو سعيد محدِّثا ثقة ، وكان له اهتمام بعلوم أخرى . عرف له الذهبي كتاب « طبقات الصوفية » وكتاب « القضاء » . وتوفي وقد ناهز الثمانين من عمره سنة ٤١٤ هـ .
(انظر : « سيزكين » ، مجلد ١ جـ ٤ ص ١٨٦) .

(٣٢٤) الآية ١٠٥ من سورة « الأنبياء » .

(٣٢٥) الآية ٥١ من سورة « المؤمنون » .

(٣٢٦) الآية ١ من سورة « التين » .

(٣٢٧) الآية ١ من سورة « الإسراء » .

(م ١٥١) : ١٥١ ، ١٥٢

الأقصى ، لأنّ الله تعالى نوّهَ بذكره في كتابه العزيز ، وأثنى عليه تبييناً لفضله ، وجعله طريق حبيبه ﷺ ، لَمّا أراد أن يعرُجَ به إلى السماء ، وليجمعَ له فضل البيتين وشرَفَهُما ، وإلّا فالطريق من البيت الحرام إلى السماء ، كالطريق من بيت المقدس إليها ، ولأنه قبلةُ الأنبياء وقبلةُ موسى . وقوله تعالى : ﴿ باركنا حوله ﴾ ، قال السهيلي[٣٢٨] : يعني الشام ، والشام بالسريانية : الطيّب ، سُمِّيَتْ بذلك لطيبها وخِصْبِها ، وذُكِرَ غير ذلك[٣٢٩] . . .

الفائدة الرابعة : في فضل مواضع مخصوصة بالشام

فمنها فلسطين . . (عن) أنس بن مالك ، قال : لما نزلتْ سورة « التين » على رسول الله ﷺ ، فرح بها فرحا شديدا ، حتى تبيّنَ لنا شدة فرحه . فسألْنا ابن عباس تفسيرها ، فقال : (التين)[٣٣٠] : بلاد الشام . والزيتون : بلاد فلسطين . وهذا البلد الأمين : مكة . . .

ومنها دمشق : [الحديث الذي يورده المؤلف هنا عن فضل دمشق سبق أن أورده هو في صفحات سابقة من مخطوطته ، وقد أوردناه فعلا في الصفحة السابقة فلا داعي للتكرار][٣٣١] .

---

(٣٢٨) السهيلي : هو أبو القاسم ، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الأندلسي المالكي ، صاحب كتاب « الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام » . ولد سنة ٥٠٨ هـ ، وتوفي سنة ٥٨١ هـ . (انظر : « الأعلام » ، جـ ٤ ص ٨٦) .

(٣٢٩) ما تبقى من حديث في هذا الموضوع ، سبق أن ورد في مخطوطة « مثير الغرام » ، فلا داعي للتكرار . وما لحق هذا الموضوع من الترغيب في السكن في بلاد الشام ، سبق أن ورد في مخطوطة « مفتاح المقاصد ومصباح المراصد » ، لعبدالرحيم القرشي ، وفي مخطوطة « تحصيل الأنس لزائر القدس » لجمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري .

(٣٣٠) ساقطة : ويقتضيها السياق .

(٣٣١) المؤلف .

ومنه أيضا ما رواه عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه ، قال : حَدَّثَهُ أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : « ستُفتَحُ عليكم الشام ، فإذا خُيِّرتُم المنازل ، فعليكم بمدينة يقال لها دمشق ، فإنها معقل المسلمين من الملاحم ، وفسطاطهُم بأرض يقالُ لها الغوطة . . (م ١٥٢) .

(م١٥٢) : ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٦٢ .

خاتمة الكتاب

وهذا آخر ما تيسَّرَ من جمع هذا التأليف المبارَك النافع ، ببركةِ الله وطَوْله ، وقوّته وحَوْله ، المقرون إن شاء الله بالقبول ، إنه أعظمُ مأمول ، وأكرم مسئول .

اللهمَّ وفقْنا للتمسُّك بكتابك ، والتَخَلُّقِ بآدابك ، والوقوفِ ببابِك ، والعكوفِ على حسابك ، واجعلْنا سِلْماً لأوليائِك ، حَرْباً لأعدائِك ، وأعِنّا على اتباع الحق ، واجتناب الباطل . اللهمّ إني أعوذُ برضاك من سَخَطِك ، وبعفوِك من عقوبَتِك ، وبمعافاتِك من سَقَمِك ، وبكَ منك . لا أُحصي ثناء عليك . أنت كما أثنيتَ على نفسك . فلك الحمد والشكر حتى ترضى ، ولك الحمدُ والشكرُ إذا رضيتَ . اللهمَّ صلِّ وسلِّمْ وباركْ على سيِّدِنا محمد ، وعلى جميع الأنبياءِ والمُرسَلين ، والملائكة المقربين ، والعبادِ المُكرّمين،(. . .)[٣٣٢] وحزبِهم المفلحين ، جَعَلَنا منهم برحمته ، وهو أرحمُ الراحمين ، ورضى الله تعالى عن الصحابة أجمعين ، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، وحسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ ، ولا حولَ ولا قوَّة إلاّ بالله العليّ العظيم .

قال مؤلفه : ووافق ذلك يوم الأربعاء ، تاسع عشر ربيع الأول سنة « اثنتين »[٣٣٣] وسبعين وثمان مائة ، والحمدُ لله ربِّ العالمين أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً ، والحمدُ لله على ما ألهَمَ ، وله الشكر على ما أنعَمَ ، وأسألُه المزيد مما يَعلَم ، فإنه جوادٌ كريم ، غفورٌ رحيم ، قريبٌ غيرُ بعيد ، شاهدٌ غير غائب ، غالبٌ غير مغلوب ، واحدٌ قهّار ، يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدورُ ، وهو حسبي ونِعْمَ الوكيل . اللهمّ اغفرْ لي ولوالِدَيَّ ولجميع المسلمين . ومن نظر في هذا الكتاب وترحّمَ عليّ .

---

(٣٣٢) كلمة غير مقروءة .

(٣٣٣) في الأصل : « اثنين » ، وهو خطأ .

وفُرِغ من كتابة هذا المجلد ، في شهر رمضانَ المعظَّمِ قَدْرُهُ ، سنة ثلاث (و)(٣٣٤) سبعين و (ثماني ؟)(٣٣٥) مائة ، على يد العبدِ الفقير الحقير ، المقرِّ بالتقصير ، أحمد بن محمد بن عبدالله ، أبي بكر العنبري النابلسي . (م ١٥٣) .

---

(٣٣٤) ساقط أصلا .

(٣٣٥) غير ظاهره ، ولكن هذا التاريخ لانتهاء النسخ (٨٧٣) ، موجود في « مخطوطات فضائل بيت المقدس » (انظر : ص ٩٢) .

(م ١٥٣) : ١٧٢ ، ١٧٧

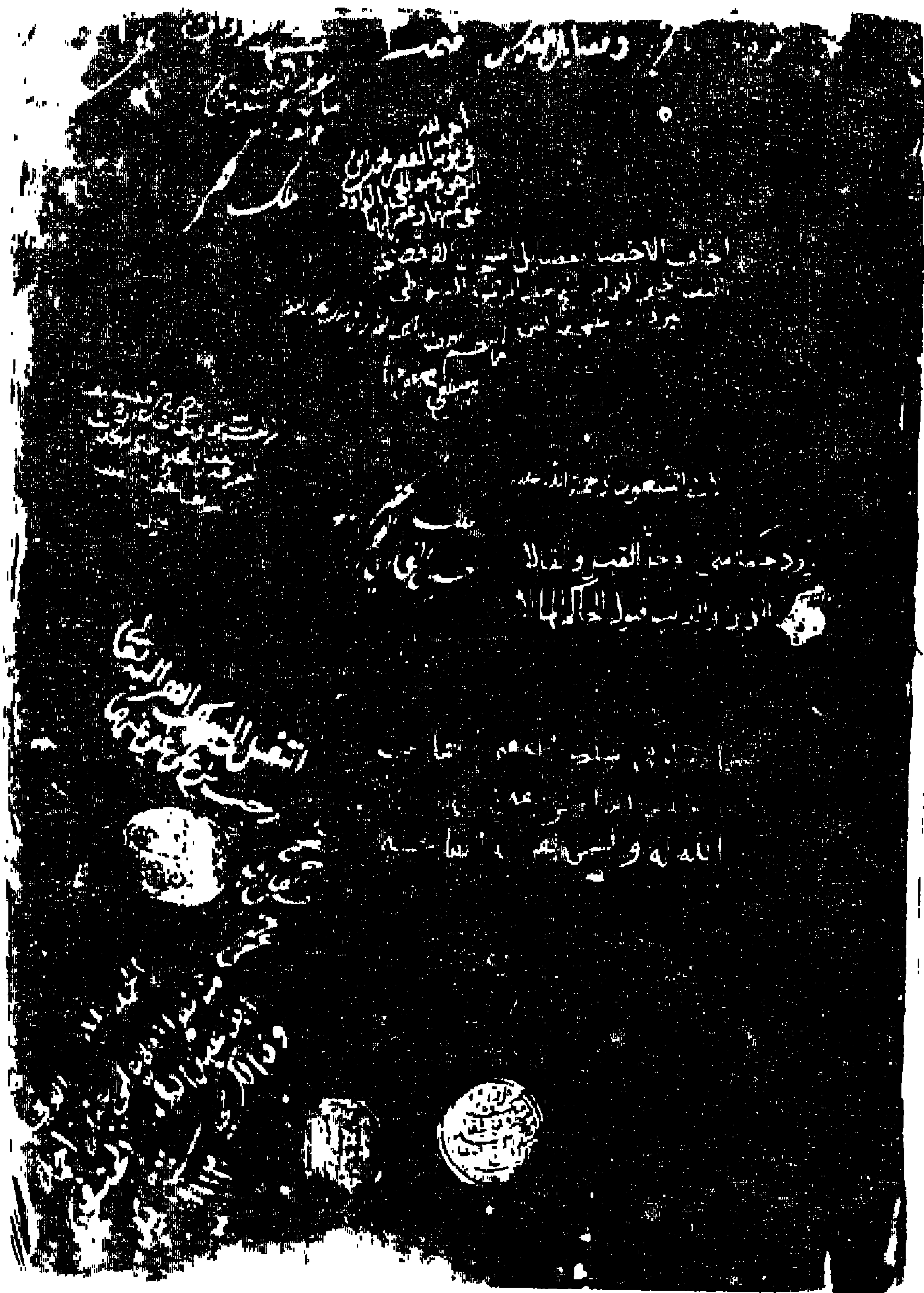
● صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة

المخطوطة العاشرة

« إتحاف الأخصا ، بفضائل المسجد الأقصى »

تأليف

شمس الدين السيوطي



● صورة ورقة الغلاف

● صورة الورقة الأولى بعد الغلاف .

المؤلــف

يظهر اسم المؤلف على غلاف المخطوطة على النحو التالي : « الحَبْر الهُمام ، الشيخ عبدالرحمن السيوطي ، برَّدَ الله مضجِعَهُ ، آمين » . ولاشك أن الذي كتب اسم مؤلف هذه المخطوطة لم يكن على بيّنةٍ دقيقة من الاسم الصحيح الكامل ، إذْ إنّ شمسَ الدين السخاوي ، وهو معاصر للمؤلف ، والتقى به شخصيا ، وتحدّثَ إليه ، يورد اسمَهُ على هذا النحو : « محمد بن أحمد بن علي عبدالخالق ، الشمس الأسيوطي ، ثم القاهري ، الشافعي المنهاجي »(٣٣٦) .

ويبدو أنّ آخرين قد أخطأوا كذلك في معرفة اسم المؤلف الحقيقي للمخطوطة ، إذ نجد حاجي خليفة ينسبها « للشيخ المحقق ، كمال الدين ، محمد بن محمد بن أبي شريف الشافعي المصري المتوفي سنة ٩٠٦ هـ » . غير أننا تَثَبّتْنا من خلال مقدمة المخطوطة نفسها ، ومن خلال المراجع الأخرى ، أنّ مؤلفَ « إتحاف الأخِصّا ، بفضائل المسجد الأقصى » ، هو شمس الدين السيوطي ، الذي ذكر معاصره السّخاوي نَسَبَهُ كاملاً بالكيفية التي أوردناها سابقاً .

وقد حدَّدَ لنا السخاوي من خلال ما ذكره له المؤلف نفسه ، تاريخَ ولادة المؤلف ، وهو شهر جمادى الآخرة ، سنة ٨١٣ هـ ، مع أنه يُتْبِع ذلك بقوله : وقيل سنة ٨١٠ بأسيوط(٣٣٧) .

---

(٣٣٦) انظر : « الضوء اللامع ، لأهل القرن التاسع » جـ ٧ ص ١٣ .

(٣٣٧) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

ويحدّثنا المؤلف من خلال مقدمة كتابه ، أنه دخل مكة في الثاني من ربيع الأول سنة ٨٤٨ هـ من أجل العُمرة ، ثم حجَّ بعد ذلك ، وجاورَ في مكة . وفي سنة ٨٤٩ ، توجه إلى المدينة لزيارة قبر الرسول عليه السلام ، ثم عاد إلى مكة بقصد الحج ثانياً وأقام فيها . وفي سنة ٨٥٩ هـ ، عاد إلى القاهرة ، ثم توجه مع مخدومه إلى حلب . وفي شعبان من سنة ٨٧٤ توجه إلى الأغوار ، وزار قبورَ معاذ بن جبل ، وشُرَحبيل بن حسنة . وأبي عبيدة . ثم توجه بعد ذلك إلى القدس ، ودخلها يوم السبت ٢٨ رمضان سنة ٨٧٤ [٣٣٨] ويحدّد لنا المؤلف في نهاية مخطوطته تاريخ الفراغ من تأليفها ، وذلك في يوم الاثنين ، الثالث والعشرين من صفر سنة ٨٧٥ هـ ، ببيت المقدس[٣٣٩] .

ولا شكّ في أن المعلومات التي يقدمها لنا السخاوي عن المؤلف ، ذات قيمة خاصة ، وذلك بسبب المعاصرة ، والاتصال الشخصي بين الرجلين ، كما أسْلَفنا . وهو يحدثنا أن نشأة المؤلف كانت في مسقط رأسه أسيوط ، وأنه حفظ القرآن عند سعد الدين الواحي وغيره ، وأنه قرأ « العُمْدة » و « أربعين » النَّوَوِيّ و « الشاطبية » و « المنهاج الفرعي والأصلي » و « سطور الأعلام في معرفة الإيمان والإسلام » للحمصيّ ، حسبما قال هو ـ السيوطي ـ وأنَّه عَرَضَهُ على الجلال البلقيني ، والوليّ العراقي ، والبيجوري ، والشَّرَف الأقْفَهْسي ، والتفهني ، وقارىء الهداية ، والبساطي وابن مغلي ، في آخرين ، منهم النجمُ بنُ عبدالوارث ، والحمصي ، وأنَّه تلا لأبي عمرو علي الشمس البوصيري ، وقرأ الفقه على الزكيّ الميدومي ، والشمس بن عبدالرحيم ، والبدر بن الخلّال ، وعن الزكيّ أخذَ النحوَ أيضا ، وعن الشهاب السَّخاوي القادم عليهم من أسيوط ، مجموع الكلاتي والملْحة ، وقيل ، بل الشهاب العجيمي ، وهو الذي سمْعتُهُ منه ، والحديث عن شيخنا (ابن حجر العسقلاني)[٣٤٠] ، والتقى ابنَ عبدالباري الكفيف وغيرهما ، وتكسَّب بالشهادة ،

---

(٣٣٨) انظر صورة المخطوطة ، الأوراق ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣٣٩) انظر صورة المخطوطة ، ورقة ١٥٩ .

(٣٤٠) خلصنا إلى أن المقصود بشيخ السخاوي هو ابن حجر العسقلاني ، من خلال عبارات وردت في الحديث =

وتعانى الأدب ، وتميّز فيه ، وامتَدحَ شيخَنا بقصيدة داليّة سمعتُها منه في مكة والقاهرة ، وكتبتُها ، أو جُلَّها في « الجواهر » ، وكذا كتبها عنه البقاعي ، منها :

يا كعبةً قبل الوقوف دَخَلْتُها   من بابِ شَيْبَةَ حمدِكَ المتأكِّدِ

وجمع في الشروط كتاباً سماه « جواهر العقود ، ومعين القضاة والشهود » في مجلد ضخم . وأذن له شيخنا في العقود ، وصحب الأمير جانم ، قريبَ الأشرف برسباي ، فاختصَّ به ، وسافر معه لحلب ، ثم للشام ، وكتب عنه الفضلاءُ من نظمِهِ ونثرِهِ ، وجمعَ مجاميعَ في الأدب والتاريخ ، ولكنه يُرمى بالمجازَفَة ، ولا يُحْمَدُ في شهاداته ، وقد أُهينَ بسببها في مكّةَ وغيرِها . ولما كان مجاورا بمكة ، قرض للتقي بن فهد « نهاية التقريب » وقرأ بها « البخاري » مرة أخرى . ثم لقيَهُ حفيدُه بحلب بعد دهر ، وكتب عنه من نظمه قصائد ، ولقيَني بمكة ، ثم بالقاهرة(٣٤١) .

وعلى الرغم من الوهم الذي وقع فيه حاجي خليفة فيما يتعلق بمؤلف الكتاب وتاريخ وفاته ، فإنه أورد التاريخ الصحيح لتأليف الكتاب ، ومكانَ تأليفه كما ذكرها المؤلف في مخطوطته . فقد ذكر صاحب « كشف الظنون » ، أنّ مؤلّف « إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى » قد ألّفه في مجاورته بالقدس سنة ٨٧٥ هـ ، ورتّبَهُ على سبعةَ عشر باباً ، معتمِدا في نقله على « الروض المغرس » لِثقَتِه بمؤلِّفهِ ، فصار عُمْدةَ مافيه .(٣٤٢) .

أما صاحب كتاب « الأعلام » ، فيوردُ لنا اسم مؤلِّف المخطوطة كاملاً ، كما أوْرَدَهُ السخاوي ، مع اختلافِ يسيرٍ في اللَّقَب ، إذ إنّه يعطيه اللقبَ المتعارفَ عليه

= عن السخاوي وهي « سمع السخاوي الكثير عن شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني ولازَمَهُ أشدَّ الملازمة ، وحمل عنه مالم يشاركْه فيه غيره ، وأخذ عنه أكثر تصانيفه ، وقال عنه : هو أمثلُ جماعتي ، وأذِنَ له . (انظر : « الضوء اللامع ، لأهل القرن التاسع » لشمس الدين السخاوي ، جـ ١ ص ٢) .

(٣٤١) انظر : « الضوء اللامع ، لأهل القرن التاسع » جـ ٧ ص ١٣ .

(٣٤٢) انظر : « كشف الظنون » ، جـ ١ ص ٥ ـ ٦ .

« شمس الـدين الأسيوطي » ، كمـا ورد في « الضوء الـلامـع » . ويحـدّدُ صـاحب « الأعلام » فترة حياة المؤلف ما بين ٨١٣ هـ ، سنة ميلاده ، و٨٨٠ هـ ، سنة وفاته ، ثم يقول عنه إنه فاضل ، مصري ، وُلِد وتعلَّم بأسيوط ، وجاورَ بمكة مدّةً ، واستقرّ في القاهرة ، وإنّ له كتباً منها ، « إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى » و« تحفة الظرفاء » و« هداية السالك إلى أوضح المسالك » و« جواهر العقود ومعين القضـاة والموقعين والشهود »(٣٤٣) .

ولا يضيف صـاحبُ « معجم المؤلفين » أيَّ شيءٍ إلى مـا أورده صـاحب « الأعلام » ، باستثناء إيراده لعبارة السّخاوي حول تاريخ ولادة السيوطي ، إذْ بعد أنْ يذكر سنة ٨١٣ يضيف عبارة : « وقبيل سنة ٨١٠ »(٣٤٤) .

أما المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ، فإنـه يتحدّثُ عن جَـدَل كبيرٍ حـول شخص مؤلِّف المخطوطة ، ويورد ما ذَكَرهُ حاجي خليفة من أنَّ مؤلف الكتاب هو كمال الدين محمد بن أبي شريف المتوفّى سنـة ٩٠٦ هـ . إلاّ أنه يخلُصُ في النهـاية ، اعتمادا على أقدم مخطوطات الكتاب المؤرَّخة ، إلى أنّه يوجـد أساس قـويٌّ لنسبة الكتـاب إلى شمس الدين محمـد بن أحمد السيـوطي . ثم يضيـف أنَّ المستشـرقَ الروسيّ مدنيكوف قد مال إلى هذا الرأي ، وأنه يمكن القول بأنه ثبتَ نهائياً في الآونة الأخيرة . ويبدو أن كـراتشكوفسكي لـم يَـطّلِعْ على ما كتبـهُ السَّخاوي في « الضـوء اللامع » عن شمس الدين الأسيوطي ، إذ إنه يصرّح بالقول : ولا نعلم من سيرة حياته إلا ما يمكن استجلاؤه من صفحاته كتابه . ثم يورد بعد ذلك المعلومات التي سبقَ أنْ ذكرناها مستخلصةً مما كتبه المؤلف في مخطوطته .

ويورد كراتشكوفسكي ملاحـظة ذات أهمية خـاصة حـول وجود اختـلاف في مخطوطات الكتاب ، وذلك بقوله : ويمكن إرجاع الاختلاف الواضح بين مخطوطات

---

(٣٤٣) انظر : « الأعلام » ، جـ ٦ ص ٢٣١ .

(٣٤٤) انظر : « معجم المؤلفين » وضع عمر كحالة ، نشر مكتبة ، المثنّى ، جـ ٨ ص ٢٩٨ .

كتابه إلى أنّ المؤلف قد أجرى قَلَمَهُ فيها بالتعديل حوالي عام ٨٨٠ هـ ، فكان ذلك بمثابة إخراج طبعة ثانية للكتاب ، إذا جاز هذا التعبير الحديث(٣٤٥) . وإذا صحَّ ما ذهب إليه هذا المستشرق فإنَّ التعديل الذي يشير إليه ، قد جرى في السنة التي توفي فيها المؤلف ، إلّا إذا كانت وفاته بعد سنة ٨٨٠ هـ .

نسخ المخطوطة

نسخ هذه المخطوطة موجودة في أنحاءٍ مختلفة من العالم تشمل : مكتبة جامعة برنستون ، والخزانة العامة في الرباط ، والجامعة العبرية في القدس ، ومعهد اللغات الشرقية بلينغراد ، وبرلين ، ومكتبة الدولة في ميونخ ، وجوتا ، وليدن ، وكوبنهاجن ، والمتحف البريطاني في لندن ، وكامبردج ، والمكتبة الوطنية بباريس ، ومكتبة كبرولوزادة ، ومكتبة جامع أيا صوفيا في تركيا ، ومكتبة بلدية الإسكندرية ، ومكتبة الأزهر الشريف ، ودار الكتب الظاهرية في دمشق ، ودار الكتب القوميّة في القاهرة ، ومكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ، ومكتبة الحرم المكّي ، ومكتبة تشستر بيتي Chester Beaty في دبلن ، والمكتبة الأحمدية في جامع الزيتونة بتونس ، ومكتبة الأوقاف ببغداد ، والمكتبة المحمودية بالمدينة المنوّرة ، ومكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة كذلك . ولدى الدكتور إسحاق موسى الحسين نسخة منها في القدس .

وفي مكتبة الجامعة الأردنية نسخة مصوَّرة عن نسخة مكتبة جامعة برنستون رقم ٥٩٨ ، وقد كُتِب عليها خطأً أنَّ مؤلِّفَها عبدُالرحمن السيوطي ، وتوجد كذلك في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية صورة على الميكروفيلم من نسخة جامعة برنستون ، ونسخة أخرى مصوّرة عن نسخة الرباط ، ومنسوبة خطأً لشهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي(٣٤٦) .

---

(٣٤٥) انظر : « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ، جـ٢ ص ٥١٤ .

(٣٤٦) انظر التفصيلات المتعلقة بمخطوطات الكتاب وأماكن وجودها في كتاب : « مخطوطات فضائل بيت المقدس : دراسة وببليوغرافيا » للدكتور كامل العسلي ، ص ٩٨ - ص ١٠٤ .

وصف المخطوطة التي اعتمدت عليها

المخـطوطة التي اعتمـدتُ عليها ، هي صـورة عن مخطوطـة مكتبة جـامعـة برنستون ، مجموعة جاريت رقم ٥٩٨ ، وقد اشترتْها هذه الجامعة الأميركيـة ، من مكتبة البارودي في بيروت سنة ١٩٢٥ ، وحصلتُ على النسخة التي بين يديّ من مكتبة الجامعة الأردنية التي تمتلك نسخة مصوّرةً عن نسخة جامعة برنستون .

تحتوي المخطوطة (١٦٠) ورقة ، وتضمُّ كـل ورقة صفحتين ، ومعـدّلُ عدد السطور في الصفحة الواحدة ٢١ سطرا ، وطول الورقة ٢٥ سم وعرضها ١٨ سم . وقد كتبتْ بخطّ صغير دقيق ، وفيها أخطاء في رسم الكلمات وتحريفات ، وهي كغيرها من المخطوطات التي بين يديّ ، ذات نصوص متصلة السطور غير مقسمة إلى فقرات ، ولم يهتمَّ ناسخوها في الغالب بعلامات الوقف .

وقد قدّم المؤلِّف لمخطوطته بمقدمة طويلة متأنقة ، ثم قسّم مادته بعد ذلك إلى سبعة عشرَ باباً ، وتحدّث عن هذه الأبواب في المقدمة ، ولم يُخْفِ المؤلف أنّه أخذ عن مجموعة من المؤلفين الذين سبقوه في هذا المضمار ، ويوضح أنه حذف الأسانيد من المواد التي انتقاها من الكتب السابقة .

وإذْ يذكر المؤلف تاريخ انتهائه من تأليف مخطوطته عام ٨٧٥ ببيت المقدس ، فإن كاتب النسخـة التي بين أيدينـا يحدّد لنـا تحديـدا دقيقا تـاريخ انتسـاخه لمـادة المخطوطة : الثلاثاء ، سادس شهر ذي الحِجّةَ من شهور سنة ٩٧٨ هـ ، كما يذكر اسمه وموطنه ومذهبَه : عليّ بن العلم المقدسي الحَنَفي .

أوّل المخطوطة كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمدُ لله الذي جلّتْ نعماؤُه عن الإحصا ، وعَلْت آلاؤه عن أن تُحَدّ أو تعدَّ أو تستقصى . . » وآخرها :

« وكان الفراغ من تعليق هذا الكتاب المبارك في نهار الثلاثاء سادس شهر ذي الحِجّة ، . . . . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلّم تسليماً كثيرا إلى يوم الدين » .

المختار من المخطوطة

المقدمـــــة

الحمد لله الذي جلّتْ نعماؤه عن الإحصا ، وَعَلتْ آلاؤه عن أنْ تُحَدّ أو تُعَدّ أو تُستَقْصى ، وبَهَرت حِكْمَتُه ، وَوَسِعَتْ رحمتُه ، فالسعيدُ من كان به مختَصّا ، فَمِنْ أجلّ نعمائه التي عم بها ، إظهار مظهر الجلال ، وهو البيتُ الحرام المخصوصُ مع زيادة الشرف بقضاء فَرْض الحجِّ وما يتعلَّق به من المناسك مما وصّى ، وإظهارُ مظهر الجمال المقدَّس عن دواعي الشوائب ، وتخصيصُهُ من بين مساجد الإسلام ، إذْ هو أكثرُها من الصّلة والعابد . يقول الله عز وجلّ : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ .

أحمدُهُ وأشكرُهُ على ما مَنَّ به من حصول القصد وبلوغ المراد من زيارة بيت الله الحرام ، وقبرِ نبينا محمّدٍ عليه أفضل الصلاةوالسلام ، والمسجدِ الأقصى والصخرة المقدّسة ، وما حولها من المشاهد والمعاهد المعروفة بإجابة الدّعَوات وخرق العادات ، وهذا والله ما كنتُ أرجو قبلَ هجوم الحِمام ، وأرجو من كرم الله عز وجل إتمام هذا القصد الجميل بحسن الخاتمة والموت على الإسلام . وأشْهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وحدَه لا شريك له ، إلهٰ عمّتْ نعمَتُهُ ، فشمِلت الدانيَ والقاصيَ ، وتوافرتْ مِنّتُه ، فاستوى في قصد حصولها الطائع والعاصي . وأشهدُ أنّ سيّدَنا محمداً عبدُه ورسولُه ، الذي مِن كمالِ فضله عليه ، وزيادةِ شرفهِ لديه ، المعراجُ والإسراءُ به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، إلى السموات العُلى ، على ظهر البُراق في جِنْح ليلٍ داج ، وقدّمَهُ الأنبياءُ إماماً ، فصلّى بهم في تلك الليلة عند قبّةِ صخرة بيت المقدس ، ومؤَذّنهُ وخادِمُهُ إذْ ذاك جبريلُ ، وأوحى إليه ما أوحى ، وأعاده إلى مضجعِهِ

بمكة ، وسحابُ تلك الليلة ما انجابَ ، وطائرُ صبح غُرَّتِها الميمونُ ماهاج . صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه ، واتّبعوا النّورَ الذي أنزل معه ، وعقدوا الخنَاجرَ على تمكين مقاعد عِزِّهِ ورفع لوائـهِ ، وإظهار دينـهِ الذي شَـرَعَه ، وجاهدوا في الله حقَّ جهادِهِ ، وما زالوا على الوفـاء بعهده ، إلى أنْ عـادتْ مناراتُ جوامع الإسلام مرتفعة ، ومنابر خطبائها بجواهر التـوحيد مُـرَصَّعة . وعلى أزواجِـه أمَّهاتِ المؤمنين ، وذريّتِهِ وأهلِ بيته الطيّبين الطاهرين . والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ، وسلّمَ تسليما كثيرا .

وبعد ، فلما راق لي مشرَعُ الحب وصَفا ، ورقَّ لي ظِلُّ الغمام وضَفا ، وَرَدَ على (م ١٥٤) عزمي الساكن ، ما حرّكَهُ إلى أشرف الأماكن ، فقلت : من الواجب المبادرة إلى أداء فرض الحج الواجب ، وعَزَمْتُ بكُلِّي على مجاهدة كَلِّي ، وركبت سفينة نجاة كنت أتمناها ، وقلت لما استويت عليها « بسم الله مُجراها ومرساها » ، وساقني سائق الأنعام والفضل الذي يجلّ عن الصِّفَة ، إلى مكة المشرَّفَة ، فدخلتُها في الثاني من شهر ربيع الأول ، سنة ثمان وأربعين وثمانمائة « مُهِلًّا » بعُمْرَة ، وحللتُ من ذلـك البيت الحرام محـلا ، يتمنى أعـظم ملوك الأرض أنْ لـو قضى فيـه عمـرَه ، واستمرّيْتُ ولله الحمد بقية تلك السنة في ذلك المحلّ الشريف من العبادة والطواف على حالة حسنة . ولما آن أوان الحجّ ، حججْنا وقمنا من أداء الفرض بما يجب على كل حاج حِسّاً ومعنى . وحين انقضْت أيامُ منى ، وقع في العزم فُتور ، وفي الحركة عن مقصد العودة إلى الديار المصرية انثناء ، فنويت المجاورة ، وقلت : مجاورةُ بيت الله الحرام أفضلُ من الرجوع إلى القاهرة .

وفي أوائل سنة تسع وأربعين وثمانمائة من الهجرة النبوية ، حصل التوجه إلى المدينة الشريفة النبويّة ، وزيارة قبر سيدنا محمد سيّد الأولين والآخرين ، صلى الله عليه وعلى أبيه آدم ، وما بينهما من الأنبياء والمرسلين ، وكان هذا القصدُ المباركُ هو قصدي الثاني ، لما فيه من حصول عوارف الفضل ولطيف المعاني ، ووجوب الشفاعة

(م ١٥٤) : ١

لِمَنْ زار قبرَهُ الشريف ، وانضمامه يوم القيامة إلى لوائه المعقود ، في المقام المحمود . وما أسعد من أدْخَلَهُ الله في تلك الزُمرة ، وإبلاغ السلام إلى ذاته الشريفة النبويّة المصطفوية ، فشفاها ورَدُّهُ عليه بنفسه ، والتمتّع بين قبره ومنبره الشريفين بما يجنيه الزائر من ثمار العبادة في روضة أُنْسِهِ ، المحفوفِ بالأنوارِ المتشعشعة من أنوار حظيرة قُدْسِهِ . شعر :

وتلك علامات الرضا غير أنَّها من الله لم تَحْصَلْ لغير الموفق

وتمّ هذا القصدُ المبارك في تلك السنة ، بعون الله تعالى وتوفيقِهِ وتيسيرِهِ ، وعدنا إلى مكة المشرفة بقصد الحجّ ثانياً ، وكأنَّ ذلك مالم يوافقْ بواعث النفوس على الانصراف إلى غيره : حججتُ وقصدتُ الرجوع من حيث جئتُ ، والنفس تأبى الموافقةَ على ما أردتُ . فلما رأيتها لا تنقاد ولا تلين ، استخرتُ الذي ما خاب من استخارَه ، ولا نَدِم من استجارَه ، وأقمتُ بمن معي من أهلي في بلد الله الأمين ، متوكِّلاً في طلب الرزق على مَنْ هو يرزُقُنا من حين خُلقْنا وإلى أن يتوفّانا مُتِمّين ، تالياً قوله تعالى : ﴿ **ما يفتح الله للناسِ مِن رحمةٍ فلا مُمْسِكَ لها** ﴾[٣٤٧] وقوله : (م ١٥٥) ﴿ **وما أنفقْتُم من خيرٍ فهو يُخْلِفُهُ ،وهوخيرُالرازقين** ﴾[٣٤٨] .وحصل الخيرُ ، ودرّتِ الأرزاق ، ونودينا من الغيب الكامن في مستودع اللطف الخفي : ﴿ **ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق** ﴾[٣٤٩] . وصار الرزقُ علينا وعلى أهلينا ومن مَعَنا في كلّ وقت يزيد ، وملبسُ السَّعَةِ والسكون والدَّعَة عند البيت العتيق في كل يوم جديد ، وحصل من فوائد أشياخ الحرمين الشريفَيْن : مكة والمدينة ، على مُشرِّفِهِما أفضلُ الصلاة والسلام ، على فوائد عديدة ، ومن ملازمة أنواع العبادة أشياء ليس هذا موضع ذكرها ، ولكن بديع الاستطراد أوجب التنبيه على ذكر المقاصد الحسنة بطريق العادة .

---

(٣٤٧) الآية ٢ من سورة « فاطر » .

(٣٤٨) الآية ٣٩ من سورة « سبأ » .

(٣٤٩) الآية ٩٩ من سورة « النحل » .

(م ١٥٥) : ١ ، ٢ .

وبعد مضيّ تسع سنين ، في أوائل سنة تسع وخمسين ، عدت إلى القـاهرة المحروسة ، جعلَها الله دارَ الإسلام إلى يـوم الدين ، ومـا رجعتُ حين رجعتُ من الحجاز الشريف وحصول ما حصلت عليه من بَرَكَتِه ، إلاّ وخاطري مشغول ، وقلبي متعلق برؤية بيت المقدس ، وقضاء الوَطَرِ من زيارته . فلما صرتُ بالديار المصرية ، شغلَتْني عن ذلك شواغلُ الخدمة التي من أجلها تفتات ، وعاقني عن ذلك عوائق ، وحالت بيني وبينه من الأقدار الإلهية حالات . فاتّفق أنّ المخدومَ الذي كنت في خدمته وَليَ نيابةَ حلب ، فقلت : الحمدُلله ، حصل القَصْد ، ونجح الطلب ، وبلغتُ إن شاء الله (من)[٣٥٠] زيارة المسجد الأقصى والصخرة المقدسة وما جاورها من المعاهد والمشاهد ، التي هي على التقوى والرضوان مؤسَّسة ، « غايةَ »[٣٥١] الأرب . وفي الطريق ، حصلَتْ أيضا عوائق ، وتعذّر الذهاب إلى ذلك المحل لأسباب لا يليق معها إلا المتـابعـة . ثم إني رجعْتُ إلى عقلي ، وتمسكْتُ من هـذه الفـاصلة بـالسبب الأصلي ، وقلت : لو أَذِنَ صاحب البيت الذي أذن الله أن يُرْفَع ويـذكـر « فيه »[٣٥٢] اسمه ، « لتيسّرَ »[٣٥٣] الغرض المطلوب . ولكن الأمرَ أمرُه ، والحكمَ حُكْمُه .

ثم إني ثنيتُ عِنانَ العزم عن قصـد الزيـارة ، وتَرَخَّيْتُ ، ولازمت الـدعاء في مواطن الإجابة وتَوَخَّيْتُ ، وشرعت أقول : الأمورُ مُرْتَهَنَةٌ بأوقاتها ، وتصاريفُ الأقضيةِ والأقدارِ جاريةٌ على عاداتهـا (م ١٥٦) . ومضت على ذلك مـدة زمانيّـة ، والتردُّدُ كثير ، والشوق من « المملكة »[٣٥٤] الشاميـة إلى الديـار المصريـة (كبير)[٣٥٥] ،

(٣٥٠) ساقطة ، يقتضيها السياق .

(٣٥١) في الأصل : « غايت » ، وهو خطأ في رسم الكلمة .

(٣٥٢) في الأصل : « فيها » والضمير راجع إلى « البيت » ، مما يستوجب تذكيره .

(٣٥٣) في الأصل : « لتسير » ، وهو تصحيف .

(٣٥٤) في الأصل : « مملكة » وتركيب الجملة يقتضي تعريف الكلمة .

(٣٥٥) ساقطة في الأصل ، ويقتضيها استكمال الجملة ، وفاصلة السجع .

(م ١٥٦) : ٢

والعزمُ العزمُ ، والشوقُ (الشوقُ)[٣٥٦] ، والنيّـةُ النيّةُ[٣٥٧] ، غيـر أني توهمْتُ من نفسي أنَّ ذلك حَجْبٌ أو طَرْدٌ أو حرمان ، وخفتُ أن أموت ولم أحصل من الزيارة على طائل . ثم قلت : إن متُّ ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم ، ولا يضر شيءٌ مع الإيمان .

في غضون ذلك التوهُّم الذي حصل ، جعلت عليَّ إنْ دخلتُ بيتَ المقدس ، وقضيتُ الوطَرَ فيه من الزيارة ، وبلغتُ مع الزائرين في غاية التمني ، واقتفيتُ فيه من نَهْج الهدُى آثارَه ، لأولفَنَّ في فضائل بيت المقدس وعجائبه ، وما اشتمل عليه من الصفات القديمة ، والهيئات التي سارت أحاديثُها الحسنةُ في الآفاق ، وهي إلى الآن على عهدها سقيمة ، تأليفاً لطيفاً ، أجمعُ فيه بين الطريف والتالد ، وأقضي به الأَرَبَ من خدمة هذا البيت الذي هو في شدّ الرحال أحد الثلاثة المساجد ، « آتياً »[٣٥٨] فيه بما يوفي بالغرض المقصود ، وأَسْتَوفي فيه « التليد»[٣٥٩] والطارف من عجائب الوجود ، وأشيرُ فيه إلى ماهو مشهور في حرماته العظيمة البركات ، الظاهرة الكرامات ، رجاءَ أنْ أجد ذلك مدخورا عند المولى الكريم ، الذي يضاعِفُ فيه الحسنات ، « ويعفو »[٣٦٠] عن السيئات ، وأنه هو القصدُ الجميلُ الذي ما عليه مزيد ، والله هو الوليُّ الحميد .

فلما كان الثالث من شعبان الذي تتشعَّبُ فيه الأنوار ، « خرجت »[٣٦١] من الشام المحروسة إلى جهة الأغوار[٣٦٢] ، فـزرْتُ من جِلّةِ الصحابة معاذَ بنَ جبل ، وشرحبيلَ بن حَسَنَة ، وأبا عبيدةَ (م ١٥٧) ابن الجرَّاح ، رضي الله عنهم وأرضاهُم ،

---

(٣٥٦) ساقطة ، ويقتضيها السياق .

(٣٥٧) أي أن العزم والشوق والنية باقية على ماهي لم تتغير فيما يتعلق بزيارة بيت المقدس .

(٣٥٨) في الأصل : « آت » ، وهو خطأ لغة .

(٣٥٩) في الأصل : « البليد » ، وهو تصحيف .

(٣٦٠) في الأصل « يعفوا » ، وهو خطأ في رسم الكلمة .

(٣٦١) في الأصل : « وخرجت » ، والسياق لا يتطلب وجود حرف العطف .

(٣٦٢) الأغوار : هي الأراضي المنخفضة التي تكون وادي نهر الأردن .

(م ١٥٧) : ٢ ، ٣ .

ومن هناك صمّمْتُ العزمَ على المسير ، فكانت علامةَ الإذن بالتيسير ، وربُّك على كل شيء قدير ، وكان مما أجرى اللهُ به قلَمَ قدْرَتِه المحقّق ، إطلاقي من قيدِ الحرمان المضيّق ، إلى سَعةِ ضياء ذلك الفضاء المطْلَق ، فدخلتُ القدسَ الشريف ، المحفوفَ بشَرف اللطائف ولطائف الشريف ، في يوم السبت المبارك ، الثامن والعشرين من شهر رمضان المعظَّم قَدْرُه ، سنة أربع وسبعين وثمانمائة ، فحصلَ لي من أول من (. . .)[٣٦٣] من بقيةِ العَشْر الأواخِر من شهر رمضان ما حصلَ لأهل السعادة إنْ شاء الله من جزيل الفضل ، ووافر الامتنان ، وحضرتُ العيد في ذلك الجمْع الذي تفرّدَ بخطيبِه ومنبرِهِ وتَوَضُّح بِشْرِهِ ، فلاحَ الفلاحُ على قوسِ محرابِه وأوضحِ غُرَرِهِ ، وسطَعَ سَناءُ المُلْكِ العظيم من مطالِع أفُقِهِ وحليةِ طِرازِه ، وسُرى سواريه وعضائدِ جُدُرِه . هذا ، وقد أشْرَقتْ قبَّةُ الصخرة الشريفةِ على السُّها ، وأشرقتْ مصابيح أُنْسِها في سماءِ قُدْسِها ، والصخرةُ قائمةٌ بنفسها ، رفَعَها اللهُ الذي رفَعَ السماءَ بغير عَمَدٍ تَرَوْنها ، فأنشدْتُ :

بلغَ الصدودُ المُنتَهى ... والقلبُ عنكم ما انْتَهى
وإذا رضيتُمْ حالتي ... فيكُمْ ، فذاك المُنْتَهى
ها قَدْ حَلَلْتُ بأرضِكُم ... مُتَفَيِّئاً في ظِلِّها
مُسْتَمْطِراً من سُحبِكُمْ ... أهنى هواطل وَبْلِها
فَلئِنْ سَمَحْتُم فهو مِنْ ... عاداتِكم وأَجَلِّها
وعوارفُ الحُسنى لكم ... معروفةٌ من أصْلِها[٣٦٤]

ثم قلتُ : الآن حصلَ القَصْد ، وتمّ المراد ، وحلَّتْ سَلمى بسُليمْ[٣٦٥] ، فلا راد له عنها ولا صادّ ، ومن ثمَّ بادرتُ إلى وفاء نَذْري الذي تقدّم . ونظرتُ في الكتب الموجودة المتضمِّنة لِما نحنُ فيه ، فإذا الشيخُ الإمام ، شهابُ الدين أبو محمود

---

(٣٦٣) الكلمة غير مقروءة .

(٣٦٤) الأرجح أنّ الأبيات من نظم صاحب المخطوطة .

(٣٦٥) بمعنى وصل صاحب الطلب إلى ما يريد ويطلب .

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال بن تميم بن سرور المقدسي الشافعي ، صاحب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، رحمه الله ، ممن سَلَكَ ومشى في حُسْنِ التأليفِ على النَّهجِ (م ١٥٨) الأقْوَمِ ، والشيخُ الإمام العلاّمة ، الحَبْرُ البَحْرُ الفهّامَةُ سيّدُ الأشراف ، واسطةُ عِقْد المنتمين بالنَّسبِ المنيف إلى عبد مناف ، شيخُ الإسلام ، علاَّمةُ العلماءِ الأَعلام ، تاجُ الدين ، أبـو النصر ، عبـدالوهـاب الحسيني الشافعي الدمشقي ، جَمَّلَ اللهُ الوجودَ بوجودِه ، وأنارَ في أُفُق العَلْياءِ كوكاب سعوده ، صاحبُ « الروض المُغرّس في فضائل البيت المقدّس » ، وممن نمّى وثمَّر ، وارتقى وانتقى ، وسبَرَ واعتبر ، وأحاطَ واحْتاط ، وتتبَّعَ المقاصدَ الحَسنَة من مَظانِّها ، وصنّفَ ما أَلَّفَ على صفة لاتُحاط بمكانها ، ونَقَل ما نَقَل من كلام السابقين الأوّلين بنصِّه ، وصاغ في مبادئه وخواتمه حديث الفضائل بنصِّه ، فيا لله ما أحلى ! ويا لله ما أجلى[٣٦٦] ولقد أغناني بفوائده التي أهداها عن الافتقار إلى الاطّلاع (على)[٣٦٧] ما لأهـل الصدر الأول ، فَمَنْ بَعْدَهُم ، من الكلام على ما نحن فيه ، بما يحصل به كمالُ الانتفاع ، فإنه أَخْبَرَ في كتابه الكريم ، المُعَوّذْ من فاتحة كل كتاب بـ « الٓمٓ » ، أنه وقفَ على « فضائل القدس » للشيخ الإمام أبي الفرج ، عبدالرحمن بن الجوزي ، رحمه الله ، وهو جزء لطيف ، وأنه وقفَ على مـا أحضرَهُ من « الجـامع المستقصى في فضـائل المسجد الأقصى » ، للإمام الحافظ ، بهاء الدين أبي محمـد القاسم ، ابن الإمـام الحافظ ، شيخ الإسلام ، أبي القاسم ، عليّ بن الحسن بن هبةِ الله بن عساكر ، وهو المجلّدُ الأوسط ، وعلى بعض كراريس ، يتلوه فيها الجزء السادس عشـر والسابـع عشر . والمجلد المذكور مقروء على مؤلِّفِه ، وهو أجزاء : أوله الثاني عشر ، وآخره الخامس عشر ، طبقة سماع على مؤلفه ، بتاسعَ عشرَ شهر رمضان ، سنة ست وتسعين وخمسمائة بالمسجد الأقصى ، وطبقة أخرى على مؤلفه أيضا ، مؤرخة بسابع ربيع

---

(٣٦٦) في الأصل : « أحلى » ، وأرجح أنها كما أوردناها ،لكيلا تتكرر الكلمة الواحدة في فاصلتين .

(٣٦٧) ساقطة ، ويقتضيها السياق ، وتركيب الجملة .

الأول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وطبقة أخرى على غير مؤلفه ، وهو الشيخ الإمام العالم ، تقيُّ الدين ، أبو محمد ، إسماعيل التنوخي ، سمع عليه الإمام العالم العلاّمة ، تاج الدين عبدُالرحمن بن ضياء الفزاري ، والإمامُ أبو زكريا يحيى النواوي وغيرهما ، بقراءة الفقيه العالم المحدِّث ، شرف الدين أحمد بن ضياء الفزاري ، وأنه وقف على مجلد أوله الجزء الأول ، وآخره الجزء العاشر من كتاب « الأنس في فضائل القدس » ، لابنِ عمر الحافظ شهاب الدين المذكور ، وهو القاضي (م١٥٩) الإمامُ العالمُ الثقة ، أمينُ الدين ، أحمدُ بنُ محمد بن الحسن بن هبةِ الله الشافعي ، والمجلدُ المذكورُ مقروء على مُؤَلِّفِه ، وعليه طبقاتُ سماع عليه ، آخرُها مؤرخٌ بيوم الخميس ، خامس عشر[٣٦٨] شوّال ، سنة ثلاث وستمائة بجامع دمشق ، ومقروءٌ على غيره .

ثم قال القاضي أمينُ الدين المذكور : « وقد جمعتُ هذا الكتاب ، واعتمدتُ فيه على كتاب ابن عميّ الحافظ ، أبي محمد القاسم ، ابن الحافظ أبي القاسم ، يعني المسمّى « بالجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » ، وخرَّجت من « مسموعاتي »[٣٦٩] ورواياتي ما ساوَيْتُهُ في إسنادِه ، وشاركته في رواياته عن مشايخه وأفرادِه ، مع مالَه من القِدمَةِ والسَّبق ، وما تفرَّد به من الحفظ والحذِق ، وكونه أعلى الجماعةِ سنّاً ، وأحسنَ في جمع الحديث فنّاً . انتهى كلامه .

قال السيّد صاحب « الروض المغرس في فضائل البيت المقدس » : « ووقفتُ أيضاً على كتاب « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » ، للشيخ برهان الدين الفزاري ، وقد قال في ديباجته : « إنه منتخب في فضائل بيت المقدس ، وقبر الخليل عليه السلام ، غالبا من كتاب « المستقصى » ، للحافظ بهاء الدين ابن عساكر ،

(٣٦٨) في الأصل « عشرى » ، وهو خطأ في الرسم ، قياساً على طريقتنا في رسم الكلمة .
(٣٦٩) في الأصل « مسموعات » ولا يتفق مع السياق .

(م ١٥٩) : ٣ ، ٤ .

والقليلُ من كتاب المشرّف بن المرجّا المقدسي ، « وأعزو »[٣٧٠] ما نقلْتُهُ منه ، والباقي من « المستقصى » . قال : وحذفتُ الأسانيد من ذلك كلِّهِ لِما اقْتَضتْه المصلحةُ في ذلك » . انتهى كلامه .

قال السيّد[٣٧١] : « ووقفتُ أيضا على كتاب « إعلام الساجد بأحكام المساجد » للشيخ بدر الدين الزركشي . قال « ووقفتُ أيضاً على « تسهيل المقاصد لزوار المساجد » للشيخ شهاب الدين أحمد بن العمار الأقفهسي الشافعي بخطِّه » . قال : « ووقفتُ أيضاً على جزء لطيف فيه ، « فضائل الشام ودمشق » ، للشيخ أبي الحسن عليّ بن محمد بن شجاع الرَّبَعي المالكي ، وأسمعَ هذا الجزءَ بدمشق في المسجد الجامع سنةَ خمس وثلاثين وأربعمائة ، واختصرَهُ الشيخُ برهانُ الدين الفزاري بحذف الأسانيد ، وحَذفِ ما قام غيره مقامَهُ ، وسمّاه « الإعلام بفضائل الشام » . (م ١٦٠) .

قال السيد : « ووقفْتُ أيضاً على تأليف بالمسجد الخليلي ، على ساكِنِه أفضلُ الصلاة والسلام ، لشخصٍ متأخّرٍ عاصرناه « يدعى »[٣٧٢] إسحق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن كامل التدمري الشافعي الخطيب ، والإمام بمقام سيدنا الخليل عليه السلام ، سمّاه « مثير الغرام ، في زيارة الخليل عليه السلام » ، وحكى فيه عن الشيخين : « الإسْنَوي والبلقيني فوائد ، فقال فيه في مواضع : « وقال شيخُنا الإسنَويّ وأفاد » و « قال شيخُنا سراجُ الدين البلقيني وأجاد » .

قلت[٣٧٣] : وهذا الذي وقَفَ عليه السيدُ المشار إليه ، واعتمدَ النقلَ منه في

(٣٧٠) في الأصل : وأعزوا » ، وهو خطأً في رسم الكلمة .

(٣٧١) السيد : أي عبدالوهاب الحسيني ، صاحب « الروض المغرس في فضائل البيت المقدس » ، ويدعوه صاحب هذه المخطوطة « السيّد » لاتصال نسبه بالحسين بن علي .

(٣٧٢) في الأصل : « بدعا » ، وهو مخالف لرسم الكلمة المتعارف عليه عندنا .

(٣٧٣) الضمير في « قلت » يرجع إلى مؤلف مخطوطة « إتحاف الأخصا » ، شمس الدين الأسيوطي .

(م ١٦٠) : ٤ .

تأليفه المسمى « الروض المغرس » ، أصلٌ كبير لا يُحتاج معه إلى زيادة نظر في شيء من كتب الفضائل وهو ، أدام الله النفعَ به وبعلومِه ، عُمْدَةٌ في الحديث وحجَّةٌ في النقل فيما عزمت عليه من إتمام هذا التأليف الذي قصدْتُهُ ، وترتيبه على النحو الذي أردتُه ، وقد جعلْتُهُ مشتملاً على سبعة عشرَ بابا :

الباب الأول : في أسماء المسجد الأقصى وفضائل زيارته ، وما ورد في ذلك على العموم والتخصيص ، والإفراد والاشتراك .

الباب الثاني : في مبدأ وضعه ، وبناء داود إياه ، وبناء سليمان له على الصورة التي كانت من عجائب الدنيا ، وذكر دعائه الذي دعا به بعد إتمامه لمن دَخَلَهُ ، ومكان الدعاء .

الباب الثالث : في فضل الصخرة الشريفة ، والأوصاف التي كانت بها زمن سليمان عليه السلام وارتفاع القبة المبنيّة عليها ، وذكْرِ أنها من الجنة ، وأنَّها تحوَّلُ يوم القيامة مرجانةً بيضاء ، ومافي معنى ذلك .

الباب الرابع : في فضل الصلاة في بيت المقدس ومضاعفتها فيه ، وهل المضاعفة في الصلاة تعمّ الفرضَ والنفلَ أمْ لا ، وهل المضاعفة تشمل الحسناتِ والسيئاتِ ، وفضل الصدقة والصوم والصلاة والأذان فيه ، والإهلال بالحجّ والعُمْرةِ منه ، وفضل إسراجه ، وأنه يقوم مقام زيارته عند العجز عن قصده .

الباب الخامس : في ذكر الماء الذي خرج من أصل الصخرة ، وأنّها على نهر من أنهار الجنّة ، وأنها انقطعت في وسط المسجد من كل جهة ، لا يُمْسِكُها إلا الذي يُمْسِكُ السماءَ أن تقع على الأرض إلا بإذنِه ، وفي آداب دخولها . وما يُستَحَبّ أن « يدعى » به عندها ، ومن أين يداخلها إذا أراد الدخول إليها ، (م ١٦١) وما يُكْرَه من الصلاة على ظهرها ، وذكر السلسة التي كانت عندها ، وسبب رفعها ، وذكر البلاطة السوداء التي على باب الجنة ، واستحباب الصلاة عليها ، والدعاء بالدعاء المُبَّين .

(م ١٦١) : ٤ ، ٥ .

الباب السادس : في ذكر الإسراء بالنبيﷺ إلى البيت المقدّس ، ومعراجه إلى السماء منه ، وذكر فضل « الصلوات »(٣٧٤) الخمس ، وذكر فضل قبة المعراج والدعاء عندها ، وفي مقام النبي ﷺ ، وفضل قبته ، وصلاته ﷺ بالأنبياء والملائكة ليلة أُسْرِيَ به عندها ، واستحباب القبتين الشريفتين والصلاة فيهما ، والاجتهاد في الدعاء عندهما ، واستحباب الوقوف في موضع العروج به ، وفي مقامه ﷺ ، والدعاء بالدعاء المعيَّن .

الباب السابع : في ذكر السور المحيط بالمسجد الأقصى ومافي داخله من المعاهد ، والمشاهد والمحاريب المقصودة بالزيارة ، والصلاة فيها ، كمحراب داود ، ومحراب زكريا ، ومحراب مريم عليهم السلام ، ومحراب عمر بن الخطاب ، ومحراب معاوية ، رضي الله عنهما ، وما يشرع إليه من الأبواب وعِدّتها . وذكر الصخور التي في آخر باب المسجد ، وذكر ذرعه طولا وعرضا ، وحديث الورقات ، وذكر وادي جهنم الذي هو خارج السور من جهة الشرق ، وما جاء فيه ، ومسكن الخضر والياس عليهما السلام من ذلك المحل .

الباب الثامن : في ذكر عين سلوان ، والعين التي كانت عندها ، والبئر المنسوبة إلى سيدنا أيوب عليه السلام ، وذكر البرك والعجائب التي كانت ببيت المقدس ، وما كان به عندما قُتِلَ عليٌّ بن (أبي)(٣٧٥) طالب وولده الحسين ، رضي الله عنهما ، ومن قال إنه كالأَجَمَة ، ورغَّبَ في أهلِهِ ، وذكر طلّسم الحيات ، وذكر طور زيتا والساهرة ، والجبال المقدسة ، وذكر جبل قاسيون بخصوصه وما جاء فيه .

الباب التاسع : في ذكر فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، بيت المقدس ، وما فعلَهُ فيه من كشف التراب والزبل عن الصخرة الشريفة ، وذكر بناء عبدالملك بن مروان وما صنعَهُ ، وذكر الدرة اليتيمة « التي »(٣٧٦) كانت في وسط

---

(٣٧٤) في الأصل : « الصلوة » ، وهو مخالف لرسم الكلمة المتعارف عليه الآن .

(٣٧٥) ساقطة في الأصل .

(٣٧٦) في الأصل : « الذي . ، وهو خطأ لغة » .

الصخرة و « قرني »[377] كبش إبراهيم عليه (م ١٦٢) السلام ، وتاج كسرى « وتحويلها »[378] منها إلى الكعبة الشريفة « حين »[379] صارت الخلافة لبني هاشم ، وذكر تغلب الفريخ على بيت المقدس وأخذه بعد الفتح العمري ، وذكر مدة مقامه في أيديهم ، وذكر فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب ، رحمه الله له ، واستنقاذه من أيديهم ، وإزالة آثارهم منه ، وإعادة المسجد إلى ما كان عليه ، واستمراره على ذلك حتى الآن وإلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى .

الباب العاشر : في ذكر من دخله من الأنبياء عليهم السلام وأعيان الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وغيرهم ومن تُوفيَ منهم ودُفن فيه ، وإجماع الطوائف كلها على تعظيم بيت المقدس ، ما خلا السامرة .

الباب الحادي عشر : في فضل سيدنا الخليل عليه السلام ، وفضل زيارته ، وذكر مولده وقصته عند إلقائه في النار ، وذكر ضيافته وكرمه ، وذكر معنى الخلد واختصاصه ، وذكر خِتانِهِ وَتَسَرْوُلِه وشفقته ورأفته بهذه الأمة ، وأخلاقه الكريمة وسُنَّته المرضية التي لم تكن لأحد قبله ، وأنها صارت شرائع وآدابا لمن بعده ، وذكر عمره وقصته عند موته وكسوته يوم القيامة .

الباب الثاني عشر : في ذكر ابتلائه ﷺ بذبح ولده ، ومن هو الذبيح ، وعمر اسحق عليه السلام ، وكم كان عمر أبيه وأمِّه حين وُلِد ، وكرامة سارة ، والخلاف المذكور في نبوّتها ونبوّة غيرها من النساء ، وقصة يعقوب عليه السلام وعمره ، وشيء من قصة يوسف عليه السلام ، وصفته ومدة سِنِّهِ عند فراقه لأبيه يعقوب ، ومدة غيبته عنه ، ومدفنه ، وذكركم كان بينه وبين موسى عليه السلام .

---

(٣٧٧) في الأصل : « قرنا » ، وهو خطأ لغة :

(٣٧٨) في الأصل : « وتحويلهم » ، وهو خطأ لغة .

(٣٧٩) في الأصل : « حتى » ، وهو تحريف .

(م ١٦٢) : ٥

الباب الثالث عشر : في ذكر المغارة التي دُفِنَ (فيها)[٣٨٠] الخليل عليه السلام هو وأبناؤه الأكرمون ، وذكر شرائها من مالك ذلك الموضع ، وأول من دُفن في تلك المغارة ، وذكر علامات القبور التي بها ، وما استدل به على صحّتها ، وكم لبناء الحيّز الذي بناه سليمان ، وذكر آداب زيارة القبور المشار إليها ، وبيان موضع قبر يوسف عليه السلام ، وتسمية داخل الحيّز مسجدا وجواز دخوله ، وثبوت أحكام المساجد له ، وتسميته حرما ، وإقطاع تميم الداري الذي أقطَعَهُ النبيّ ﷺ له ، ومن وفَدَ عليه معه مِن (م ١٦٣) الداريين ، ونسخة ما كتب لهم من ذلك .

الباب الرابع عشر : في ذكر مولد اسماعيل عليه السلام ، ونقله إلى مكة المشرفة ، وركوب سيدنا الخليل عليه السلام البراق لزيارته وزيارة أمه هاجرَ ، وموتها ودفنها ، وعمر إسماعيل ومدفنه ، وكم بين وفاته ومولد نبينا محمد ﷺ .

الباب الخامس عشر : في قصة لوط عليه السلام وموضع قبره ، وذكر المغارة الغربية التي تحت المسجد العتيق تجاهه ، وذكر مسجد اليقين والمغارة التي في شرقيّه .

الباب السادس عشر : فيما قيل في قبر سيدنا موسى عليه السلام وعمره ، وفائدة سؤاله الدنوّ من الأرض المقدسة رمية بحَجَر ، وصلاته في قبره ، ورأفته بهذه الأمة ، وشفقته عليهم ، وذكر شيء من بعض معجزاته ، وذكر السبب في تسميته موسى ومافي مفرده .

الباب السابع عشر : في فضل الشام ، وما ورد في ذلك من الآثار والأخبار ، وسبب تسميتها بالشام ، وذكر حدودها . وما ورد من حث النبي ﷺ على « سكناها »[٣٨١] وما تكفَّلَ الله به لأهلها ، وأنها عقرُ دار المؤمنين ، وعمودُ الإسلام

(٣٨٠) ساقطة في الأصل .

(٣٨١) في الأصل : « سكانها » وهو تحريف .

(م ١٦٣) : ٥ ، ٦ .
(م ١٦٤) : ٦

بها ، وأنَّ الشام صفوةُ الله من بلاده ، يُسْكنُها من شاءَ من عباده ، ودعاء النبي ﷺ لها بالبركة ، وذكر ما بها من المعاهد والمشاهد المقصودة بالزيارة ، المعروفة بإجابة الدعوات ، والتنبيه عليها ، وما معنى ذلك مجملا ومفصَّلا .

وأضفْتُ إلى هذا التأليف الحَسَنَ ، الأحْسَنَ فالأحْسَنَ مما انتقيْتُهُ وانتخبْتُهُ ووقفت عليه من كتب المتقدّمين والمتأخّرين في الفضائل ، محذوفة الأسانيد ، وسمَّيْتُهُ : « إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى » ، والله تعالى أسأل ، وهو أجل مسئول ، أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، مُوصلاً إلى ما لديه من الزُّلفى والنعيم المقيم ، وأن ينفعَ به مؤلفَه وكاتبه وقارئَهُ والناظرَ فيه ، إنه قريب مجيب ، لا إله إلا هو ، عليه توكلتُ ، وإليه أُنيب .

الباب الأول : في أسماء المسجد الأقصى وفضائله وفضائل زيارته ، وما ورد في ذلك على العموم والتخصيص والإفراد والاشتراك

[ما أورده المؤلف تحت هذا الباب ، لا يكاد يضيف جديدا إلى ما ورد في مخطوطة : « كتاب فيه فضائل بيت المقدس » ، لإبراهيم المكناسي ، وإلى ما ورد في مخطوطة « الروض المغرّس في فضائل البيت المقدّس » لعبدالوهاب الحسيني ، فلا داعي للتكرار][٣٨٢] (م ١٦٥) .

الباب التاسع

في ذكر فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، بيت المقدس وما فعله من كشف التراب عن الصخرة الشريفة ، وذكر بناء عبدالملك بن مروان وما فعله

(٣٨٢) المؤلف .

(م ١٦٥) : ٧ وما بعدها .

فيه ، وذكر الـدُرّة اليتيمة التي كـانت في وسط قبة الصخـرة « وقـرني »[٣٨٣] كبش إبراهيم ، وتاج كسرى « وتحويلها »[٣٨٤] منها إلى الكعبة المشْرفة حين صارت الخلافة لبني هاشم ، وذكر تغلب الفرنج على بيت المقدس وأخذه من المسلمين بعد الفتح العمري ، وذكر مدة مقامه في أيديهم ، وذكر فتح السلطان الملك ناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله ، واستنقاذه من أيدي الفرنج وإزالة آثارهم منه ، وإعادة المسجد الأقصى والصخرة الشريفة إلى ما كانا عليه ، واستمرارهما على ذلك حتى الآن وإلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى :

اعلم أنّ فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قد ورد في كتب الفضائل المعتمد عليها من طرق عديدة بروايات مختلفة ، وقد أحببتُ أن أجمعَ بين طُرُقها ، وإيراد كل طريق بلفظه تيمّناً وتبرّكاً بذكر هذا الفتح المبين ، الواقع على يد هذا الخليفة ، أمير المؤمنين ، ثـاني الخلفاء الـراشدين ، الـذي أعز الله بـه الدين ، « وعـادت »[٣٨٥] « بركة »[٣٨٦] خلافتِه وعدلِه على كافّةِ[٣٨٧] الإسلام والمسلمين .

[المادة الموردة بعد ذلك تحت هذا الباب لا تكاد تضيف جديدا إلى ما أورده أبو المعالي المشرف بن المرجّى المقدسي ، وعبدالرحيم بن علي بن شيث القرشي ، وشهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد المقدسي ، في مخطوطاتهم الثلاث التي سبق أن اخترنـا منها ، فلا داعي للتكرار][٣٨٨] (م ١٦٦) .

---

(٣٨٣) في الأصل « قرنا » ، وهو خطأ لغة .

(٣٨٤) في الأصل : « وتحويلهم » ، وهو خطأ لغة .

(٣٨٥) في الأصل : « وعادة » ، وهو خطأ في الرسم .

(٣٨٦) في الأصل : « بركت » ، وهو خطأ في الرسم .

(٣٨٧) الصواب لغة أنْ يقال : على الإسلام والمسلمين كافة .

(٣٨٨) المؤلف . والمخطوطات الثلاث هي على الترتيب : « فضائل بيت المقدس والخليل علية الصلاة والسلام وفضائل الشام » ، و « مفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس » ، و « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » .

(م ١٦٦) : ٥١ وما بعدها ، حتى الورقة ٧٦ .

الباب العاشـــــر

في ذكر مَن دخلَ بيت المقدس من الانبياء والأعيان والتابعين رضي الله عنهم أجمعين ، وذكر من توفي منهم ودُفن فيه

[المادة الموردة تحت هذا الباب ، لا تكاد تختلف عن المادة الموردة في مخطوطة « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ولذا فإنه لا داعي للتكرار][٣٨٩] (م ١٦٧) .

الباب السابع عشـر

في فضل الشام

[المادة الموردة تحت هذا الباب لا تكاد تختلف بشيء عما جاء في « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » و « الروض المغرس في فضائل البيت المقدس » ، ولذا فإنه لا داعي للتكرار] [٣٩٠] . (م ١٦٨) .

(٣٨٩) المؤلف .

(٣٩٠) المؤلـف .

(م ١٦٧) : الورقة ٨٥ وما بعدها في المخطوطة ، حتى الورقة ١٠١ .

(م ١٦٨) : الورقة ١٠١ وما بعدها في المخطوطة حتى الورقة ١٥٩ .

الخاتمـــــة

... قال مؤلّفه ، عامَلَهُ الله بلطفه ، ومنّ عليه وعلينا بالعافية لما اعترى بدَنَـهُ النحيل من ضعفِه ، هذا آخر ما تيسَّر جمعُهُ في هذا التأليف المبارك ، جعله الله خالصا لوجهه الكريم ، موصلاً إلى ما لَدَيْهِ من الزُّلْفى والنعيم المقيم ، ونسأله بفضل رحمته إيّانا ، أنْ يُشرِكَنا فيما قَسَم لأوليائِه المؤمنين ، وعباده الصالحين ، من صالح العمل ، وأن يغفر لنا ولهم جميع الخطأ والخَطَل ، والحَوْب والزَّلَل . اللهمّ عُدْ علينا برأفتِك ورحمتِك . فقديما سَتَرْتَ ، وعظيماً غَفَرْتَ ، وكثيراً أمهلْتَ ، وأنت أحقُّ من تمّم ، وأولى من جاد وتكرّم ، وأكرمُ من تفضّلَ وأنعمَ .

اللهمّ نسألك الزيادةَ والسلامةَ في الدين ، والصحةَ في البدن ، والبركةَ في الرّزقِ وحُسْنَ اليقين ، والتوبة قبلَ الموت ، والعافيةَ في الدنيا والآخرة ، يا أرحمَ الراحمين ، يا نورَ السموات والأرض ، يا بديعَ السموات والأرض ، ياذا الجلال والإكرام ، يا صريخَ المستصرخين ، يا منتهى رغبة الراغبين ، ويامفرّجَ كُرَبِ المكروبين ، ويا مجيبَ دعـوةِ المضطَرِّين ، أسألك مسألةَ الضعيفِ الملهوفِ المسكين ، وابتهلُ إليكَ ابتهالَ الذليل ، وأدعوك دعاءَ الخائف الوَجِل ، دعاء من خضعتْ لـك رقبته ، وفـاضَتْ من خشيتك عَبْرَتُه ، وذلّ لك جسدُه ، ورَغِمَ لك أنفُه ، لا تجعلْني اللهمَّ بدعائِك ربِّ شقيّا ، وكنْ بي « رؤوفا »[٣٩١] رحيما .

يا خير المسؤولين ، « تَولَّ »[٣٩٢] أمري بيدِك ، ولا تَكِلْني إلى نفسي طرفَةَ عين ، واجْعلني حسنـةً من حَسَناتـك ، ورحمةً بـين عبادِك ، تَهـدي بها من تشـاءُ إلى صراطٍ مستقيم ، صراطِ الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور .

وكان الفراغ من تأليفه وتعليقِه ، في يوم الاثنين المبارك ، الثالث والعشرين من

---

(٣٩١) في الأصل : « روفا » ، وهو خطأ في رسم الكلمة .

(٣٩٢) في الأصل : « تولّى » ، وهو خطأ في اللغة .

صفر الأغرّ ، من شهور سنة خمس وسبعين وثمان مائة ، ببيتِ المقدس الشريف ، والحمدُ لله ربِّ العالمين أولاً وآخراً ، وباطناً وظاهراً ، وصلّى الله على سيدنا محمد نبيِّ الرحمة ، وشفيعِ الأمة ، وكاشفِ الغُمّة ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ، والتابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ، وحسبُنا الله ونِعْمَ الوكيل ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليِّ العظيم . (م ١٦٩) .

وكان الفراغُ من تعليق هذا الكتاب المبارك في نهار الثلاثاء ، سادس شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، أحسنَ الله خِتامَها وما بعدها بخير ، آمين ، على يد الفقير الواثق بذي الجود والكرم ، عليٍّ ابن العلم المقدسي الحَنَفيّ ، غفرَ الله له ولوالديه ولمالكِ هذا الكتاب ، ولمؤلفِهِ وقارئِهِ ،ولِمَنْ نظرَ فيه ، ولمن رأى فيه عيباً وسَتَرَه ، أو خطأً وأصلَحَهُ وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين . (م ١٧٠) .

انتهى

(م ١٦٩): ١٥٩ ، ١٦٠ .

(م ١٧٠) : ١٦٠ .

● صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة ، المرقمة في زاويتها اليسرى ١٦٠

المخطوطة الحادية عشر

« المستقصى في فضائل المسجد الأقصى »

تأليف

نصر الدين محمد بن محمد العلمي الحنفي

المقدسيّ

كتاب مستقصى في فضائل المسجد الاقصى ٥٠٥ ه

تأليف الامام العلامه والهمام الفهامه

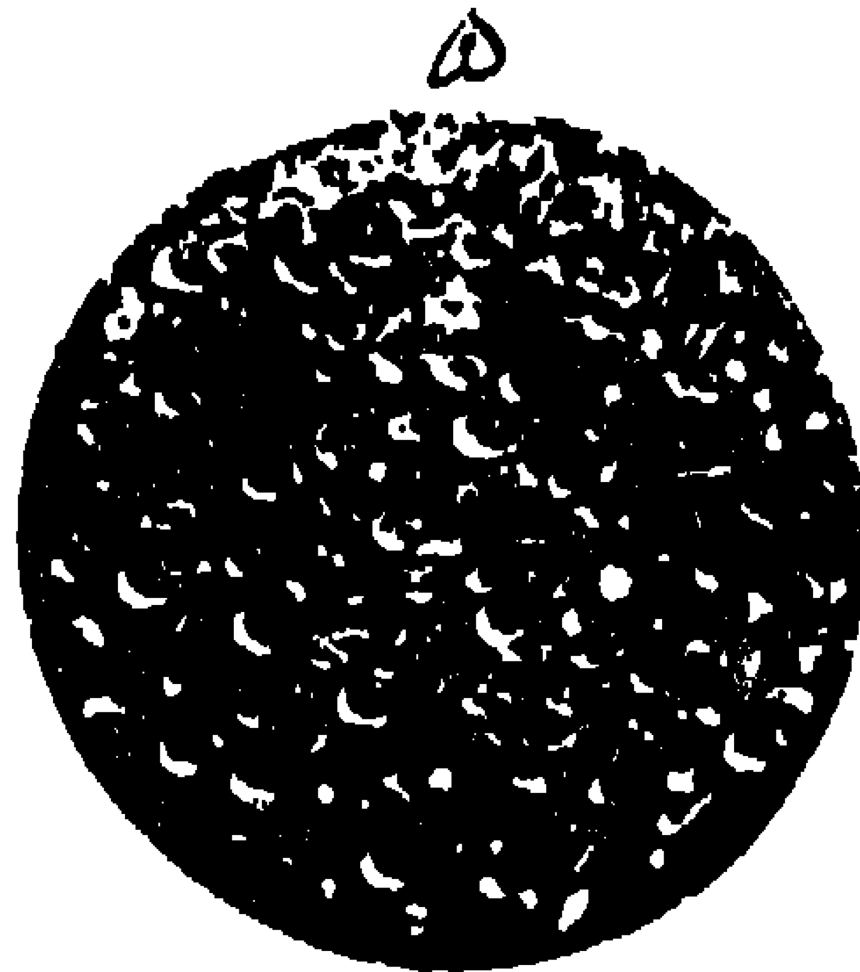
العزيز الاوحد الشيخ نصر الدين محمد بن

محمد العلي الحنفي المقدسي

سقى من الرضا الكاس الاوفى

آمين آمين

٥



٨٨

من كتب التواريخ

● صورة ورقة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

● صورة الورقة الأولى التالية للغلاف

المؤلــــف

على الرغم من أنّ لقب المؤلف ، كما هو مُثْبَت على ورقة غلاف المخطوطة ، هو « نصر الدين » ، إلاّ أن جميع المراجع التي وجدت فيها ذكراً له ولمؤلَّفِهِ موضوع هذه الدراسة ، قد لقبته بـ « ناصر الدين » . ولعل الذين كتبوا اسمه على غلاف مخطوطته قد تجوّزوا في رسم كلمة « ناصر » ، كما يُتَجَوَّزُ أحياناً في حذف الألف من أعلام أخرى مثل « إسحاق : إسحق ، وإبرهيم : إبراهيم » وكلمات مثل : « سموات : سماوات ، ورحمن : رحمان » . .

وقد ذكر إسماعيل باشا البغدادي في كتابيه : « إيضاح المكنون ، في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » و « هديّة العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصَنّفين ، المؤلَّفَ وكتابه ، فقال في « إيضاح المكنون » : « المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » لناصر الدين محمد بن خضر العلمي الحنفي ، فرغ منها سنة ٩٤٨ ، أولها الحمدلله الذي فضّل لسان العرب » الخ . . .[٣٩٣] .

وقال في الثاني : ناصر الدين محمد بن الخضر المقدسي ، المعروف بالعلمي الحنفي المتوفّى في حدود سنة ٩٥٢ هـ . له « المستقصى في فضائل المسجد الأقصى »[٣٩٤] .

وربما ثار تساؤل حول شخصية المؤلف لسببين اثنين : أولهما يتعلق في الفرق بين

---

(٣٩٣) انظر : « إيضاح المكنون ، في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » ، لإسماعيل باشا البغدادي ، منشورات دار المثنى ، بغداد ، المجلد الثاني ، ص ٤٧٨ .

(٣٩٤) انظر : « هديّة العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين » ، تأليف إسماعيل باشا البغدادي ، ط استانبول ١٩٥٥ ، المجلد الثاني ص ٢٤٠ .

سلسلتي النسب كما وردتا على غلاف المخطوطة وفي كتـابي إسماعيـل باشـا البغدادي فالاسم الكامل للمؤلف على غلاف المخطوطة هو : الشيخ نصر الدين محمد بن محمد العلمي الحنفي المقدسي ، في حين أنه في كتابي البغدادي : ناصر الدين محمد بن الخضر المقدسي المعروف بالعلمي الحنفي .

والاختـلاف الأساسي بـين السلسلتين ، يتمثـل في اسم والد المؤلف ، إذ هـو « محمد » في غلاف المخطوطة و « خضر » عند البغدادي . على أنه يحدث كثيرا في كتابات التراث ، أن يُقْفَزَ عن حلقة في سلسلة النسب ، لسبب أو لآخر ، فيغفَل اسم الأب المباشر أو أحد الأجداد ، ويذكرَ اسم الشخص اللاحق في سلسلة النسب . فإذا كان الأمر على هذه الشاكلة ، فربما كان تطابقُ اسم المؤلف مع اسم والده « محمد ومحمد » قد دفع إسماعيل البغدادي لأنْ يتصوّرَ أن اسم « محمد » الثاني ربما كان ضرْباً من التكرار ، فانتقل بنسب المؤلف مباشرةً إلى جَدِّه خضر . ثم إن أوجُه الشبه في حلقات النسب في الروايتين ، هي أكثر بكثير من أوجه الاختلاف ، إذ إن الاختلاف ينحصر في حلقة واحدة فقط ، كما سبق أن أوضحْنا .

أما السبب الثاني في التساؤل ، فيتعلق بالعبارات الواردة في أول المخطوطة . ففي حين أنَّ البغدادي يقول إن أولها : « الحمد لله الذي فضّلَ لسان العرب . . الخ فإن نسخة المخطوطة التي بين أيدينا تحتوي عبارة مختلفة في أولها ، هي : الحمد لله الذي فضّل بعض البقاع على بعض ، وخصّ المسجد الأقصى بالإسراء والمَحْشَر والعَرْض . . »

على أنّ هذا الخلاف ، ينبغي ألا يجعَلنَا نتعجّـل في الحكم ، فنفترض أن ثمـة مخطوطتين مختلفتين لمؤلفَيْن مختلفَيْن . فمن الممكن أنْ يكون المؤلف نفسه ، قد عدّل في مقدمة مخطوطته في وقت لاحق لكتابتها أول مرة . وهذا أمر ممكن جدا ، وعليه أمثله من مخطوطات أخرى . فقد تحدّثَ كراتشكوفسكي مثلا عن اختـلافات واضحـة في نسخ مخطوطة « إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى » لشمس الدين السيوطي ، وقال إنه يمكن إرجاع الاختلاف الواضح بين مخطوطات الكتاب إلى أنّ المؤلف قد أجرى قلمه فيها

بـالتعديـل ، فكان ذلـك بمثابـة إخراج طبعـة ثانيـة للكتاب ، إذا جـاز هـذا التعبـير الحديث[٣٩٥] .

وثمة احتمال آخر في تفسير هذا الاختلاف : هو أنْ يكون الناسخ للنسخة التي بين أيدينا وهو متأخر جدا زمنيا ـ انتهى من كتابة النسخة عام ١٢٤٢ هـ[٣٩٦] ـ قد أضاف بعض العبارات إلى مقدمة المخطوطة ، هذا إن لم تكن النسخة التي نقل عنها تختلف بالفعل عن النسخة التي اطلع عليها إسماعيل البغدادي .

وخلاصة الأمر ، أنَّ من الصعب علينا ، في نطاق المعلومات المتوافرة لدينا ، أنْ نفترض أن مخطوطة « المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » ، التي أُلّفتْ في أواسط القرن العاشر الهجري ، على يد ناصر الدين محمد بن الخضر المقدسي المعروف بالعلمي الحنفي ، هي شيء مختلف عن المخطوطة التي بين أيدينا ، والتي تحمل اسم نصر الدين محمد بن محمد العلمي الحنفي المقدسي ، لمجرد أنَّ ثمة فرقـاً بسيطاً في سلسلتـين من النسب ، وفرقاً في عبارتين من عبارات المقدمة .

والجدير بالذكر أن المراجع التي بين أيدينا ،والتي تحدثت عن المؤلف ومخطوطته ، تحدد تاريخ التأليف بـ ٩٤٨ هـ ، في حين يتفرد مرجع واحد ، هو « هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين » بذكر تاريخ وفاة المؤلف ، ويحدّدُه بعام ٩٥٢ هـ[٣٩٧] . أي أن تأليف الكتاب ووفاة مؤلفه كانا في القرن العاشر الهجري ، في حين يذكر الدكتور كامل العسلي على سبيل الترجيح لا الجزم ، ودون أن يذكر مصدره ، أنّ المؤلف كان من رجال القرن الحادي عشر[٣٩٨] .

إلا أن تاريخ الوفاة الذي أورده إسماعيل البغدادي يتعـذّر قبولـه ، وذلك لأن

---

(٣٩٥) انظر : « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ، جـ ٢ ص ٥١٤ .

(٣٩٦) انظر : نهاية الورقة الأخيرة من المخطوطة .

(٣٩٧) انظر : « هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين » ، مجلد ٢ ص ٢٤٠ .

(٣٩٨) انظر « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، ص ١١٥ .

صاحب المخطوطة يذكر تاريخا لوفاة أحد من ترجم لهم في مخطوطته يتجاوز تاريخ الوفاة الـذي أورده البغدادي ـ ٩٥٢ هـ ، إذ يقـول وهو يتـرجم لأبي العباس أحمـد بن علي الدجاني : « وتوفي طلوع فجر نهار الخميس المبارك سادس عشر من شهر جمادى الآخرة سنة تسع وستين وتسعمائة »[٣٩٩] . وهذا يعني بالضرورة أن مؤلف المخطوطـة كـان حيا بعد التاريخ الذي ذكره البغدادي بسبعة عشر عاماً .

ولا يزيد صاحب « معجم المؤلفين » شيئا على ما ذكره اسماعيل البغدادي في كتابيه عن المخطوطة ومؤلفها ، إذ إنه يذكر اسم المؤلف ونسبه كما في كتابي البغدادي ، ثم يذكر عنوان المخطوطة وتاريخ الفراغ من تأليفها ـ ٩٤٨ هـ[٤٠٠] .

نسخ المخطوطة

النسخة المعروفـة لهذه المخـطوطة ، هي نسخـة مكتبة عـارف حكمت بالمـدينة المنورة ، وتوجد صورة عن هذه النسخة في مكتبة الجامعة الأردنية[٤٠١] .

وصف المخطوطة التي اعتمدت عليها

المخطوطة التي اعتمدتُ عليها ، هي صـورة عن نسخة مكتبـة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وهذه النسخة تحمل الرقم ٣٩٥١ في فهرس المكتبة المذكورة ، ورقم تصنيفها ٢٠٥ / ٩٠٠[٤٠٢] ، ومصوّرة النسخة موجودة في مكتبة الجامعة الأردنيّة ، ومنها حصلت على الصورة التي اعتمدت عليها .

---

(٣٩٩) انظر : المخطوطة : الورقة الأخيرة ، ص ٤٦ .

(٤٠٠) انظر : « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة ، نشر دار المثنى ، بيروت ، جـ ٩ ، ص ٢٨١ .

(٤٠١) انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ص ١١٥ و ١١٦ .

(٤٠٢) انظر : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، ص ١١٦ .

تحتوي المخطوطة ٤٦ ورقة ، وتضم كل ورقة صفحتين ، وفي كل صفحة ٢٣ سطرا وطول الورقة الواحدة ٢٥ سم ، وعرضها ٢٠,٥ سم ، والخط الذي كتبتْ به فارسي ، وهو غير واضح أحيانا ، وقد كتب المؤلف كتابه برسم الوزير العثماني علي باشا ، وأفاض في الثناء عليه ، وتتكون مادة المخطوطة من مقدة مسجوعة متأنقة وعشرة فصول ، ولم تخلُ مجموعة من كلماتها من التحريف .

تبدأ المخطوطة بعد البسملة بـ :

« الحمدُ لله الذي فضّل بعض البقاع على بعض ، وخص المسجدَ الأقصى بالإسراء والحشر والعرض ، وجعله بعد المسجد الحرام أول مسجد وضع على وجه الأرض . . الخ »

وتنتهي بذكر اسم الناسخ ، وبيتين من الشعر الفارسي ، وسنة الانتهاء من النسخ ، كما يلي :

وكان الفراغ من تحرير هذا الكتاب ، على يد الفقير الحقير ، كثير الذنب وقليل الطاعة حاجي داود بلخي :

فرداكه فردوس قيامت بانكاز زر
معلوم شودكه ماكيا نم . . . . .
بركة خواند دعا طمع وآدم زانكه من بنده كونه كارم(٤٠٣)

تمت سنة ١٢٤٢

---

(٤٠٣) ترجمة البيتين ، كما أفاد الدكتور بكار من جامعة اليرموك في الأردن :
غدا ، حين تقوم القيامة (ينفخ في الصور) ، نعرف من نحن.فمن كان يتعبد ، فإنه لا شك يطمع في شيء ،أمّا أنا ، العبد الفقير ، فلا ، لأنني مذنب ! إلاّ أن ثمة اختلافا في ترجمة هذين البيتين ، يبدو أن سببه اضطراب في صياغتها اللغوية . هذا ، وقد أَطْلَعْتُ البرفسور روي متحدة من جامعة برنستون ، حينما كنت في تلك الجامعة ، وهو من أصول إيرانية ، على البيتين ، فرأى فيهما خَلَلاً لغويا ، وعندما أصلحه ، كانت ترجمته للبيتين كما يلي - وهي قريبة من ترجمة الدكتور بكار : « غدا عندما يأتي فردوس القيامة ، فسيُعْرَف مَنْ نحن ، وإنني لأرجو من الذي يتلو الدعاء أنْ يتذكر أنني عبدٌ مذنب من عبيد الله » .

المختار من المخطوطة

المقدمـــة

الحمدُ لله الذي فضَّلَ بعض البقاع على بعض ، وخص المسجد الأقصى بالإسراء والحشر والعرض ، وجعلَهُ بعد المسجد الحرام أول مسجد وضع على وجه الأرض ، واختار لعبادته مواطن لإقامة السُّنَن والفرض . أحمدُهُ سبحانه وتعالى إذْ جعلَنا جيران هذا المسجد الأقصى ، ونعم الجار الطاهر ، وأجرى لزوّاره جزيل الثناء والثواب الوافر ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادةً أدَّخِرها عوناً لليوم الآخر . وأشهدُ أن سيدَنا محمداً ﷺ عبدُه ورسولُهُ المبعوث للأوائل والأواخر ، ﷺ وعلى آله وأصحابه البحار الزواخر ، وسلّم تسليما .

وبعد ، فهذا مختصر لطيف ، لخصتُهُ عَجِلاً فيما يتعلق بالأماكن والزيارات بالمسجد الأقصى وما حوله ، برسم واسطة عِقْد نظام العلم ، وزُبدة بني آدم ، مدبِّر الممالك بحسن تدبيره ، واختيار سلطان الروم والعرب والعجم ومشيره ، من أذعنَ لأمره الجمهور ، وساعده في مراده القَدَرُ المقدور ، وظهرَ العدلُ والإحسانُ في زمانه وفشا ، « حضرة »(٤٠٤) الوزير الأعظم ، والليثِ العَرَمْرَم ، مولانا علي باشا ، أدام الله له ذروة العلياء تختا وسريرا ، وجعل له من لَدُنْهُ سلطاناً ونصيرا .

ورتّبتُهُ على ديباجةٍ وعشرة فصول ، والتزمتُ ألّا أخرج فيه عن الوارد والمنقول ، وهاكها مجملة معدودة ، وسنتكلم عنها مفصّلة مسرودة :

الفصل الأول : في بدء بناء الكعبة الشريفة ومن بناها .

الفصل الثاني : في ذكر بناء المسجد الأقصى الشريف المقدس ، الذي هو على التقوى مؤسس .

---

(٤٠٤) في الأصل : « حضرت » ، وهو مخالف للرسم المتعارف عليه للكلمة .

الفصل الثالث : في ذكر بناء الصخرة الشريفة وفضلها ، والأماكن المعيّنة للزيارة .

الفصل الرابع : في ذكر قبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقبور أولاده وأزواجه وذكر قبر يوسف عليه السلام .

الفصل الخامس : في ذكر سيدنا موسى عليه السلام وموضع قبره .

الفصل السادس : في ذكر الأماكن التي يستجاب فيه الدّعاء (م ١٧١)

الفصل السابع : في ذكر فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس .

الفصل الثامن : في فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس وما حوله .

الفصل التاسع : في ذكر فضائل بيت المقدس .

الفصل العاشر : في ذكر الأولياء المدفونين حول بيت المقدس . (م ١٧٢) .

الفصل الثالث

في ذكر بناء الصخرة الشريفة وأفضلها

[المادة الموردة تحت هذا الفصل ، لا تكاد تختلف عن المادة التي أوردها أبو المعالي المشرّف بن المرجّى المقدسي في مخطوطته التي كانت أول مخطوطة اخترناها ، ولذا فلا داعي للتكرار][٤٠٥] (م ١٧٣) .

ذكر فتح سيدناعمر رضي الله عنه بيت المقدس وما حدث من النصارى بعد فتح سيدنا عمر رضي الله عنه

فأقول ، وبالله التوفيق ، بويع لعمر رضي الله عنه بالخلافة في اليوم الذي مات فيه

---

(٤٠٥) : المؤلّف .

(م ١٧١) : ١   (م١٧٣) : ٦ ، ٧   (م ١٧٢) : ١

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو أولُ من سُمِّيَ بأمير المؤمنين . وأما نَسَبُهُ ، فهو أبو حفص ، عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبدالعُزّى بن رباح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب . وفي كعب ، يجتمع نسبه مع نسب النبي ﷺ ، القرشي العدَوِيّ . وأولُ خطبة خطبها قال :

أيها الناس : والله ما فيكم « أحدٌ »(٤٠٦) أقوى من الضعيف عندي حتى آخذ الحق له ، ولا أضعفُ عندي من القويّ حتى آخذ الحق منه » .

ثم أول شيء أمر به ، أنْ عزل خالد بن الوليد عن الأمرة ، وولّى أبا عبيدة بن الجراح على الجيش والشام ، وأرسل بذلك إليهما ، فإنهما كان قبل وفاة أبي بكر رضي الله عنه في وقعة اليرموك وفرغا منه وقصدا دمشق . فلما ورد عليهما كتاب عمر بن الخطاب ، سار أبو عبيدة ، ونازل دمشق من جهة باب الجابية ، ونزل خالد بن الوليد من جهة الباب الشرقي ، ونزل عمرو بن العاص من جهة باب توما ، ويزيدُ بن أبي سفيان من جهة الباب الصغير ، إلى باب كيسان ، وحاصروهم قريبا من سبعين ليلة وفتح خالد ما يليه بالسيف ، فخرج أهل دمشق ، وبذلوا الصلح لأبي عبيدة من الجانب الآخر ، وفتحوا له الباب ، فأمّنهم ، ودخل والتقى مع خالد بن الوليد في وسط البلد ، وبعث أبو عبيدة بالفتح إلى عمر . ثم فتح بعد دمشق حمص ، بعد حصار طويل ، ثم فتح حماة صلحا وكذلك المعرة ، ثم اللاذقية عنوة ، وجَبَلة وانطرسوس ، ثم حلب وانطاكية ، ومنبج و « بلادا »(٤٠٧) أخرى ، منها قيسارية وسبسطية ، ويقال إن فيها قبر زكريا و (قبر)(٤٠٨) يحيى ، ولُدّ ويافا ، وتلك البلاد جميعها ، حتى دخلت سنة « خمس عشرة »(٤٠٩) (م ١٧٤) من الهجرة الشريفة .

---

(٤٠٦) في الأصل : « أحدا » ، وهو خطأ لغة .

(٤٠٧) في الأصل : « بلاد » ، وهو خطأ لغة .

(٤٠٨) ساقطة ، ويقتضيها السياق .

(٤٠٩) : في الأصل « خمسة عشر » وهو خطأ لغة .

(م ١٧٤) : ٢٨ .

[ما تبقى مما أورده المؤلف تحت هذا الفصل ، لا يكاد يختلف عن المادة الموردة في مخطوطة أبي المعالي ، المشرّف بن المرجّى المقدسي : « فضائل البيت المقدس والخليل عليه الصلاةوالسلام وفضائل الشام » ، وفي مخطوطة عبدالرحيم بن علي القرشيّ : : « مفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس » ، ولذا فإنه لا داعي إلى الإعادة](٤١٠) .

ذكر استيلاء الفرنج على بيت المقدس بعد الفتح العمري

فأقول ، وبالله التوفيق ، لما فتحَ الله تعالى البيتَ المقدّسَ على يد أمير المؤمنين ، عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، ثم على يد عبدالملك بن مروان(٤١١) ؟ وغيره كما سبق شرحُه ، « استمرّ »(٤١٢) بأيدي المسلمين من حين الفتح العمري في سنة « خمس عشرة »(٤١٣) للهجرة الشريفة ، إلى سنة « اثنتين »(٤١٤) وتسعين وأربعمائة في خلافةالمستظهر بالله العبّاسيّ خليفة بغداد ، وكان لُبْثُهُ بأيدي المسلمين أربعمائة سنة وسبعا وسبعين سنة . وكان الفاطميون قد تغلّبوا على بني العباس ، وادعوا الخلافة بالمغرب أواخر سنة ست وتسعين ومائتين ، في أيّام المقتدر بالله ، جعفر العباسي ابن القاهر ، واستولوا على الديار المصريّة والشاميّة ، ومكة واليمن ، وبيت المقدس ، وأولُهُم عبيدُ الله المهديّ بالله الذي ينتسبون إليه ، ثم ابنه القائم بأمر الله ، ثم ابنه المنصور بنصر الله ، ثم ابنه المعزّ لدين الله باني القاهرة على يد القائد جوهر الكاتب الروميّ ، فإنه جهّزَه من الغرب لأخذ الديار المصريّة ، فأخذها سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة ،

(٤١٠) : المؤلف .

(٤١١) لا أرى أن المؤلف يعني أن عبدالملك قد فتح القدس ، وإنما هو يشير في الأرجح إلى ما خلّفه فيها من آثار باقية ، إذ إنه باني مسجد قبة الصخرة .

(٤١٢) في الأصل : واستمر ، ولا مكان لحرف العطف هنا .

(٤١٣) في الأصل : « خمسة عشر » ، وهو خطأ لغة .

(٤١٤) في الأصل : « اثنين » ، وهو خطأ لغة .

(م ١٧٥ : ٢٨ ـ ٣٣ .

و « بنى »[٤١٥] القاهرة والجامعَ الأزهر ، ثم أرسلَ يستدعي مخدومَهُ المعزّ لـدين الله ، فحضر إلى القاهرة واستوطَنَها في شهر رمضان سنة « اثنتين »[٤١٦] وستين وثلاث مائة ، واستمرّ إلى أنّ توفي بها في سنة خمس وستين وثلاث مائة ، وهو الذي تنسب إليه القاهرة المعزّية .

ثم استقرّ بعده في الخلافة بمصر ابنُه العزيز بالله ، ثم ابنُه المنصور الحاكم بأمر الله ، . ثم ابنُه الظاهر لإعزاز دين الله ، ثم ابنُه المستنصر بالله ، . . . . ثم ابنه المستعلي بأمر الله ، فلما آل الأمـر إلى المستعلى بـأمر الله ، وكـانت وفاة أبيـه في سنة سبـع وثمانـين وأربعمائة ، وولي الأمر بعد أبيه بالديار المصرية ، وكان لتدبير دولته الأفضلُ شاهنشاه ، ابن بدر (م ١٧٦) الجمالي أمير الجيوش في أيام المستعلي بأمر الله ، اختلفتْ دولتهُم ، وضعف أمرهم وانقطعتْ من أكثر مدن الشام دعوتُهم ، فانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك والفرنج ، وكان مدبّر دولته الأفضل قد استولى (على)[٤١٧] بيت المقدس من « سقمان »[٤١٨] ، وكان الفاطميّون يخافون من الإفرنج فلا يطيقون مقابلتهم ، بخلاف الدولة الأيوبيّة .

فلما دخلت سنة تسعين وأربعمائة ، سار الفرنج ونهضوا بأسلحتهم . فلما دخلت سنة « اثنتين »[٤١٩] وتسعين وأربعمائة ، قصد الإفرنج إلى الشام ، وأخذوا إنطاكية ، وحصل بينهم وبين المسلمين وقعات حروب ، وولّى المسلمون هاربين ، « وتهيأ »[٤٢٠]

---

(٤١٥) في الأصل : « بنا » ، وهو مخالف لما هو متعارف عليه من رسم الكلمة .

(٤١٦) في الأصل : « اثنين » ، وهو خطأ لغة .

(٤١٧) ساقطة ، ويقتضيها السياق وتركيب الجملة .

(٤١٨) في الأصل : « شعبان » وهو تحريف شديد أمّا سقمان هذا ، فهو سقمان بن أرتق ، الأمير السلجوقي الذي تولى القدس بعد وفاة والده سنة ٤٨٤ هـ ، وبقيت في يده إلى أن تسلّمها منه الوزير الفاطمي الأفضل سنة ٤٨٩ . (انظر : الأنس الجليل » ، جـ ١ ص ٣٠٥) .

(٤١٩) في الأصل : « اثنين ، وهو خطأ لغة » .

(٤٢٠) في الأصل : « تهيئوا » ، وهو خطأ لغة .

(م ١٧٦) : ٣٣ - ٣٤ .

الفرنج لبيت المقدس ، وهم نحو ألف ألف[٤٢١] مقاتل لعنهم الله ، وحاصروا القدس الشريف نيفا وأربعين يوما وملكوه في ضحى الجمعة ، لسبع بقين من شعبان سنة « اثنتين »[٤٢٢] وتسعين وأربعمائة.ولبثَ الفرنج يقتّلون من المسلمين بالقدس أسبوعاً ، وقُتِل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألف نفس ، منهم جماعة كثيرة من أئمّة المسلمين وساداتهم وعُبّادهم وزُهّادهم ، وغنموا ما لا يقع عليه الحصر ، وجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم حَصَروا جميعَ من في القدس من المسلمين بداخل المسجد الأقصى الشريف ، واشترطوا عليهم أنَّهم متى تأخروا عن الخروج بعد ثلاثة أيام ، قُتِلوا عن آخرهم . فشرع المسلمون في الإسراع والمبادرة إلى الخروج ، فمن شدّة ازدحامهم بأبواب المسجد ، قُتِل منهم خلق لا يحصيهم إلا الله تبارك وتعالى . وأخذ الفرنج من عند الصخرة الشريفة ألفين وأربعين « قنديلا »[٤٢٣] من فضة ، زنة كل منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، و « تنّورا »[٤٢٤] من فضة ، وزنُهُ أربعون رِطلاً بالشامي ، (م ١٧٧) وثلاثة وعشرين قنديلاً من ذهب .

وهُزِم الأفضل أمير الجيوش بظاهر عسقلان أقبحَ هزيمة . (وكان)[٤٢٥] عند الفرنج شاعرٌ منتجعٌ إليهم ، فقال لملِكِ الإفرنج واسمه صنجلي[٤٢٦] :

---

(٤٢١) هذا رقم ضخم ، ولكنه يتوافق مع رواية ابن كثير . (انظر « البداية والنهاية » لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ط دار الفكر العربي جـ ١٢ ص ١٥٦) .

(٤٢٢) في الأصل : « اثنين » ، وهو خطأ لغة .

(٤٢٣) في الأصل : « قنديل » ، وهو خطأ لغة .

(٤٢٤) في الأصل : « تنور » ، وهو خطأ لغة .

(٤٢٥) ساقطة : ويقتضيها السياق .

(٤٢٦) هو ريموند سنت جيل Raymond of Saint Gilles قائد الجيش الفرنجي الذي هزم الأفضل قرب عسقلان وليس ملك الإفرنج في القدس ، بل هو كونت تولوز Coukn of Toulouse مؤسس أسرة الفرنج الحاكمة في طرابلس (انظر حسين أحمد أمين « الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها » ص ٣٩) .

(م ١٧٧) : ٣٤ .

نَصَـرْتَ بسـيفِـك دينَ المسـيـح فـلّلهِ دَرُّكَ مـن صـنـجـلـي
ومـا سـمـعَ الـنـاسُ فـيـمـا رأوْا بـأقـبـحَ مـن كَـسْـرةِ الأفـضَـلِ

فتوصّلَ الأفضل إلى ذبح هذا الشاعر .

وذهب الناس على وجوههم هارعين إلى العراق ، ووصل المستنفرون إلى بغداد في رمضان مستغيثين إلى الخليفة والسلطان ، ومنهم القاضي بدمشق أبو سعيد الهَرَويّ . واجتمع أهل بغداد في الجوامع ، واستغاثوا وبَكَوا ، حتى إنهم أفطروا من صومهم من عظم ما جرى عليهم ، وندب الخليفة ببغداد ، وهو المستظهر بأمر الله العباسي ، الفقهاءَ إلى الخروج إلى البلاد ، ليحرّضوا الملوك على الجهاد ، و « ساروا »(٤٢٧) في الناس ، فلم يُفِدْ ذلك شيئا ، فإنا لله ، وإنا إليه راجعون . ووقع الخُلْفُ بين السلاطين ، فتمكّنَ الإفرنج في البلاد ، وانزعجَ المسلمونَ في سائر ممالك الإسلام بسبب أخذ بيت المقدس غاية الانزعاج . . . (٤٢٨) .

واستمرّ بيتُ المقدس ، وما جاوره من السواحل بيد الإفرنج « تسعا »(٤٢٩) وتسعين سنة ، ولم « يُرَ »(٤٣٠) في الإسلام مصيبة أعظم من ذلك ، وعجز ملوك الإسلام عن انتزاعه منهم ، حتى أذن الله سبحانه وتعالى وقدّرَ لفتحه على يد من اختاره من عباده سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (م ١٧٨) .

الفصل الثامن : في فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس وما جاوره

[القسم الأكبر من المادة المدرجة تحت هذا الفصل موجودة في كتب التاريخ وفي

(٤٢٧) في الأصل : « وصاروا » ، وهو تحريف .

(٤٢٨) ما تبقى من عبارات ، يتعلق بمحاولة الفرنج احتلال مصر ، وهو خارج عن موضوع فضائل القدس .

(٤٢٩) في الأصل : « تسع » ، وهو خطأ لغة . والواقع أن القدس لم يبق في يد الفرنج إلا إحدى وتسعين سنة ، إذ إنهم احتلوا سنة ٤٩٢ هـ ، واستعاده صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ .

(٤٣٠) في الأصل : « يرى » وهو خطأ لغة .

(م ١٧٨) : ٣٤ .

كتاب « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » لبهاء الدين بن شداد ، وفي كتاب « الفتح القسي في الفتح القدسي » للعماد الأصفهاني ، وفي كتاب « الروضتين » لأبي شامة ، وفي « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » ، لمجير الدين الحنبلي وغيرها من الكتب المطبوعة ، ولذا لم أجدْ كبير فائدة في إثباتهاهنا، وإنما اقتصرت على مادة تُقَدِّمُ بعض تفصيلات مفيدة عن فتح القدس وما تلا ذلك](٤٣١) .

فتح بيت المقدس الذي هو على النصارى موئس

ثمّ رحل السلطان من عسقلان إلى القدس الشريف ، وسمع خبرَه من بالقدس ، فاشتد رعبهم ، وكان بها من مقدمي الفرنج ، البطرك الأعظم(٤٣٢) ، ومن « كلتا »(٤٣٣) الطائفتين : الأسبتار والداوّية(٤٣٤) ، فضاقت بهم منازلهم ، فأخذوا في تدبير منازلهم وأنفسهم ، وأيِسوا وصاروا في « هرج ومرج »(٤٣٥) ، واشتدّ بهم الكرب . وأقبل السلطان بعساكر الإسلام وهو في أبهّته وهيئته المُرْهِبة ، ونزل على القدس من جهة الغرب يوم الأحد خامس عشر رجب ، سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وكان في القدس الشريف حينئذ ستون ألف مقاتل ، قد وقفوا دون البلد للمقاتلة ، وقاتلوا أشدَّ القتال ، واستمر الحرب بين الفريقين ، فانتقل السلطان يوم الجمعة ، العشرين من شهر رجب إلى الجانب الشماليّ وخيّم هناك ، وضيّق على الإفرنج ، ونصبَ المجانيق ، ورمى بها حتى تهدّم غالب السور . (م ١٧٩) ثم أخذ المسلمون في نقب السور مما يلي وادي جهنم . واشتدّ القتال ، وتباشر أهلُ الإسلام بالفتح ، وكان يوما عسيرا ، على الكافرين غير يسير . فبرز

---

(٤٣١) المؤلف .

(٤٣٢) في الأنس الجليل ، زيادة على العبارة الموردة : « وكان بها من مقدَّمي الفرنج باليان بن بارزان ، والبطرك الأعظم » . (انظر جـ ١ ص ٣٢٨) .

(٤٣٣) في الأصل : « كلى » ، وهو خطأ لغة .

(٤٣٤) هما تنظيمان عسكريان دينيّان للفرنج « ويطلق عليهما بالإنجليزية اسما : Hospitalers: Templers

(٤٣٥) في الأصل : « هوج موج » ، وما أثبتناه مطابق لما في « الأنس الجليل » . (انظر جـ ١ ص ٣٢٨) .

(م ١٧٩) : ٣٥ وما بعدها حتى ورقتي ٣٨ ، ٣٩ .

من الإفرنج ابن بارزان ، ليطلب الأمان من السلطان ، فلم يجبْه إلى ذلك . وقال : لا آخذها إلاّ بالسيف ، مثل ماأخذها الفرنج من المسلمين . فتعرّضوا للتضرُّع ، وعاودوه في طلب الأمان ، وعرفّوه ماهم عليه من الكثرة ، وأنهم إن أيسوا من الأمان ، قاتلوا خلاف ذلك ، ولا « يُجْرَحُ »(٤٣٦) أحد منهم حتى يجرح عشرة ، ويخرّبوا الدور ، وقبة الصخرة الشريفة ، ويقتلوا كل من عندهم من أسارى المسلمين ، وهم ألوف ، ويعدموا ما عندهم من الأموال ، وكذلك الذّراري . فعقد السلطان مَحْضَراً للمشورة ، وأحضر أكابر دولته وأكثر عساكره . وشاورهم في الأمر ، ودار الكلام بينهم ، وأجمع رأيهم على الصلح ، على أن يؤديَ كلّ من بها من الرجال عشرة دنانير ، ومن النساء خمسة ، ويؤدّى « عن الطفل »(٤٣٧) « ديناران »(٤٣٨) ، وأيّ من عجز عن الأداء ، كان أسيرا . فأجاب الإفرنج إلى ذلك ، « وبذل »(٤٣٩) ابن بارزان ثلاثين ألف دينار على الفقراء ، وسلّموا يوم الجمعة قبيل الظهر ، وقت الصلاة ، السابع والعشرين من شهر رجب على هذا الشرط ، ولم تتفق صلاة الجمعة يومئذ لضيق الوقت .

وكان فيه أكثر من مائة ألف إنسان من الرجال والنساء والصبيان ، وأُغْلِقَتْ أبواب المدينة ، ورتِّبَ النواب لعَرْضهم واستخراج المال منهم ، ووُكِّل بكل باب أمير ومقدّمٌ كبير ، ليضبط من يدخل ويخرج . فمن أدّى ما عليه ، تمكّن من الخروج ، ومن لم « يؤدِّ »(٤٤٠) ، قعدَ في الحبس . وحصل التفريطُ من العمال ، وشرعوا يواطئون الفرنج ، وذلك لارتشائهم منهم . فمنهم من دُلِّيَ من السور بالحبال ، ومنهم من ظَهَرَ(٤٤١) مختفيا ، ومنهم من وقعتْ فيه شفاعة . وكان في القدس ملكة مترهبّة ، ولها مال كثير ،

---

(٤٣٦) في الأصل : « يجرج » ، وهو تصحيف .

(٤٣٧) في الأصل : « ومن الطفل » . ، وما أوردناه أصح ، وهو موافق لما في « الأنس الجليل » . (انظر جـ ١ ص ٣٢٨) .

(٤٣٨) في الأصل : « دينارين » ، وهو خطأ لغة .

(٤٣٩) في الأصل : « ودخل » . ولا معنى له ، وما أثبتناه موافق لما في « الأنس الجليل » (انظر جـ ١ ص ٣٢٩) .

(٤٤٠) في الأصل : « يؤدي » ، وهو خطأ لغة .

(٤٤١) بمعنى خرج .

فمنّ عليها السلطان بالإخراج ، ولم يتعرّض منها إلى شيء . وكانت زوجة (م ١٨٠) الملك المأمور ابنةَ الملك ، فخلَصَتْ بمن معها ومن تَبَعَها ، وكذلك الابرنساسة[٤٤٢] أمّ هنفري أعفيت من الوزن[٤٤٣] . واستطلَقَ صاحبُ البيرة[٤٤٤] زهاء خمسمائة أرمني ، ذكر أنّهم من بلده ، وأنّهم حضروا للزيارة ، وطلب مظفر الدين ألف أرمنيّ ادعى أنّهم من « الزُهّاد »[٤٤٥] ، فأطلقهم السلطان . وكان السلطان قد رتّبَ عدة دواوين ، في كلّ ديوان منها عدّة من النواب : المصريين منهم والشاميين . فمن أخذ من أحد الدواوين خطّاً بالأداء ، انطلق مع الطلقاء ، بعد عرض خطه على من بالباب من الأمناء والوكلاء ، وحصل من الأمناء مواطأة واختلاس[٤٤٦] كبير ، ومع ذلك ، حصل لبيت المال ما يقارب مائة ألف دينار ، وبقي جماعة من الإفرنج في الأسر ، لعدم القيام بما عليهم .

ذكر يوم الفتح

واتفق فتح بيت المقدس في يوم كان في مثل ليلة معراج النبي ﷺ . ورُفعتْ أعلامُ الإسلام على « أسواره »[٤٤٧] ، وجلس السلطان للقاء الأكابر والأمراء والمتصوّفة والعلماء ، وهو جالس على هيئة التواضع ، عليه الأبّهةُ والوقار . وقد ظهر السرور على أهل الإسلام بنصرتهم على عدوهم المخذول ، وزُيّنتْ بلاد الإسلام لفتح بيت المقدس ،

---

(٤٤٢) أي الأميرة .

(٤٤٣) أي من وزن الدنانير المطلوبة مقابل السماح لمن يؤديها بالخروج من القدس بسلام .

(٤٤٤) البيرة : بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية ، وهي (زمن ياقوت) ، قلعة حصينة ولها رستاق واسع . (انظر : معجم البلدان ط بيروت ، جـ ١ ص ٥٢٦)

(٤٤٥) هكذا هي الكلمة في « الأنس الجليل » . (انظر جـ ١ ص ٣٢٩) ، وهي غير مقروءة في المخطوطة .

(٤٤٦) في الأصل : « اختلاف » ، وهو غير متسق مع مقتضى السياق . وما أثبتناه مطابق مافي « الأنس الجليل » (انظر جـ ١ ص ٣٢٩) .

(٤٤٧) في الأصل : « أسراره » ، وهو تحريف .

(م ١٨٠ : ٣٩ .

وتسامع الناس بهذا النصر والفتح ، فوفدوا للزيارة من سائر البلاد . وأما الإفرنج فشرعوا في بيع أمتعتهم واستخراج ذخائرهم ، وباعوا بالهوان . وتقاعد الناس في الشراء ، فابتاعوا بأرخص الأثمان . وكان كل ما(٤٤٨) يساوي عشرة دنانير ، يباع بأقل من دينار . وأخذوا(٤٤٩) مافي كنائسهم من أواني الذهب والفضة والستور ، وجمع البطرك ما كان على القبر من صفائح الذهب ، وجميع مافي كنيسة قماقة . وما (م ١٨١) أصيب الفرنج من حين خرجوا إلى الشام في سنة تسعين وأربعمائة وإلى الآن بمصيبة مثل هذه الوقعة .

ووصل المستنفرون من الإفرنج إلى أقصى البلاد ، وأقاموا الشنّاع(٤٥٠) والغوغاء في بلادهم ، ومثّلوا صورةَ المسيح بن مريم ، وصورة النبي ﷺ ، وبيدِهِ عصا وهو يقصِد المسيحَ ليضربه ، والمسيحُ منهزم منه . واشتدَّ ملوكهم ، وجهّزوا العساكر لقصد بلاد الإسلام ، ومحاربة الملك الناصر صلاح الدين ، رحمه الله تعالى .

ولما استقرّ بيتُ المقدس مع المسلمين ، سأل النصارى في الإقامة ببذل الجزية وأن يدخلوا في الذمة ، فأجيبوا إلى ذلك . ولما تسلّمَ السلطان القدس الشريف ، أمرَ بإظهار المحراب ، وكان الإفرنج قد « بَنَوْا »(٤٥١) في وَجهه جدارا ، وتركوه خَرِباً ، وقيل اتخذوه مستراحا « وبَنَوا » غربي « القبلة داراً وسيعة وكنيسة . فهُدِم ما قدّام المحراب من الأبنية ، ونُصِب المنبر ، وأُظْهِرَ المحراب الشريف ، ونُقِضَ ما أحدثوه بين السواري ، وفُرِش المسجدُ الأقصى بالبسط ، وعُلِّقَتْ فيه القناديل ، وكان يوما مشهودا ظهر فيه عزّ الإسلام ، وعلت كلمة الإيمان . . .

---

(٤٤٨) في الأصل « كلما » ، وما أثبتناه أنسب للمعنى الذي وردت فيه هاتان الكلمتان .

(٤٤٩) الضمير في « أخذوا » يعود إلى الإفرنج .

(٤٥٠) الشناع : قد يكون « شناع » من مصادر شنع ، بمعنى قبح ، ومنه قول عاتكة بنت عبدالمطلب :

سائل بنا في قومنا وَلْيَكْفِ من شرّ سماعُه
قيساً وما جمعوا لنا في مجمَعٍ باقٍ شناعُه

(لسان العرب : مادة شنع) .

(٤٥١) في الأصل : « بنو » ، وهو خطأ في رسم الكلمة المتعارف عليه في زمننا .

(م ١٨١) : ٣٩ ، ٤٠ .

وأما الصخرة الشريفة ، فقد كان الفرنج بنوا عليها كنيسة ومذبحا ، وجعلوا فيها الصور والتماثيل ، فأمر السلطان بكشفها ونقض البناء المحدَث فيها ، وعادت كما كانت ، ورتب لها إماماً حسن القراءة ، ووقف عليها دارا وأرضا ، وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات شريفة ، ورتّب للصخرة الشريفة والمسجد الأقصى خدمة . ثم شرع السلطان في عمارة المسجد الأقصى ، وأمر بترخيم محراب المسجد الأقصى ، وكتب عليه بالفصوص المذهبة ما قراءته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمرَ بتجديد هذا المحراب المقدس ، وعَمارةِ المسجدِ الأقصى الذي أسّسَ على التقوى ، مولى عبدِالله ووليُّه ، يوسفُ بنُ أيوّب أبو المَظفّر ، الملكُ الناصرُ صلاحُ الدين ، عندما فَتَحَهُ[٤٥٢] اللهُ تعالى على يديه ، في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وهو يسأل الله تعالى شكرَ هذه النعمة ، وإجزال حظّه من المغفرة والرحمة » (م ١٨٢) .

وشرع ملوك بني أيوّب في فعل الآثار الجميلة بالمسجد الأقصى ، منهم الملك العادل سيفُ الدين أبو بكر ، أخو السلطان . (وأمّا)[٤٥٣] الملك المظفر تقيُّ الدين عمر بن شاهنشاه ، فإنه فعل فعلا حسنا ، وهو أنه حضر في قبّة الصخرة الشريفة مع جماعة ، وتولّى بيده كنسَ أرضها ثم غَسَلها بالماء مرارا ، ثم أتبعَ الماءَ بالماء ورد ، وطهّر حيطانها ، وغَسلَ جدرانها وبخّرَها ثم فرّق مالاً عظيماً على الفقراء . وكذلك الملك الأفضل نور الدين عليّ ، عمّر المسجدَ الأقصى ، ورخّم قبةَ السلسلة ، وأوقفَ المدرسةَ الأفضلية . وكذلك الملك العزيز عثمان ، فعل فيه أنواعا من الخير والبِرّ ، ووضع الأسلحةَ برسم المجاهدين في سبيل الله تعالى .

وأمّا الملكُ الناصر صلاح الدين ، (فقد)[٤٥٤] أمر بإحضار المنبر من مدينة

---

(٤٥٢) في الأصل : «فتح » ، وما أثبتناه هو ما يتطلبه تركيب الجملة ، وهو مطابق لما في « الأنس الجليل » (انظر جـ ١ ص ٣٤٠) .

(٤٥٣) ساقطه ، ويقتضيها السياق .

(٤٥٤) ساقطة في الأصل ، ويقتضيها السياق وتركيب الجملة .

(م ١٨٢) : ٤٠ .

حلب ، وجعله في المسجد الأقصى مصنوعا من العاج والأبنوس والصفائح الغربية ، الغربية ، لم يُرَ في مملكة الإسلام مثلُه ، وهو الموجود في عصرنا هذا إلى الآن(٤٥٥) .

وكذلك الملك الصالح قلاوون ، فإنه فعل فعلا حسنا ، وأمر بتذهيب قبة الصخرة الشريفة وقبة المسجد الأقصى الشريف ، وكذلك في مسجد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام . وابنه محمد بن قلاوون ، فعل فعلا عجيبا حسنا كفعل أبيه الملك المجاهد (. . . .)(٤٥٦) .

وملوك الشراكسة إلى الملك الأشرف ، « أبي »(٤٥٧) النصر قايتباي ، فإنه بنى مدرسةَ القدس الشريف ، وليس في القدس الشريف مثلُها ، وكذلك المسجدَ الأقصى(٤٥٨) ، وسبَّل القناة(٤٥٩) ، حتى انتهى الأمر إلى « حضرة »(٤٦٠) مولانا السلطان الأعظم ، والخاقانِ المكرَّم (م ١٨٣) مالك رقاب الأمم ، أوحدِ من عَدَل (وحكم)(٤٦١) ، سلطان الروم والعربِ والعجم ، السلطان سليمان بنِ السلطان سليم خان ، فإنه نصرهُ اللهُ تعالى ، وجعَل في حياته للمسلمين البركة ، استقرَّ في السلطنة بعد وفاة والده في حادي عشرَ شهر شوال المبارك ، سنة ست وعشرين وتسعمائة ، وتوفي والده السلطان سليم خان ، طاب ثراه في سابع شوال من السنة المذكورة .

اللهمَّ تمِّمْ بدولته البسيطة ، وأحسِنْ عن الدين الحنيفي جزاءه ، وأشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه . اللهمَّ أبقِ للإسلام مهجته ، وأنْشُر في المشارق والمغارب

---

(٤٥٥) بقي هذا المنبر قائما ، إلى أن أحرقه الصهاينة عام ١٩٦٩ م (المؤلف) .

(٤٥٦) كلمة غير مقروءة .

(٤٥٧) في الأصل « أبو » ، وهو خطأ لغة .

(٤٥٨) لا يمكن أن يقصد المؤلف أن الملك المملوكي قد بنى المسجد الأقصى ابتداء ، ولابد أن يقصد أن هذا الملك قد قام بترميمات وإضافات إلى المسجد الذي بناه الأمويون أصلا .

(٤٥٩) سبّل القناة : أي جعل ماءها مباحا لاستعمال الناس جميعا في سبيل مرضاة الله .

(٤٦٠) في الأصل : « حضرت » ، وهو مخالف لرسم الكلمة المتعارف عليه .

(٤٦١) ساقطة ، وتقتضيها فاصلة السجع .

(م ١٨٣) : ٤٠ ، ٤١

دعـوته ، اللهم ذلّـلْ به معـاطس الكفار ، « وأرغم »(٤٦٢) بـه أنوف الأرفـاض(٤٦٣) والفجّار ، وثبّتْ سرايا جنودِهِ في « سائر »(٤٦٤) الأقطار . اللهـمَّ ارزقْهُ المُلْكَ الأبـدي الذي لا ينفدُ في دار المتقين ، وأجِبْ دعاءه في قولك :﴿ رب أوزعني أنْ أشكرَ نعمتك التي أنعمتَ عليّ وعلى والديّ ، وأدخِلْني برحمتك في عبادِك الصالحين(٤٦٥) ﴾. فَلْنذكُر طرفاً من فعله الجميل في بيت المقدس ، والمسجد الأقصى الشريف :

أولُ ذلك ، فعلُه الجميل بإجراء قناة السبيل من بُرَك المرجيع(٤٦٦) ، ومسافتها عن بيت المقدس نصفُ بريد(٤٦٧) . وأمّا من رأس ينبوع الماء إلى المسجد الأقصى ، فهي مقدارُ بريد . وصُرِفَ عليها من الأموال شيءٌ جزيل . وبعده « السور »(٤٦٨) الذي حول المسجد الأقصى (م ١٨٤) ، وسبك ما علاه من الرصاص والخشب وغيره ، وكذلك تجديد الرخام حول الصخرة الشريفة والجامات(٤٦٩) ، وكذلك قصارة المسجد الأقصى الشريف في سنة تسع وثلاثـين(٤٧٠) ، وإلى الآن لم تنفكّ العمـارةُ منه . ومن غـريب الاتفـاق، أنْ يسّر الله تعـالى عمارة المسجـد الأقصى الشريف على يد ثلاثة(٤٧١) ملوك

---

(٤٦٢) في الأصل : « وارغب » ، وهو خطأ في النسخ .

(٤٦٣) الأرفاض : الأرجح أن المؤلف قصد الروافض ، أي الذين يرفضون خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، رضي الله عنهم .

(٤٦٤) في الأصل : « سبيل » ، ولا تنسجم مع معنى العبارة . وما أثبتناه أكثر انسجاما مع المعنى .

(٤٦٥) الآية ١٩ من سورة « النمل » .

(٤٦٦) المرجيع : بركتا المرجيع ، مع بركة ماملا ، تكوّن البُرَك الثلاث التي كانت خارج مدينة القدس . وكانت بركتا المرجيع تستعملان خزائن للماء لأهل بيت المقدس وتقع البركتان بالقرب من قرية أرطاس ، وكان ينتفع بها من خزن الماء الواصل من قناة السبيل إلى القدس الشريف . (أنظر : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » ، جـ ٢ ص ٥٩) .

(٤٦٧) البريد : فرسخان . (لسان العرب : مادة برد) .

(٤٦٨) في الأصل : « صور » ، وهو خطأ في رسم الكلمة ، كما هو متعارف عليه في زمننا .

(٤٦٩) الجـامات : جمع جام ، كما يرى ابن الإعرابي ، والجام إناء من فضة ، عربيّ صحيح . (لسان العرب : مادة جوم) .

(٤٧٠) المقصود طبعا سنة تسع وثلاثين وتسعمائة هجريّة .

(٤٧١) في الأصل : « ثلاث » ، وهو خطأ لغة .

(م ١٨٤ : ٤١)

« سليمـانـات »[٤٧٢] : أولهم سليمـانُ بنُ داود عليـه السـلام ، الثـاني سليمـانُ بن عبدالملك[٤٧٣] ، الثالث سليمانُ بن سليم . وهذه نعمة عظيمة ، ومنّة جسيمة ، يجب الشكرُ عليها . وقد انتهى ذلك ، والله أعلم . (م ١٨٥) .

الفصل التاسع : في فضائل المسجد الأقصى وبيت المقدس الشريف

وفيه القدس مقدّسٌ في السماء ، بمقداره في الأرض . . . بيت المقدس بلد محفوظ وهي أرض المحشرَ والمنشرَ . ونزول القرآن ببيت المقدس . . . وصلى النبي ﷺ زمانا إلى بيت المقدس . . .

ولو شرعنا نتكلم على ما ورد من الأحاديث والتفاسير في فضائل بيت المقدس ، لضاقَ عنه هذا المقام . ولكن زبدة ما ذكر ، نقلناه وحرّرناه ، والله تعالى نسأل أن لا يحرمنا من مجاورة بيت المقدس ، إنه ولي الإجابة ، والقادر على ذلك . (م ١٨٦) .

الفصل العاشر : في ذكر عظماء الأولياء المدفونين حول بيت المقدس ، رضي الله تعالى عنهم ، ونفعنا بهم

أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشيّ :

فأقول ، وعليه أتوكّل ، سيّدي وليُّ الله تعالى ، قطبُ الأقطاب ، فخرُ العباد ، وشيخُ السادة الزهّاد ، الشيخ « أبو »[٤٧٤] عبدالله ، محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشيّ

---

(٤٧٢) في الأصل : « سليمانيات » ، ولعل ما أثبتناه أقرب إلى الصحة في جمع سليمان .

(٤٧٣) لا نعرف أنّ لسليمان بن عبدالملك دورا أساسيا في عمارة المسجد الأقصى ، ولعل الأمر لم يزد عن ترميمات وإضافات ، إذ أن باني المسجد الأقصى هو أخوه الوليد بن عبدالملك ، وباني مسجد قبة الصخرة هو والده عبدالملك بن مروان .

(٤٧٤) في الأصل : « أبي » ، وهو خطأ لغة .

(م ١٨٥) : ٤١

(م ١٨٦) : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣

الأندلسيّ . كان هذا الشيخ من أولياء الله العارفين ، وله التصريف النافذ ، واليد البيضاء في علوم المشاهدة . وهو الذي قال : كُشِف لي عن حقائق القرآن العظيم ، واطّلَعْتُ على أسراره . ونقلَتْ مناقبَهُ أكابرُ السادات ، كابن عربي في فتوحاته ، والإمام اليافعي(٤٧٥) في مصنفّاته ، وابن عباد(٤٧٦) في شرح الحِكَم ، وكثير منهم . وتلمذَ له خلقٌ كثير ، مثل محيي الدين بن عربي ، وأبي العباس أحمد البوني(٤٧٧) ، والإمام الحافظ السُّهْرَوَرْدِيّ(٤٧٨) ، وأبي الحسن (م ١٨٧) الشاذلي(٤٧٩) وغيرهم . وكان يحضر مجلسَهُ

---

(٤٧٥) اليافعي : هو عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي عفيف الدين ، مؤرخ باحث متصوف من شافعية اليمن ، مولده ونشأته في عدن . توفي في مكة سنة ٧٦٨ هـ . وكان مولده سنة ٦٩٨ هـ . ومن كتبه : « مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان » . (انظر : « الأعلام » ، جـ ٤ ص ١٩٨) .

(٤٧٦) ابن عبّاد : هو محمد بن إبراهيم بن عبدالله الحميري الرّندي أبو عبدالله المعروف بابن عباد . متصوف باحث من رندة في الأندلس ، تنقّل بين مدن المغرب . واستقر خطيبا للقرويين بفاس ، وتوفي فيها . من كتبه : « غيث المواهب بشرح الحكم العطائية » ، و « شرح أسماء الله الحسنى » . ولد سنة ٧٣٣ وتوفي سنة ٧٩٢ هـ . (انظر : « الأعلام » جـ ٦ ص ١٩٠) .

(٤٧٧) البوني : هو أحمد بن علي بن يوسف أبو العباس البوني ، صاحب المصنَّفات في علم الحروف ، متصوّف مغربي الأصل ، نسبته إلى بونة بأفريقية على الساحل . توفي في القاهرة . له كتاب : « شمس المعارف ولطائف العوارف في علم الحروف والخواص » ، توفي سنة ٦٢٢ ، (انظر : « الأعلام » ، جـ ١ ص ١٦٩) .

أقول : أشك في أن البوني تلمذ مباشرة للقرشي ، لأن القرشي توفي قبله بثلاث وخمسين سنة .

(٤٧٨) السُّهْرَوَرْدِيّ : هو عبدالقاهر بن عبدالله السهروردي ، الصوفي القدوة الواعظ الفقيه الشافعي . كان إماما في الشافعية ، وعَلَمًا في الصوفية . ويرجع نسبه إلى أبي بكر رضي الله عنه . بنى ببغداد رباطا ومدرسة ، ودرّس في النظامية . توجه إلى الشام لزيارة القدس ، فلم يتفق له ذلك لانفساخ الهدنة بين المسلمين والفرنج ، فأقام في دمشق مدة يسيرة ثم رجع إلى بغداد ، ولد سنة ٤٩٠ هـ وتوفي سنة ٥٦٣ هـ (انظر : « شذرات الذهب » ، جـ ٤ ص ٢٠٧ وما بعدها) .

(٤٧٩) أبو الحسن الشاذلي : هو عليّ بن عبدالله الشاذلي المغربي ، أبو الحسن ، رأس الطريقة الشاذليّة ، من المتصوّفة ، وصاحب الأوراد المسمّاة « حزب الشاذلي » سكن شاذلة في تونس ، فنُسِب إليها ، ورحل إلى بلاد المشرق ، فحج ودخل العراق ثم سكن الإسكندرية ، وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحجّ ، وكان ضريرا . ولد سنة ٥٩١ هـ وتوفي سنة ٦٥٦ هـ (انظر : « الأعلام » جـ ٥ ص ١٢٠) . وأقول : لا يمكن أن يكون الشاذلي قد أخذ مباشرة عن القرشي المترجم له كما توحي بذلك عبارة صاحب المخطوطة ، لأن القرشي ، توفي سنة ٥٦٩ هـ ، أي قبل ولادة الشاذلي باثنتين وعشرين سنة .

(م ١٨٧) : ٤٣ .

الشيخ أبو مَدْيَن شعيب(٤٨٠) ويُجِلُّهُ ويكرّمُهُ وكان يقول : ما رأيتُ أحداً يذكر الله تعالى مثل لسان هذا القرشيّ . وقال : الناس كلّهم ينسبون القرشيّ إليّ ، والله لقد انتفعتُ به أكثرَ مما انتفعَ بي . وتردّد الخلق بأسْرهم إلى زيارته ، وكان الشيخ (عبد)(٤٨١) القادر الجيلي ،(٤٨٢) قدّس الله سرَّه العزيز ، يقول : كلّ الأولياء أُعْطُوا بالكيل ، إلا القرشي ، أُعْطِيَ جُزافاً . ورد من مصر لزيارة بيت المقدس ، ومات به في السادس من ذي الحجة ، سنة تسع وستين وخمسمائة ، والدعاء عند قبره مستجاب ، لاشك ولا ريب فيه .

أبو عبدالله محمد المكناسي :

الشيخ الإمام العالم الكبير ، ذو الكرامات الظاهرة والأحوال الخارقة ، « أبو »(٤٨٣) عبدالله محمد المكناسي البصري . هذا الشيخ من الأولياء العظام ، وظهر له كرامات في بلاد المغرب ومصر والشام ، وقُصِدَ بالنذور من كل قطر ، وكان يقرأ القرآن حتى قيل له : الناس أكثروا فيك من كثرة قراءة القرآن ، فما تقرأ في اليوم والليلة ؟ قال : أنا لا أضبِطُ ، ولكنْ ثَمَّ من ضبط أني قرأتُ في اليوم والليلة مائة وثلاثين ختمة . ذكر ابن

(٤٨٠) أبو مَدْيَن شعيب : هو أبو مدين الأندلسي الزاهد العارف ، شيخ أهل المغرب شعيب بن الحسين . سكن تلمسان ، وكان من أهل العمل والاجتهاد ، عابدا متنسكا بعيد الصيت . سمّاه محيي الدين بن عربي شيخ الشيوخ . تخرّج به جماعة من الفضلاء ، وانتهى إليه كثير من العلماء المحققين ، وفضلاء الصالحين ، كابن عربي . طلبه سلطان المغرب . فلمّا وصل إلى تلمسان ، لم يستجب لطلب السلطان ، ومات فيها بُعَيْدَ وصوله ، وقد قارب الثمانين ، وذلك سنة ٥٩٠ هـ ، وقبره في تلمسان مشهور مزور . (انظر : « شذرات الذهب » ، جـ ٤ ص ٣٠٣) .

(٤٨١) ساقطة في الأصل .

(٤٨٢) الجيلي : هو الشيخ عبدالقادر بن أبي صالح الجيلي الحنبلي المشهور الزاهد ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي ، صاحب الكرامات ، وشيخ الحنابلة ، قدم بغداد ، وسمع الحديث . ولد بجيلان سنة ٤٩١ هـ ، وتوفي سنة ٥٦١ هـ . كان إمامَ زمانه وقطبَ عصره وشيخَ الشيوخ في وقته بلا مدافَعة . روى عنه أبو سعد السمعاني وآخرون ، صحب الشيخ أحمد الدبّاس ، وأخذ عنه علم الطريق (التصوّف) . وصنّف في الفروع والأصول . (انظر « فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبي ، تحقيق إحسان عبّاس ط صادر ، بيروت ، مجلد ٢ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤) .

(٤٨٣) في الأصل : « أبي » ، وهو خطأ لغة .

خلكان في تاريخه : ورد إلى زيارة بيت المقدس من الغرب ، وأراد العـودة ، فأدركتـه المنية ، فمات به في عاشر شوال المبارك في ست وخمسين وستمائة ، ودفن بجبّانة ماملاّ وقبره يزار . (م ١٨٨) .

الشيخ سعد الأندلسي :

الشيخ الإمام و (. . .)[٤٨٤] الهُمام ، والأسدُ الضرغام ، صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الخارقة . الشيخ سعد الأندلسي ، مات بالقدس الشريف ، ودفن بجانب جبل المكبِّر من القبلة وقبره ثَمَّ يزار . وكانت وفاته في حدود الستمائة .

الشيخ عنبر :

سيدي ، ولي الله تعالى ، القطب الغوث الشيخ أحمد بن أبي بكر بن حسن الشهير بعنبر ، المشهور بالولاية حتى قال : رأيت القيامة ورأيت الخلق فيها ، ورأيت البرزخ ، وكيف حال الموتى فيه . ورأيت رجلا كان يرفو[٤٨٥] لي فسألتُ عنه وعن حالِه ، فقيل لي إنه قد مات . قدم لزيارة بيت المقدس ومات به ليلة الأربعاء ، الثامن « والعشرين »[٤٨٦] من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، ودفن بقرب قرية بقيع الضان ، وقبرُه ثَمَّ يُزار .

الأمير جرّاح :

سيدي وليّ الله تعالى ، الشيخ الكبير الأمير جراح ، من الأولياء المشهورين بالزهد

---

(٤٨٤) الكلمة شبه مطموسة وغير مقروءة .

(٤٨٥) « يرفو » : وهي أقرب شيء إلى رسم الكلمة في المخطوطة . ورفأ الثوب أو رفاه : لأم خرقه وضمّ بعضَه إلى بعض ، وأصلح ما وهَىٰ منه . (لسان العرب : مادة رفا ، ورفأ) .

(٤٨٦) في الأصل : « والعشرون » ، وهو خطأ لغة .

(م ١٨٨) : ٤٣ ، ٤٤

والورع ، وله كرامات ظاهرة بالقدس الشريف ، مات في الفتح « الصلاحي »[٤٨٧] شهيدا ، ودُفِن ظاهرَ القدس على الطريق السلطانيّ ، وأظنّ أن وفاته سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة[٤٨٨] .

الشيخ أبو العباس أحمد الشهير بأبي زيتون :

سيّدي ولي الله تعالى ، الدّال عليه الجامع بين الشريعة والحقيقة ، قطب زمانه ، صاحب الكرامات الظاهرة ، والأحوال الخارقة ، الشيخ « أبو »[٤٨٩] العباس أحمد ، الشهير بأبي زيتون ، مات بالقدس الشريف سنة « إحدى »[٤٩٠] وستمائة ، وقبره بجبلِهِ المعروف بأبي زيتون (م ١٨٩) . وكان « حضرة »[٤٩١] قطب العارفين ، الشيخ أحمد الدجاني مجاوراً عنده وفُتِحَ[٤٩٢] عليه عند قبره ، ثم رحل إلى القدس الشريف ، ونزل بالسيد داود[٤٩٣] عليه السلام ، بإذن السلطان ، نصَرَهُ الله .

الشيخ حامد :

سيدي وليّ الله تعالى ، الشيخ العارف حامد « أخو » الشيخ أحمد ، كان من الأولياء المشهورين بالعلم والعمل والزهد والورع . قدم من مصر إلى زيارة بيت المقدس ، ومات

---

(٤٨٧) في الأصل : « الصلاح » ، وهو خطأ في النقل .

(٤٨٨) لا داعي للظن بالنسبة إلى سنة الوفاة ، إذا كان الرجل قد توفي فعلا في الفتح الصلاحي ، إذ إن الثابت أن هذا الفتح كان سنة ٥٨٣ هـ .

(٤٨٩) في الأصل : « أبي » ، وهو خطأ لغة .

(٤٩٠) في الأصل : « أحد » وهو خطأ لغة .

(٤٩١) في الأصل : « حضرت » ، وهو خطأ في الرسم .

(٤٩٢) فتح عليه : بمعنى أن الله قد يسر له العلم والمعرفة ودله عليها وفتح له بابها . وكلمة « الفتح » بهذا المعنى هي من تعبيرات الصوفية .

(٤٩٣) السيد داود : أي حيّ النبي داود في مدينة القدس .

(م ١٨٩) : ٤٤ .

به سنة « إحدى » وستماثة ودفن بقرية الجيب[٤٩٤] ، وقبره ثم يزار .

الشيخ قيمر :

سيدي ولي الله تعالى والدالّ عليه ، الأمير الكبير ، المجاهد الشهيد قيمر ، له كرامات ظاهرة ، قدم لزيارة القدس الشريف ، وتوفي به . ولم أطّلعْ له على تاريخ ، وعلى قبره قبة ببناء مُحْكَم .

الشيخ أحمد :

سيّدي وليُّ الله تعالى والدالُّ عليه ، السيد الجليل ، والعالم المفيد ، صاحب الأحوال الظاهرة المشهورة ، الشيخ أحمد . قدم لزيارة بيت المقدس ومات به سنة عشر وستمائة ، ودفن بقرية قلونية[٤٩٥] ، وقبرُهُ بها يزار .

الشيخ بدر بن محمد بن يوسف :

وسيّدي وليُّ الله تعالى العارفُ والدالُّ عليه ، والعارفُ به ، السيد الحسيب الشريف ، الشيخ بدر بن محمد بن يوسف بن يعقوب بن مطر ، « أخو »[٤٩٦] السيد تاج العارفين (م ١٩٠) ، « أبي »[٤٩٧] الوفاء محمد لأبيه . وكان سيّداً قطبا عازما متمكنا ، خضعت له رقاب أولياء زمانه ، وزارته الوحوش والسباع وترددتْ إلى زيارته وزيارة

---

(٤٩٤) الجيب : قرية في فلسطين بين بيت المقدس ونابلس . (انظر معجم البلدان ط بيروت : جـ ٢ ص ١٩٦) .

(٤٩٥) قلونية : قرية في فلسطين على بعد ٨ كيلومترات شمال غربي القدس ، على طريق يافا . (انظر : بلادنا فلسطين » لمصطفى الدباغ ، جـ ٨ ، قسم ١ ص ١٠٩ ـ ١١٠) .

(٤٩٦) في الأصل : « أخي » ، وهو خطأ لغة .

(٤٩٧) في الأصل : « أبو » ، وهو خطأ لغة .

(م ١٩٠) : ٤٤ ، ٤٥

أولاده المدفونين بضريح شرفات(٤٩٨) ، ومرّغتْ وجوهَها عند باب ضريحِهِ(٤٩٩) . وله كلام عالٍ عند أهل الحقيقة . قدم لزيارة بيت المقدس ، ومات به في سنة خمسين وستمائة . وقبره بزاويته بواد النسور ، وهو مقصود للزيارة .

الشيخ شمس الدين محمد بن بدر :

سيّدي وليّ الله تعالى والدالُّ عليه ، القطْبُ العارف المتمكن ، « أبو »(٥٠٠) العباس ، أحمد الثوريّ ، الملقّب بالكبريت الأحمر ، لقلة وجود مثله في زمانه . ومن كراماته أنه كان يخدِمُهُ الثور ، ويكتب ورقة يعلقها في قرنه « في »(٥٠١) الزنبيل(٥٠٢) ، فيذهب إلى المدينة إلى دكان رجل كان « يتعاطى »(٥٠٣) مصالح الشيخ ، فيشتري ما كَتب الشيخ ، ويُعلّق الزنبيل في قرنه ، ويجيء إلى « حضرة »(٥٠٤) الشيخ بالحاجة . قدمَ من بغداد لزيارة بيت المقدس ، ومات به ، وقبره بالجبل المعروف بدير أبي ثور « معروف عند الناس بقبر الثوري ، والدعاء عند قبره مستجاب ، ترياق مجرب »(٥٠٥) ولم أطّلِعْ على وفاته .

السيد أحمد ، الملقّب « وَجَدْنا » :

سيّدي وليّ الله تعالى السيد أحمد الملقّب بـ « وَجَدْنا » ، والسببُ في ذلك ، أنَّ

(٤٩٨) شرَفات : قرية في فلسطين ، تقع جنوب غربي القدس ، على مسيرة كيلو متر واحد من بيت صفافا . (انظر : « بلادنا فلسطين » ، جـ ٨ قسم ٢ ص ١٧٥ ومابعدها) .

(٤٩٩) أثبتنا هذه العبارة من أجل الأمانة في النقل ، على الرغم ما تتضمنه من مخالفة للمألوف .

(٥٠٠) في الأصل : « أبي » ، وهو خطأ لغة .

(٥٠١) في الأصل : « والزنبيل » ، وما أثبتناه أقرب إلى ما يقتضيه السياق والتركيب اللغوي .

(٥٠٢) الزنبيل : الجراب ، وقيل الوعاء يحمل فيه . (لسان العرب) .

(٥٠٣) في الأصل : « يتعاطا » ، وهو خطأ في الرسم .

(٥٠٤) في الأصل : « حضرت » ، وهو خطأ في الرسم .

(٥٠٥) العبارة ، كما وردت في النص كانت كما يلي : « والدعاء عند قبره مستجاب ، ترياق مجرب معروف عند الناس بقبر الثوري » . وقد غيّرنا في ترتيب أجزاء العبارة ، لكي يستقيم المعنى وتنتظم مفرداتها في أماكنها الصحيحة ، وفق النسق اللغوي السليم .

إنساناً كان ماراً يوم الجمعة وهو يقرأ سورة الكهف ، فوصل عند قوله : ﴿ ووجَدُوا ما عَمِلوا حاضِرا(م١٩١)ولا يظلِمُ ربُّك أحدا﴾(٥٠٦) ، فأجاب من القبر بصوت عال : « وَجَدْنا ، وَجَدْنا ، وَجَدْنا ! حتى سمعَهُ ذلك الرجل »(٥٠٧) مات بالقدس الشريف في سنة عشر وسبعمائه ، وقُبِرَ بما ملاّ ، وقَبْرُهُ مشهور ، عليه أحجار كبار . وحُكي أنّ بعض الناس أخذوا الأحجار التي على قبره ، ونَقَلَها إلى مكان آخر ، فأصبح وجدَها على القبر كما كانت(٥٠٨) ، فَعُدَّ ذلك من كراماته .

الشيخ محمد المعروف بأكّال الحيّات :

سيّدي وليّ الله تعالى والدالّ عليه ، الشيخ العابد الصالح محمد ، المعروف بأكّال الحيّات وغيرها .كان من كبار الأولياء العارفين وممن تنقلب له الأعيان . فكان يأكلُ الحيّات وغيرَها من الهوام . . . وظهرت له كرامات ومكاشفات . وحكي عنه أنه كان يُرى على جبل عرفات مع الحاج ، ويصبح يصلي عيد الأضحى في القدس الشريف(٥٠٩) . توفيَ سنة « اثنتين »(٥١٠) وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بباب الرحمة ، وإلى جانبه دُفِن الشيخُ العالم الكبير ، الشيخ ماجد(٥١١) ؟ المصري .

الشيخ شهاب الدين الرمّلي :

سيّدي وليّ الله تعالى ، الشيخ العالم الكبير ، العظيم الشأن ، صاحب المصنّفات المفيدة والمؤلفات الجيدة ، القطب الغوث ، الشيخ شهاب الدين أحمد بن أرسلان

(٥٠٦) الآية ٤٩ من سورة « الكهف » .

(٥٠٧) أثبتنا هذه الرواية التزاما بالأمانة في النقل ، كما سبق أن ذكرنا في أمثالها .

(٥٠٨) كما في الملاحظة السابقة .

(٥٠٩) كما في الملاحظتين السابقتين .

(٥١٠) في الأصل : « اثنين » ، وهو خطأ لغة .

(٥١١) الكلمة غير واضحة ، وهذه أقرب قراءة لرسمها .

(م ١٩١ : ٤٥)

الرملي . رحلَ من الرملة لزيارة القدس الشريف ، ومات به في نصف شعبان سنة أربع وأربعين وثمان مائة ، ودُفِن عند الشيخ أبي عبدالله القرشي ، وثَمَّ قبرُهُ يزار ، والدعاءُ بين قبريهما مستجاب .

أبو العباس أحمد بن علي الدجاني :

سيدي وليّ الله تعالى ، العارف به ، الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد الورع ، قطبُ زمانه في أيامه ، أبو العباس ، أحمد بن علي بن حسن بن ياسين الدجاني الشافعي . كان من أولياء (م ١٩٢) الله تعالى المشهورين ، و« نبلاء »[٥١٢] المحققّين . تردّدت الخلائق إلى زيارته ، وقُصِد بالزيارة من كلّ قُطْر ، وكانت الملوك تأتي لزيارته . رحل من جبل أبي زيتون بالأمر السلطاني السليماني ، ونزل بالسيد داود عليه السلام بالقدس الشريف ، وتوفيَ طلوعَ فجرِ نهار الخميس المبارك ، سادس عشر من شهر « جمادى الآخرة »[٥١٣] ، سنة تسع وستين وتسعمائة ، ودفن بتربة ماملّا بالقرب من الشيخ أبي عبدالله القرشي ، رحمه الله تعالى ، وقدّس سرّه العزيز . (م ١٩٣) .

---

(٥١٢) الكلمة غير واضحة ، وهذه أقرب قراءة لرسمها .

(٥١٣) في الأصل : « جماد الآخر » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(م ١٩٢) : ٤٥ ، ٤٦ .

(م ١٩٣) : ٤٥ ، ٤٦ .

الخاتمـــة

وهذا هو ما تيّسّرَ من أخبار بيت المقدس وسيدنا الخليل والكليم ، عليهم من الله أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم . فإني اجتهدت في تحرير ما نقلته ، وتتبعت التراجم والأوراق ما استطعت ، فلم أظفرْ بغير ما نقلتُه . فما كان فيه من صواب ، فَمِنَ اللهِ ، وما كان فيه من خطأ ، فمن شأن الإنسان . « والمأمولُ »(٥١٤) عدَمُ المؤاخذة بما فيه من الخطأ ، وإصلاحِ ما يمكن إصلاحُه . ونسأل الله تعالى أن لا يعاملَنا بما نستحقّه ، ويتفضل علينا بِمَنِّهِ وجودِهِ . تمت .

وكان الفراغ من تحرير هذا الكتاب على يد الفقير الحقير ، كثير الذنب وقليل « الطاعة »(٥١٥) حاجي داود بلخي .

فرداكه فردوس قيامت بانكاز زر معلوم شودكه ماكيا نم . . .
بركه خواند دعا طمع وادم زانكه من بنده كونه كارم(٥١٦)

تمت سنة ١٢٤٢ (م ١٩٤) .

(٥١٤) في الأصل : « المثمول » ، وهو مخالف لرسم الكلمة المتعارف عليه .

(٥١٥) في الأصل : « الطاعت » ، وهو مخالف لرسم الكلمة المتعارف عليها .

(٥١٦) ترجمة البيتين ، كما سبق أن ذكرنا وحسبما أفاد الدكتور يوسف بكار من جامعة اليرموك في الأردن .

غدا حين تقوم القيامة (ينفخ في الصور) ، نعرف من نحن ،
فمن كان يتعبد ، فإنه لا شك يطمع في شيء . أما أنا
العبد الفقير ، فلا ، لأنني مذنب .

وقد أعطى الأستاذ الدكتور مختار الدين أحمد رئيس قسم اللغة العربية بجامعة علي كره الإسلامية في الهند ، ترجمة فيها اختلاف عن الترجمة السابقة للبيتين ، عندما التقيت به في عمان في شهر نيسان ١٩٨٤ ، إذ قال في ترجمة البيت الأخير : « اطلب ممن يقرأ هذا الكتاب أن يدعو لي ، لأنني مذنب » ، في حين أعطى البروفسور روى متحدة من جامعة برنستون ترجمة أخرى سبق أن أوردناها .

(م ١٩٤) : ٤٦ .

من قطر وكانت الملوك تأتي لزيارته رحل من جبل ابن زيتون
بالأمر السلطاني السليماني ونزل بالبيت ودعا ودعا له السلام بالقدس
الشريف وتوفي طلوع فجر نهار الخميس المبارك سادس عشر شهر جمادى الآخر
سنة تسع وستين وثمانماية ودفن بتربة ماملا بالقرب من الشيخ
أبي عبد الله القرشي رحمه الله تعالى وقدس سره العزيز وهذا آخر
ما تيسر ذكره من أخبار بيت المقدس وسيدنا الخليل والنبيين

عليهم من الله أفضل الصلاة
وإني اجتهدت في اجتهادي في تحريرها
ونقله وتتبعت الراجح والأدوار في
ما استطعت فلم أظفر بغير ما نقلته فما كان
فيه من صواب فمن الله وما كان فيه
من خطأ فمن شأن الإنسان ومسؤول عدم
المؤاخذة بما فيه من الخطأ وإصلاح ما
يمكن إصلاحه وأسأل الله تعالى أن
لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بمنه
وجوده ومنه وكان الفراغ من تحرير
هذا الكتاب على يد فقير الحقير كثير الذنب
وقليل الطاعة حاجي داود بلي
زاده فوز سعادت باذكار زند
معلوم شود ما كتابتم . . .
... خواند دعا طمع دارم از آنكه من بنده كوته كارم
تمت
١٢٤٣

● صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة

الخاتمـــــة

تساءل الذين حقّقوا بعضاً من كتب فضائل القدس من قبل ـ أو الـذين أجروا دراسات على هذه الكتب ـ ، عن الحوافز التي حفزت مؤلفيها لأن يؤلفوها ، ولا سيما أن الكتابة في فضائل القدس ، لم تكن أمراً عابراً مرتبطاً بفترة زمنية واحدة . وإذا كنا قد حاولنا الإجابة عن هذا التساؤل في أولى صفحات هذا الكتاب ، فقد يجدر أن نكرر هنا ، أنَّ الجو التعبُّديَّ الذي يُحِسُّه قارىء كتب الفضائل في متونها ومقدماتها وخواتمها على السواء ، يوحي بأن الحافز الأول على الكتابة فيها ، إنما كان حافزا دينيّاً تعبّدِياً قبل كل شيء ، وإذا كان ارتباط العلم بالعبادة ، خصيصةً معروفة من خصائص العلم الإسلامي والكتابات الإسلامية في جميع فروع المعرفة ، فإن هذا الربْط يبدو واضحاً بصورة خاصة في كتب فضائل القدس ، حتى إن التأليف فيها اتخذ أحياناً شكل نَذْر يَنْذِرُه المؤلف ، إذا هو حقق أمنية عزيزة عليه ، كما هي الحال بالنسبة إلى شمس الدين السيوطي ، وكتابه « إتحاف الأخِصّا بزيارة المسجد الأقصى » ، الذي أَلّفَهُ وفاءً بنَذْر نذره إذا يسر الله له زيارة القدس . فلا عجب إذن ، أن تنجلي من خلال مادة كتب الفضائل ، الصورةُ الإسلاميّة للمدينة المقدسة ، كما تراءت للمسلمين عَبْرَ العصور المتلاحقة . ولعلّ إدراك المسلم المعاصر لهذه الصورة ، من شأنه أن يقيم بينه وبين المدينة رابطةً قويةً مبنيّةً على المعرفة العميقة لهُويَّتها الإسلاميّة التي لازمَتْها دون انقطاع ، منذ أن دَخَلَها الخليفة عُمرُ وأصحابه قبل أربعة عشر قرناً ، وحتى يومنا هذا .

وقد حَرِصْنا في هذه الدراسة ، على أن نوردَ من الأقوال والآراء حول مدينة القدس ، ما يَمثّل وجهات نظر متباينة ، حتى ولو كانت بعض هذه الأقوال والآراء متناقضة تماماً مع ما نؤمن به ، وذلك لأننا مطمئنون إلى أنَّ الحقائق الثابتة حول الهوية الإسلامية للمدينة ، كفيلةٌ بدحض أيّما تصوّرات مبنيّة على الأهواء ، حتى ولو وضعت هذه التصوراتُ في قالب له سمة الأكاديمية . ولعل ترجمةً مأمولة لهذه الدراسة إلى لغة

أجنبية ، تجعل من إيراد الآراء المخالفة الصادرة عن الآخرين ، شيئاً أوقع في نفس القارئ الأجنبي ، الذي يُلِحّ دائماً على أن يقف على وجهتي النظر فيما يتعلق بالقضايا المعروضة عليه .

ولن يفوت قارئَ هذا الكتاب ، أن يلاحظ كثرةَ الباحثين الذين تَصدُّوا لكتب فضائل القدس ، دراسةً أو تحقيقاً أو ترجمةً ، ممَّنْ ينتمون إلى عقائد وحضارات وبيئات مختلفة ، حتى إن الباحثين العرب ، لَيَبْدون أقلّيّة ضئيلةً بين مجموع الباحثين . وفي ذلك دلالة لا تخفى على أن مدينة القدس ، كانت وما تزال ، تستقطب اهتمام الباحثين في بقاع تتعدى البقعة الجغرافية التي توجد فيها المدينة . وقد لا نغالي إذا قلنا إن مدينة القدس قد أُجْرِيَتْ عليها من الدراسات ذات الصبغة العالَميّة ، مالم يُجْرَ على أية مدينة إسلامية أخرى .

وإذا كان المعنيّون بكتب فضائل القدس ، قد عبّروا عن عنايتهم بهذه الكتب من خلال تحقيق نصوص منها ، أو من خلال إجراء دراسة عليها ، فقد توخَّيْنا في هذا الكتاب ، الجمعَ بين الأمرين معا ، وذلك بتحقيق نصوص من عدد كبير من مخطوطات الفضائل ، وبإجراء دراسة نقدية تحليلية على هذا النوع من المؤلّفات ، في الإطار الشمولي العام ، وذلك بتبيان أنماطها وخصائصها وطرائق كُتّابها في تناول موادهم وأساليبهم في عرضها . ولعل النصوص المحققة التي يضمها القسم الثاني من هذا الكتاب تمثّل شواهد تطبيقية على ماوُصِفَتْ به كتب الفضائل في الدراسة التي أجريتْ عليها في القسم الأول من الكتاب ، وهي دراسة بُنيتْ في الدرجة الأولى على محتويات المخطوطات الموجود فعلاً بين أيدينا ، لأنّ الحكم على أيّما نِتاج أدبي أو فكري ، ينبغي أن يقومَ على النظر في المادة المنتَجة نفسِها ، وليس على وصف الآخرين لها .

ومن الأمور التي تكشف عنها مخطوطاتُ فضائل القدس بجلاء ، أنّ هذه المدينة كانت موضع اهتمام علماء المسلمين في نطاق واسع يتجاوز أيّما حدود جغرافية ، مما يدل على أن المسلمين لم ينظروا إليها في أيّ حقبة ، باعتبارها مدينةً أمويّة أو عباسيّةً أو فاطمية أو أيوبية أو عثمانية . . إلى آخر الدول الإسلامية التي كانت المدينة تتبعها من الناحية

السياسيّة عبر العصور ، بل كانت دائما تعتبَرُ مدينةً إسلاميّةً في المفهوم الشمولي الواسع الذي ينتظم العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه .

وقد تبينّ كذلك ، من خلال ما كتب عن المدينة عبر القرون ، أنَّ هذه المدينة قد احتفظَتْ بمكانتها الخاصة عند المسلمين في إطار تواصُل زمنيّ لا انقطاع فيه ، منذ أن ابتدأ الإسلامُ التاريخيّ ، حتى خلال تلك الفترات القصيرة ، التي خرجت فيها المدينة مؤقتاً من حكم الإسلام والمسلمين . بل إن هذا الخروج الموقّتَ من حكم الإسلام ، إنما كان يؤجّج مشاعر التعلّق بها ، ويدفع إلى تكثيف الكتابة عنها ، كما حصل إبّان وقوع المدينة في أيدي الصليبيين ، وكما هو حادث الآن . وليس ذلك بالأمرالغريب،لأن شعورنا نحو ماهو عزيز أصلاً علينا ، يقوى ويشتدّ حين نخشى عليه من الفقدان والضياع .

ومما يسترعي النظر لدى دراسة مخطوطات فضائل القدس ، أنّه ابتداء من القرن الثامن الهجري ، ازداد اتجاه مؤلفي هذه الكتب إلى التعبير عن قداسة المدينة ، من خلال ربطِها بعدد كبير من الشخصيات الإسلاميّة التي كانت لها علاقات من نوع ما بها . فبالإضافة إلى أسماء تسعة وثلاثين من أصحاب الرسول عليه السلام الذين عرفتْهُمُ المدينة ، ومنهم تسعةٌ دُفنوا في أرضها ، نجد أسماء اثنين وستين تابعيا ورجلا صالحا ، أوردهم صاحب « مثير الغرام » في مخطوطته ، في حين نجد أسماء أربعمائة وأربعين عالماً وقاضياً ومؤلّفاً وخطيباً نابغاً أوردها صاحب « الأنس الجليل » ممّن عاشوا في القدس خلال فترة قصيرة نسبيّاً ، هي فترة ما بين الفتح الصلاحي للمدينة عام ٥٨٣ هـ ، وعام ٩٠٠ هـ ، ومن هؤلاء ٢٨٦ من الأولياء والعلماء والقضاة والصالحين ، دُفِنوا في أرض المدينة المقدسة .

وإذا كانت فكرة المجيء إلى القدس للعبادة والإقامة ، ثُمّ من أجل أن يُوارى جثمانُ القادم إليها بعد موته في ثراها ، من الأمور التي سبق الحديثُ عنها في هذا الكتاب ، فإنه ينبغي القول كذلك ، إن المدينة كانت تُقْصَدُ من شرقي العالم الإسلامي وغربيّه ، باعتبارها مركزا علميا للدراسة والتدريس ، يَجْتَذِب إليها الدارسين والمدرّسين على السواء. فالإمام الطرطوشيّ يأتي إلى القدس من أقصى الطرف الغربي للعالم

الإسلامي : من الأندلس ، في عام ٤٧٦ هـ لكي يتفقه ثم لكي يدرِّس بعد ذلك في بلاد الشام . والإمام أبو بكر بن العربي يأتي هو الآخر من أشبيلية في الأندلس عام ٤٨٥ هـ ، فيلتقي في المدينة المقدسة بالطرطوشي ، ثم يصحب الإمام الغزالي القادم إلى المدينة من المشرق الإسلاميّ . وتستوقفُنا في الحديث عن قدوم ابن العربي إلى القدس عبارةٌ لها دلالتها الواضحة على المكانة العلمية للمدينة ، أوردها صاحب « مثير الغرام » وهو يتحدث عن هذا الزائر الأندلسي ، وذلك إذْ يقول : « ورأى به (بالقدس) خلقا من أرباب العلوم » ، وقد أوردنا العبارة في موضعها في النصوص المحقّقة من مخطوطة « مثير الغرام » . وفي مدينة القدس درس ابن العربي ودرّس . وفي المسجد الأقصى بالمدينة درّس الإمام الغزالي ، وألّف هناك « الرسالة القدسيّة في العقيدة الإسلاميّة » ، بناء على طلب مستمعيه من الدارسين عليه . ومع كل ما كان للمسجد الأقصى من مكانة علمية في القرن الخامس الهجري قبل أن يحتله الصليبيون ، فقد رُوِيَ عن الغزالي أنّه بكى لأنه وجد في المسجد ثلاثمائة وستين مدرسا فقط ، علما بأن كلمة « مدرس » في زمنه كانت تحمل معنى اصطلاحيّاً شبيها بكلمة « أستاذ » في مفهومنا الجامعي الحديث . وإذْ يتهيّأ أندلسيٌّ آخر ، هو الشيخ الشاطبي ، العالم الشهير للسفر إلى القدس ، تصدُرُ عنه عبارةٌ لها دلالتها في نظرة علماء المسلمين من أيّما ركن في ديار الإسلام إلى المدينة : « ذَكَرَ اللهُ عنا ذلكَ الموضعَ بِخَيْر . لا أعْلَمُ موضعاً أقربَ إلى السماءِ منه بعدَ مكّةَ والمدينة »[٥١٧] .

ومن الأمور التي ينبغي أن تلاحظَ فيما يتعلق بإيراد عدد من مخطوطات فضائل القدس لقوائم طويلة بأسماء شخصيات إسلامية ارتبطت بالمدينة المقدسة ، أنَّ هذه التراجمَ قد لا تجتمع معا في كتاب واحد من الكتب التي أُلِّفَتْ في موضوعات غير موضوع « فضائل القدس » ، ولذا فإن من فائدة كتب الفضائل هذه ، أن قارئَها يخرج بحصيلة جيّدة من المعلومات عن هذه الشخصيات ، قد لا يجدها مجتمعةً في كتب أخرى ، حتى ولو أنَّ بعض هذه الترجمات كان موجزا لا استقصاء فيه . والجدير بالذكر ، أنَّ

(٥١٧) انظر : « الذيل على الروضتين » ، ط دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٧ .

الشخصيات المترجَمَ لها في كتب الفضائل ، لا تمثّل نَمَطاً واحداً من الناس ، بل تجمع بين أنماط متعدّدة ، قلّ أنْ تُجْتَمعَ في حيّز واحد في كتب غير كتب المخطوطات .

وقد يؤخذ على مخطوطات فضائل القدس ، أنَّ الحصيلة المعرفية التي يخرج بها القارىء لها ، لا تتناسب مع حجمها ، وذلك لأنها تحتوي الكثير مما لا يدخل في نطاق الحقائق التاريخية وفيها ماهو مقبول للدارس المُمَحِّص . وهذا القول ، على مافيه من صحة ، يُغْفِل مجموعةً من الأمور : منها أنَّ هذه المخطوطات تحتوي إضافة إلى ماهو غير تاريخي وغير مقبول ، الكثيرَ من النصوص التاريخية والمقبولة ، ولن يصعب على القارىء المدقق ، أن يميز بين نص صحيح موثّق ، ونصٍّ ذي طابع أسطوري غير مُمَحَّص . ومما يريحُ القارىءَ في هذا الصّدد ، أن القسمَ الأكبرَ من النصوص ذات الصبغة الأسطورية ، يرتبط بتاريخ المدينة وأوضاعها قبل العهد الإسلامي ، وهو قسم لم نُعْنَ به ، إذْ وجدنا أنَّ من الأفضل إغفالَه ، لأنه يمتُّ إلى فترة غير الفترة التي نحن معنيّون بها في هذه الدراسة ، ولأنه كذلك لا يرتكز على أُسُسٍ سليمة مقبولة . ومنها أنَّ كتبَ التراث ، جديرة بأن تدرس وتُمَحَّصَ لمجرّد أنها تمثل حلْقةً أو حلقاتٍ في حياة الأمة ، يجدر بأبناء الأمة التعرف عليها من أجل استخلاص صورة مستقاة من المصادر الأصلية عن مسيرة أمتهم الفكرية والثقافية والاجتماعية ، عبر الحِقَبِ الزمنية المتلاحقة .

ومن الظلم لمؤلّفي مخطوطات فضائل القدس ، أنْ يسوّى بينهم في تقبُّل المواد التي تَتَّسِم بسمة أسطورية . . غير معقولة ، مما كان يتناقَلُهُ الناس في أ زمانهم ، إذْ من الواضح أنَّ بعضا من هؤلاء المؤلّفين قد ميَّز فعلاً بين ماهو مقبول وماهو غير مقبول فيما احتوته كتبهم من مواد . وإذْ أوردوا في هذه الكتب من كلا النَّمَطَيْنْ ، فإنهم رفضوا ماهو غير مقبول وغير معقول منها ، وحملوا بشدة على الذين صدرت عنهم أقوال لا يقرّها العقل والدين .

وكثيرا ما يؤخذ كذلك على مؤلِّفي فضائل القدس ، أنَّ اللاحقين منهم كانوا يأخذون بلا حدود عن السابقين ، مع إقرار بهذا الأخذ أحيانا وعدم إقرار أحيانا أخرى ، ممّا نشأ عنه تكرار للمادّة الواحدة على نطاق واسع في هذه المؤلفات . وإذا كان هذا الأخذ

الكثيف اللاحق عن السابق يمثل بالفعل ازدواجا في الجهد قد لا تكون ثمة ضرورة له ، فإن المادة المكررة في هذه المؤلفات ، كثيرا ما كانت عونا للدارس المعني بتحقيق النصوص الموردة فيها ، وذلك بمقابلة النصوص المكررة بعضهـا ببعض ، واستخلاص الصـورة الصحيحة للنص الذي يراد تحقيقه .

وإذ لابد من تعريج ولو بإيجاز على أساليب الكتابة في كتب الفضائل ، بعد أن سبق الحديث في هذا الموضوع في صفحات هذا الكتاب لدى الحديث عن كل مؤلِّفٍ على حدة فإن من الصعب تحديد خصائص الأساليب الكتابية لمجموعة من المؤلفين عاشوا في حقب زمنية مختلفة ، كما هي الحال بالنسبة إلى مؤلفي كتب فضائل القدس ، وذلك لأن لكل كاتبٍ في المعتاد أسلوبَه الكتابيَّ الخاصَّ به دون غيره .

غير أنَّ ثمة عاملاً مشتركاً واحداً على الأقل يجمع بين كتابات هؤلاء المؤلِّفين ، مما يمكِنُ أنْ ينشأ عنه سمات مشتركة في كتاباتهم ، وهو موضوع هذه الكتـابات ، إذ إنَّ موضوعها الكبير المشترك هو « فضائل القدس » ، وقد اتفق نقاد الأدب ، القدماء منهم والمُحْدَثون ، في الشرق والغرب على السواء ، على أنه توجد علاقة مابين مادة موضوعٍ ما ، وبين الأسلوب الذي يُتَّبَعُ في عرض هذه المادة(٥١٨) .

والواقع أن مَشابِهَ محدَّدةً قد وُجِدْت بالفعـل بين أسـاليب مؤلفي كتب فضائـل القـدس ، وإنْ كانت هـذه المشابـهُ تدخـل بالضـرورة ، تحت الخصائص العـريضـة لكتاباتهم ، لافي السمات التفصيلية الخاصة بكل مؤلِّف على حدة . ويبدو أن الطبيعة السرديّة النَّقْليّةَ ، وهي الطبيعة الغالبة في كتب فضائل القدس ، قد وحّدَتْ إلى درجة

(٥١٨) انظر في العلاقة بين الموضوع والأسلوب :

R. Wellek and A. Warren "Theory of literature", London, 1955, P. 178

وكـذلـك : Mahmud Ibrahim: "Martial Poetry under the Hamdanids of Aleppo", Ph.D.Thsis, Univ of London, 1965, PP. 435-436

وانظر كذلك : كتاب « الوساطـة بين المتنبي وخصـومه ، لأبي الحسن عـلي بن عبدالعـزيز الجـرجاني ، ط صيدا ، ١٣٣١ هـ ، ص ٢٧ .

ما ، بين أساليب هؤلاء المؤلفين في متون كتبهم . فهذه المتون قد كتبت بصورة عامة ، بلغة التأليف المرسَلة الميسّرة التي لا تُنتَقى فيها العبارات انتقاءً فيه تكلّف وعَنَت ، بل يُطلَبُ فيها اليسرُ في التعبير ، وسهولةُ إيصال المعلومات إلى القارىء ، سواء اتخذت هذه المعلومات شكل مروياتٍ مسلسلةٍ في إطار إسناديّ ، أم معلومات ينقلها المؤلف بصورة مباشرة . وقد يجنَح المؤلف في حالات قليلة إلى غير هذا الأسلوب في متن كتابه ، نظراً لما يمليه موقف من المواقف ، وربما يكون التحوّلُ من أسلوب إلى آخر نتيجةً لاقتباس عن مؤلف ينهج في كتابته غير النهج السرديّ الميسّر الذي سار عليه مؤلفو كتب الفضائل في متونهم ، وربما يكون ناشئا عن استطراد موقوت ، يخرج به المؤلف عن مجرى النص الأصيل .

وكما اجتمع هؤلاء المؤلّفون بصورة عامة على أسلوبٍ شبه موحد في متون كتبهم ، فقد اجتمعوا كذلك في أسلوب يكاد يكون موحَّداً في مقدمات كتبهم وخواتمها ، وذلك حينماكانوا يوردون موادَّ ذات صبغة عاطفيّة وجْدانية ، فيتحوّل الأسلوبُ الكتابيُّ إذ ذاك إلى أسلوب زخرفي متأنّق ، تُختارُ فيه الألفاظُ والعباراتُ اختياراً،وتسوده نزعةٌ عاطفيةٌ وحرارةٌ انِ لا تظهران عادةً في المتون الأصليّة .

ولا يملِكُ المستعرِضُ لكتب فضائل القدس ، وهو يقرأ ما تعلّق بالمدينة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وروايات تاريخية ، وسِيَرٍ لشخصيات ذات أثر في تاريخ الإسلام وحضارته ، إلاّ أنْ يُحِسّ بأنَّ ما كُتب عن قداسة القدس ، إنّما هو إرهاص بأن هذه المدينة ستتحول إلى أرض جهاد ورباط بالنسبة إلى جميع المسلمين الذين يعرفون مكانة هـذه المدينة في عقيدتهم وتاريخهم ، وهو ما أصبحتْ عليه المدينة في ز مننا هذا بالفعل !

وإذا كان لابد من الإقرار في النهاية ، أنّ الاطلاعَ على مالم يَجْرِ الاطّلاعُ عليه من مخطوطات فضائل القدس ، لابد أن يلقي مـزيدا من الضـوء على مكـانة القـدس في الإسلام ، إلاّ أنّ المخطوطات الإحدى عشرة ، التي أمكنَ الاطّلاعُ عليها ودراستُها ، وكذلك بضعَ المخطوطات التي وجدت سبيلَها إلى التحقيق والنشر مما اطلعنا عليه ، قد أمدّتْ كاتب هذه السطور ، بقَدْرٍ جيّد من المعلومات اللازمة لمثل هذه الدراسة . وإذْ

يتيسَّرُ لدارس آخر الاطلاعُ على مزيدٍ من هذه المخطوطات ، فإن دراسته اللاحقة لابد أن تكون أكثر استيعابا وشمولا من هذه الدراسة ، وذلك من طبائع الأشياء ، إذ إن الكتابات المتتابعةَ في موضوع واحد ، إنما تمثّل حلقات في سلسلة طويلة ، تكمل الحلقة اللاحقة فيها الحلقة السابقة ، إلى أن تتم الحلقات ، وتكمل السلسلة .

وهذه الدراسة ، كأية دراسة أخرى ، لا يمكن أن تكون بلا ثغرات وهنات ، يتحمَّل من قام بها بالضرورة تَبِعَتَها ، ويتمنّى أنْ تتاح له فرصة تداركِها . ولسوف يُسْعِدني أن تُهدى إليّ أخطائي ممن يقفون عليها ، لعلّني أستطيع إصلاحها مستقبلا ، وعذري في أيّما خطأ وقعت فيه ، أنني بذلت في هذه الدراسة ما استطعتُ من جهد ، وخصَّصْتُ لها كلّ ما قدرت عليه من وقت عبر سنتين متواليتين .

والكمال لله وحده ، وله الحمد أولا وآخراً .

فهرس المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية

١ ــ القرآن الكريم ثم :

أ ــ المخطوطات .

٢ ــ الأَقْفَهْسي ، شهاب الدين ، أبو العباس ، أحمد بن العماد بن محمد الأقفهسي ابن العماد المصري : مخطوطة : « تسهيل المقاصد لزوار المساجد » .

٣ ــ الحسيني « تاج الدين أبو النصر ، عبدالوهاب بن عمر بن الحسين الحسيني » ، « الروض المغرّس في فضائلِ البيت المقدّس » .

٤ ــ السيوطي ، شمس الدين ، أبو عبدالله ، محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن عبدالخالق المنهاجي السيوطي : « إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى » .

٥ ــ العَلَمي ، نصر الدين محمد بن محمد العلمي الحنفي المقدسي : « المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » .

٦ ــ القُرَشيّ ، عبدالرحيم بن علي بن إسحِاق بن شيت القرشي : « مفتاح المقاصد ، ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس » .

٧ ــ الكُنْجي ، شمسُ الدين محمد بن محمد بن حسين الكنجي : « فضائل بيت المقدس وفضل الصلاة فيها » .

٨ ــ المقدسي ، أبو المعالي ، المشرّف بن المرجّى بن إبراهيم المقدسي : « فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام » .

٩ ــ المقدسي ، شهاب الدين ، أبو محمود ، أحمد بن محمد المقدسي : « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » .

١٠ ــ مؤلّف مجهول ، « فضائل الشام وفضائل مدنها ، وبيت المقدس وعسقلان وغزة والرملة

وأريحا ونابلس وبيسان ودمشق وحمص ، وذكر الأنبياء المشهورين منها ، وذكر الصحابة المعروفين فيها » .

١١ ــ المكناسي ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن يحيى بن أبي الحفاظ المكناسي : « كتاب فيه فضائل بيت المقدس » .

١٢ ــ ابن هشام ، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن هشام الأنصاري : « تحصيل الأُنس لزائر القدس » .

ب ــ على الآلة الكاتبة (ستانسل)

١٣ ــ عبدالعزيز الدوري : « بحث قُدّم عن فلسطين إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، الذي عقد في عمان في نيسان ١٩٨٠ .

جـ ــ الدوريات :

١٤ ــ إسحاق موسى الحسيني ، بحث عن « فضائل بيت المقدس » في مجلة معهد البحوث والدراسات الغربية ، عدد حزيران (يونيو) ١٩٧٣ / جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ ، العدد الرابع .

د ــ الكتب المطبوعة

١٥ ــ ابن الأثير ، عز الدين بن الأثير : « الكامل في التاريخ » ، ط دار صادر ، بيروت ١٩٧٩ .

١٦ ــ ابن الأثير ، عز الدين بن الأثير : « أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة » ، ط القاهرة ١٩٧٠ .

١٧ ــ إبراهيم ، محمود إبراهيم : « صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني » ط دار القلم بيروت ، نشر دمشق وعمان ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

١٨ ــ الأزديّ ، محمد بن عبدالله الأزديّ : « فتوح الشام » ، تحقيق عبدالمنعم عبدالله عامر ،

القاهرة ١٩٧٠ .
١٩ ــ الأَزدي ، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الأزدي : « تاريخ الموصل» ، ط القاهرة ١٩٦٧ .
٢٠ ــ الأزدي ، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي : « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » . ط ، مكة المكرمة ، ١٩٦٥ .
٢١ ــ الإِسْنَوِيّ ، جمال الدين عبدالرحيم الإسنوي : « طبقات الشافعية » ، ط الرياض ١٩٨١ .
٢٢ ــ أمين ،حسين أحمد أمين :« الحروب الصليبية في كتابات العرب المعاصرين لها » . ط القاهرة .
٢٣ ــ البغدادي ، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي : « تاريخ بغداد » ط الخانجي ، القاهرة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م .
٢٤ ــ البغدادي ، إسماعيل باشا البغدادي : « إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون » مكتبة المثنى ، بغداد .
٢٥ ــ البغدادي ، إسماعيل باشا البغدادي : « هدية العارفين : أسماء المؤلفين والمصنِّفين » ط استانبول ، ١٩٥١ ، ١٩٥٥ .
٢٦ ــ البلاذُرِي ، أبو العباس ، أحمد بن جابر البلاذري : « فتوح البلدان » ط بيروت ١٩٧٨ .
٢٧ ــ ابن تيمية ، الإمام أحمد بن تيمية الحراني : « قاعدة في زيارة بيت المقدس »، تحقيق ونشر تشارلز ماثيوز ، ييل ، ١٩٣٦ .
٢٨ ــ التَّدْمُري ، برهان الدين أبو إسحاق ، إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم الفزاري البدري التدمري المعروف بابن الفركاح : « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » ، تحقيق تشارلز ماثيوز ، نشر الجمعية الشرقية الفلسطينية ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ .
٢٩ ــ الجرجاني : أبو الحسن علي بن عبدالعزيز : « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ط صيدا ١٣٣١ هـ .
٣٠ ــ جرير والفرزدق : « نقائض جرير والفرزدق » ، ط ليدن ١٩٠٧ .

٣١ ــ الحنبلي ، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي : « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » ، ط بيروت ١٩٧٩ .
٣٢ ــ ابن حَوْقَل ، أبو القاسم ، ابن حوقل النصيبي : « صورة الأرض » ، ط ليدن ١٩٦٧ .
٣٣ ــ خسرو ، ناصر خسرو : « سفرنامة » ، الترجمة العربية ، ترجمة يحيى الخشاب ط بيروت ، ١٩٧٠ .
٣٤ ــ ابن خَلِّكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكان ، « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » ط بيروت دار صادر ١٩٧٠ ، ١٩٧٧ .
٣٥ ــ الخازن : علاء الدين عليّ بن محمد بن إبراهيم اليحيى البغدادي : « تفسير الخازن » ، ط بيروت ، دار الفكر .
٣٦ ــ خليفة : حاجي خليفة : « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » ، ط دار الجيل ، بيروت .
٣٧ ــ الدبّاغ : مصطفى مراد الدباغ : « بلادنا فلسطين » ، ط ١ بيروت ١٩٧٤ .
٣٨ ــ الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، شمس الدين الذهبي : « تذكرة الحفاظ » ، ط حيدر أباد ، ١٩٥٨ .
٣٩ ــ الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان ، شمس الدين الذهبي : « ميزان الاعتدال » ط دار المعرفة ، بيروت ١٩٦٣ .
٤٠ ــ ابن رُسْتَة : أبو علي أحمد بن عمر بن رستة : « كتاب الأعلاق النفسية » ، ط ليدن ١٩٦٧ .
٤١ ــ ابن رشيق : أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني : « العُمْدة في صناعة الشعر ونقِده » ، ط دار الجيل ، بيروت ١٩٧٢ .
٤٢ ــ رضا : الشيخ أحمد رضا : « معجم متن اللغة » ، ط بيروت ١٩٦٠ .
٤٣ ــ الزركلي : خير الدين الزركلي ، « الأعلام » ، بيروت ط ٣ و ط ٤ ، ١٩٧٩ .
٤٤ ــ السّخاوي : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السّخاوي : « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » ، منشورات مكتبة دار الحياة ، بيروت (بلا تاريخ) .
٤٥ ــ السّخاوي : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن عثمان بن محمد

السخاوي : « الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ » ، ط بغداد ، ١٩٦٣ .
٤٦ ــ ابن سعد ، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري بالولاء : « طبقات الصحابة » ، ط دار صادر ، بيروت .
٤٧ ــ السّمعاني ، أبو سعد عبدالكريم بن أبي بكر التميمي السمعاني قوام الدين : « كتاب الأنساب » ، ط بيروت ١٩٧٦ ، ١٩٨٠ .
٤٨ ــ سيزكين : فؤاد سيزكين : « تاريخ التراث العربي » ، المجلد الأول جـ ١ ، جـ ٢ ، جـ ٣ ، جـ ٤ ، الترجمة العربية ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٩٨٣ .
٤٩ ــ أبو شامة : شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي . « كتاب الروضتين في أخبار الدولتين » ، ط دار الجيل ، بيروت والطبعة المحققة ، القاهرة ١٩٥٦ ، القاهرة ١٩٦٢ .
٥٠ ــ أبو شامة : شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي : « تراجم القرنين السادس والسابع المعروف بذيل الروضتين » ، ط ٢ دار الجيل ، بيروت ١٩٧٤ .
٥١ ــ ابن شداد ، أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الأسدي ، بهاء الدّين : « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » ، أو « سيرة صلاح الدين » ط ١ ، القاهرة ١٩٦٤ تحقيق جمال الدين الشيال .
٥٢ ــ الصالح : صبحي الصالح : « علم الحديث ومصطلحه » ، ط ١٠ ، بيروت .
٥٣ ــ الطبري : محمد بن جرير الطبري : « تاريخ الطبري » ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ .
٥٤ ــ ابن عبد ربه : أحمد بن عبد ربه : « العقد الفريد » ، ط القاهرة ١٩٤٠ .
٥٥ ــ العسقلاني : ابن حَجَر العسقلاني : « الإصابة في تمييز الصحابة » ، ط دار النهضة مصر ، للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ .
٥٦ ــ العسقلاني : ابن حجر العسقلاني « تهذيب التهذيب » ط حيد رأباد ، ١٣٢٥ هـ ، ١٣٢٦ هـ ، ١٣٢٧ هـ .
٥٧ ــ العسقلاني ، ابن حَجَر العسقلاني : « الدُرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » ط دار الجيل ، بيروت (بلا تاريخ) .

٥٨ ـ العسلي ، كامل العسلي : « مخطوطات فضائل بيت المقدس » : دراسة وببليوغرافيا ، عمان ، ١٩٨١ .
٥٩ ـ العسلي ، كامل العسلي : « معاهد العلم في بيت المقدس » ، عمان ١٩٨١ .
٦٠ ـ العُلَيْمي ، مجيرُ الدين الحنبلي العليمي : « الأُنْسُ الجليل في تاريخ القدس والخليل » ، ط المكتبة الحيدرية ، توزيع دار الجيل ، بيروت ١٩٧٣ .
٦١ ـ ابن الفقيه ، أبو بكر بن محمد الهَمَذاني المعروف بابن الفقيه : « كتاب البلدان » ، ط ليدن ١٩٦٧ .
٦٢ ـ ابن قتيبة ، محمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : « عيون الأخبار » ، ط القاهرة ، ١٩٢٥ .
٦٣ ـ القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني : « آثار البلاد وأخبار العباد » ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
٦٤ ـ الكُتُبي ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن : « فوات الوفيات » ، تحقيق إحسان عبّاس ، ط دار صادر ، بيروت .
٦٥ ـ ابن كَثير : عمادُ الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ابن الدمشقي : « البداية والنهاية » ، ط دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٣٣ .
٦٦ ـ كحّالة : عمر رضا كحّالةَ : « معجم المؤلفين » ، ط بيروت ، نشر مكتبة المثنى .
٦٧ ـ كراتشكوفسكي : أغناطيوس كراتشكوفسكي : « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، نُشِر الكتاب باللغة الروسية في موسكو ولننغراد سنة ١٩٥٧ ، ونشرت الترجمة العربية في القاهرة سنة ١٩٦٣ للجزء الأول ، وسنة ١٩٦٥ للجزء الثاني .
٦٨ ـ الكِنْدي : محمد بن يوسف الكندي : « وُلاةُ مصر » ، ط دار صادر ، بيروت .
٦٩ ـ المسعودي : أبو الحسن ، علي بن الحسين بن علي المسعودي : « كتاب التنبيه والأشراف » ، ط بيروت ١٩٦٥ .
٧٠ ـ المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي : « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، تحقيق باربيردي مينارد ، باريس ، ١٨٦٤ .
٧١ ـ مسلم ، مسلم بن الحجّاج : « صحيح مسلم بشرح النوَوَي » ، ط بيروت ١٩٧٨ .

٧٢ ــ المقدسي ، شهاب الدين أبو محمود ، أحمد بن محمد المقدسي : « الفصل الأخير من مخطوطة مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » تحقيق أحمد سامح الخالدي ، ط يافا ، فلسطين ١٩٤٦ .
٧٣ ــ المقدسي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي البَشاري : « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ، ط ٢ ، ليدن ، ١٩٦٧ .
٧٤ ــ ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين : « لسان العرب » .
٧٥ ــ ابن النديم : أبو الفرج محمد بن إسحاق الورّاق ، ابن أبي يعقوب النديم ، « الفهرست » ، ط طهران ، ١٩٧١ .
٧٦ ــ ابن هشام : أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحِمْيَري المَعافري : « السيرة النبوية » ط القاهرة ١٩٣٦ .
٧٧ ــ الواسطي : الخطيب أبو بكر الواسطي : « فضائل بيت المقدس » ، تحقيق إسحاق حسون ، القدس ١٩٧٩ .
٧٨ ــ الواسطي : أسلَم بن سهل الرزّاز الواسطي المعروف بـ « بَحْشَل » : « تاريخ واسط » ، تحقيق كوركيس عواد ط بغداد ١٣٧٨ هـ ١٩٦٧ م .
٧٩ ــ الواقدي : أبو عبدالله عمر الواقدي : « فتوح الشام » ، نشر دار الجيل ، بيروت (الكتاب منسوب إلى الواقدي) .
٨٠ ــ ياقوت : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي : « معجم الأدباء » تحقيق مرجليوث ، مطبعة هديّة بالموسكي ، القاهرة ١٩٣٠ .
٨١ ــ ياقوت : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي : « معجم البلدان » ، ط دار صادر ، بيروت ١٩٧٧ ، وط مكتبة الأسدي ، طهران ١٩٦٥ ، تحقيق وستنفيلد .
٨٢ ــ اليعقوبي : أحمد ابن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب ، المعروف بابن واضح الأخباري : « تاريخ اليعقوبي » ، ط النجف ، ١٣٨٥ هـ .

المراجع الأجنبية

a. Periodicals

83._Journal of the American Oriental Society, Vol. LVI, 1936.

84._Journal of the American Oriental Society, Vol. LXX, 1950.

85._Israel Oriental Studies, Jan., 1971.

86._The Moslem World, Vol. XXXIII, No. 4, October, 1943.

87._Le Museon, Vol. LXXXII, Louvian, 1969.

88_The Journal of the Palestine Oriental Studies, Vol. XVI, 1934.

89._The Journal of the Palestine Oriental Studies, Vol. XV, 1935.

90._The Journal of the Royal Asiatic Society, Vol. XIX, 1887.

91._Tarabiz, A Quarterly of Jewish Studies, Vol. XXX, 1960.

Printed Books

92._Brockelmann, Von Carl: "Geschichte Der Arabischen Literature", Vol. (1) Leiden, 1943, Vol. (2), Leiden, 1949, Supplement band (1) Leiden, 1937, Supplement band (II) Leiden, 1938, Supplement band (III) Leiden, 1942.

93._Encyclopaedia of Islam, Leiden, London, 1936.

94._Goitein, S.D: "Studies in Islamic History and Institutions", Leiden 1968

95._Hasson and others: "Symposium: Muslim Literature in Praise of Jerusalem", Jerusalem 1981.

96._Rosenthal, Franz: "A History of Muslim Historiography", Leiden, E.J. Brill.

97._Strange, Guy Le: "The History of Jerusalem Under the Moslem" Jerusalem N.D.

98._Tibawi, A.L.: "Jerusalem: Its Place in Islam and Arab History", Beirut, 1969.

99. Wellek, R. and A. Warren: "Theory of Literature" London, 1955.

c. Typewritten

100. Ibrahim, Mahmud: "Martial Poetry Under the Hamdanids of Aleppo", Ph.D. Thesis, University of London 1965.

الفهارس العامة

فهرس أعلام الناس
فهرس البلدان والأماكن
فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
فهرس أبيات الشعر مرتبة أبجديا حسب قوافيها
فهرس الكتب والمخطوطات والدوريات
والدرويات

رتبت الأسماء في فهرس الأعلام حسب تسلسل الحروف الهجائيّة ، وأهملت الكلمات «أبو» ، ابن ، «الـ» في الترتيب وبقيت رسماً فقط . وقد اعتُمِدَتْ أسماء الشهرة في ترتيب الأسماء ، ولا سيّما في الأسماء العربيّة القديمة .

« فهـــرس أعـــلام النـــاس »

[آ]

[أ]

[ب]

[ت]

[ث]

[ج]

[ح]

[خ]

[د]

[ذ]

[ر]

[ز]

[س]

[ش]

[ص]

[ض]

[ط]

[ع]

[غ]

[ف]

[ق]

[ل]

[م]

[ن]

[هـ]

[و]

[ي]

« فهــرس البلــدان والاماكــن »

[أ]

[ب]

[ت]

[خ]

[د]

[ر]

[ز]

[س]

[ش]

[ص]

[غ]

[ف]

[ق]

[ك]

[ل]

[م]

[ن]

[هـ]

[و]

[ي]

فهرس الآيات القرآنية

[أ]

[ب]

[هـ]

[و]

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

[أ]

[س]

[ط]

[ع]

[ف]

[ل]

[م]

[ن]

[و]

[ي]

فهرس أبيات الشعر مرتبة
أبجدياً حسب قوافيها

[ب]

لعمرك إنني لا حبّ داراً تحلّ بها سكينة والرباب ٢٥٨

[د]

يا كعبة قبل الوقوف دخلتها من باب شيبة حمدك المتأكد ٤٦٦

[س]

إمامٌ محبّ ناشئٌ متصدّق مُصَلٍّ وباكٍ خائف سطوة الباس ٤٢٦

[ع]

سائلْ بنا في قومنا وَلْيَكْفِ من شرٍّ سماعُهْ ٥٠٧

[ق]

وتلك علامات الرضا غير أنها من الله لم تحصل لغير الموفّق

فهرست الكتب والمخطوطات والدوريات

[أ]

[ب]

[ت]

[ز]

[س]

[ش]

[ص]

[ض]

[ط]

[ع]

[ف]

[ق]

[ن]

[هـ]

[و]

المحتويـــات



FADÁĬL BAYT AL-MAQDIS FI MAKHTOTAT ĂRABIA QADIMA

(The Virtues of Jerusalem in Old Arabic Manuscripts)

(Analytical Study and Verified Selected Texts)

by
Dr. Mahmoud Ibrahim
Jordanian University

PUBLICATIONS OF INSTITUTE OF ARAB MANUSCRIPTS
KUWAIT P.O.BOX: 26897
Area Code 13129 SAFAT - KUWAIT

ARAB LEAGUE EDUCATIONAL CULTURAL
& SCIENTIFIC ORGANIZATION